

الْحَاوِي لِلْفَتَاوِي

فِي الْفَقْهِ وَعُلُومِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ
وَالْأُصُولِ وَالنَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ وَسَائِرِ الْفُنُونِ

تأليف

الإمام العلامة مهمل الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

ضبطه وصححه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

المجلد الثاني

ملاحظات

مجمع إحياء التراث

لنشر كتب السنة وأجماع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
تنفيذ الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (٩٦١ ١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3088-9



<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - (المنحة في السبحة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد طال السؤال عن السبحة هل لها أصل في السنة؟ فجمعت فيها هذا الجزء متتبعا فيه ما ورد فيها من الأحاديث والآثار. والله المستعان.

أخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال: «رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيده». وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن بسيرة - وكانت من المهاجرات - قالت: قال رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات».

وأخرج الترمذي، والحاكم، والطبراني عن صفية قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن فقال: ما هذا يا بنت حبي؟ قلت: أسبح بهن، قال: قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا، قلت: علمني يا رسول الله قال: «قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء» صحيح أيضاً. وأخرج أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاص: «أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبين يديها نوى - أو حصى - تسبح فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ قولي سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، الله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا قوة إلا بالله مثل ذلك».

وفي جزء هلال الحفار، ومعجم الصحابة للبغوي، وتاريخ ابن عساكر من طريق معتمر بن سليمان عن أبي بن كعب عن جده بقية عن أبي صفية مولى النبي ﷺ أنه كان يوضع له نطع ويحاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي. وأخرجه الإمام أحمد في الزهد ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية - رجل من أصحاب النبي ﷺ وكان جارنا - قالت: فكان يسبح بالحصى.

وأخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلي أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مولاة لسعد أن سعداً كان يسبح بالحصى، أو النوى،

وقال ابن سعد في الطبقات: أنا عبيد الله بن موسى أنا إسرائيل عن جابر عن امرأة حدثته عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها.

وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد من طريق نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به، وأخرج أحمد في الزهد ثنا مسكين بن نكير أنا ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان لأبي الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن.

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنه يسبح بالنوى المجزع، وقال الديلمي في مسند الفردوس: أنا عبدوس بن عبد الله أنا أبو عبد الله الحسين بن فتحويه الثقفي ثنا علي بن محمد بن نصرويه ثنا محمد بن هارون بن عيسى بن المنصور الهاشمي حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي حدثني عبد الصمد بن موسى حدثني زينب بنت سليمان بن علي حدثني أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن أبيها عن جدها عن علي مرفوعاً: «نعم المذكر السبحة».

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري أنه كان يسبح بالحصى، وأخرج من طريق أبي نضرة عن رجل من الطفاوة قال: نزلت على إبراهيم ومعه كيس فيه حصى أو نوى فيسبح به حتى ينفد، وأخرج عن زاذان قال: أخذت من أم يعفور تسايح لها فلما أتيت علياً قال: أردد على أم يعفور تسايحها.

ثم رأيت كتاب تحفة العباد ومصنف متأخر عاصر الجلال البلقيني - فضلاً حسناً في السبحة قال فيه ما نصه: قال بعض العلماء: عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمرو، لكن يقال إن المسيح إن آمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى.

وقد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم كأبي هريرة رضي الله عنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتي عشرة ألف تسبيحة قاله عكرمة، وفي سنن أبي داود من حديث أبي نضرة الغفاري قال: حدثني شيخ من طفاوة قال: تثويت أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلاً أشد تشميراً ولا أقوم على ضيف منه قال: فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح بها حتى إذا أنفد ما في الكيس ألقاه إليها فأعادته في الكيس فدفعته إليه يسبح - قوله تثويت - أي تضيفته ونزلت في منزله - والمثوى المنزل وقيل: كان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح بالنوى المجزع - يعني الذي حك بعضه حتى ابيض شيء منه وترك الباقي على لونه - وكل ما فيه سواد وبياض - فهو مجزع - قاله أهل اللغة: وذكر الحافظ عبد الغني في الكمال في ترجمة أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه أنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة، وذكر أيضاً عن سلمة بن شبيب قال: كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة

سوى ما يقرأ فلما وضع ليغسل جعل بأصبعه كذا يحركها - يعني بالتسبيح - ومن المعلوم المحقق أن المائة ألف بل والأربعين ألفاً وأقل من ذلك لا يحصر بالأنامل فقد صح بذلك وثبت أنهما كانا يعدان بألة والله أعلم.

وكان لأبي مسلم الخولاني رحمة الله عليه سبحة فقام ليلة والسبحة في يده قال: فاستدارت السبحة فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات ويا دائم الثبات قال: هلمي يا أم مسلم فانظري إلى أعجب الأعاجيب قال: فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح فلما جلست سكنت. ذكره أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري في كتاب كرامات الأولياء.

وقال الشيخ الإمام العارف عمر البزار: كانت سبحة الشيخ أبي الوفا كاكيش - وبالعربي عبد الرحمن - التي أعطاها لسيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله أرواحهم إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة، وذكر القاضي أبو العباس أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه روي في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله يوماً سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ قال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه، قال: وقد رويت في ذلك حديثاً مسلسلاً - وهو ما أخبرني به شيخنا الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله من لفظه - ورأيت في يده سبحة قال: أنا الإمام أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن يوسف بن البانياسي بقراءتي عليه ورأيت في يده سبحة قال: أنا أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود الترمذي ورأيت في يده سبحة.

قال: قرأت على شيخنا أبي الثناء ورأيت في يده سبحة قال: [أنا عبد الصمد بن أحمد ابن عبد القادر ورأيت في يده سبحة قال] أنا أبو محمد يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ورأيت في يده سبحة قال: أنا أبي ورأيت في يده سبحة قال: قرأت على أبي الفضل بن ناصر ورأيت في يده سبحة قال: قرأت على أبي محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي ورأيت في يده سبحة قلت له: سمعت أبا بكر محمد بن علي السلمي الحداد ورأيت في يده سبحة؟ فقال: نعم قال: رأيت أبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المقرئ ورأيت في يده سبحة قال: رأيت أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي القاسم المترفق الصوفي وفي يده سبحة قال: سمعت أبا الحسن المالكي يقول: وقد رأيت في يده سبحة فقلت له: يا أستاذ وأنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال: كذلك رأيت أستاذي الجنيد وفي يده سبحة فقلت له: يا أستاذ وأنت إلى الآن مع السبحة؟ قال: كذلك رأيت أستاذي سري بن مغلس السقطي وفي يده سبحة فقلت: يا أستاذ أنت مع السبحة؟ فقال: كذلك رأيت أستاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال: كذلك رأيت [بشر الحافي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيت] أستاذي عمر المالكي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال: كذلك رأيت أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت: يا أستاذ مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال

لي: شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الله بقلبي وفي يدي ولساني، فلو لم يكن في اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة والدخول في سلوكهم والتماس بركتهم لصارت بهذا الاعتبار [من أهم الأمور] وأكدها فكيف بها وهي مذكرة بالله تعالى لأن الإنسان قل أن يراها إلا ويذكر الله وهذا من أعظم فوائدها وبذلك كان يسميها بعض السلف رحمه الله تعالى. ومن فوائدها أيضاً الاستعانة على دوام الذكر، كلما رآها ذكر أنها آلة للذكر ففاداه ذلك إلى الذكر، فيا حبذا سبب موصل إلى دوام ذكر الله عز وجل، وكان بعضهم يسميها حبل الوصل، وبعضهم رابطة القلوب. وقد أخبرني من أثق بقوله: إنه كان مع قافلة في درب بيت المقدس فقام عليهم سرية عرب وجردوا القافلة جميعهم وجردوني معهم فلما أخذوا عمامتي سقطت مسبحة من رأسي فلما رأوها قالوا: هذا صاحب سبحة فردوا علي ما كان أخذ لي وانصرفت سالماً منهم. فانظر يا أخي إلى هذه الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خيري الدنيا والآخرة، ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروهاً، وقد روي بعضهم يعد تسبيحاً فقليل له: أتعد على الله؟ فقال: لا ولكن أعد له، والمقصود أن أكثر الذكر المعدود الذي جاءت به السنة الشريفة لا ينحصر بالأنامل غالباً ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع وهو المراد والله أعلم.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن بكر بن خنيس عن رجل سماه قال: كان في يد أبي مسلم الخولاني سبحة يسبح بها قال: فقام والسبحة في يده فاستدارت السبحة فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات ويا دائم الثبات فقال: هلم يا أم مسلم وانظري إلى أعجب الأعاجيب فجاءت أم مسلم والسبحة تدور تسبح فلما جلست سكنت. وقال عماد الدين المناوي في سبحة:

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فتجمع من همته

إذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق من هيئته

مسألة: هل تداوى النبي ﷺ فإنه ثم من أنكر ذلك وقال إنه أمر بالتداوي ولم يتداوى؟

الجواب: نعم قال النووي في شرح مسلم في حديث: «هم الذين لا يكتون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الإمام أبو عبد الله المازري: احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوي مكروه ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره ﷺ لمنافع الأدوية والأطعمة كالحة السوداء، والقسط والصبر وغير ذلك وبأنه ﷺ تداوى، وبأخبار عائشة بكثرة تداويه، ثم نقل عن القاضي عياض أنه ﷺ تطب في نفسه وطب غيره انتهى.

قلت: يشير بذلك إلى ما أخرجه ابن السني، وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أعجب من بصرك بالطب قالت: يا ابن أختي إن رسول الله ﷺ لما طعن في السن سقم فوفدت الوفود

فنتعت فمن ثم، وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن عبد الرحمن المليكي قال: حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة: يا خالة إنني لأفكر في أمرك وأتعجب أن وجدتكم عالمة بالطب فمن أين؟ فقالت: إن رسول الله ﷺ كثرت أسقامه فكنا نعالج له. وأخرج أبو نعيم من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة أنه قيل لها من أين تعلمت الطب؟.

قالت: كان رسول الله ﷺ رجلاً مسقاماً وكان يقدم عليه وفود العرب والعجم فنتعت له فتعلمت ذلك. وأخرج البخاري، ومسلم عن سهل بن سعد أنه سئل بأي شيء دووي جرح النبي ﷺ يوم أحد؟ فقال: كانت فاطمة تغسل الدم وعلي يسكب الماء عليها فلما رأت فاطمة الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم. وأخرج أبو داود، والحاكم وصححه عن ابن عباس أن النبي ﷺ استعط. وأخرج ابن السني عن ابن عباس قال: «احتجم رسول الله ﷺ واستعط». وأخرج ابن السني عن أبي هريرة «أنه دخل على النبي ﷺ وهو يحتجم فقال: أي شيء هذا يا رسول الله؟ فقال: الحجم قلت: وما الحجم يا رسول الله؟ قال: خير ما تداوى به العرب» وأخرج الحاكم وصححه عن سمرة قال: «دخل أعرابي على النبي ﷺ وهو يحتجم فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذا الحجم وهو خير ما تداوون به» وأخرج ابن السني عن عبد الله بن جعفر قال: احتجم رسول الله ﷺ على قرنه بعدما سم. وأخرج أبو داود، وابن ماجه عن جابر أن النبي ﷺ احتجم على وركه من وني كان به [يعني من وهن دون الخلع والكسر]. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أنس أن النبي ﷺ احتجم [وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به. وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم] في رأسه من أذى كان به. وأخرج أبو نعيم عن أنس أن النبي ﷺ احتجم من وجع كان برأسه وهو محرم. وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء^(١) وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عثمان أن النبي ﷺ احتجم تحت كتفه اليسرى من الشاة التي أكل يوم خيبر، وأخرج أبو نعيم عن علي قال: «لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي فقال: لعنك الله لا تدعين نبياً ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعل يمرسها عليها».

٤٦ - أعذب المناهل

في حديث من قال أنا عالم فهو جاهل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. سئلت عن حديث من قال أنا عالم فهو جاهل. الجواب: هذا إنما يعرف من كلام يحيى بن أبي كثير موقوفاً عليه على ضعف في إسناده

(١) أي يلطخه بها.

إليه ويحيى من صغار التابعين فإنه رأى أنس بن مالك وحده، وقد يعد في أتباع التابعين باعتبار أنه لم يلق غيره من الصحابة ولا يعرف له عن أحد منهم رواية متصلة، وقد وهم بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ إن وجد عنه الجزم بذلك، وذلك أن الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ فذكره، وقال الطبراني: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وهذا الحديث حكم عليه الحفاظ بالوهم في رفعه فإن ليث بن أبي سليم متفق على ضعفه قال فيه أحمد بن حنبل: مضطرب الحديث. وقال: ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحد منه في ليث لا يستطيع أحد أن يراجع فيه، وقال فيه ابن معين، والنسائي: ضعيف، وقال ابن معين: ليث أضعف من عطاء بن السائب، وقال عثمان بن أبي شيبة: سألت جريراً عن ليث، وعن عطاء بن السائب، وعن يزيد بن أبي زياد فقال: كان يزيد أحسنهم استقامة في الحديث ثم عطاء وكان ليث أكثرهم تخليطاً، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وسألت أبي عن هذا فقال: أقول كما قال جرير، وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: حدثنا يحيى بن معين عن يحيى بن سعيد القطان أنه كان لا يحدث عن ليث بن أبي سليم، وقال عمرو بن علي: كان يحيى لا يحدث عن ليث بن أبي سليم، وقال أبو معمر القطيعي: كان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم، وقال علي بن المديني: قلت لسفيان إن ليثاً روى عن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه رأى النبي ﷺ يتوضأ فأنكر ذلك سفيان وعجب منه أن يكون جد طلحة لقي النبي ﷺ، وقال علي بن محمد الطنافسي: سألت وكيعاً عن حديث من حديث ليث بن أبي سليم فقال: ليث ليث كان سفيان لا يسمى ليثاً، وقال قبيصة، قال شعبة لليث بن أبي سليم: أين اجتمع لك عطاء، وطاوس، ومجاهد؟ فقال إذ أبوك يضرب بالخف ليلة عرسه فما زال شعبة متقياً لليث مذ يومئذ، وقال أبو حاتم: أقول في ليث كما قال جرير بن عبد الحميد، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي، وأبا زرعة يقولان: ليث لا يشتغل به وهو مضطرب الحديث، وقال أبو زرعة أيضاً: ليث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث، وقال مؤمل بن الفضل: قلنا لعيسى بن يونس لم تسمع من ليث بن أبي سليم؟ قال: قد رأيته وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة ارتفاع النهار فيؤذن، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره.

هذا مجموع كلام أئمة الحديث في تخريجه. والحاصل أنه كان في حال صحة عقله كثير التخليط في حديثه بحيث جرح بسبب ذلك ثم طرأ له بعد ذلك الاختلاط في عقله فازداد حاله سوءاً، وحكم المختلط الذي كان قبل اختلاطه من الثقات الحفاظ المحتج بهم أن ما رواه بعد اختلاطه يرد، وكذا ما شك فيه هل رواه قبل الاختلاط أو بعده فإنه مردود. فإذا كان هذا حكم من اختلط من الثقات الحفاظ الذين يحتج بهم فكيف بمن اختلط من الضعفاء المجروحين الذين لا يحتج بهم قبل طرؤ الاختلاط عليهم؟ وقد جرت عادة الحفاظ إذا ترجموا أحداً ممن تكلم فيه أن يسردوا في ترجمته كثيراً من الأحاديث التي

أنكرت عليه، وإن كان له أحاديث سواها صالحة نبهوا على أن ما عدا ما سردوه من أحاديثه صالح مقبول خصوصاً إذا كان ذلك الرجل ممن خرج له في أحد الصحيحين فإنهم يقولون: إن صاحب الصحيح لم يخرج من حديثه إلا ما صح عنده من طريق غيره فلا يلزم من ذلك قبول كل ما رواه هكذا نصوا عليه. وهذا الرجل روى له مسلم مقروناً بأبي إسحاق الشيباني فالحجة في رواية أبي إسحاق والحديث الذي خرج صحیح من طريق أبي إسحاق لا من طريق ليث بن أبي سليم. ولما ترجمه ابن عدي في الكامل سرد أحاديثه التي أنكرت عليه ثم قال: له أحاديث صالحة غير ما ذكرت، وكذا صنع الحافظ الذهبي في الميزان سرد له أكثر من عشرة أحاديث أنكرت عليه منها هذا الحديث الذي نحن فيه - أعني حديث من قال: أنا عالم فهو جاهل - وحديث من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمداً فقد جهل. وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وحديث كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث النبي ﷺ وجه إليه أيها الماء أسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت، في أحاديث آخر على أن هذا الحديث الذي نحن فيه لم يجزم ليث برفعه لقوله فيما تقدم: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ وهذه صيغة تقال عند الشك.

ومما يؤيد بطلان هذا الحديث الذي نحن فيه من جهة المعنى ثبوت هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وما كان هؤلاء ليقعوا في شيء ورد فيه ذم عن النبي ﷺ، وكذا ثبت مثل ذلك عن خلّاق لا يحصون من التابعين فمن بعدهم كما سقت رواياتهم وألفاظهم في الكتاب المسمى - بالصواعق على النواقي - ولا شك أن مثل هؤلاء الأئمة لا يطبقون على التلفظ بما ذم النبي ﷺ التلفظ به، وأبلغ من ذلك قول نبي الله يوسف عليه السلام فيما حكاه الله عنه في التنزيل ﴿إِنِّي حَقِيقٌ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٥٥]. فإن قلت: كيف حكم على الحديث بالإبطال وليث لم يتهم بكذب؟ قلت: الموضوع قسمان: قسم تعتمد واضعه وضعه وهذا شأن الكذابين. وقسم وقع غلطاً لا عن قصد وهذا شأن المخطئين والمضطربين الحديث كما حكم الحفاظ بالوضع على الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه وهو من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار فإنهم أطبقوا على أنه موضوع وواضعه لم يعتمد وضعه وقصته في ذلك مشهورة. وإلى ذلك أشار العراقي في ألفيته بقوله: ومنه نوع وضعه لم يقصد، نحو حديث ثابت من كثرت صلاته الحديث وهلة سرت.

وأكثر ما يقع الوضع للمغفلين والمخطئين والسيء الحفظ بعزو كلام غير النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليه إما كلام تابعي، أو حكيم، أو أثر إسرائيلي كما وقع في المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وغير ذلك يكون معروفاً بعزوه إلى غير النبي ﷺ فيلتبس على المخطئ فيرفعه إليه وهماً منه فيعده الحفاظ موضوعاً، وما ترك الحفاظ بحمد الله شيئاً إلا بينوه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولكن يحتاج إلى سعة النظر وطول الباع وكثرة الاطلاع، وقد يقع الوضع في لفظة من

الحديث لا في كله كحديث لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح فإن الحديث صدره ثابت، وقوله: أو جناح موضوع تعمده واضع تقريباً إلى الخليفة المهدي لما كان مشغولاً باللعب بالحمام، وقد وقع نظير ذلك لليث هذا صاحب هذا الحديث فإنه روى عن مجاهد، وعطاء عن أبي هريرة في الذي وقع على أهله في رمضان قال له النبي ﷺ: أعتق رقبة قال: لا أجد، قال: اهد بدنة، قال: لا أجد، قال الحافظ: ذكر البدنة فيه منكر والظاهر أن ليثاً إنما زادها غفلة وتخليطاً لا عن قصد وعمد والله أعلم.

٤٧ - حسن التسليك في حكم التشبيك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى: قال البخاري في صحيحه: «باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره» وأورد فيه حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه» وحديث أبي هريرة «صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي فصلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه» قال الحافظ ابن حجر في شرحه: حديث أبي موسى دال على جواز التشبيك مطلقاً. وحديث أبي هريرة دال على جوازه في المسجد فهو في غيره أجوز. ووقع في بعض نسخ البخاري قبل هذين الحديثين حديث آخر نصه: حدثنا حامد بن عمر ثنا بشر ثنا عاصم ثنا واقد عن أبيه عن ابن عمر قال: شبك النبي ﷺ أصابعه، قال الحافظ مغلطاي: هذا الحديث ليس موجوداً في أكثر نسخ الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: هو ثابت في رواية حماد بن شاعر عن البخاري قال ابن بطال: المقصود من هذه الترجمة معارضة ما ورد في النهي عن التشبيك في المسجد وقد وردت فيه مراسيل ومسند من طرق غير ثابتة، وقال ابن المنير: التحقيق أنه ليس بين الأحاديث تعارض إذ المنهي عنه فعله على وجه العبث، وجمع الإسماعيلي بأن النهي مقيد بما إذا كان في الصلاة أو قاصداً إليها إذ منتظر الصلاة في حكم المصلي، وقيل: إن حكمة النهي عنه لمنتظر الصلاة أن التشبيك يجلب النوم وهو من مظان الحدث. وقيل: إن صورته تشبه صورة الاختلاف، فكره ذلك لمن هو في حكم الصلاة حتى لا يقع في المنهي عنه وهو قوله ﷺ للمصلين: ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وقال الحافظ مغلطاي في شرح البخاري: زعم بعضهم أن هذه الأحاديث التي أوردها البخاري في هذا الباب معارضة لحديث النهي عن التشبيك، وقال ابن بطال: إن حديث النهي ليس مساوياً لهذه الأحاديث في الصحة، وقال الأكثر: حديث النهي مخصوص بالصلاة وهو قول مالك: روي عنه أنه قال: إنهم لينكروا تشبيك الأصابع في المسجد وما به بأس إنما يكره في الصلاة ورخص فيه ابن عمر، وسالم ابنه، فكانا يشبكان بين أصابعهما في الصلاة، ثم قال مغلطاي: والتحقيق أنه ليس بين حديث النهي عن التشبيك وبين تشبيكه ﷺ بين أصابعه

لأن النهي إنما ورد عن فعله في الصلاة أو في المضي إليها، وفعله ﷺ للتشبيك ليس في صلاة ولا في المضي إليها، فلا معارضة إذن وبقي كل حديث على حياله انتهى.

قلت: ومن الأحاديث في تشبيكة ﷺ ما أخرجه البخاري، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال: «رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيده هكذا - زاد البيهقي - وشبك بين أصابعه» وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم ويزمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه»، وأخرج البزار عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم في قوم مرجت عهودهم وأيمانهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه». وأخرج الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «كيف ترون إذا أحرمت في زمان حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ونذورهم فاشتبكوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون ويقبل أحدكم على خاصة نفسه ويذر أمر العامة».

وأخرج الطبراني عن عبادة الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كنت في حثالة من الناس واختلفوا حتى يكونوا هكذا وشبك بين أصابعه؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: خذ ما تعرف ودع ما تنكر» وأخرج الشافعي، وأحمد، وأبو داود، والنسائي بسند صحيح على شرط مسلم عن جبير بن مطعم قال: لما كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة؟ فقال النبي ﷺ: «أنا وبني المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه». وأخرج البيهقي في الزهد عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة وشبك بين أصابعه؟ قلت يا رسول الله ما تأمرني؟ اصبر اصبر اصبر خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم».

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دفن العبد الكافر يقول له القبر لا مرحباً ولا أهلاً ثم يلتئم عليه حتى تلتقي أضلعه وقال رسول الله ﷺ: بأصابع يديه فشبكها» وأخرج مسلم، وأبو داود عن جابر في حديث الحج قال: قام سراقبة بن جعشم فقال: يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه في الأخرى وقال: «دخلت العمرة في الحج مرتين» وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أي المؤمنين أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: إذا اختلفوا وشبك بين أصابعه أبصرهم بالحق وإن كان في عمله تقصير وإن كان يزحف زحفاً».

ذكر الحديث المسلسل بالتشبيك

أخبرني شيخنا الإمام تقي الدين الشمني بقراءتي عليه، والجلال أبو المعالي القمصي، وأبو العباس أحمد بن الجمال - عبد الله بن علي الكناني - سماعاً عليهما بالقاهرة، وناصر الدين أبو الفرج ابن الإمام زين الدين أبي بكر المراغي بقراءتي عليه بمكة المشرفة، والحافظ تقي الدين أبو الفضل بن فهد الهاشمي سماعاً عليه بمنى وشبك كل منهم بيدي قال الأول، والثاني، والثالث: أنا الجمال عبد الله بن علي الحنبلي وشبك بيد كل منا قال: أنا أبو الحسن علي بن أحمد العرضي وشبك بيدي، وقال الرابع: أنا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري وشبك بيدي وقال: أنا أبو حفص عمر بن حسن المزني وشبك بيدي قال هو. والعرضي: أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري وشبك بيدي كل منا أنا عمر بن سعيد الحلبي وشبك بيدي أنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي وشبك بيدي أنا الحافظ وإسماعيل بن محمد التيمي وشبك بيدي أنا الإمام أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وشبك بيدي أنا أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري وشبك بيدي أنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكي وشبك بيدي أنا أبو الحسين محمد بن طالب وشبك بيدي أنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن بن بكر بن عبد الله بن الشروذ الصنعاني وشبك بيدي قال: شبك بيدي أبي ح وقال الخامس: أنا القاضي جمال الدين بن ظهيرة وشبك بيدي أنا البهاء عبد الله بن محمد المكي وشبك بيدي أنا الرضي الطبري وشبك بيدي أنا أبو الحسن بن بنت الجميزي وشبك بيدي أنا الشرف بن أبي عصرون وشبك بيدي أنا القاضي أبو عبد الله بن نصر وشبك بيدي حدثنا أبو بكر الطريثي وشبك بيدي ثنا علي بن أبي نصر وشبك بيدي حدثنا محمد بن علي بن هاشم وشبك بيدي حدثنا عبيد بن إبراهيم الصنعاني وشبك بيدي ثنا بكر بن الشروذ وشبك بيدي وقال: شبك بيدي ابن أبي يحيى. وقال ابن أبي يحيى: شبك بيدي صفوان بن سليم. وقال صفوان: شبك بيدي أيوب بن مالك الأنصاري. وقال أيوب: شبك بيدي عبد الله بن رافع. وقال عبد الله بن رافع: شبك بيدي أبو هريرة. وقال أبو هريرة: شبك بيدي أبو القاسم عليه السلام وقال: «خلق الله الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة».

مسألة:

ماذا يقول إمام العصر مجتهد	قد فاق سالفه في العجم والعرب
فيما روى عن رسول الله سيدنا	في يوم بدر عقيب النصر والنصب؟
بأنه قال للكفار حين رموا	ضمن القليب قضاوا للنار واللهب
أهل القليب وجدنا وعد خالقنا	حقاً وفزنا بنيل القصد والأرب
فهل وجدتم حقيقة وعد ربكم	وبعض أصحابه قد مال للعجب؟
وقال كلمت خير الخلق من مضر	موتى خلوا عن سماع الصدق والكذب

وأن أحمد الخلق قال له
وأن تقولوا روى في قول خالقنا
لا يسمع الميت ماذا القول فيه وهل
لا زلت ترشد عبداً ضل في حلك
ونلت أعلى مقام في النعيم غداً
الجواب:

الحمد لله حمداً دائم الحقب
سماع موتى كلام الخلق معتقد
وآية النفي معناها سماع هدى
ثم الصلاة على المبعوث خير نبي
جاءت به عندنا الآثار في الكتب
لا يقبلون ولا يصغوا إلى أدب

٤٨ - شد الأثواب في سد الأبواب *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. روى البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إن الله خَيْرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن إخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر - وفي لفظ - لا يبقين في المسجد خوذة إلا سدت إلا خوذة أبي بكر» أخرجه ابن عساكر، وفي لفظ: «ثم هبط عن المنبر فما رؤي عليه حتى الساعة» أخرجه أحمد، والدارمي هذا حديث متواتر كما سأشير إلى طرقه. قال النووي في شرح مسلم: فيه خصيصة لأبي بكر رضي الله عنه. وقال ابن شاهين في السنة: تفرد أبو بكر رضي الله عنه بهذه الفضيلة. وللأمر بسد الأبواب في المسجد النبوي طرق كثرة تبلغ درجة التواتر فأخرج البخاري، والنسائي عن ابن عباس قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه في خرقه فقع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنه ليس أحد آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل سدوا عني كل خوذة في هذا المسجد غير خوذة أبي بكر». وأخرج ابن سعد من طريق الزهري أخبرني أيوب بن بشير الأنصاري عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج فاستوى على

المنبر فتشهد فلما قضى تشهده قال: إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند ربه فاختر ما عند ربه ففطن لها أبو بكر الصديق أول الناس فعرف إنما يريد النبي ﷺ نفسه فبكى أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإنني لا أعلم امرأة أفضل عندي يدأ في الصحابة من أبي بكر» وأخرج الطبراني بسند حسن عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «صبوا عليّ من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم فخرج عاصباً رأسه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختر ما عند الله فلم يفهما إلا أبو بكر فبكى فقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا، فقال رسول الله ﷺ: على رسلك أفضل الناس عندي في الصحبة وذات اليد ابن أبي قحافة انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبي بكر فإنني رأيت عليه نوراً» وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر» وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: انظروا هذه الأبواب اللاصقة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر فإنني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة منه».

وأخرج البزار بسند حسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سدوا عني كل باب إلا باب أبي بكر» وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التي في المسجد إلا باب أبي بكر وأخرج الدارمي في مسنده عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ في مرضه: «صبوا عليّ من سبع قرب من سبع آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم فصبينا عليه فخرج فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إن عبداً من عباد الله قد خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختر ما عند الله فبكى أبو بكر فقال: على رسلك سدوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد إلا باب أبي بكر فإنني لا أعلم امرأة أفضل عندي يدأ في الصحبة من أبي بكر» وأخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوني في صاحبي ولولا أن الله سماه صاحباً لاتخذته خليلاً ألا فسدوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة» وأخرج ابن سعد في الطبقات، وابن عدي في الكامل عن يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الناس عليّ منا في الصحبة وذات يده أبو بكر فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر، فقال ناس: أغلق أبوابنا وترك باب خليله فقال رسول الله ﷺ: قد بلغني الذي قلت في باب أبي بكر وإنني أرى على باب أبي بكر نوراً وأرى على أبوابكم ظلمة» مرسل، وقد أخرجه أبو طاهر المخلص في فوائده، وابن عدي في الكامل، وابن عساكر في تاريخه موصولاً من طريق يحيى بن سعيد عن أنس به وزاد: «فكانت الآخرة أعظم عليهم من الأولى قال ابن عدي: لا أعلم وصله عن الليث غير عبد الله بن صالح ورواه غيره عن الليث عن يحيى بن سعيد بدون

ذكر أنس، وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي الأحوص حكيم بن عمير العنسي أن رسول الله ﷺ قال: «عندما أمر به من سد [تلك] الأبواب إلا باب أبي بكر» وقال: «ليس منها باب إلا وعليه ظلمة إلا ما كان من باب أبي بكر فإن عليه نوراً».

وأخرج ابن سعد عن أبي الحويرث قال: «لما أمر رسول الله ﷺ بالأبواب تسد إلا باب أبي بكر قال عمر: يا رسول الله دعني أفتح كوة أنظر إليك حتى تخرج إلى الصلاة فقال رسول الله ﷺ: لا» وأخرج ابن سعد عن أبي البداح بن عاصم بن عدي قال: قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال في المسجد وما بالك سددت أبواب رجال في المسجد؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عباس ما فتحت عن أمري ولا سددت عن أمري».

فصل: وأخرج أحمد، والنسائي، والحاكم في المستدرک وصححه عن زيد بن أرقم قال: «كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارة في المسجد فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي فتكلم أناس في ذلك فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته». وأخرج أحمد، والنسائي، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال: «أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارة في المسجد وترك باب علي فقالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا باب علي قال: ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها» وأخرج أحمد، والترمذي، والنسائي عن ابن عباس قال: «أمر رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فسدت إلا باب علي». وأخرج الطبراني عن ابن عباس نحوه وزاد: «فقال الناس في ذلك فبلغ النبي ﷺ فقال: إنما أنا عبد مأمور ما أمرت بشيء فعلته إن اتبع إلا ما يوحى إلي» وأخرج البزار عن علي بن أبي طالب قال: «أرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن سد بابك قال: سمعاً وطاعة فسد بابه ثم أرسل إلى عمر ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ثم قال رسول الله ﷺ: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم» وأخرج البزار عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «انطلق فمرهم فليسدوا أبوابهم فانطلقت فقلت لهم ففعلوا إلا حمزة فقلت: يا رسول الله قد فعلوا إلا حمزة فقال رسول الله ﷺ: قل لحمزة فليحول بابه فقلت إن رسول الله ﷺ يأمر أن تحول بابك فحول» وأخرج أحمد، والنسائي عن ابن عباس قال: سد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي وكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق غيره.

وأخرج الطبراني عن جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب كلها غير باب علي فقال العباس: يا رسول الله قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج قال: ما أمرت بشيء من ذلك فسدها كلها غير باب علي. وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عمر أنه سئل عن علي فقال: انظر إلى منزله من رسول الله ﷺ فإنه سد أبوابنا في المسجد وأقر بابه. وأخرج

أحمد من وجه آخر عن ابن عمر قال: «أعطى علي ثلاث خصال: زوجه رسول الله ﷺ بابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر»، فهذه أكثر من عشرين حديثاً في الأمر بسد الأبواب وبقيت أحاديث آخر تركتها كراهة الإطالة.

فصل: قال العلماء: لا معارضة بين الأحاديث المذكورة في الفصل الأول من أنه سد الأبواب إلا باب أبي بكر وبين المذكورة في الفصل الثاني من أنه سد الأبواب إلا باب علي فإنهما قصتان إحداهما غير الأخرى، فقصة علي كانت متقدمة وهي في سد الأبواب الشارعة وقد كان أذن لعلي أن يمر في المسجد وهو جنب، وقصة أبي بكر متأخرة في مرض الوفاة في سد طاقة كانوا يستقربون الدخول منها وهي الخوخ كذا جمع القاضي إسماعيل المالكي في أحكامه، والكلاباذي في معانيه، والطحاوي في مشكله، وعبارة الكلاباذي لا تعارض بين قصة علي وقصة أبي بكر لأن باب أبي بكر كان من جملة خوخت يطلع منها إلى المسجد وأبواب البيوت خارجة من المسجد فأمر رسول الله ﷺ بسد تلك الخوخ فلم تبق تطلع منها إلى المسجد وتركت خوخة أبي بكر فقط. وأما باب علي فكان داخل المسجد يخرج منه ويدخل منه.

وقال الحافظ ابن حجر: قصة علي في سد الأبواب، وأما سد الخوخ فالمراد به طاقة كانت في المسجد يستقربون الدخول منها فأمر النبي ﷺ في مرض موته بسدها إلا خوخة أبي بكر، وفي ذلك إشارة إلى استخلاف أبي بكر لأنه يحتاج إلى المسجد كثيراً دون غيره انتهى قلت ويدل على تقدم قصة علي ذكر حمزة قصته فإن حمزة قتل يوم أحد.

فصل: قد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة بل المتواترة أنه ﷺ منع من فتح باب شارع إلى مسجد ولم يأذن في ذلك لأحد ولا لعنه العباس ولا لأبي بكر إلا لعلي لمكان ابنة رسول الله ﷺ منه، ومن فتح خوخة صغيرة أو طاقة أو كوة ولم يأذن في ذلك لأحد ولا لعمر إلا لأبي بكر خاصة لمكان الخلافة ولكونه أفضل الناس يداً عنده كما أشار إلى التعليل به في الأحاديث المبدأ بها، وهذه خصيصة لا يشاركه فيها غيره ولا يصح قياس أحد عليه إلى يوم القيامة، فإن عمر استأذن في كوة فلم يؤذن له فمن ذا الذي يقاس عليه؟ وقد منع عمر واستأذن العباس في فتح باب صغير بقدر ما يخرج منه وحده فلم يؤذن له وهو عم رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يباح له ذلك وقد منع منه عمر، والعباس؟ ثم إن رسول الله ﷺ أسند ذلك إلى أمر الله به وأنه لم يسد ما سد ولم يفتح ما فتح إلا بأمره تعالى، ثم إن ذلك كان في مرض الوفاة وفي آخر مجلس جلس على المنبر، وكان ذلك من جملة ما عهد به إلى أمته ومات عليه ولم ينسخه شيء وتقلد ذلك حملة الشريعة من أمته، فوجب على من علمه أن يبينه عند الحاجة إليه ولا يكتمه، فإن توهم متوهم أو زعم زاعم أن الأمر في ذلك منوط برأي الإمام زد عليه بأن هذا حكم من الأحكام نص رسول الله ﷺ على منعه فلا رأي لأحد في إباحته، بل لو وقف رجل من آحاد الناس مسجداً وشرط فيه شيئاً اتبع شرطه فكيف بمسجد وقفه النبي ﷺ ونص فيه على المنع من أمر وأسند إلى

الوحي وجعله من جملة عهده عند وفاته، والرجوع إلى رأي الإمام إنما يكون في مساجد لا تعرض في شروط واقفيها لمنع ولا لغيره على ما في ذلك أيضاً من توقف ونظر، وإن خطر ببال أحد أن يقول: إن المسجد الشريف قد زالت معالمه وجدره ووسع زيادة على ما كان في عهده ﷺ فلا يجديبه هذا شيئاً فإن حرمة المسجد وأحكامه الثابتة له باقية إلى يوم القيامة، ولو اتسع وأزيلت جدره وأعيدت عادت على هذا الحكم من غير تغيير، فإن الحكم المذكور منوط بالمسجد من حيث هو لا بذاك الجدار بعينه وقد بني في زمن عمر ووسع في زمان عثمان وغيره في القرن الأول وبعده ولم يخرجوا عن هذا الحكم وإن قيل بجواز الفتح في الجدار الذي هو ملك الفاتح. قلنا: إن كان مع إعادة حائط المسجد الشريف كما كانت بحيث يسد الباب والشبابيك التي في الجدار فلا يستطرق منه ولا يطلع منها فلا كلام، وإن كان مع إزالة حائط المسجد وبقاء الاستطراق والاطلاع فمعاذ الله فإن هذه ذريعة وحيلة يتوصل بها إلى مخالفة الأمر الشريف، وإذا منع النبي ﷺ عمر من فتح كوة ينظره منها حين يخرج إلى الصلاة فكيف يهدم الحائط جميعه؟ بل أزيد على هذا وأقول لو أعيد حائط المسجد وبني خلفه جدار أطول منه وفتح في أعلاه كوة يطلع منها إلى المسجد فينبغي المنع من ذلك احتياطاً للحديث، وإن انضم إلى ذلك أن الشبابيك تصير معدة لمن يجلس فيها مرتفعاً والقبر الشريف تحته فهذا أشد وأشد، والواجب على كل متحر الاحتياط لدينه حيث علم أن هذا الحكم منصوص عليه من صاحب الشرع وأنه لا رأي لأحد فيه بعد نصه، وأن حكم الحاكم بما يخالف النص ينقض وفتوى المفتي بما يعارض ترد، والتوصل إلى خلافه بالحيل الفاسدة من باب قوله ﷺ: «لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود: فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».

فصل: اعلم أن أكثر مفتي عصرنا أفتوا بجواز فتح الباب والكوة والشباك من دار بنيت ملاصقة للمسجد الشريف وكان ذلك منهم استرواحاً وعدم وقوف على مجموع الأحاديث الواردة في ذلك، ثم روجع كل منهم في مستنده فيما أفتى به فأبدوا شياً كلها مردودة، ولولا جناب النبي ﷺ وعظمته الراسخة في القلب لم أتكلم في شيء من ذلك وكنت إلى السكوت أميل لكن لا أرى السكوت يسعني في ذلك فإن هذا عهد عهده النبي ﷺ عند وفاته فوجب على كل من علمه أن يبينه ولا يراعى فيه صديقاً ولا حبيباً ولا بعيداً ولا قريباً، وأنا أذكر شبه المفتين وأردّها واحدة واحدة، فمنهم من قال: لا نقل في هذه المسألة لأهل مذهبنا ونقول بالجواز استحساناً حيث لا ضرر وجواب هذا أنه لا استحسان مع النصوص النبوية، ومنهم من قال: بالقياس على سائر المساجد حيث رأى الناظر ذلك وجواب هذا أن النص منع القياس ودلت الأحاديث على أن المسجد النبوي انفرد بهذه الخصوصية على سائر المساجد، ومنهم من قال: الأمر في ذلك منوط برأي الإمام وجواب هذا أنه لا رأي لأحد مع قول رسول الله ﷺ، وهل لأحد من الأئمة أن يغير من الأمور المنصوصة في الشريعة

شيئاً برأيه؟ ومنهم من قال: الحديث الوارد في ذلك مخصوص بزمنه عليه السلام وهذا خطأ من وجوه، أحدها: أنه لا دليل على التخصيص وإنما يصار إلى تخصيص النصوص بدليل، ثانيها: أن القصة أمر بها النبي ﷺ في مرض وفاته ولم يعيش إلا دون عشرة أيام فدل على أنه أمر به شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة، ثالثها: أنه لو كان مخصوصاً بزمن لوجب على النبي ﷺ أن يبينه وإلا لكان تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة لا سيما وهي آخر جلسة جلسها للناس، رابعها: أن الصحابة استمروا إلى أن انقرضوا وهم باقون على هذا الحكم وهذا يدل على أنهم فهموه شرعاً مؤبداً، خامسها: يقال لهذا الذي ادعى التخصيص ما وجه منع الصحابة في زمنه والإذن لمن جاء بعدهم والصحابة أشرف وأجل وأحق بكل خير؟ وهل يتخيل متخيل أن يرخص لأهل القرن الأرذل ما منع [منه] أشرف الأمة وخيارهم معاذ الله، ومنهم من قال المنع مخصوص بجدار النبي ﷺ فإذا هدم وأعيد غيره فإن المعاد ملك للمعيد فيفتح فيه ما شاء ولا يصير وقفاً حتى يوقفه، وهذا الكلام مردود بوجوه:

الأول: أن سبب هذا القول فهم أن الحكم متعلق بالجدار وليس كذلك بل الحكم متعلق بالمسجد وقصد النبي ﷺ أن لا يستطرق إلى مسجده من باب في دار تلاصقه ولا يطلع إليه من كوة في دار تلاصقه فسواء في ذلك بقي الجدار الذي كان في عهده أو أزيل وأعيد غيره فإن المعاد يقوم مقام الجدار الأول في هذا الحكم.

الثاني: أن ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية كما تقرر في الأصول، وقد رتب ﷺ الحكم هنا على الوصف حيث قال: «انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها» وفي لفظ: «الشوارع إلى المسجد» فعلق الحكم بالشوارع فدل على أن العلة في سدها كونها شارعة إلى المسجد أي طريقاً إليه من دار فسد كل باب يشرع إلى المسجد من دار سواء فتح في الجدار النبوي أم في الجدار الذي أعيد مكانه أم في جدار صاحب الدار.

الثالث: أن الجدار النبوي أزيل في عهد عمر، وعثمان وبني غيره وأبقى الصحابة هذا الحكم فدل على أنهم فهموا من الأمر الشريف تعلق ذلك بالمسجد لا بالجدار وإلا لكانوا يفتحون لهم أبواباً وكوات ويحتجون بأن الجدار النبوي أزيل وهذا الجدار ملك عمر، أو عثمان وحاشاهم من ذلك وهم أتقى لله وأورع وأشد خشية.

وانظر إلى قول عمر رضي الله عنه لولا أنني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينبغي أن يزداد في مسجدنا هذا ما زدت» أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والبخاري في مسانيدهم فانظر إلى هذا التوقف من إحداث شيء في المسجد النبوي إلا بنص من صاحب الشرع ﷺ.

الرابع: أن دعوى أن الجدار المعاد ملك للمعيد يقال عليه أولاً هدم الجدار الذي قبله لا يخلو إما أن يكون لمصلحة أو لا، فإن كان لغير مصلحة فإعادته واجبة على الهادم، فإذا أعاده كان بديل متلف لا ملكاً له، وإن كان لمصلحة فإعادته واجبة من مال وقف المسجد الشريف أو من مال بيت المال، فإذا أعيد منهما كان وقفاً كما كان لا ملكاً، وإن أعاده الإمام أو غيره من

مال نفسه على نية إعادته للمسجد فالأمر كذلك أيضاً أو على نية التملك فهذا لا يجوز وكيف يبنى على نية التملك في أرض المسجد الشريف؟

الخامس: أن هذا الجدار المعاد لا يخلو إما أن يمحض جداراً للمسجد الشريف أو يجعل جداراً للدار التي تبنى ملاصقة ويكتفي به عن إعادة جدار المسجد أو يجعل جداراً لها ويعاد جدار المسجد كما كان، فإن كان الثالث فهو المطلوب، وإن كان الثاني لم يجز إهمال إعادة جدار المسجد بل يجب على الإمام الأعظم أو الحاكم الشافعي ناظر الحرم الشريف إعادة جدار المسجد ولا يتركه مهذوماً ويزيد ذلك تحريماً أن يبنى على أرض المسجد ويجعل جداراً للدار، فهذا فيه أخذ قطعة من المسجد وإدخالها في الدار وهو ممنوع، وإن كان الأول وجب فصل الدار منه ولم يجز أن يتتفع بجدار المسجد في الدار.

السادس: أن قوله ﷺ: «سدوا الأبواب اللاصقة في المسجد» [يدل على أنه لم يخص الحكم بجداره بل علقه باللصوق في المسجد] أي كونه متصلاً به فيشمل ذلك كل باب لصق به من أي جدار كان.

السابع: أن الحديث الآتي وهو قوله ﷺ: «لو بني مسجدي هذا إلى صنعاء كان مسجدي» دل على استواء القدر الذي كان في عهده مسجداً والذي يحدث بعده في الحكم فكذاك يستوي الجدار الذي كان في عهده والذي يحدث بعده في الحكم.

الثامن: لو قدر والعياذ بالله احتياج بعض حيطان الكعبة إلى هدم وإصلاح فهدمها الإمام وأعادها فهل يقول قائل إن الحائط الذي أعاده ملك له يفتح فيه ما شاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا يخرج عن ملكه حتى يوقفه؟ فإن قيل بذلك ففي غاية السقوط، وإن لم يقل به فحائط المسجد النبوي كذلك، إذ الحرمان الشريفان مستويان في غالب الأحكام، وقياس الحرم النبوي على الحرم المكي أشبه من قياسه على سائر المساجد لما له من الخصوصيات لا سيما مع ما ورد فيه من النصوص في هذا الحكم بعينه.

التاسع: قد ذكر الأقفهسي أن الملك الظاهر بيبرس هو الذي أحدث المقصورة حول الحجرة الشريفة سنة ثمان وستين وستمائة وأنه فعل ذلك ظناً منه أنه زيادة تعظيم وحرمة للحجرة، ثم أنكر الأقفهسي هذا الفعل لكونه حجر طائفة من الروضة الشريفة عن صلاة الناس فيها وصار هذا القدر مأوى النساء بأطفالهن أيام الموسم، ونقل عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة أن ذلك ذكر للملك الظاهر فسكت وما أجاب ثم قال: وهذا من أهم ما ينظر فيه انتهى. فانظر إلى توقف العلماء في هذا القدر مع أنه لم يرد فيه نص بمنع بل قصد التعظيم فيه والحرمة ظاهر فكيف بإحداث باب يشرع أو شبابيك يطلع منها أو يجلس فيها الجالس مرتفعاً مع مصادمة ذلك للنصوص وإن لم يظهر لمن قال بذلك اطراد الحرمة في الجدار المعاد فلا أقل من التوقف والورع في مثل هذا المحل الخطر.

العاشر: هل يظن ظان أو يتوهم متوهم أن النبي ﷺ خص المنع بالجدار بخلاً بجداره أو حرصاً عليه أو خشية أن يضعف الجدار؟ كلا والله بل إنما أراد بذلك منع الاستطراق

والاطلاع إلى مسجده مع قطع النظر عن الجدار بخصوصه حسبما أمره الله وأوحى إليه .

الحادي عشر: هل كان المنع لعمر وغيره من حيث الجدار حتى لو فتحوا من جدارهم حيث لا جدار للمسجد لجاز لهم ذلك؟ الأحاديث تقتضي خلافه كما من مر عليها .

الثاني عشر: هذا المنع قد أسند النبي ﷺ إلى الوحي ولم يبين علته، فإن أدرك له علة وهو تعظيم المسجد استمر ذلك إلى يوم القيامة في كل جدار، وإن لم يدرك علة استمر أيضاً فإن التخصيص إذا لم ينص يكون عن قياس وما لا تدرك علته لا يدخله القياس كسائر الأمور التوقيفية والتعبدية وإن قال قائل: العلة اختصاصه بالجدار قلنا: ليس هذا بعلة، وإن قال: العلة خوف إضعافه، قلنا: هي علة ساقطة لأن الصحابة كانوا يلتزمون بناءه كلما وهي فدل على أنه إنما يعلل بتعظيم المسجد فيعم المسجد أو غير معلل بل هو حكم أمر الله نبيه أن يأمر به ولم يطلع على علته .

الثالث عشر: قد وقع في الأحاديث التصريح بأن هذا عهد عهد به ﷺ عند وفاته وقد علم ﷺ ما هو كائن في أمته إلى أن تقوم الساعة، وعلم من جملة ذلك أنه يقع في خلافة عمر إزالة تلك الجدر الموجودة وذلك بعد وفاته بسنين قليلة، فلو كان الحكم الذي عهد به مختصاً بتلك الجدر لبينه لعلمه بزوالها عن قريب .

الرابع عشر: قد ورد عن عائشة أنها كانت تمنع أهل الدور المطيفة بالمسجد من دق التودد في الحائط وذلك بعد إزالة الجدر التي كانت في عهده ﷺ فدل على أن الجدر التي أعيدت لها حكم الجدر الأول .

الخامس عشر: قوله ﷺ: «لا ييقن في المسجد باب إلا سد» يدل على أن الحكم معلق بالمسجد ولم يقل لا ييقن في الجدار .

السادس عشر: ذكر عمر بن شبة في أخبار المدينة أن دار أبي بكر التي أبقيت فيها الخوخة باعها أبو بكر في أمر احتاج إليه فاشتريتها حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف فلما وسع المسجد في زمن عثمان طلب منها أن تبيعها ليوسع بها المسجد فامتنعت وقالت: كيف بطريقي في المسجد؟ فهذا يدل على أن الصحابة فهموا من الأمر الشريف الاختصاص بالمسجد لا بالجدار امتناع فتح الأبواب ونحوها ولو بعد توسعة المسجد وهدم الجدار النبوي .

السابع عشر: إن ابن الصلاح سئل عن رباط موقوف على الصوفية اقتضت المصلحة أن يفتح فيه باب جديد مضافاً إلى باب القديم فأجاب بالجواز بشروط واستدل بفعل عثمان رضي الله عنه حيث فتح في المسجد النبوي أبواباً زيادة على ما كان، وهذا من ابن الصلاح دليل على أنه فهم أن الجدار المعاد له حكم الجدار الأول عثمان رضي الله عنه إنما فتح في جداره الذي بناه هو بعد إزالة الجدر النبوية والجدر العمرية، فلو كان الحكم مختلفاً لم ينهض لابن الصلاح الاستدلال بذلك لأنه يقال له في الفرق جدار الرباط جدار الواقف فلا يفتح فيه، والجدار الذي فتح فيه عثمان ليس جدار الواقف بل هو جدار وملكه فيبطل

الاستدلال، وقد نقل السبكي كلام ابن الصلاح هذا في فتاويه وقال: إنه صحيح فهو تقرير لهذا الفهم.

الثامن عشر: صرح العبادي، والشيخ أبو محمد الجويني في كتاب موقف الإمام والمأموم بأنه لو التمس من الناس آلة لبني بها مسجداً فأعطوه الآلة فبني بها فإنه يصير مسجداً بنفس البناء ولا يحتاج إلى إنشاء وقف، كما لو أحيا مواتاً بنية جعلها مسجداً فإنه يصير مسجداً بالنية ولا يحتاج إلى وقف، نقله الزركشي في التكملة عن الجويني، وابن العماد في أحكام المساجد عن العبادي، وهذا يدفع القول بأن حائط المسجد الشريف إذا أعادها الإمام يكون ملكاً له ويحتاج إلى إنشاء وقف لأنه ما نوى بعمارتها إلا إعادة حائط المسجد، والقرائن على هذه النية متضافرة منها كون البناء على أرض المسجد.

التاسع عشر [والعشرون]: قال الماوردي: إذا بني مسجداً في موات ونوى به المسجد صار به مسجداً ويغني الفعل مع النية عن القول قال: ويزول ملكه عن الآلة بعد استقرارها في مواضعها من البناء وهي قبل الاستقرار باقية على ملكه إلا أن يقول: إنها للمسجد فيخرج عن ملكه نقله الزركشي في التكملة، وصدر هذا الكلام والاستثناء الذي في آخره ببطلان القول بأن حائط المسجد الشريف إذا أعادها الإمام صارت ملكه ويحتاج إلى وقف.

الحادي والعشرون: لم ينقل عن عثمان رضي الله عنه أنه حين وسع المسجد صرح بوقف ولا ذكر لفظاً ذكره الزركشي في التكملة قلت وكذلك لم ينقل عن عمر بن عبد العزيز ولا عن المهدي حين وسعاه ولا عن أحد من الملوك الذين بنوه بعد الحريق الأول أنهم صرحوا بوقف ولا ذكروا لفظاً ولا نبههم أحد من علماء عصرهم مع كثرتهم على أنه محتاج إلى ذلك، فدل على أنه لا يحتاج إليه لأن البناء المحدود تابع للمسجد القديم.

الثاني والعشرون: قال الزركشي: أورد بعضهم على قول الأصحاب لو بني مسجداً وأذن في الصلاة فيه لم يصير مسجداً أنه ﷺ لم ينقل عنه أنه حين بنى مسجده تلفظ بوقفه قلت: وقد يجاب عنه بأنه ﷺ بناه بأمر الله تعالى وبالوحي فأغنى ذلك عن التصريح بوقفه، فإن قوة الأحاديث والأخبار تعطي ذلك فيكون ذلك من خصائص مسجده وتستمر هذه الخصوصية فيه إلى يوم القيامة فلا يحتاج كل من جدد إلى تصريح بوقفه.

الثالث والعشرون: قال في الروضة وأصلها نقلاً عن الإمام: لا شك في انقطاع تصرف الإمام عن بقاع المسجد فإن المساجد لله انتهت، وهذا الكلام صريح في منعه من أن يبني حائطاً على بقعة المسجد ويضم إليها زيادة في البناء موصولة بها متمكناً ذلك ويتصرف في المجموع بفتح الشبايك أو غير ذلك.

الرابع والعشرون: هل يجوز للإمام أو غيره إعادة حائط المسجد من مال نفسه على نية التملك والتصرف بما شاء مع وجود سهم المصالح الذي يجب عليه بناء المساجد منه وإعادةها كما كانت؟ هذا محل نظر، وما أظن فقيهاً يسمح به إلا بشرط عدم نية التملك والتصرف، وكذا مع وجود ريع متحصل من وقف المسجد.

الخامس والعشرون: قد صرح العلماء بأن ملك النبي ﷺ ثابت بعد موته لثبوت الحياة له، ولهذا أنفق على زوجاته بعد وفاته من سهمه الذي كان يستحقه، فكذلك يبني منه ما تهدم من مسجده ويعاد على وضعه وشرطه من غير تعد ولا تصرف.

السادس والعشرون: لا شك في أن جميع ما بأيدي الملوك الآن هو مال بيت المال وليس في أيديهم شيء يثبت أنه ملكها بالطريق الشرعي، وأي جهة فرضت فعنها الجواب الشافي فالحائظ المعاد لم يبن بمال نفسه فلا ملك له فيه.

السابع والعشرون: قد أنكر النبي ﷺ من حيث المعنى على قريش حيث تصرفوا في الكعبة لما بنوها ولم يعيدها على بناء إبراهيم وسدوا أحد بابيها وغيروا موضع الآخر وهم بهدمها وإعادة البابين كما كانا لولا حدثان عهدهم بالجاهلية فما منعه من ذلك إلا مصلحة التآلف على الإسلام وخوف ارتدادهم إلى الكفر، وهذا يدل على أن البناء المعاد له حكم ما كان قبل الهدم، وإلا كان يقال إن قريشاً إنما تصرفت في بنائها الذي بنته من مالها، وأن بناء إبراهيم قد ذهبت عينه وزال رسمه، ولهذا قال السبكي فيما سيأتي نقله عنه: أن هم النبي ﷺ بفتح الباب الثاني في الكعبة رد لما كانت عليه أولاً، ولا فرق بين ما بناه إبراهيم ﷺ بالوحي وبين ما بناه سيد المرسلين ﷺ بالوحي، وإنما قد يفرق بين ذلك وبين سائر المساجد التي بناها آحاد الناس أن سلم الفرق وقد وقع في كلام ابن الصلاح قياس رباط الصوفية في إحداث باب فيه على الكعبة.

الثامن والعشرون: صرح ابن العماد في أحكام المساجد بأنه لو كانت المساجد متلاصقة فأراد الناظر رفع الجدار التي بينها وجعلها مسجداً واحداً لم يجز له ذلك لأنه يؤدي إلى تغيير معالم الوقف، وكذلك لا يجوز ترك جدار المسجد النبوي والاقصار على جدار واحد يجعل للمدرسة التي تلاصقه مكتفياً به عن جدار المسجد على جهة الاختصاص بالمدرسة أو الاشتراك بينها وبين المسجد، بل لا بد من جدار للمسجد متميز منفصل عن جدار غيره يختص به وتجري عليه أحكامه.

التاسع والعشرون: هذه المدرسة إن لم تكن مسجداً كما هو المعروف في المدارس والربط فلا يجوز الاشتراك بينها وبين المسجد في الجدار، إذ لا يتميز حينئذ جدار المسجد الذي حكمه حكم المسجد من جدار المسجد المدرسة الذي لا يعطي حكم المسجد من وجوه، منها تحريم مكث الجنب وصحة الاقتداء والاعتكاف وتحريم البصاق وحمل الجذوع وإعادته إذا هدم من مال الوقف أو مال بيت المال إلى غير ذلك، وإن كانت مسجداً فينظر إلى ما أورده المفسرون من الأحاديث والآثار في آخر سورة براءة، ومنهم من قال: المنع مخصوص بالقدر الذي كان في عهده ﷺ فأما الزيادة التي وسع بها فلا وهذا مردود بنص العلماء، على أن المسجدين ولو وسعا معاً لم تختلف أحكامهما الثابتة لهما وقد وسع في زمن عثمان وغيره واستمر الصحابة على إبقاء الحكم المذكور. وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو بني مسجدين هذا إلى صنعاء كان

مسجدي» وروي أيضاً عن عمر بن الخطاب قال: لو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة لكان منه. فهذا الحديث والأثر تصريح بأن أحكام المسجد ثابتة له ولو هدم عما كان في عهده ﷺ وأعيد ولو وسع وامتد، وأيضاً فالتوسعة لا تمنع استمرار الحكم لأنه يلزم من الاستطراق إلى القدر المزيد الاستطراق إلى بقية المسجد وهو القدر الذي كان في عهده فالمحذور باق.

فصل: وقد تعرض جماعة من متأخري أصحابنا للمسألة وعمموها في سائر المساجد، فسئل الشيخ تقي الدين عن باب فتح في سور المسجد هل بعد فتحه يجوز الاستطراق منه إلى المسجد مثل الأبواب التي في المسجد الحرام ومثل شبك الطيرسية المجاورة للجامع الأزهر أم لا يجوز ذلك؟ ويفرق بين أن يكون الجدار عريضاً بحيث يحتاج إلى وضع القدم في وسطه أم لا؟ فأجاب بأن هذه المسألة يتكلم فيها في موضعين: أحدهما في جواز فتح الباب المذكور الذي يظهر على قواعد مذهب الشافعي أنه لا يجوز، ولا يكاد الشافعية يرتابون في عدم إيجاز ذلك فإنهم يحتززون عن تغيير الوقف جداً، ولما فتح شبك الطيرسية في جدار الجامع الأزهر عظم ذلك عليّ ورأيته من المنكرات، ولما فتح الشيخ علاء الدين في بيته في المدرسة الشريفة بالقاهرة شبكاً لطيفاً لأجل الضوء خشي الإنكار [عليه] فقال لي: إنه استند إلى كلام لابن الرفعة في المطلب شرح الوسيط ورأيت أنا ذلك الكلام عند قول الغزالي في تعليل الوجه القائل بأنه لا يجوز تزويج الجارية الموقوفة لأنه ينقص الوقف ويخالف غرض الواقف، فقال ابن الرفعة: قوله: ويخالف غرض الواقف يفهم أن أغراض الواقفين وإن يصرح بها ينظر إليها ولهذا كان شيخنا عماد الدين يقول: إذا اقتضت المصلحة تغيير بناء الوقف في صورته لزيادة ريعه جاز ذلك وإن لم ينص عليه الواقف بلفظه، لأن دلالة الحال شاهدة بأن ذلك لو ذكره الواقف حالة الوقف لأثبتته في كتاب وقفه. قال ابن الرفعة: وقلت ذلك لشيخ الإسلام في وقته. وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، وأن قاضي القضاة تاج الدين وولده قاضي القضاة صدر الدين عملاً بذلك في بعض الوقف من تغيير باب من مكان إلى مكان فقال لي في جواب ذلك: كان والدي يعني الشيخ مجد الدين - يقول: كان شيخني المقدسي يقول بذلك وأكثر منه قال الشيخ تقي الدين: وناهيك بالمقدسي أو كما قال: فأشعر ذلك كله برضاه فاغتبط ابن الرفعة بما استشعره من رضى الشيخ تقي الدين وكان قدوة زمانه في العلم والدين وكان بحيث يكتفي منه بأدنى من ذلك، والمقدسي شيخ والده مالكي فقيه محدث قدوة أيضاً، وقد قلت في شرح المنهاج: أن الذي أراه في ذلك الجواز بشرطين. أحدهما: أن يكون يسيراً لا يغير مسمى الوقف، الثاني: أن لا يزيل شيئاً من عينه بأن ينقل بعضه من جانب إلى جانب، فإن اقتضى زوال شيء من العين لم يجز، فإذا وجد هذان الشرطان فلا بأس إذا كان في ذلك مصلحة للوقف، فهذا شرط ثالث لا بد منه وهو مقصودي في شرح المنهاج وإن لم أصرح به، وفتح شبك الطيرسية لا

مصلحة لجامع الأزهر فيه فلا يجوز، وكذلك فتح أبواب للحرم لا حاجة للحرم بها وإنما هي لمصلحة ساكنيها، فهذا لا يجوز على مقتضى قواعد مذهب الإمام الشافعي ولا على مذهب غيره إذا لم يكن فيه مصلحة. وفي فتاوى ابن الصلاح رباط موقوف على الصوفية اقتضت المصلحة لأهله أن يفتح فيه باب جديد مضافاً إلى بابه القديم، فهل يجوز للنظر ذلك وليس في شرط الواقف تعرض لذلك بمنع ولا إطلاق؟.

أجاب: إن استلزم ذلك تغيير شيء من الموقوف عن هيئة كان عليها عند الوقف إلى هيئة أخرى غير مجانسة لها مثل أن يفتح الباب إلى أرض وقفت بستاناً مثلاً فيستلزم تغيير محل الاستطراق منه وجعل ذلك القدر طريقاً بعد أن كان أرض غرس وزراعة فهذا وشبهه غير جائز، وإن لم يستلزم شيئاً من ذلك ولم يكن إلا مجرد فتح باب جديد فهذا لا بأس به عند اقتضاء المصلحة له، وفي الحديث والأثر الصحيحين ما يدل على تسويغه الحديث: «لولا حدثان قومك بالكفر لجعلت للكعبة بابين» ولا فرق والأثر فعل عثمان بن عفان في مسجد رسول الله ﷺ وهو إجماع.

قلت: الذي قاله صحيح لكن في استدلاله بالكعبة نظر لأن البابين كانا في زمن إبراهيم ففتح الثاني رد لما كانت عليه في الأول، وأما فعل عثمان فكان لمصلحة عامة المسلمين فلا يلزم طرده في كل وقت، ألا ترى أن ذلك هدم بالكلية، ولو جئنا بفعل ذلك في كل عصر في كل الأوقات لم يجوز، وقال ابن الصلاح: لا بد أن يصاب ذلك عن هدم شيء لأجل الفتح على وجه لا يستعمل في موضع آخر من المكان الموقوف فإن ذلك من الموقوف، فلا يجوز إبطال الوقف فيه بيع وغيره، فإذا كان الفتح بانتزاع حجارته بأن تجعل في طرف آخر من المكان فلا بأس، هذا كلام ابن الصلاح، ويظهر من هذا أنه يجوز الفتح بهذه الشروط في باب جديد في الحرم إذا اضاقت أبوابه من ازدحام الحجاج ونحوهم فيفتح فيه باب آخر وأكثر ليتسعوا، فهذا هو الذي نقول إنه جائز بالشرط المذكور، أما غيره لغرض خاص من جيرانه أو غيرهم فلا.

الموضع الثاني وهو جواز الاستطراق فيه بعد الفتح ولا نقل عندي في مثله، والذي أقوله إنه حيث جاز الفتح الاستطراق ولا إشكال، وحيث لم يجوز الفتح فقد خطر لي في نظري في ذلك في باب الكعبة الذي هو اليوم وهو الذي أحدثته قريش بدلاً عن الباب التحتاني الذي كان في زمن إبراهيم عليه السلام وقد دخل النبي ﷺ منه، وخطر لي في الجواب عنه أن دخول الكعبة مشروع سنة وربما كان واجباً فلا يترك لفعل قريش ولم يكن تغيير ذلك الباب ممكناً لما قال ﷺ: «لولا حدثان عهد قومك» فاجتمع في باب الكعبة أمران: أحدهما جواز إبقائه في ذلك الوقت، والثاني الحاجة إلى دخول الكعبة إقامة للشرع المسنون والواجب وهكذا الآن، فإن الإجماع انعقد على جواز تغييرهما معاً، ويكفي تقرير النبي ﷺ دليلاً لجواز إبقاء ذلك الباب والدخول منه ودع يكون فتح على أي وجه كان، وتقرير النبي ﷺ ودخوله منه شرع مستقل، ويكون أيضاً في أن الحجر من البيت وقد أفرد

عنه ببناء لطيف فيه فتحتان شرقية وغربية في جرية متلاصقتان لجهة الكعبة والدخول فيه من إحدى الفتحتين أو من فوق جداره اللطيف ما أظن أحداً يمنع منه ولا أدري هل دخله النبي ﷺ أو لا، ولكن جاء في الترمذي أنه قال لعائشة: «صلي فيه» والمعنى الذي قدمناه من تقرير النبي ﷺ أيضاً يكفي في مشروعية إبقائه والدخول فيه من تلك الفتحتين ومن التسور على جداره، وكيف كان فإن دعت الحاجة إلى الدخول فيه [جاء] الدخول منه كالدخول في الكعبة لاجتماع المعنيين، وإن لم تدع الحاجة كان الجواز لأجل جواز الإبقاء للحديث المذكور وللتقرير؟ وأما الأبواب المفتحة للحرم من أماكن لأصحابها فلا حاجة للمسلمين ولا للحرم بها فلا يجوز فتحها ولا يجوز إبقاؤها ولا حاجة إلى الدخول إلى الحرم منها، فلم يوجد فيها شيء من المعنيين اللذين في الكعبة فيظهر أن لا يجوز لأمرين: أحدهما معنى فإن شيخنا ابن الرفعة لما زينت القاهرة في سنة اثنتين وسبعمئة زينة عظيمة أفتى بتحريم النظر إليها قال: لأنها إنما تعمل لينظر إليها فهو العلة الغائية المطلوبة منها [ففي] تحريم النظر إليها حمل على تركها، وهكذا إذا تواطأ الناس على عدم الدخول منه كان ذلك داعياً إلى سده الواجب، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وترك الواجب حرام، بل أقول إن الدخول منه دعاية إلى الحرام ودوامه فيكون حراماً، والثاني أن الوقف غير مملوك لنا وإنما جاز لنا التصرف فيه بإذن من الواقف شرطاً أو عرفاً على مقتضى الشرع، فوافق الجامع والحرم وغيرهما من المساجد ونحوها وقفه على صفة ليس لنا أن نتصرف فيه إلا على تلك الصفة، والدخول من ذلك المكان المفتوح لم يقتضه شرط الواقف فلا يكون مملوكاً لنا، وأيضاً فمن ملك مكاناً ملك تحته إلى تحت تخوم الأرض وفوقه إلى السماء والهواء الذي فوقه مملوك له فالداخل من الباب متصرف في هواء غيره بما لم يؤذن له فلا يجوز مع ملاحظة هذين المعنيين، فلا فرق بين أن تكون العتبة عريضة بحيث يضع قدمه عليها أو لا، نعم إن كانت عريضة يتأكد المنع للتصرف في الهواء والقرار، هذا هو الذي يترجح عندي في ذلك. ويحتمل أيضاً أن يقال المنع إنما كان لوجود الجدار وليس بمقصود في نفسه، فإذا زال الجدار بأي طريق كان فلا يمتنع دخول المكان كما لو انهدم بنفسه، واعتبار ملك الهواء بحيث يقال ليس لهما العبور إذا انهدم بنفسه لا تقتضيه قواعد الفقه ولا العرف وهو مستنكر، فالوجه أن يقال إنما يتخيل التحريم من جهة إعانة على ظلم فإذا لم يكن إعانة على ظلم فهو جائز، وذلك حيث لا يفيد الامتناع من الدخول وإنما يفيد إذا كان الممتنع مطاعاً فيكون امتناعه سبباً لإنكار المنكر فيجب إذا لم يكن بهذه المثابة فلا منع، لا سيما قد يتفق أن يكون الشخص الذي لا قدرة له على التغيير ساكناً في جوار الحرم في مكان قد فتح منه باب كذلك وهو لا يقدر على سده فيحتمل جواز دخوله منه، ويقوي ذلك إذا احتاج بأن يكون في الليل ونحوه وخاف على نفسه أو ما معه من الخروج فإننا نقطع في هذه الحالة بجواز دخوله قياساً على الكعبة للحاجة، وأما السكن فيه فلا يمتنع - هذا كله كلام السبكي في فتاويه.

وقال الزركشي في كتابه أحكام المساجد: بَوَّب البخاري في صحيحه باب الخوخة والممر في المسجد وأدخل فيه حديث أبي سعيد أنه ﷺ خطب وقال: «لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر» وظاهر الخبر المنع وخصوصية الصديق بذلك دون غيره هذه عبارته، وأورد ابن العماد في كتابه أحكام المساجد كلام السبكي بحروفه، ثم أورد على حديث الأمر بسد الأبواب إشكالاً وهو غير وارد فقال: يلزم على الحديث إشكال وهو أن هذه الأبواب - يعني التي أمر بسدها - إن كانت من أصل الوقف التي وضع المسجد عليها لزم عليه جواز تغيير معالم الوقف وخروجه عن الهيئة التي وضع عليها أولاً، وإن كانت محدثة لزم عليه جواز فتح باب في جدار المسجد وكوة يدخل منها الضوء وغير ذلك مما تقتضيه مصلحة حتى يجوز لأحد الرعية أن يفتح من داره المجاورة للمسجد باباً إلى المسجد في حائط المسجد وقد تقدم أنه ممنوع، ويحتمل أن يقال يجوز ذلك للواقف دون غيره لأنه ﷺ هو الذي وقف المسجد، وفيه إشكال من جهة انتقال الوقف وزواله عن ملكه إلى الله تعالى هذه عبارته قلت: الإشكال ساقط فإن الفتح أولاً كان بأمر من الله ووحى فكان جائزاً ثم نسخ الله تعالى وأمر بالسد بوحي أيضاً كما تقدم في الأحاديث فهو من قبيل النسخ والمنسوخ من الأحكام الشرعية فلا إشكال، وقد فهم من كلام السبكي السابق أنه لا يجوز الفتح إلا بثلاثة شروط: أن يكون يسيراً لا يغير مسمى الوقف، وأن لا يزيل شيئاً من عينه، وأن يكون في ذلك مصلحة للوقف أو لعامة المسلمين، ويزاد عليها شرط رابع من فتاوى ابن الصلاح، وهو أن لا يكون في شرط الواقف نص على منعه، فإذا اجتمعت هذه الشروط الأربعة جاز الفتح وإن فقد شرط منها لم يجز، وقد فقد في مسجد المدينة شرطان:

الثالث والرابع: فإنه لا مصلحة في ذلك للمسجد بل للمدرسة المجاورة [كما قاله السبكي في الطبرسية مع الجامع الأزهر وفي البيوت المجاورة] للمسجد الحرام والرابع فإن الواقف هو صاحب الشرع ﷺ نص على منعه وأسند ذلك إلى الوحي الشريف فوجب القول بالمنع ولو قيل بالجواز في بقية المساجد، وقد بنى السلطان سقاية للشرب في رحبة الجامع الطولوني وفتح له شباكاً في الجدار المحوط على الرحبة ليسهل شرب المارين منها، وهذا الفتح جائز هنا لوجود المصلحة العامة وعدم نص من الواقف على منعه، ولو أراد السلطان الآن الزيادة في عدة أبواب المسجد النبوي لجاز له ذلك بل يستحب لأمرين: أحدهما وجود المصلحة العامة، والثاني الرد إلى ما كان عليه أولاً، فسيأتي أنه كان له في زمن عمر بن عبد العزيز عشرون باباً.

فائدة نختم بها الكتاب: قال النووي في شرح المذهب: فرع عن خارجة بن زيد بن ثابت آخر فقهاء المدينة السبعة قال: بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو يزيد، قال أهل السير: جعل عثمان بن عفان طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين وجعل أبوابه ستة كما كانت في زمن عمر - وزاد فيه الوليد بن عبد الملك فجعل

طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدمه مائتين وفي مؤخره مائة وثمانين، ثم زاد فيه المهدي مائة ذراع من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث هذا ما في شرح المذهب، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الزهري قال: بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع المسجد وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مريد السهل وسهيل - غلامين يتيمين من الأنصار - وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة فدعا رسول الله ﷺ بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما فابتاعه بعشرة دنانير وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك فأمر رسول الله ﷺ بالنخل الذي في الحديقة وبالغرق الذي فيه أن يقطع، وأمر باللبن فضرب، وكان في المربد قبور جاهلية فأمر بها رسول الله ﷺ فنبتت وأمر بالعظام أن تغيب، وكان في المربد ماء مستحل فسيروه حتى ذهب وأسسوا المسجد فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع ويقال: كان أقل من المائة وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن وبناه رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة
وجعل يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبرر بنا وأطهر

وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له باب الرحمة وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله ﷺ وهو الباب الذي يلي آل عثمان، وجعل طول الجدار بسطه وعمده الجذوع وسقفه جريداً قليل له: ألا تسقفه؟ فقال: عريش كعريش موسى خشيبات وتمام الشأن أعجل من ذلك، وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارع إلى المسجد وجعل سودة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان؛ وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن مجمع بن يزيد قال: بنى رسول الله ﷺ المسجد مرتين، بناء حين قدم أقل من مائة في مائة فلما فتح الله عليه خيبر بناء وزاد فيه مثله في الدور وضرب الحجرات ما بينه وبين القبلة، وأخرج أيضاً عن أنس قال: بناء رسول الله ﷺ أول ما بناه بالجريد وإنما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين.

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة^(١) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج.

(١) في المصباح - القصة - بالفتح الجص بلغة الحجازيين.

وقال الأقفهسي في تاريخ المدينة: قيل كان عرض الجدار في عهد رسول الله ﷺ لبنة ثم إن المسلمين لما كثروا بنوه لبنة ونصفاً ثم قالوا يا رسول الله لو أمرت لزدنا فقال نعم فزادوا فيه وبنوا جداره لبنتين مختلفتين ولم يكن له سطح فشكوا الحر فأمر رسول الله ﷺ فأقيم له سواري من جذوع ثم طرحت عليها العوارض والحصر والأذخر فأصابتهم الأمطار فجعل يكف عليهم^(١) فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين فقال عريش كعريش موسى والأمر أعجل من ذلك. ولما زاد فيه عمر جعل طوله مائة وأربعين ذراعاً وعرضه مائة وعشرين ذراعاً وبذل أساطينه بأخر من جذوع النخل وسقفه بجريد وجعل طول السقف أحد عشر ذراعاً وفرشه بالحصى، ولما زاد فيه عثمان - ذلك في ربيع الأول سنة تسع وعشرين - جعل طوله مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ذراعاً وجعل أبوابه ستة، ولما زاد فيه عمر بن عبد العزيز وذلك بأمر الوليد بن عبد الملك - وكان عامله على المدينة - جعل طوله ما تقدم عن شرح المذهب وجعل على كل ركن من أركانه الأربعة منارة للأذان وجعل له عشرين باباً وبنى على الحجرة الشريفة حائطاً ولم يلصقه بجدار الحجرة ولا بالسقف وطوله مقدار نصف قامة بالآجر، فلما حج سليمان بن عبد الملك هدم المنارة التي هي قبلى المسجد من الغرب لأنها كانت مظلة على دار مروان فأذن المؤذن فأطل على سليمان وهو في الدار فأمر بهدمها، ثم زاد فيه المهدي سنة إحدى وستين ومائة ولم يزد بعده أحد شيئاً، ثم عمر الخليفة الناصر سنة ست وسبعين وخمسمائة في صحنه قبة لحفظ حواصل الحرم وذخائره، ثم احترق المسجد الشريف بالنار التي خرجت من الحرة في ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم فأرسل الصناع والآلات مع حجاج العراق سنة خمس وخمسين وستمائة فسقفوا في هذه السنة الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي والشرقي إلى باب جبريل وسقفوا الروضة الشريفة إلى المنبر، ثم قتل الخليفة سنة ست وخمسين واستولى التتار على بغداد فوصلت الآلات من صاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر ابن رسول فعمل إلى باب السلام ثم عمل من باب السلام إلى باب الرحمة من سنة ثمان وخمسين من جهة صاحب مصر الملك المظفر قطن المعزى، ثم انتقل الملك آخر هذه السنة إلى الملك الظاهر بيبرس الصالحي فعمل في أيامه باقي المسجد وجعلت الأبواب أربعة، ثم لما حج سنة سبع وستين أراد أن يدير على الحجرة الشريفة درابزيناً من خشب ففاس ما حولها بيده وأرسله سنة ثمان وستين وعمل له ثلاثة أبواب وطوله نحو مائتين، ثم في سنة ثمان وسبعين في أيام الملك المنصور قلاوون عملت القبة على الحجرة الشريفة، ثم في سنة أربع وتسعين في أيام الملك العادل كتبغا زيد في الدرابزين الذي على الحجرة حتى وصل بسقف المسجد الشريف، ثم في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة إحدى وسبعمائة جدد سقف الرواق الذي فيه الروضة الشريفة، ثم جدد السقف الشرقي والغربي في سنة خمس وسبعمائة، ثم أمر بعمارة المنارة

(١) أي يتقاطر.

الرابعة مكان التي هدمها سليمان بن عبد الملك فعمرت سنة ست وسبعمئة، ثم أمر بإنشاء الرواقين في صحن المسجد من جهة القبلة في سنة تسع وعشرين وسبعمئة، ثم في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون جددت القبة التي على الحجرة الشريفة، ثم أحكمت في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون سنة خمس وستين وسبعمئة بأن سمر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح الرصاص، ثم في أيام سلطان العصر الملك الأشرف قايتباي في شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمئة عمر قبة أخرى وأشياء في المسجد، ثم أعقب ذلك نزول صاعقة من السماء فأحرقت المسجد بأسره وذلك في ليلة ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين فأرسل السلطان الصنار والآلات سنة سبع وثمانين وعليهم الخواجا شمس الدين بن الزمن فهدم الحائط القبلي وأراد أن يبني بجوار المسجد مدرسة باسم السلطان ويجعل الحائط مشتركاً بين المسجد والمدرسة ويفتح فيه باباً يدخل منه إلى المسجد وشبابيك مطلّة عليه فمنعه جماعة من أهل المدينة فأرسل يطلب مرسوماً من السلطان بذلك فبلغه منع أهل المدينة فقال: استفتوا العلماء فأفتاه القضاة الأربعة وجماعة بالجواز وامتنع آخرون من ذلك، وجاءني المستفتي يوم الأحد رابع عشرين رجب من السنة المذكورة فجمعت الأحاديث المصدرة بها وأرسلتها لقاضي القضاة الشافعي فذكر أنه يرى اختصاصها بالجدار النبوي وقد أزيل، وهذا الجدار ملك السلطان يفتح فيه ما شاء ولا يصير وقفاً إلا بوقفه، فذكرت الجواب عن ذلك من تسعة وعشرين وجهاً وألحقته بالأحاديث مع ما ذكر معها وأفردتها تأليفاً، ورأيت ليلة الثلاثاء سادس عشرين رجب في المنام النبي ﷺ وهو في همة وأنا واقف بين يديه فأرسلني لا أدري إلى عمر أو غيره، ولا أدري هل أرسلني إليه لأدعوه أو لأبلغه رسالة ولم أضبط من المنام إلا هذا القدر، فاستيقظت وأنا أرجو أن لا يتم لهم ما أرادوه، ثم برز مرسوم السلطان بالفتح حسبما أفتاه من أفتاه، وسافر القاصد بذلك في أواخر رجب وأرسل إلى رجلان من كبار أرباب الأحوال يخبراني أن هذا الأمر لا يتم ففي رمضان جاء الخبر بأن ذلك قد رجع عنه وعدلوا إلى الفتح من الجهة الغربية، وأفتى بعض الحنفية بجواز ذلك لأن دار أبي بكر رضي الله عنه كانت من تلك الجهة وكان له باب مفتوح فيفتح نظيره فوجب النظر في ذلك. فأقول: قد ثبت في الأحاديث السابقة وقرر العلماء أن أبا بكر رضي الله عنه لم يؤذن له في فتح الباب بل أمر بسد بابه وأنما أذن له في خوذة صغيرة وهي المرادة في حديث البخاري، فلا يجوز الآن فتح باب كبير قطعاً، وليس لأحد أن يقول إن المعنى الاستطراق فيستوي الباب والخوذة في الجواز، لأن النص من الشارع ﷺ على التفرقة حيث أمر بسد بابه وأبقى خوخته يمنع من التسوية والإلحاق، وأما جواز فتح الخوذة الآن فأقول: لو بقيت دار أبي بكر واتفق هدمها وإعادةها أعيدت بتلك الخوذة كما كانت بلا مرية، وكان يجب مع ذلك أن يعاد مثل تلك الخوذة قدراً ومحلاً، فلا تجوز الزيادة فيها بالتوسعة ولا جعلها في موضع آخر من الحائط اقتصاراً على ما ورد الإذن من الشارع الواقف فيه، لكن دار أبي بكر هدمت وأدخلت في

المسجد زمن عثمان، وهل يجوز أن يبني بإزائها دار يفتح منها خوذة نظير ذلك؟ فيه نظر وتوقف فيحتمل المنع وهو الأقرب لأن تلك خصيصة كانت لأبي بكر فلا تتعدى داره، ويحتمل الجواز لأمرين: أحدهما: أن حق المرور قد ثبت من هذه البقعة التي بإزاء دار أبي بكر إلى المسجد بواسطة دار أبي بكر فيستمر. والثاني: لا أبدية خوفاً أن يتمسك به المتوسعون وعلى الاحتمال فإنما يجوز بشرطين يتعذر الآن وجودهما أن يكون الذي يفتح بقدر تلك الخوذة لا أوسع منه، وأن يكون على سمتها لا في محل آخر، والأمران لا يمكن الوقوف عليهما الآن للجهل بمقدار تلك الخوذة ومحلها، وإذا لم يتحقق وجود الشرط امتنع المشروط، فتلخص من ذلك القطع بالمنع من الخوذة ومن الشبايبك أيضاً، ويتحقق وجود الشرطين يجاب عن الأمر الثاني الذي رمزت إليه ولم أبده إن عثر عليه عاثر، هذا ما عندي في ذلك.

خاتمة: وأما كسوة الحجرة الشريفة فأول من كساها ابن أبي الهيجاء وزير ملك مصر بعد أن استأذن الخليفة المستضيء فكساها ديباجاً أبيض، ثم بعد سنتين أرسل الخليفة المستضيء كسوة ديباجاً بنفسجياً، ثم أرسل الخليفة الناصر لما ولي كسوة من الديباج الأسود، ثم لما حجت أم الخليفة وعادت أرسلت كسوة كذلك، ثم صارت ترسل الكسوة من جهة مصر كل سبع سنين من الديباج الأسود - ذكر ذلك الأقفهسي.

٤٩ - العجاجة الزينية في السلالة الزينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. مسألة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه رزق من الأولاد الذكور أحداً وعشرين ولداً، ومن الإناث ثمانين عشرة على خلاف في ذلك، والذين أعقبوا من ولده الذكور خمسة، قال ابن سعد في الطبقات: كان النسل من ولد علي لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية. مسألة: فاطمة الزهراء رضي الله عنها رزقت من الأولاد خمسة: الحسن، والحسين، ومحسن، وأم كلثوم، وزينب فأما محسن فدرج سقطاً، وأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب، وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولدت له زيدا ورقية وتزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات معها ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات معها ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئا. وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر فولدت له علياً، وعوناً الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم. مسألة: أولاد زينب المذكورة من عبد الله بن جعفر موجودون بكثرة ونتكلم عليهم من عشرة أوجه: أحدها أنهم من آل النبي ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب، وأخرج مسلم، والنسائي عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً فقليل

لزيد بن أرقم: ومن أهل بيته؟ قال: أهل بيته من حرم الصدقة بعده قيل: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. الثاني: أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع وهذا المعنى أخص من الذي قبله. قال البغوي في التهذيب: أولاد بنات الإنسان لا ينسبون إليه وإن كانوا معدودين في ذريته حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت. الثالث: أنهم هل يشاركون أولاد الحسن، والحسين في أنهم ينسبون إلى النبي ﷺ؟ والجواب لا، وهذا المعنى أخص من الوجه الذي قبله. وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولداً للرجل وبين من ينسب إليه ولهذا قالوا: لو قال: وقفت على أولادي دخل ولد البنت ولو قال: وقفت على من ينسب إلي من أولادي لم يدخل ولد البنت، وقد ذكر الفقهاء من خصائصه ﷺ أنه ينسب إليه أولاد بناته ولم يذكروا مثل ذلك في أولاد بنات بناته، فالخصوصية للطبقة العليا فقط، فأولاد فاطمة الأربعة ينسبون إليه، وأولاد الحسن، والحسين ينسبون إليهما فينسبون إليه، وأولاد زينب، وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمر، وعبد الله لا إلى الأم إلى أبيها ﷺ لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن، والحسين.

أخرج الحاكم في المستدرك عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل بني أم عصبه إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما» وأخرج أبو يعلى في مسنده عن فاطمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لكل بني أم عصبه إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما» فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصب بالحسن، والحسين دون أختيهما لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم. ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفاً^(١) ولو كانت الخصوصية عامة في أولاد بناته وإن سفلن لكان ابن كل شريفة شريفاً تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم، ولهذا حكم ﷺ بذلك فاطمة دون غيرها من بناته، لأن أختها زينب بنت رسول الله ﷺ لم تعقب ذكراً حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك وإنما أعقبت بنتاً وهي أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع، فلم يحكم لها ﷺ بهذا الحكم مع وجودها في زمنه، فدل على أن أولادها لا ينسبون إليها لأنها بنت بنته، وأما هي فكانت تنسب إليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون إليه، ولو كان لزيب ابنة رسول الله ﷺ ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن، والحسين في أن ولده ينسبون إليه ﷺ. هذا تحرير القول في هذه المسألة، وقد خبط جماعة من أهل العصر في ذلك ولم يتكلموا فيه بعلم.

الوجه الرابع: أنهم هل يطلق عليهم أشراف؟ والجواب: إن اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنياً أم حسينياً أم علوياً من ذرية

(١) راجع الكتب المؤلفة في ذلك كإسماع الصم في إثبات النسب من جهة الأم، وشرف الأسباط.

محمد ابن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفرياً أم عقيلياً أم عباسياً، ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحوناً في التراجم بذلك يقول: الشريف العباسي، الشريف العقيلي، الشريف الجعفري، الشريف الزيني، فلما ولي الخلفاء الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فاستمر ذلك بمصر إلى الآن، وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الألقاب: الشريف ببغداد لقب لكل عباسي وبمصر لقب لكل علوي انتهى، ولا شك أن المصطلح القديم أولى وهو إطلاقه على كل علوي، وجعفري، وعقيلي وعباسي كما صنعه الذهبي وكما أشار إليه الماوردي من أصحابنا، والقاضي أبو يعلى بن الفراء من الحنابلة كلاهما في الأحكام السلطانية، ونحوه قول ابن مالك في الألفية: وآله المستكملين الشرفاء فلا ريب في أنه يطلق على ذرية زينب المذكورين أشراف، وكم أطلق الذهبي في تاريخه في كثير من التراجم قوله: الشريف الزيني، وقد يقال: يطلق على مصطلح أهل مصر الشرف أنواع عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينية وأخص منه شرف النسبة وهو مختص بذرية الحسن والحسين.

الوجه الخامس: أنهم تحرم عليهم الصدقة بالإجماع لأن بني جعفر من الآل.

السادس: أنهم يستحقون سهم ذوي القربى بالإجماع.

السابع: أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش بالإجماع لأن بركة الحبش لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة بل وقفت نصفين: النصف الأول على الأشراف وهم أولاد الحسن والحسين، والنصف الثاني على الطالبين وهم ذرية علي بن أبي طالب من محمد ابن الحنفية وإخوته، وذرية جعفر بن أبي طالب، وذرية عقيل بن أبي طالب، وثبت هذا الوقف على هذا الوجه على قاضي القضاء بدر الدين يوسف السنجاري في ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة، ثم اتصل ثبوته على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام تاسع عشرين ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم اتصل ثبوته على قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة. ذكر ذلك ابن المتوج في كتابه إيقاظ المتأمل.

الثامن: هل يلبسون العلامة الخضراء؟ والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ولا كانت في الزمن القديم، وإنما حدثت في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين، وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره من ذلك قول أبي عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في وسيم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر
وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصصهم بها شرفاً ليعرفهم من الأطراف

وحظ الفقيه في ذلك إذا سئل أن يقول: ليس هذه العلامة بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره، ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره، والمنع منها لأحد من الناس كائناً من كان ليس أمراً شرعياً، لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة، وليس لبس العلامة مما ورد به شرع فيتبع إباحة ومنعاً - أقصى ما في الباب - أنه أحدث التمييز بها هؤلاء عن غيرهم، فمن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المنتسبين إلى النبي ﷺ وهم ذرية الحسن، والحسين، ومن الجائز أن يعمم في كل ذريته وإن لم ينتسبوا إليه كالزينية، ومن الجائز أن يعمم في كل أهل البيت كباقي العلوية، والجعفرية، والعقيلية كل جائز شرعاً، وقد يستأنس فيها بقوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا النَّبِيُّ قُلُوبَ لِرِزْوَانِكَ وَنَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيَهُنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْفَى أَنْ يُعَرَّفَنَّ فَلَا يُؤْذَنُ﴾ [الأحزاب: ٥٩] فقد استدلل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس يختصون به من تطويل الأكمام وإدارة الطيلسان ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا تكريماً للعلم، وهذا وجه حسن والله أعلم.

التاسع: هل يدخلون في الوصية على الأشراف؟

والعاشر: هل يدخلون في الوقف على الأشراف؟

والجواب: أنه إن وجد في كلام الموصي والواقف نص يقتضي دخولهم أو خروجهم اتباع، وإن لم يوجد فيه ما يدل على هذا ولا هذا فقاعدة الفقه أن الوصايا والأوقاف تنزل على عرف البلد، وعرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسني وحسيني خاصة فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف وإنما قدمت دخولهم في وقف بركة الحبش لأن واقفها نص في وقفه على ذلك حيث وقف نصفها على الأشراف، ونصفها على الطالبين.

آخر العجاجة الزنبية في السلالة الزينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من كتاب نزهة المجالس لعبد الرحمن الصفوري عن النبي ﷺ قال: «من لم يكن عنده مال يتصدق به فليعلن اليهود والنصارى». حكاية: «خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبيع إزار فاطمة رضي الله عنها ليأكلوا بثمنه فباعه بستة دراهم فرآه سائل فأعطاه إياها فجاءه جبريل في صورة أعرابي ومعه ناقة فقال: يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة فقال ما معي ثمنها، قال: إلى أجل فاشترها بمائة، ثم عرض له ميكائيل في طريقه فقال: أتبيع هذه الناقة؟ قال: نعم واشتريتها بمائة قال: ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل قال: بعته الناقة؟ قال: نعم قال: ادفع إلي ديني فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة: من أين لك هذا؟ قال: تاجرت مع الله بستة فأعطاني ستين، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال: البائع

جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة» حكاية: «رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه درع علي رضي الله عنه يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة فقال عثمان رضي الله عنه: هذا درع فارس الإسلام لا يباع أبداً فدفع لغلام علي أربعمائة درهم وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه، فلما أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك فقال: هنيئاً لك يا عثمان» وعن النبي ﷺ قال: «من تبسم في وجهه غريب ضحك الله إليه يوم القيامة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا نظر الغريب عن يمينه وشماله وعن أمامه ومن خلفه فلم ير أحداً يعرفه غفر الله له ما تقدم من ذنبه». وفي حديث آخر: «إن الله تعالى لينظر كل يوم إلى الغريب ألف نظرة» وفي حديث آخر: «ما من غريب يمرض فيرى ببصره فلا يقع على من يعرفه إلا كتب الله له بكل نفس يتنفس به سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة» وعن النبي ﷺ قال: «أكرموا الغرباء فإن لهم عند الله شفاعة يوم القيامة ألا وأنه ينادي يوم القيامة ألا ليقيم الغرباء فيقومون يستبقون إلى الله ألا من أكرمهم فقد أكرمني ومن أحبهم فقد أحبني ومن أكرم غريباً في غربته وجبت له الجنة».

وعنه عليه السلام أنه قال: «ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غاب عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» وعنه عليه السلام قال: «ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فإنني كنت في الصغر يتيماً وفي الكبر غريباً». وقال عليه السلام: «من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربنى ومن حاربنى فقد حارب الله». وعنه عليه السلام قال: «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها». وسمع النبي ﷺ علياً يقول: «اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك قال: من هم؟ قال: الذين إذا أعطوا منوا وإذا منعوا عابوا».

فائدة: أصاب إبراهيم عليه السلام حاجة فذهب إلى صديق له ليستقرض منه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله إليه لو سألتني لأعطيتك فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك إياها فتمقتني فأوحى الله إليه ليست الحاجة من الدنيا. حكاية: قال النسفي في زهرة الرياض: لما تولى سليمان الملك جاءه جميع الحيوانات يهنتونه إلا نملة واحدة فإنها جاءت تعزیه فعاتبتها النمل في ذلك فقالت: كيف أهنته وقد علمت أن الله تعالى إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحجب إليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدري عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنته، وجاءه في بعض الأيام شراب من الجنة فقيل له: إن شربته لم تمت فشاور جنده إلا القنفذ فإنه كان غائباً فأشاروا عليه أن يشربه فأرسل الفرس خلف القنفذ فلم يجيبها فأرسل الكلب خلفها فأجابه فسأله سليمان عن الشراب فقال: لا تشربه فإن الموت في عز خير من البقاء في سجن الدنيا قال. صدقت فأراق الشراب في البحر فطاب ماؤه ثم قال له: كيف أطعت الكلب دون الفرس؟ فقال: لأنها تعدوا بصاحبها وبغيره

والكلب لا يطيع إلا صاحبه وتقدم في باب المحبة أن النبي ﷺ قال: «حب إلي من دنياكم هذه ثلاث».

فإن قيل: كيف أمطر الله على أيوب عليه السلام جرأداً من ذهب؟ قيل: جعله الله عوضاً عن الدود الذي أكله، فالجراد خلعة الطائع وعقوبة العاصي لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات التمساح صار دوداً ثم جرأداً بإذن الله تعالى، وتقدم في فصل الأدب من كتاب الموت أنه مخلوق من طينة آدم عليه السلام. وقال بعض الحكماء: الدنيا ميراث الغرور، ومسكن البطالين، وسوق الراغبين، وميدان الفاسقين، وسجن المؤمنين، ومزبلة المتقين - زاد مؤلفه رحمه الله - ومزرعة للعالمين.

فائدة: قال ابن عباس: التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء وكان النبي عليه السلام يتوكأ عليها، وعنه عليه السلام قال: «العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء ومن خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر آمنه الله من كل سبع ضار ولص عاص ومن كل ذات حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها» وعن النبي عليه السلام قال: «من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عدله من الكبر والعجب» وقال النبي عليه السلام: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه».

لطيفة قال أنس: خرجت مع النبي عليه السلام فرأينا طيراً أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي عليه السلام: «أتدري ما يقول؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إنه يقول: اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت، فأقبلت جرادة فدخلت في فيه، ثم ضرب بمنقاره على الشجرة فقال النبي عليه السلام: أتدري ما يقول؟ قلت: لا، قال: إنه يقول: من توكل على الله كفاه وعن أبي هريرة عن النبي عليه السلام قال: من عمل فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة وحرم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم».

موعظة: عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: أيما امرأة خانت زوجها في الفراش فعليها نصف عذاب هذه الأمة وعن النبي ﷺ قال: «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره إلا ساعة واحدة ثم يرسل الله إليه ملكاً يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه في بلاد قوم لوط ويكتب على جبينه آيس من رحمة الله» وعنه عليه السلام قال: «يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى: من أنتم؟ فيقولون: نحن المظلومون، فيقول: من ظلمكم؟ فيقولون: آبائنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فالتقونا في الأدبار فيقول الله تعالى: سوفوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله» وعنه عليه السلام قال: «يمسخ اللوطي في قبره خنزيراً وتدخل [النار] في منخره وتخرج من دبره كل يوم سبعين مرة» وقال عليه السلام: «العفريت أخبرنا عن إبليس فتوجه معه إلى البحر فوجده على وجه الماء فقال: أخبرنا بأبغض الأعمال إلى الله وأحبها إليك قال: اللواط ولولا ممشاك

يا بني الله ما أخبرتك» وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من مشى في تزويج امرأة حلالاً يجمع بينهما رزقه الله تعالى ألف امرأة من الحور العين كل امرأة في قصر من در وياقوت وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها». وذكر ابن الجوزي أن الله تعالى اتخذ أربعين بدلاً من الرجال والنساء كذلك كلما مات واحد قام مقامه آخر.

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة».

فائدة: عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام قال: «إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألفي حسنة وغفر لها ألف سيئة واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألفي درجة» وقالت عائشة: «صبر مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، والتكبير في سبيل الله أثقل من السموات والأرض، أيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى مائة ألف حسنة» قال أبو قتادة رضي الله عنه: صبر مغزل المرأة وقراءة القرآن عند الله سواء، وقال عليه السلام: «من اشترى لعباله شيئاً ثم حملة بيده إليهم حط الله عنه ذنب سبعين سنة». وفي حديث آخر: «من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار» ورأيت في كتاب النورين في إصلاح الدارين أن النبي عليه السلام قال: «البيت الذي فيه البنات ينزل الله فيه كل يوم اثنتي عشرة رحمة من السماء ولا تنقطع زيارة الملائكة من ذلك البيت يكتبون لأبويهما كل يوم وليلة عبادة سنة». وعن حذيفة أن النبي عليه السلام قال: «أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل، أول من حرث آدم عليه السلام أدركه التعب آخر النهار فقال لحواء: ازرعني ما بقي فصار زرعها شعيراً فتعجبت من ذلك فأوحى الله تعالى إلى آدم لما أطاعت العدو المشير أبدلنا القمح بالشعير. وعن النبي عليه السلام قال: نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويذهب بالبلغم ويصفي اللون ويصيب النكهة - يعني رائحة الفم» وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل» وعن النبي عليه السلام قال: «اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليماً» وعن النبي عليه السلام قال: «أطعموا جبالكم اللبان - يعني بذلك حصي لبان الذكر - فإن يكن في بطنها ذكر يكن ذكي القلب» وعنه عليه السلام قال: «عليكم بأكل البلس فإنه يقطع عروق الجذام ألا وهو التين». وعن النبي ﷺ قال: «كلوا السفرجل فإنه يجلو عن الفؤاد وما بعث الله نبياً إلا وأطعمه من سفرجل الجنة فيزيد في قوته قوة أربعين رجلاً».

وعن جابر بن عبد الله قال: «سأل النبي عليه السلام إبليس عن ضجيجه فقال: السكران، وعن جليسه قال: الناسي يؤخر الصلاة عن وقتها، وعن ضيفه فقال: السارق، وعن أنيسه فقال: الشاعر، وعن رسوله فقال: الكاهن، والساحر، وعن قرعة عينه فقال: الذي يحلف

بالطلاق وإن كان صادقاً، وعن حبيبه قال: تارك الصلاة، وعن أعز الناس قال: من سب أبا بكر وعمر».

ورأيت في بعض كتب الرافضة قال رجل لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن كيف سبقك أبو بكر بالخلافة؟ فقال: لأنني كنت اشتغلت بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه ثم قال: أنت حضرت مبايعة أبي بكر؟ قال: من بايعه أولاً؟ قال: شيخ كبير معه عكاز أخضر فقال: علي رضي الله عنه ذاك إبليس أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من يبايع أبا بكر إبليس.

لطيفة: رأيت في شوارد الملح أن النبي ﷺ عروس المملكة والعروس تجلى تارة بتاج وتارة بعمامة وتارة بمنطقة وتارة بسيف فتاجه أبو بكر، وعمامته عمر، ومنطقته عثمان، وسيفه علي. وعن النبي عليه السلام قال: أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن أخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه فعصرتها فخلق الله يا محمد من القطرة الأولى، ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة علي بن أبي طالب. فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال تعالى: هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك وهؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي فلما عصى آدم قال: يا رب بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت علي فتاب الله عليه. وعن النبي عليه السلام قال: «أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام حين رآه في عارضه فقال: يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك؟ فأوحى الله تعالى إليه هذا سربال الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبيسته أحداً من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً أو أعذبه بالنار، فقال يا رب: زدني وقاراً فأصبح رأسه مثل الغمامة البيضاء». وعن النبي عليه السلام قال: «اختضبوا فإن الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن». وقال أبو طيبة رضي الله عنه: نفقة درهم في سبيل الله بسبعمئة درهم ونفقة درهم في خضاب اللحية بسبعة آلاف. وعن النبي عليه السلام قال: «إذا دخل المؤمن في قبره وهو مختضب بالحناء أناه منكر ونكير فقالا له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول منكر لنكير: ارفق بالمؤمن أما ترى نور الإيمان. وقال أنس: دخل رجل على النبي عليه السلام وهو أبيض الرأس واللحية فقال: أأنت مسلماً؟ قال: بلى قال: فاخضب».

فائدة: قال ابن كعب: قال النبي عليه السلام: «من سرح رأسه ولحيته كل ليلة عوفي من أنواع البلاء وزيد في عمره». وعن النبي عليه السلام قال: «من أمر المشط على حاجبه عوفي من الوباء» وقال علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالمشط فإنه يذهب الفقر، ومن سرح لحيته حتى يصبح كان له أماناً حتى يمسي لأن اللحية زين الرجال وجمال الوجه».

فائدة: قال وهب رضي الله عنه: من سرح لحيته بلا ماء زاد همه أو بماء نقص همه، ومن سرحها يوم الأحد زاده الله نشاطاً، أو الاثنين قضى حاجته، أو الثلاثاء زاده الله رخاء، أو الأربعاء زاده الله نعمة، أو الخميس زاد الله في حسناته، أو الجمعة زاده الله سروراً، أو

السبت طهر الله قلبه من المنكرات. ومن سرحها قائماً ركبته الدين أو قاعداً ذهب عنه الدين بإذن الله تعالى. وعن النبي عليه السلام قال: «إن الرجل ليكون من أهل الصلاة، والصيام، والجهاد فما يجزى إلا على قدر عقله» وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال: «لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل صنف راع وراعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهد العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل».

ورأيت عن بعض الصحابة قال: نهانا عليه السلام أن يمشط أحدنا كل يوم، وفي الحديث: «من سعادة المؤمن خفة لحيته» رواه ابن عباس. وقالت عائشة: من أكل اليقطين بالعدس رق قلبه. وعن أنس عنه عليه السلام قال: «إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادي كل يوم ألا من زار عالماً فقد زار الرب فله الجنة. وعن أنس عنه عليه السلام أنه قال: من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فليُنظر إلى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ويبني له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له» وعنه عليه السلام: «من خاض في العلم يوم الجمعة فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة، وكأنما تصدق بألف دينار، وكأنما حج أربعين ألف حجة وهو في رضوان الله وعفوه ومغفرته». وقال عليه السلام: «من اغبرت قدماء في طلب العلم حرم الله جسده على النار واستغفر له ملكاه، وإن مات في طلبه مات شهيداً، وكان قبره روضة من رياض الجنة، ويوسع له في قبره مد البصر، وينور على جيرانه أربعين قبراً عن يمينه وأربعين قبراً على يساره وأربعين من خلفه وأربعين أمامه».

حكاية: قال أبو جهل: يا محمد إن أخرجت لنا طاوساً من صخرة في داري آمنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تثن أنين المرأة الجبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جواهر، فلما رآه أبو جهل أعرض عن الإيمان. ورأيت في الزهر الفائح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً في أصحابه فمرت به امرأة مشركة ومعها صبي دون شهرين فلما دنت منه عبست في وجهه فانتفض الطفل وترك ثديها وقال: يا ظالمة نفسها تعبسي في وجه رسول الله ﷺ ثم قال: السلام عليك يا رسول الله وأكرم الخلق على الله، فقال: من أخبرك أنني أكرم الخلق على الله؟ قال بذلك فقال جبريل صدق الغلام ثم قال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني من خدامك في الجنة فدعا له فمات في الحال فقالت أمه: جاء الحق وزهق الباطل أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأأسفاه على ما فاتني منك يا رسول الله، فقال: أبشري فقد هدم الغلام عنك ما فعلتیه في الجاهلية وإنی لأنظر إلى كفنك وحنوطك مع الملائكة في الهواء فماتت أيضاً في الحال فضلى عليهما النبي ﷺ.

حكاية: في روض الأفكار: أن امرأة خرجت تسمع كلام النبي ﷺ فرآها شاب فقال:

إلى أين؟ قالت: أسمع كلام النبي ﷺ قال: أتحييه؟ قالت: نعم، قال: فبحقه ارفعي نقابك حتى أنظر وجهك ففعلت ثم أخبرت زوجها بذلك فأوقد تنوراً ثم قال: بحقه عليك ادخلي التنور فألقت نفسها فيه ثم ذهب وأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: ارجع واكشف عنها فكشف فرآها سالمة وقد جللها العرق. ودعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خيبر فطلعت بعد ما غربت، وقال عليه السلام: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

رأيت في القول البديع عن علي عنه عليه السلام قال: من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتبت غزاته بأربعمئة حجة فانكسرت قلوب قوم لا يقدرّون على الجهاد فأوحى الله إليه ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمئة غزاة كل غزاة بأربعمئة حجة، وقال علي: خلق الله تعالى في الجنة شجرة ثمرها أكبر من التفاح وأصغر من الرمان ألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب من المسك، وأغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من الذهب وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه أحرق النظر إلى رسول الله ﷺ فقال: هل من حاجة؟ قال: لما رفعتك حليلة وأنت ابن أربعين يوماً رأيتك تخاطب القمر ويخاطبك بلغة لم أفهمها قال: يا عم قرصني القمط في جانبي الأيمن فأردت أن أبكي فقال القمر: لا تبك ولو قطر من دموعك قطرة على الأرض قلب الله الخضراء على الغبراء فصفق العباس فقال: أزيديك يا عم؟ قال: نعم قال: ثم قرصني القمط في جانبي الأيسر فهمت أن أبكي فقال القمر: لا تبك يا حبيب الله فإن وقع من دموعك قطرة على الأرض لم تنشق عن خضراء إلى يوم القيامة فسكت شفقة على أمتي، فصفق العباس وقال: أكنت تعلم ذلك وأنت ابن أربعين يوماً؟ فقال: يا عم والذي نفسي بيده لقد كنت أسمع صرير القلم على اللوح المحفوظ وأنا في ظلمة الأحشاء، أفأزيديك يا عم؟ قال: نعم قال: والذي نفسي بيده لقد خلق الله مائة ألف نبي وأربعاً وعشرين ألف نبي ما منهم من نبي علم أنه نبي حتى بلغ أشده - وهو أربعون سنة - إلا عيسى فإنه لما نزل من جوف أمه قال: «إني عبد الله أتاني الكتاب» وابن أخيك، أفأزيديك يا عم؟ قال: نعم قال: لما ولدت ليلة الاثنين خلق الله تعالى سبعة جبال في السموات السبع وملأها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله يسبحون الله ويقدمونه إلى يوم القيامة، وجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت عنده بين يديه فأزعج أعضاءه بالصلاة علي - ذكره في شوارد الملح - وعنه عليه السلام قال: «من صلى علي صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس». وعنه عليه السلام قال: «من صلى علي فتح الله عليه باباً من العافية». وعنه عليه السلام قال: «أكثرُوا من الصلاة علي فإنها تحل العقد وتفرج الكرب» وقال أنس: قال النبي ﷺ: «من قال اللهم صل علي محمد وعلى آل محمد وكان قاعداً غفر له قبل أن يقوم وإن كان قائماً غفر له قبل أن يقعد». وعنه عليه السلام قال «من شم الورد الأحمر ولم يصل علي فقد جفاني» وعن أنس عنه عليه

السلام قال: «خلق الله تعالى الورد الأحمر من بهائه وجعله ريحاً لأنبيائه فمن أراد أن ينظر إلى بهاء الله ويشم رائحة الأنبياء فليتنظر إلى الورد الأحمر» وعنه عليه السلام قال: «من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر».

لطيفة: يستحب إكثار الصلاة على النبي ﷺ عند أكل الرز لأنه كان جوهرأ أودع فيه نور محمد ﷺ فلما خرج النور منه تفتت وصار حباً. وعن علي أن النبي ﷺ قال: «كل شيء أخرجته الأرض فيه داء وشفاء إلا الأرز فإنه شفاء لا داء فيه».

لطيفة: قال مؤلفه رحمه الله تعالى: سمعت والدي رحمه الله يقول لبعض الفقهاء تعال كل من هذا العدس المبارك فقال: أطعموني من الرز الميشوم. رأيت في منازل الأنوار أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ لما خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة: «إن الله قد أعطاك قبة في الجنة عرضها ثلاثمائة عام قد حفتها رياح الكرامة لا يدخلها إلا من أكثر الصلاة عليك».

فائدة: قال جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه قال: «من أصبح وأمسى قال اللهم يا رب محمد صل على محمد وآل محمد واجز محمدأ ﷺ ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح ولم يبق لبنيه محمد ﷺ حق أداه وغفر لوالديه وحشر مع محمد وآل محمد».

فائدة: روى ابن أبي مليكة عن ابن جريج عن النبي عليه السلام أنه قال: «من كان له ذو بطن فأجمع أن يسميه محمدأ رزقه غلاماً». وقالت جلييلة بنت عبد الجليل: يا رسول الله إني امرأة لا يعيش لي ولد فقال: «اجعلي لله عليك أن تسميه محمدأ ففعلت فعاش ولدها». ورأيت في المورد العذب أنه عليه السلام قال «من ضبح بالصلاة علي في الدنيا صبحت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلا». وعنه عليه السلام قال: «لو يعلم الأمير ما في ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن ثواب تسيبحة واحدة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد عشرة أضعاف الدنيا». وعن أنس أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له ألف شجرة في الجنة من ذهب طلعتها - أي ثمرها - كثدي الأبقار ألين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منها شيئاً عاد كما كان». وعنه عليه السلام أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكاً له عيتان وجناحان وشفقتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها إلى يوم القيامة».

فائدة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أكثرُوا من الحمد لله فإن لها عينين وجناحين تطير بهما وتستغفر لقائلها إلى يوم القيامة». موعظة عن النبي ﷺ قال: «من قطع سدره ضرب الله رأسه في النار».

فائدة: عنه عليه السلام: «خلق الله نوراً قبل السموات والأرض بألف عام ثم خلق من ذلك النور مسكاً فكتب به سورة يس وخلق لها خمسين ألف جناح فلم تمر في سماء إلا خضعت لها سكانها وسجدوا لها فمن تعلم يس وعرف حقها كان في الدرجة العليا»، وقوله: «خلق لها أي لثوابها»، وعنه عليه السلام قال: «يس تدعى في الثَّوْرَةِ المعمة قيل:

وما المعمة؟ قال: نعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وأهاويل الآخرة».

وفي الخبر خلق الله تعالى عشرين ألف نهر وقال للقلَم: اكتب فضل قل هو الله أحد، وفي كتاب البركة عن النبي عليه السلام قال: «من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً كان هو ومولوده في الجنة، وما قعد قوم على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي إلا تضاعفت فيهم البركة، وعنه عليه السلام قال: زوجني عائشة ربي في السماء وأشهد عقدها الملائكة وأغلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنة أربعين صباحاً مسها مس الحرير وريحها ريح المسك».

رأيت في بعض المجاميع أن محمداً ﷺ قال: «يا جبريل هل كنت تعلم براءة عائشة؟ قال: نعم قال: فكيف لم تخبرني؟ قال: أردت ذلك فقال الله تعالى: يا جبريل لا تفعل الشدة مني والفرج مني». وعنه عليه السلام: «ما صب الله في صدري شيئاً إلا صببته في صدر أبي بكر». وعن حذيفة قال: صلى رسول الله ﷺ: «صلاة الغداة فلما انصرف قال: أين أبو بكر؟ قال ليبيك، قال ألحقت معي الركعة الأولى؟ قال: كنت معك في الصف الأول فوسوس لي شيء في الطهارة فخرجت إلى باب المسجد فهتف بي هاتف يا أبا بكر فالتفت فإذا بقدر من ذهب فيه ماء أبيض من الثلج وأطيب من الشهد - بفتح الشين على الأفصح - وعليه منديل مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق فتوضأت ثم وضعت المنديل مكانه فقال يا أبا بكر لما فرغت من القراءة أخذت ركبتني فلم أقدر على الركوع حتى جئت وأن الذي وضأك جبريل، والذي منديل ميكائيل، والذي أخذ بركبتني إسرافيل».

لطيفة: قال النبي عليه السلام: يا علي سألت الله أن يقدمك فأبى إلا أبا بكر.

حكاية: قال حذيفة: صنع النبي عليه السلام طعاماً ودعا أصحابه فأطعمهم لقمة لقمة وقال: سيد القوم خادمهم. وأطعم أبا بكر ثلاث لقم فسأله العباس عن ذلك فقال: لما أطعمته أول لقمة قال له جبريل هنيئاً لك يا عتيق، فلما لقمته الثانية قال له ميكائيل هنيئاً لك يا رفيق، فلما لقمته الثالثة قال له رب العزة هنيئاً لك يا صديق. وقال أبي بن كعب: قال النبي عليه السلام: «أول من يسلم عليه الحق يوم القيامة عمر بن الخطاب، وأول من يؤخذ بيده فينطلق إلى الجنة عمر بن الخطاب، وكان النبي عليه السلام إذا قطرت قطرة - يعني من السماء - يقول: رب لك الحمد ذهب السخط ونزلت الرحمة، وقال النبي عليه السلام لعلي بن أبي طالب: إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فتقرب إليه بأنواع العقل. وعن النبي عليه السلام قال: دخلت الجنة ليلة أسري بي فأعطيت سفرجلة فانفلقت عن حوراء فقلت لمن أنت؟ قالت: إن على هذا النهر سبعين ألف شجرة كل شجرة سبعون ألف غصن على كل غصن سبعون ألف ورقة على كل ورقة حوراء مثلي خلقهن الله لمحبي أبي بكر، وعمر».

لطيفة: عن النبي عليه السلام قال: «رأيت حمزة وجعفر بن أبي طالب في المنام وكان بين أيديهما طبق فيه نبق كالزبرجد فأكلوا منه ثم صار عنباً فأكلوا منه ثم صار رطباً فأكلوا منه فقلت لهما ما وجدتما أفضل» الأعمال قالوا: «قول لا إله إلا الله، قلت: ثم ما؟ قالوا: الصلاة عليك، قلت ثم ما؟ قالوا حب أبي بكر وعمر» ومرت رجل على النبي عليه السلام فقليل يا رسول الله هذا مجنون فقال المجنون المقيم على معصية الله ولكن قولوا مصاب؛ وعنه عليه السلام قال: «تهب على النار ريح فيقولون ما رأينا ريحاً أنتن من هذه فيقال لهم هذه ريح من يسب أبا بكر وعمر». وكان عمر رضي الله عنه إذا ذكر الكوفة قال: كنز الإيمان ورمح الله الأطول. لطيفة: عطس النبي عليه السلام بحضرة يهودي فقال يا محمد يرحمك الله فقال يهديك الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله وقال النبي عليه السلام: دخلت الجنة فناولني جبريل تفاحة فانفلقت عن حوراء عيناء مرضية كأن مقادماً عينها أجنحة النسر فقلت لمن أنت؟ قالت للمخليفة المقتول ظلماً عثمان بن عفان» وعن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام: «لما أسري بي مررت بملك جالس على سرير من نور إحدى رجليه في المشرق والأخرى في المغرب والدنيا كلها بين عيني وبين يديه لوح فقلت يا جبريل من هذا؟ قال عزرائيل تقدم فسلم عليه فسلمت عليه» فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك علي؟ قلت: هل تعرف ابن عمي علياً؟ قال: وكيف لا أعرفه وقد وكلني ربي بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك. وعنه أيضاً قال: سمعت النبي عليه السلام يقول لعلي بن أبي طالب: «أنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل». وقال علي: «قال النبي عليه السلام: يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة بعدي فتدخلها بغير حساب». وقال أيضاً قال لي عليه السلام: «من مات على حبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان». وقال أنس: خرجت مع بلال، وعلي بن أبي طالب إلى السوق فاشترى بطيخاً وانطلقنا إلى منزله فكسر واحدة فوجدها مرة فأمر بلالاً برد البطيخ إلى صاحبه فلما رده قال: ألا أحدثكم حديثاً حدثني رسول الله ﷺ قال: «يا أبا الحسن إن الله أخذ حبك على البشر والشجر فمن أجاب إلى حبك عذب وطاب ومن لم يجب إلى حبك خبث ومر وأظن هذا البطيخ ممن لا يحبني وفي حاوي القلوب الطاهرة وغيره في أرض الله بلاد لها بطيخ يخرج من كل واحدة خاروف غنم يعيش أربعين يوماً».

فائدة: عنه عليه السلام: «من أحب علياً بقلبه فله ثواب ثلث هذه الأمة، ومن أحبه بقلبه ولسانه فله ثواب ثلثي هذه الأمة، ومن أحبه بقلبه ولسانه ويده فله ثواب هذه الأمة، ألا وإن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي [ألا وإن جبريل أخبرني أن السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياتي وبعد مماتي] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حب علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب، ولو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله جهنم. وقال معاذ بن جبل: حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معهما معصية،

ويغضه معصية لا تنفع معها حسنة، وعنه عليه السلام: «من أراد أن يتمسك بالقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه [الله] في جنات عدن فليتمسك بحب علي»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أشهد على النبي عليه السلام أنه قال: «لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة ووزن إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي». وقال ابن عباس: كنا عند النبي ﷺ وإذا بطائر في فمه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبي ﷺ فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالأصفر لا إله إلا الله محمد رسول الله نصرته بعلي. وقال النبي ﷺ لعلي: «إنك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. وعنه عليه السلام قال: مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله، علي أخو رسول الله قبل أن تخلق السموات بألفي عام».

فائدة: رأيت في الزهر الفائح أن النبي ﷺ قال لعلي: «تختم بالعقيق الأحمر فإنه جبل أقر الله بالوحدانية ولي بالنبوة ولك بالوصية ولأولادي بالإمامة ولمحببك بالجنة». وعنه عليه السلام قال: «عليكم [بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم وأعجب إلى نساءكم]». وعنه عليه السلام قال: «عليكم [بالحناء فإنه خضاب الإسلام ويصفي البصر ويذهب الصداع وإياكم والسواد]»، وعنه عليه السلام قال: «إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء، وإن أحب الثياب إلى الله الأبيض». وقال النسفي: أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه، فاختار كل واحد منهما الحياة فأوحى الله إليهما أفلا كنتما كعلي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات على فراشه يؤثره بنفسه اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه فكان ميكائيل عند رأسه وجبريل عند رجله فقال جبريل: من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة؟ وقال الحسن: حيا النبي ﷺ بكلتا يديه ورداً وقال سيد رياحين الجنة سوى الآس. وقال طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ [التين: ١] هو أبو بكر ﴿وَالَّذِينَ﴾ [التين: ١] عمر ﴿وَمُطَرِّبِينَ﴾ [التين: ٢] عثمان ﴿وَعَفَا أَلَيْكَ الْآلَمِينَ﴾ [التين: ٣] علي بن أبي طالب. وفي حديث: أنا مدينة [العلم] وعلي بابها.

فائدة: نزل جبريل بطبق تفاح وقال: يا محمد أعط من تحب وكان الطبق مستوراً فأدخل يده وأخذ تفاحة على جانبها بسم الله الرحمن الرحيم هذه هدية من الله لأبي بكر الصديق وعلى الجانب الآخر من أبغض الصديق فهو زنديق، ثم أخذ أخرى على جانبها البسملة [فيه] هذه هدية من الله الملك الوهاب لعمر بن الخطاب وعلى الآخر من أبغض عمر فهو في سقر، ثم أخذ أخرى على جانبها البسملة هذه هدية من الله الحنان المنان لعثمان بن عفان وعلى الآخر من أبغض عثمان فخصمه الرحمن، ثم أخذ أخرى على جانبها البسملة هذه هدية من الله الغالب لعلي بن أبي طالب وعلى الجانب الآخر من أبغض علياً لم يكن لله ولياً، فحمد الله محمد ﷺ. قال النسفي وغيره: لما دخل النبي ﷺ الجنة ليلة المعراج ورأى قصر خديجة أخذ جبريل تفاحة من شجرة من القصر وقال: يا محمد كل [من] هذه

فإن الله تعالى يخلق منها بنتاً تحمل بها خديجة ففعل فلما حملت خديجة بها وجدت رائحة الجنة لسبعة أشهر فلما وضعتها انتقلت الرائحة إليها، فكان النبي ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة، فلما كبرت قال: يا ترى هذه الحورية لمن؟ فجاءه جبريل في بعض الأيام وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: اليوم كان عقد فاطمة في موطنها في قصر أمها في الجنة الخاطب إسرافيل وجبريل وميكائيل الشهيد والولي رب العزة والزوج علي بن أبي طالب. وقال أنس: بينما النبي ﷺ في المسجد إذ قال لعلي بن أبي طالب: هذا جبريل يخبرني أن الله تعالى زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت فنثرت عليهم فابتدر الحور العين يلتقطن في أطباق الدر والياقوت والحل والحلل فهم يتهادونه إلى يوم القيامة.

وفي رواية قال: أبشر يا أبا الحسن فإن الله تعالى زوجك في السماء قبل أن أزوجك في الأرض، ولقد هبط عليّ ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أر قبله في الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى فقال: السلام عليك يا محمد أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فقلت: وما ذاك؟ قال: يا محمد أنا الملك الموكل بإحدى قوائم العرش سألت ربي أن يأذن لي بشارتك وهذا جبريل على أثري يخبرك عن كرامة ربك لك فما تم كلامه حتى نزل جبريل وقال: السلام عليك يا رسول الله ثم وضع في يده حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور فقلت: ما هذه الخطوط؟ قال: إن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختراك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع عليها ثانياً فاختر لك منها أحماً ووزيراً وصاحباً فزوجه ابنتك فاطمة، فقلت: يا جبريل من هذا الرجل؟ قال: أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب وإن الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي، وإلى الحور أن تزيني، وإلى شجرة طوبى كما تقدم. وقال جابر بن عبد الله: دخلت أم أيمن على النبي ﷺ - وهي تبكي - فسألها عن ذلك فقالت: دخلت على رجل من الأنصار قد زوج بنته ونشر عليها اللوز والسكر فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً فقال: والذي بعثني بالكرامة واستخصني بالرسالة إن الله لما زوج علياً فاطمة أمر الملائكة المقربين أن يحذقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وأمر الجنان أن تزخرف والحور العين أن تزين ثم أمرها أن ترقص فرقصت ثم أمر الطيور أن تغني فغنت ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر.

وفي الرواية: كان الزواج عند سدرة المنتهى ليلة المعراج وأوحى الله تعالى إليها أن انثري ما عليك فنثرت الدر والجوهر والمرجان، هذا كذب مفترى ما أنزل الله به من سلطان قاتل الله واضعه ما أشد عذابه في النيران، والحمد لله الذي جعلنا من حماة السنة بمحمد وآله.

والمسؤول من موالينا وساداتنا علماء الإسلام وحسنات الليالي والأيام جمل الله تعالى بوجودهم وأفاض على المسلمين من بركاتهم وجودهم إمعان النظر فيما سطر في هذه الكراسة هل يجوز أن يدون في كتاب ويسمى نزهة المجالس ومنتخب النفائس ويتداوله من

لا معرفة له تميز بين الصحيح والسقيم؟ ويكتبه أو يستكتبه ويقرأ وينقل منه على الكراسي والمنابر، وماذا يجب على من استهدف وجمعه بعد أن طلبه خادم السنة الفقير إبراهيم الناجي ونصحه ونهاه وفارقه قائلاً: رجعت عنه كما رجع الإمام الشافعي عن القول القديم ثم عاد إلى ما كان عليه ودعا الناس إليه؟ وهل يؤمر بإعدامه وما وجد من نسخه مع أن ما اختصر من الكتابة منه خشية الإطالة من هذه المقولة أكثر مما كتب أم يبقى على حاله؟ أمعنوا في الجواب بؤاكم الله زلفى وحسن المآب.

٥٠ - الدرة التاجية على الأسئلة الناجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد فقد وردت هذه الأحاديث من دمشق من محدثها الشيخ برهان الدين الناجي وصحبته كتاب يتضمن أنه أنكر على رجل أودعها تصنيفاً له وأنها باطلة وسأل في الكتابة بذلك فرأيت كثيراً منها كما قال: وفيها أحاديث واردة بعضها مقبول وبعضها فيه مقال وها أنا أتكلم عليها حديثاً حديثاً.

الحديث الأول: حديث من لم يكن عنده ما يتصدق به فليعلن اليهود - أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث عائشة. والخطيب في تاريخه من حديث أبي هريرة وإسنادهما ضعيف وليس فيه زيادة والنصارى.

الحديث الثاني: حديث الغريب أخرجه الديلي في مسند الفردوس وقال: أنا ابن مندويه ثنا أبو نعيم ثنا الغطريفي ثنا ابن خزيمة [ثنا أحمد بن منصور] ثنا رافع بن أشرس ثنا النضر بن كثير عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً فذكره باللفظ المذكور في السؤال - وله شواهد - قال الطبراني في الكبير: ثنا حجاج بن عمران السدوسي ثنا عمرو بن الحصين العقيلي ثنا محمد بن عبد الله بن علاثة عن الحكم بن أبان عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: موت الغريب شهادة إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريباً وذكر أهله وولده وتنفس فله بكل نفس تنفسه يمحو الله عنه ألفي سيئة ويكتب له ألفي حسنة - عمرو بن الحصين متروك.

الحديث الثالث: حديث الغريب أيضاً قال ابن جرير في تفسيره: ثنا يحيى بن طلحة ثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو السكسكي عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدا غريباً وسيمود غريباً ألا لا غربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] ثم قال: «إنهما لا يبكيان على كافر» - أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت - ثنا محمد بن عبد الله المدني ثنا إسماعيل بن عباس حدثني صفوان بن عمرو به.

الحديث الرابع: حديث من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله - قال سمويه - في فوائده - ثنا سعيد بن سليمان ثنا موسى بن خالد عن القاسم العجلي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل، وأخرجه الطبراني في الأوسط ثنا سعيد بن محمد بن المغيرة الواسطي ثنا سعيد بن سليمان ثنا موسى بن خلف العمي ثنا القاسم العجلي به، وقال: لم يروه عن القاسم إلا موسى تفرد به سعيد.

الحديث الخامس: قال ابن عباس: التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء وكان النبي ﷺ يتوكأ عليها - أخرجه ابن عدي هكذا - وقال الديلمي في مسند الفردوس: أنا عبدوس إجازة عن أبي بكر الشيرازي ثنا محمد بن عمران الجرجاني ثنا علي بن الفضل بن نصر يبلغ ثنا علي بن إسماعيل بن الفضل وكان معدلاً ثنا عبد الله بن عاصم المروزي ثنا يحيى بن هاشم الغساني عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: حمل العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء، وأخرج الديلمي من طريق وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رفعه: كانت للأنبياء كلهم مخصرة يتخصرون بها تواضعاً لله عز وجل [قوله: وكان النبي ﷺ يتوكأ عليها] أخرج البزار في مسنده، والطبراني بسند ضعيف عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «أن اتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم». وأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو متوكئ على عصا. وأخرج الطبراني عن عبد الله بن أنيس أنه أقبل إلى رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ عصا يتخصر بها فناولها إياه.

الحديث السادس: ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه - أخرجه ابن عساكر في تاريخه، والديلمي قال: أنا أبي أنا عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي أنا أبو حسان محمد بن أحمد بن محمد المزني أنا إبراهيم بن محمد الوراق أنا سعيد بن هاشم بن مزيد ثنا محمد بن هاشم البعلبكي أنا أبي ثنا يزيد بن زياد الدمشقي ثنا حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلاً على الناس. وقال الخطيب في تاريخه: أخبرني محمود بن عمر العكبري أنا أبو طالب عبد الله بن محمد بن عبد الله أنا عمي أبو العباس أحمد بن عبد الله فيما أجازة لنا أن أحمد بن عيسى المصري حدثهم قال: ثنا يغثم بن سالم بن قنبر عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلاً على الناس». وأخرجه الديلمي من وجه آخر عن أحمد بن عيسى به، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان قال: ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ولكن يتناولون من كل.

الحديث السابع: حديث عمار بن ياسر: أيما امرأة خانت زوجها في الفراش فعليها

نصف عذاب هذه الأمة.

الحديث الثامن: من مات وهو يعمل عمل قوم لوط - الحديث قال الخطيب في تاريخه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله تعالى إليهم حتى يحشر معهم»، عيسى بن مسلم الصفار منكر الحديث - وله شاهد أخرجه ابن عساكر عن وكيع قال: سمعنا في حديث من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم.

الحديث التاسع: حديث يمسح الله اللوطي في قبره خنزيراً - أخرجه أبو الفتح الأزدي في كتاب الضعفاء، وابن الجوزي من طريق مروان بن محمد السنجاري عن مسلم بن خالد الزنجي عن إسماعيل بن أم درهم عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً: اللوطي إذا مات ولم يتب مسخ في قبره خنزيراً وسنده واه.

الحديث العاشر: حديث أنس مرفوعاً الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة - أخرجه الحافظ أبو محمد الخلال في كرامات الأولياء، والديلمي في مسند الفردوس من طريق إبراهيم بن الوليد الجشاش - ثنا أبو عمر الغدائي ثنا أبو سلمة الخراساني عن عطاء عن أنس مرفوعاً به.

الحديث الحادي عشر: حديث حذيفة مرفوعاً: أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل. أخرجه ابن السني، وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي، والخطيب في تاريخه من طريق محمد بن الحجاج الواسطي عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبي ليلى، وربيعي عن حذيفة به ومحمد بن الحجاج كذاب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

الحديث الثاني عشر: حديث: نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفىء الغضب ويذهب بالبلغم ويصفي اللون ويطيب النكهة - أخرجه ابن السني، وأبو نعيم معاً في الطب النبوي، وابن حبان في الضعفاء، والخطيب في تلخيص المتشابه من طريق أبي العباس بن قتيبة ثنا سعيد بن زياد بن فايد بن زياد بن أبي هند الداري عن أبيه عن جده عن أبيه عن أبي هند مرفوعاً به، قال الأزدي: سعيد بن زياد متروك. وقال ابن حبان: لا أدري البلية ممن هي أمته أو من أبيه أو من جده؟

الحديث الثالث عشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً: ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل - أخرجه أبو نعيم في الطب ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن العباس بن أيوب ثنا العباس بن الحسن البلخي ثنا الجوسي أنا علي بن عروة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً به، وعلي بن عروة متروك.

الحديث الرابع عشر: حديث: أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليماً - أخرجه أبو عبد الله بن منده في أخبار أصبهان، والخطيب، وابن عساكر في تاريخهما من طريق سليمان بن عمرو عن سعد بن طارق الأشجعي عن سلمة بن قيس مرفوعاً به - وسليمان كذاب - وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

الحديث الخامس عشر: حديث: أطعموا حبلاكم اللبان - الحديث - أخرجه أبو نعيم في الطب ثنا محمد [عبد الرحمن بن الفضل ثنا علي بن جعفر ثنا محمد] بن أحمد بن العلاء النبعي ثنا الحارث بن محمد بن الحارث بن إسحاق ثنا إبراهيم بن محمد الفريابي ثنا الفضل بن العباس التيمي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: أطعموا حبلاكم اللبان فإن يكن في بطنها ذكر يكن ذكي القلب وإن تكن أنثى يحسن خلقها وتعظم عجيزتها.

الحديث السادس عشر: حديث: كلوا السفرجل فإنه يجلو عن الفؤاد - أخرج الطبراني والحاكم، في المستدرک، وأبو نعيم في الطب، والضياء في المختارة عن طلحة قال: دخلت على النبي ﷺ - وفي يده سفرجلة - فرمى بها إلي وقال: دونكها أيا محمد فإنها تجم الفؤاد - وفي لفظ: فإنها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاوة الصدر. وأخرج ابن السني، وأبو نعيم معاً في الطب عن جابر بن عبد الله قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ سفرجلة من الطائف فأكلها وقال: كلوه فإنه يجلو عن الفؤاد ويذهب طخاء الصدر. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: جاء جابر بن عبد الله إلى النبي ﷺ بسفرجلة قدم بها من الطائف فناوله إياها فقال رسول الله ﷺ: إنه يذهب بطخاوة الصدر ويجلو الفؤاد. وأخرج ابن السني، وأبو نعيم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: كلوا السفرجل على الريق فإنه يذهب وقر الصدر^(١).

الحديث السابع عشر: إذا دخل المؤمن قبره - الحديث - أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق داود بن صغير عن أبي عبد الرحمن البراء عن أنس مرفوعاً: ما مات مخضوب ولا دخل القبر إلا ومنكر ونكير لا يسألانه يقول منكر يا نكير سائله فيقول: كيف أسأله ونور الإسلام عليه. قال ابن الجوزي: داود منكر الحديث.

الحديث الثامن عشر: قال أنس: دخل رجل على النبي ﷺ وهو أبيض الرأس واللحية فقال: أأنت مسلم؟ قال: بلى قال فاخضب - أخرجه أبو يعلى في مسنده ثنا الجراح بن مخلد ثنا إسماعيل بن عبد الحميد بن عبد الرحمن العجلي ثنا علي بن أبي سارة عن ثابت عن أنس به.

الحديث التاسع عشر: عن أبي بن كعب مرفوعاً: من سرح رأسه ولحيته كل ليلة عوفي من أنواع البلاء أخرجه تمام في فوائده أنا إبراهيم بن محمد بن سنان، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن قالوا: ثنا زكريا بن يحيى ثنا الفتح بن نصر بن عبد الرحمن الفارسي ثنا حسان بن غالب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب به، وحسان وثقه ابن يونس وحمل عنه ابن حبان وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريقه وقال: منكر بمرّة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(١) الوغر: شدة الحر.

الحديث العشرون: حديث أن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصيام والجهاد وما يجزى إلا على قدر عقله - أخرجه الطبراني في الأوسط . والعقيلي في الضعفاء والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن عمر - وسنده ضعيف .

الحديث الحادي والعشرون: حديث عن بعض الصحابة نهى النبي ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم - هذا أخرجه أبو داود، والنسائي، والحاكم والبيهقي في السنن هكذا - وبهذا ومثله يستدل على أن الناجي لم يكن له من الحفظ نصيب .

الحديث الثاني والعشرون: حديث ابن عباس من سعادة المرء خفة لحيته - أخرجه الطبراني، والخطيب - وضعفه - وأورد ابن الجوزي في الموضوعات وقيل «إن فيه تصحيفاً وإنما هو خفة لحيته بذكر الله حكاه الخطيب .

الحديث الثالث والعشرون: حديث: دعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب في خيبر فطلعت بعدما غربت هذا ثابت - وله طرق كثيرة - استوعبتها في التعقبات على موضوعات ابن الجوزي .

الحديث الرابع والعشرون: حديث: «من قطع سدره صوب الله رأسه في النار» هذا أخرجه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن حنبل، وصححه الضياء المقدسي في المختارة . وأخرجه الطبراني في الأوسط وزاد في آخره: «يعني من سدر الحرم» وأخرجه البيهقي في سننه من حديث جابر بن عبد الله، ومن حديث عائشة، ومن حديث عمرو بن أوس الثقفي، ومن حديث علي، ومن حديث معاوية بن حيدة، ومن مرسل عروة وتكلم الناس على تأويل الحديث، ومثل هذا لا يخفى على من له أدنى حفظ، وقد أفردت فيه مؤلفاً سميته رفع الخدر عن قطع السدر .

الحديث الخامس والعشرون: حديث سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل: وما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وأهاويل الآخرة - أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن، وابن مردويه في التفسير، والبيهقي في شعب الإيمان، والخطيب في تاريخه من حديث أبي بكر الصديق وسنده ضعيف، وأخرجه الخطيب أيضاً من حديث أنس مثله .

الحديث السادس والعشرون: حديث: من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً كان هو ومولوده في الجنة - أخرجه ابن بكير في فضل من اسمه محمد . وأحمد من حديث أبي أمامة وسنده عندي على شرط الحسن .

الحديث السابع والعشرون: حديث: يا علي سألت الله أن يقدمك فأبى إلا تقديم أبي بكر - أخرجه الدارقطني في الأفراد، والخطيب، وابن عساكر في تاريخيهما من حديث علي وسنده ضعيف .

الحديث الثامن والعشرون: حديث: أبي بن كعب مرفوعاً: أول من يصفحه الحق عمر

وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة - هذا أخرجه ابن ماجه في سننه، والحاكم في مستدركه، وابن عدي في كامله وسنده ضعيف.

الحديث التاسع والعشرون: حديث مر رجل فقالوا: هذا مجنون فقال رسول الله ﷺ: المجنون المقيم على معصية الله ولكن قولوا مصاب، أخرجه تمام في فوائده من حديث أبي هريرة، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات من حديث أنس.

الحديث الثلاثون: حديث: دخلت الجنة فناولني جبريل فتفاحة فانفلقت عن حوراء عينا مرضية كأن مقادير عينها أجنحة النسر فقلت لمن أنت؟ قالت للخليفة المقتول ظلماً عثمان بن عفان، أخرجه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة، والطبراني في الأوسط، والعقيلي في الضعفاء من حديث عقبة بن عامر، وأخرجه الخطيب في تاريخه من حديث أنس، ومن حديث ابن عمر، وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث أنس بن أوس الثقفي، وأخرجه أبو يعلى من حديث شداد بن أنس وأسانيدها ضعيفة وأمثلها حديث عقبة.

الحديث الحادي والثلاثون: حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً: إن الله تعالى يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له حتى يفرغ - أخرجه ابن عساکر في تاريخه، والديلمي في مسنده الفردوس من طريقين عن الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر وهؤلاء ثقات معروفون غير أن الوليد يدلّس التسوية، وله طريق أخرى عن أنس واهية أخرجه ابن عساکر في تاريخه.

الحديث الثاني والثلاثون: حديث أبي ذر: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: أنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل - أخرجه البزار في مسنده وسنده ضعيف.

الحديث الثالث والثلاثون: حديث أنه قال لعلي: أنت سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين - أخرجه البزار، وابن قانع في معجمه، والباوردي في المعرفة، والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن أسعد بن زرارة عن أبيه - وسنده ضعيف.

الحديث الرابع والثلاثون: حديث: مكتوب على باب الجنة محمد رسول الله عليّ أخو رسول الله قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام - أخرجه الطبراني في الأوسط وسنده ضعيف.

الحديث الخامس والثلاثون: حديث: عليكم بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم وأعجب إلى نسائكم - أخرجه ابن ماجه في سننه من طريق صهيب بلفظ إن أحسن ما اختضبتن به لهذا السواد أرغب إلى نسائكم وأهيب لكم في صدور عدوكم.

الحديث السادس والثلاثون: حديث: عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام ويصفي البصر ويذهب الصداع وإياكم والسواد - ورد مرفقاً في عدة أحاديث.

الحديث السابع والثلاثون: حديث: إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء وأن أحب الثياب إلى

الله البيض - أخرجه الطبراني ثنا الحسن بن علي الهمعري ثنا سليمان بن محمد المبارك ثنا أبو شهاب عن حمزة النصيبي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالمعزى خيراً فإنها مال رقيق أي ليس له صبر الضأن على الجفاء وشدة البرد وهو في الجنة وأحب المال إلى الله الضأن، وعليكم بالبيض فإن الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم، وأن دم الشاة البيضاء أعظم عند الله من دم السوداءين.

الحديث الثامن والثلاثون: حديث من عمل فرقة بين امرأة وزوجها. الحديث - أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عباس مرفوعاً: من عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان في غضب الله ولعنته في الدنيا والآخرة وكان حقاً على الله أن يضربه بصخرة من نار جهنم إلا أن يتوب، وسنده ضعيف.

الحديث التاسع والثلاثون: حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها^(١) أخرجه الترمذي من حديث علي، والطبراني والحاكم وصححه من حديث ابن عباس - وحسنه الحافظان: العلائي، وابن حجر.

الحديث الأربعون: حديث من قال: اللهم صل على محمد وآل محمد واجز محمد ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح قال الطبراني: ثنا أحمد بن رشدين ثنا هانيء بن المتوكل الإسكندراني ثنا معاوية بن صالح عن جعفر بن محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من قال جزى الله محمدًا عنا ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح.

حديث حذيفة: صلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة فلما انصرف قال أين أبو بكر؟ الحديث - أخرجه أبو الحسين بن المهدي بالله في فوائده، وقال الذهبي في الميزان: إنه منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وما عدا ذلك من الأحاديث المسؤول عنها فمقطوع ببطالانه والله أعلم.

٥١ - رفع الخدر عن قطع السدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو داود في سننه: باب في قطع السدر ثنا نصر بن علي ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدره صوب الله رأسه في النار» أخرجه أبو مسلم الكجي في سننه ثنا أبو عاصم عن ابن جريج به، وأخرجه البيهقي في سننه وقال: لا أدري هل سمع سعيد من عبد الله بن حبشي أم لا ويحتمل أن يكون سمعه، وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة. وقال الطبراني في الأوسط: ثنا أبو مسلم ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد عن عبد الله بن حبشي قال: قال

(١) قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال - بعد ما أورده - هذا موضوع.

رسول الله ﷺ: «من قطع سدره صوب الله عز وجل رأسه في النار» - يعني من سدر الحرم - وقال البيهقي في سننه: أنا أبو عبد الله الحافظ أنا محمد بن يحيى الصلحي بقم الصلح ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم ثنا يزيد بن موهب الرملي ثنا مسعدة بن اليسع عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدره صوب الله رأسه في النار» قال أبو عبد الله: قال أبو علي الحافظ: هكذا كتبناه من حديث مسعدة وهو خطأ، وإنما رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عروة - قوله قال البيهقي: أخبرناه أبو عبد الله أنا أبو علي أنا علي بن الحسن بن سلمة ثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ثنا أبو أسامة عن ابن جريج، فصارت رواية نصر بن علي عن أبي أسامة بهذا مغلولة، قال البيهقي: ويحتمل أن يكون أبو أسامة رواه على الوجهين قال: وقد رواه معمر كما أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عثمان بن أبي سليم عن رجل من ثقيف عن عروة بن الزبير يرفع الحديث في الذي يقطع الصدر قال: يصب عليه العذاب وقال يصوب رأسه في النار، قال: فسألت بني عروة عن ذلك فأخبروني أن عروة قطع سدره كانت في حائط فجعل باباً لحائط.

قال البيهقي: يشبه أن يكون الرجل من ثقيف عمرو بن أوس فقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن أبي عثمان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يقطعون الصدر يصبهم الله على رؤوسهم في النار صباء» قال البيهقي: هذا هو محمد بن شريك المكي هذا هو المحفوظ عنه مرسلًا، وقد رواه القاسم بن أبي شيبه عن وكيع عن محمد بن شريك العامري عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يقطعون الصدر يصبون في النار على رؤوسهم صباء» أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو علي الحافظ أنا الحسين بن إدريس الأنصاري ثنا القاسم بن أبي شيبه فذكره، قال أبو علي: ما أراه حفظه عن وكيع وقد تكلموا فيه - يعني القاسم - والمحفوظ رواية أبي أحمد الزبيري ومن تابعه على روايته عن محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة أن رسول الله ﷺ مرسلًا انتهى.

قلت: قد توبع القاسم عن وكيع على وصله: قال الطبراني في الأوسط: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا مליح بن وكيع بن الجراح ثنا أبي عن محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يقطعون الصدر يصبون في النار على وجوههم صباء» قال الطبراني: لم يروه عن عمرو إلا محمد تفرد به مליح بن وكيع عن أبيه هكذا قال: وقد علمت أنه لم ينفرد به بل تابعه القاسم بن أبي شيبه، قال البيهقي: وأنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل الصفار أنا أحمد بن منصور أنا عبد الرزاق أنا إبراهيم بن يزيد ثنا عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس قال: أدركت شيخاً من ثقيف قد أفسد الصدر زرعه فقلت: ألا تقطعه؟ فإن رسول الله ﷺ قال: إلا من زرع فقال:

أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قطع السدر إلا من زرع صب عليه العذاب صبا» فأنا أكره أن أقطعه من الزرع ومن غيره.

قال البيهقي: فهذا إسناد آخر لعمر بن أوس سوى روايته عن عروة إن كان حفظه إبراهيم بن يزيد قال: وقد روي عن إبراهيم بن يزيد كما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو يزيد أحمد بن محمد بن وكيع ثنا إبراهيم بن نصر الضبي ثنا صالح بن مسمار ثنا هشام بن سليمان حدثني إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أخرج فأذن في الناس من الله لا من رسوله لعن الله قاطع السدر» قال: وأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ أنا محمد بن عمران بن خزيمة الدينوري أبو بكر ثنا أبو عبد الله المخزومي سعيد بن عبد الرحمن ثنا هشام بن سليمان عن ابن جريج حدثني إبراهيم بن يزيد المكي عن عمر بن دينار عن الحسن بن محمد بن علي عن أبيه عن علي فذكره، قال أبو علي: هكذا قال لنا هذا الشيخ، وابن جريج في إسناده وهم، ورواه إبراهيم بن المنذر عن هشام بن سليمان عن إبراهيم بن يزيد ولم يذكر ابن جريج في إسناده وهو الصواب.

قلت: وكذا رواه غيره عن هشام قال الطبراني في الأوسط: ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا صالح بن مسمار ثنا هشام بن سليمان عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن علي عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أخرج فناد في الناس لعن الله قاطع السدر» قال الطبراني: لم يروه عن الحسن إلا عمرو ولا عنه [إلا] إبراهيم ولا عنه إلا هشام ثم قال البيهقي: ورواه علي بن ثابت عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي مرسلًا، قال البيهقي: ورواه علي بن هاشم بن البريد عن إبراهيم الخوزي عن عمرو بن دينار. وسلمان الأحول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمرو بن أوس الثقفي عن النبي ﷺ وقال: إلا من زرع قال أبو علي الحافظ: حديث إبراهيم بن يزيد مضطرب وإبراهيم ضعيف.

قلت: هذا الطريق أخرجه^(١) قال البيهقي: ورواه المثنى بن الصباح عن عمر عن أبي جعفر كما أخبرنا علي بن بشران أنا إسماعيل الصفار ثنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق قال: سمعت المثنى بن الصباح يحدث عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال: قال النبي ﷺ لعلي في مرضه الذي مات فيه: «أخرج يا علي فقل عن الله لا عن رسول الله لعن الله من يقطع السدر» وقال البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ حدثني الزبير بن عبد الواحد الحافظ ثنا محمد بن نوح الجنديسابوري ثنا عبد القدوس بن عبد الكبير بن شعيب بن الحجاب ثنا عبد القاهر بن شعيب عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «قاطع السدر يصبوب الله رأسه في النار» وقال أنا أبو عبد الله ثنا الزبير بن

(١) هذا البياض في جميع الأصول.

عبد الواحد الحافظ أنا أبو علي محمد بن سليمان المالكي ثنا زيد بن أخزم أنا يحيى بن الحارث عن أخيه مخارق بن الحارث عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من الله لا من رسوله لعن الله عاضد السدر» وقال أبو داود: ثنا عبيد الله ابن عمر بن ميسرة، وحמיד بن مسعدة قالوا: ثنا حسان بن إبراهيم قال: سألت هشام بن عروة عن قطع السدر - وهو مستند إلى قصر عروة - فقال ترى هذه الأبواب والمصاريع إنما هي من سدر عروة - كان عروة يقطعه من أرضه - وقال لا بأس به، زاد حميد وقال: يا عراقى جئتني ببدة قال قلت: إنما البدة من قبلكم سمعت من يقول هذا لعن رسول الله ﷺ من قطع السدر، قال أبو داود: يعني من قطع السدر في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها.

قال البيهقي: وقد قرأت في كتاب أبي الحسن العاصمي روايته عن أبي عبد الله محمد بن يوسف عن محمد بن يعقوب بن الفرج عن أبي ثور أنه قال: سألت أبا عبد الله الشافعي عن قطع السدر فقال: لا بأس به قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اغسله بماء وسدر» فيكون محمولاً على ما حمله عليه أبو داود، وروينا عن عروة بن الزبير أنه كان يقطعه من أرضه وهو أحد رواة النهي فيشبه أن يكون النهي خاصاً كما قال أبو داود.

وقرأت في كتاب أبي سليمان الخطابي أن إسماعيل بن يحيى المزني سئل عن هذا فقال: وجهه أن يكون ﷺ سئل عن هجم على قطع السدر لقوم أو لتييم أو لمن حرم الله أن يقطع عليه فتحامل عليه بقطعه فاستحق ما قاله، فتكون المسألة سبقت السامع فسمع الجواب ولم يسمع المسألة، وجعل نظيره حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الربا في النسيئة» فسمع الجواب ولم يسمع المسألة، وقد قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل يداً بيد» واحتج المزني بما احتج به الشافعي من إجازة النبي ﷺ أن يغسل الميت بالسدر، ولو كان حراماً لم يجز الانتفاع به. قال: والورق من السدر كالغصن وقد سوى رسول الله ﷺ فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره فلما لم يمنع من ورق السدر دل على جوازه قطع السدر انتهى.

قلت: والأولى عندي في تأويل الحديث أنه محمول على سدر الحرم كما وقع في رواية الطبراني. وقال ابن الأثير في النهاية قيل: أراد به سدر مكة لأنها حرم. وقيل: سدر المدينة نهى عن قطعه ليكون أنساً وظلاً لمن يهاجر إليها، وقيل: أراد السدر الذي يكون في الفلاة يستظل به أبناء السبيل والحيوان. أو في ملك الإنسان فيتحامل عليه ظالم فيقطعه بغير حق، قال: ومع هذا فالحديث مضطرب الرواية فإن أكثر ما يروى عن عروة بن الزبير - وكان هو يقطع السدر ويتخذ منه أبواباً - وأهل العلم مجمعون على إباحة قطعه انتهى.

وبقي للحديث طرق فأتت البيهقي، قال أبو مسلم الكجي في سننه: ثنا الرمادي ثنا سفيان عن عثمان بن أبي سليمان عن ابن عم له يقال له حسين عن رجل من أهل الطائف عن عبد الله بن شديد، وعن أبي إسحاق الدوسي رفعه أحدهما قال: قال النبي ﷺ: «الذين

يقطعون السدر يصب الله عليهم العذاب صباً» وقال الآخر ولم يرفعه: «من قطع سدره صوب الله رأسه في نار جهنم».

٥٢ - العرف الوردي في أخبار المهدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاتته ورمزت عليه صورة «ك».

أخرج «ك» ابن جرير في تفسيره عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤] قال: هم الروم كانوا ظاهروا بخت نصر على خراب بيت المقدس. وفي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا حَافِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] قال: فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها. وفي قوله ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة: ١١٤] قال: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي.

وأخرج «ك» أحمد، وابن أبي شيبة، وابن ماجه، ونعيم بن حماد في الفتن عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

وأخرج «ك» أبو داود، ونعيم بن حماد، والحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة أفنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد [قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبين أفنى الأنف» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد] عن النبي ﷺ قال: «المهدي منا أهل البيت رجل من أمتي أشم الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج «ك» أبو داود، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وأخرج ابن ماجه، وأبو نعيم عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن سبعة ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي» وأخرج أحمد، والباوردي في المعرفة، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي رجل من قريش [من عترتي] يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويقسم المال صحاحاً» - فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس - «ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسمعهم عدله حتى أنه يأمر منادياً فينادي من له حاجة إليّ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول

اثت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالاً فيقول: [إحث فيحني ولا يستطيع أن يحمله فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول] أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً كلهم دعى إلى هذا المال فتركه غيري فيرده عليه فيقول إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعده.

وأخرج «ك» أبو داود، والطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج «ك» أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة، والطبراني، والدارقطني في الأفراد، وأبو نعيم، والحاكم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج «ك» الطبراني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي».

وأخرج «ك» أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو داود عن علي عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» وأخرج أبو داود، ونعيم بن حماد في الفتن عن علي أنه نظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ سيخرج من صلبه رجل يسمى اسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر القصة - وزاد يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، وأبو يعلى، والطبراني عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غزيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض يلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وأخرج «ك» أبو داود عن علي قال: قال النبي ﷺ: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء - أو يمكن - لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته».

هذا آخر ما أورده أبو داود فى باب المهدي من سننه، وأخرج الترمذي وصححه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي» وأخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي، وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن فى أممي المهدي يخرج يعيىش خمساً أو سبعمائة أو تسعمائة - زيد الشاك - فيجيء إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحني له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد، وابن ماجه عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «يكون فى أممي المهدي إن قصد فسبع وإلا فتسع فتتعم فى أممي نعمة لم يسمعوها بمثلها قط يؤتى أكلها ولا تدخر عنهم شيئاً والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذوا» وأخرج ابن أبي شيبة، ونعيم بن حماد فى الفتن، وابن ماجه، وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه فقلت: ما نزال نرى فى وجهك شيئاً تكرهه؟ فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإنه المهدي» قال الحافظ عماد الدين بن كثير: فى هذا السياق إشارة إلى ملك بني العباس وفيه دلالة على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس. وأخرج ابن ماجه، والحاكم وصححه، وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا تصير إلى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ثم يجيئ خليفة الله المهدي فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي».

وأخرج «ك» ابن ماجه، والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي سلطانه».

وأخرج «ك» أحمد، والترمذي، ونعيم بن حماد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من خراسان رايات سود فلا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء» قال ابن كثير: هذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية بل رايات سود آخر تأتي صحبة المهدي.

وأخرج «ك» البزار، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني عن قرّة المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «لتملؤون الأرض جوراً وظلماً فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها يمكث فيهم سبعمائة أو ثمانمائة فإن أكثر فتسعا».

وأخرج «ك» البزار عن أنس: «أن النبي ﷺ كان نائماً فى بيت أم سلمة فانتبه وهو

يسترجع فقالت: يا رسول الله مم تسترجع؟ «قال: من قبل جيش يجيء من قبل العراق في طلب رجل من أهل المدينة يمنعه الله منهم فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم فلا يدرك أعلاهم أسفلهم ولا يدرك أسفلهم أعلاهم إلى يوم القيامة».

وأخرج «ك» البزار عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في أمتي خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدأ» وأخرج أحمد عن أبي سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أمرائكم أميراً يحثو المال حثواً ولا يعده يأتيه الرجل فيسأله فيقول خذ فيسقط ثوبه فيحثو فيه فيأخذه ثم ينطلق».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب حتى ينادي مناد من السماء إن أميركم فلان» وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه».

وأخرج «ك» أبو نعيم، والخطيب في تلخيص المتشابه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي إن هذا المهدي فاتبعوه».

وأخرج «ك» ابن أبي شبة عن عاصم بن عمر البجلي قال: لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الدليل ولا يمتنع منه الدليل.

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط من طريق عمر بن علي عن علي بن أبي طالب «أنه قال للنبي ﷺ: أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: «بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك» وأخرج نعيم بن حماد، وأبو نعيم من طريق مكحول عن علي «قال قلت: يا رسول الله أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟» فقال: «لا بل منا يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط، والحاكم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يباع لرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر فيأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام فيغزوهم جيش من أهل الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يسير ملك المشرق إلى ملك المغرب فيقتله فيبعث جيشاً إلى المدينة فيخسف بهم ثم يبعث جيشاً فينشأ ناس من أهل المدينة فيعوذ عائذ بالحرم فيجتمع الناس إليه كالطائر الواردة المتفرقة حتى يجمعهم إليه ثلاثمائة وأربعة عشر منهم نسوة فيظهر على كل جبار وابن جبار ويظهر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم فيجيء سبع سنين ثم ما تحت الأرض خير مما فوقها».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط عن ابن عمر «أن النبي ﷺ أخذ بيد علي فقال: سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فإنه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط عن أم حبيبة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج ناس من قبل المشرق يريدون رجلاً عند البيت حتى إذا كانوا ببهاء من الأرض خسف بهم».

وأخرج «ك» الطبراني في الأوسط، ونعيم، وابن عساكر عن علي: «أن رسول الله ﷺ قال: يكون في آخر الزمان فتنة تحصل^(١) الناس كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا شرارهم فإن فيهم الأبدال يوشك أن يرسل على أهل الشام سيب^(٢) من السماء فيغرق جماعتهم حتى لو قابلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي ثلاث رايات المكثر يقول: هم خمسة عشر ألفاً والمقلل يقول هم اثنا عشر ألفاً أمارتهم أمت أمت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيهم» وأخرج نعيم بن حماد، والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال: «ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم فإن فيهم الأبدال وسيرسل الله سيباً من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً إن قتلوا وخمسة عشر ألفاً إن كثروا أمارتهم - أي علامتهم - أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك فيقتلون ويهزمون ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال» وأخرج الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج رجل من أهل بيتي يقول بسنتي ينزل الله له القطر من السماء وتخرج له الأرض من بركتها تملأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس».

وأخرج «ك» الدارقطني في الأفراد، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع سنين ينعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها البر منهم والفاجر يرسل الله عليهم السماء مدراراً ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات ويكون المال كدوساً يقول الرجل يا مهدي أعطني فيقول خذ»

وأخرج «ك» أبو يعلى عن أبي هريرة قال: «حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق قلت: وكم يملك؟ قال خمساً واثنتين».

(١) هو - بتشديد الصاد المهملة - أي تخلص.

(٢) أي مطر.

وأخرج «ك» أبو يعلى، وابن عساكر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان عند تظاهر من الفتن وانقطاع من الزمن أمير أول ما يكون عطاؤه للناس أن يأتيه الرجل فيحشي له في حجره بهم من يقبل منه صدقة ذلك المال لما يصيب الناس من الفرج».

وأخرج «ك» أحمد، ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحشي المال حشياً ولا يعده عدلاً».

وأخرج «ك» أحمد، ومسلم عن أبي سعيد، وجابر عن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع سنين وإلا فثمان وإلا فتسع سنين تنتعم أمتي في زمانه نعيماً لم ينتعموا مثله قط البر والفاجر يرسل الله السماء عليهم مدراراً ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً فيقوم رجل من عترتي يملأها قسطاً وعدلاً يملك سبعاً أو تسعاً» وأخرج أحمد، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله جوراً يملك سبع سنين».

وأخرج أبو نعيم، والحاكم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثاً للناس تنعم الأمة وتعيش الماشية وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً» وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعث الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا أعلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً يفيض المال فيضاً».

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي يكنى أبا عبد الله» وأخرج الحارث بن أبي أسامة، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لتملأ الأرض ظلماً وعدواناً ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي وخلقه خلقي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج نعيم، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي يكون عطاؤه هنيئاً».

وأخرج أحمد، ونعيم بن حماد، والحاكم، وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حيواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي» وأخرج أبو نعيم عن حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم فالمؤمن التقي يصانهم بلسانه ويقومهم بقلبه فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها، يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم

واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه ويظهر الإسلام لا يخلف وعده وهو سريع الحساب». وأخرج الحسن بن سفيان، وأبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي».

وأخرج الحسن بن سفيان، وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الرايات السود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد فمن سمع بهم فليأتهم فليبايعهم ولو حبواً على الثلج» وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويقسم المال بالسوية ويجعل الله الغنى في قلوب هذه الأمة فيمكث سبعاً أو تسعاً ثم لا خير في عيش الحياة بعد المهدي» وأخرج ابن ماجه، وأبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم».

وأخرج الطبراني في الكبير، وابن منده، وأبو نعيم، وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر بعده القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو بدونه» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه».

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول: ألا وإن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي في وسطها».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي الحق بغير عدد».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً».

وأخرج «ك» الحاكم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفنياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يقرر بطون النساء ويقتل الصبيان فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعه ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفنياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفنياني بمن معه حتى إذا صار بببدا من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم».

وأخرج «ك» الحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم فيبعث الله رجلاً من عترتي يملأ الأرض

قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته ولا السماء شيئاً من قطرها إلا صبته يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسعاً وأخرج ابن ماجه، والرويانى، وابن خزيمة، وأبو عوانة، والحاكم، وأبو نعيم واللفظ له عن أبي أمامة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ - وذكر الدجال - وقال: فتنفي المدينة الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل رجلهم بيت المقدس وإمامهم المهدي رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن سيرين قال: «المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليهما السلام».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: حدثني فلان رجل من أصحاب النبي ﷺ أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعم أمي ولايته نعمة لم تنعمها قط».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة عن أبي الجلد قال: «تكون فتنة بعدها فتنة الأولى في الآخرة كثرة السوط يتبعها ذباب السيف ثم يكون بعد ذلك فتنة تستحل فيها المحارم كلها ثم تأتي الخلافة خير أهل الأرض وهو قاعد في بيته».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد، وأبو الحسن الحربي في الأول من الحرييات عن علي بن عبد الله عباس قال: «لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية».

وأخرج «ك» الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال: «إن لمهدينا آتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد، وعمر بن شبة عن عبد الله بن عمرو قال: «إذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدي».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد، وابن عساكر، وتمام في فوائده عن عبد الله بن عمرو قال: «يخرج رجل من ولد حسن من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدها واتخذ فيها طريقاً».

وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينكم وبين الروم أربع هدن يوم الرابعة على يدي رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين فقال له رجل: يا رسول الله من إمام الناس يومئذ؟ قال المهدي: من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود عليه عباءتان قطوانيتان كأن من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح

مدائن الشرك».

وأخرج «ك» نعيم حماد والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «فى ذى القعدة تجاذب القبائل وعامئذ ينهب الحاج فتكون ملحمة بمنى حتى يهرب صاحبهم فيبائع بين الركن والمقام وهو كاره يبايعه مثل عدة أهل بدر يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض». وأخرج الرويانى فى مسنده؛ وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدى وجهه كالكوكب الدرى». وأخرج الرويانى فى مسنده، وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدى لونه لون عربى وجسمه جسم إسرائيلى على خده الأيمن خال كأنه كوكب درى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى فى خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير فى الجو».

وأخرج «ك» ابن جرير فى تهذيب الآثار، وفيه: «ووليكم الجابر خير أمة محمد الحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه محمد بن عبد الله يخرج إليه الأبدال من الشام وعصب أهل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد رهبان بالليل ليوث بالنهار» وأخرج أبو نعيم، وأبو بكر بن المقرئ فى معجمه عن ابن عمرو قال: قال النبى ﷺ: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كركة». وأخرج أبو نعيم عن الحسين أن النبى ﷺ قال لفاطمة: «المهدي من ولدك».

وأخرج «ك» ابن عساكر الحسين أن النبى ﷺ قال: «أبشري يا فاطمة المهدي منك» وأخرج الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم عن علي الهلالي أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «والذى بعثنى بالحق إن منهما - يعنى من الحسن والحسين - مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن ونقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً بعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين فى آخر الزمان كما قمت فى أول الزمان ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج «ك» الطبرانى عن عوف بن مالك أن النبى ﷺ قال: «تجىء فتنة غرباء مظلمة ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي فإن أدركته فاتبعه وكن من المهتدين».

وأخرج «ك» الخطيب فى المتفق والمفترق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلى الروم على وال من عترتي اسمه يواطىء اسمي فيقتتلون بمكان يقال له العماق فيقتتلون فيقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك ثم يقتتلون يوماً آخر فيقتل من المسلمين نحو ذلك ثم يقتتلون اليوم الثالث فيكون على الروم فلا يزالون حتى يفتتحوا القسطنطينية فينبأهم يقتسمون فيها بالأترسة إذ أتاهم صارخ إن الدجال قد خلفكم فى ذرايكم».

وأخرج «ك» ابن سعد، وابن أبي شيبه عن ابن عمرو أنه قال: يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهدي.

وأخرج «ك» نعيم بن حماد فى كتاب الفتن بسند صحيح على شرط مسلم عن علي قال: الفتن أربع: فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة كذا فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من

عتره النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم .

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن ابن أرمطة قال: يدخل السفيناني الكوفة فيستلها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً ثم يمكث فيها ثمان عشرة ليلة يقسم أموالها ودخول الكوفة بعد ما يقاتل الترك والروم بقدفنسيا ثم يبعث عليهم خلفهم فتن فترجع طائفة منهم إلى خراسان فيقتل السفيناني ويهدم الحصون حتى يدخل الكوفة ويطلب أهل خراسان ويظهر بخراسان قوم تدعن إلى المهدي ثم يبعث السفيناني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد ﷺ حتى يؤديهم الكوفة ثم يخرج المهدي ومنصور هاربيين ويبعث السفيناني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور الكوفة نزل جيش السفيناني إليهما فيخسف بهم ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم وتقبل الرايات السوداء حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي .

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن محمد ابن الحنفية قال: تخرج رايات سود لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سود قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفيناني حتى ينزل بيت المقدس يوطيء للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلاثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً .

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن الحسن قال: «يخرج بالري رجل ربعة أسمر من بني تميم محروم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله» .

وأخرج «ك» نعيم عن علي قال: «لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ويموت ثلث ويبقى ثلث» .

وأخرج «ك» نعيم عن علي قال: «لا يخرج المهدي حتى يبصق بعضكم في وجه بعض» .

وأخرج «ك» نعيم عن عمرو بن العاص قال: «علامة خروج المهدي إذا خسف بجيش في البداء فهو علامة خروج المهدي» .

وأخرج «ك» نعيم عن أبي قبيل قال: «اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين» .

وأخرج «ك» نعيم عن عمار بن ياسر قال: «علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ومات خليفتمكم الذي يجمع الأموال ويستخلف بعده رجل ضعيف فيخلع بعد سنتين من بيعته ويخسف بغربي مسجد دمشق وخروج ثلاثة نفر بالشام وخروج أهل المغرب إلى مصر وتلك

أمارة السفيناني».

وأخرج «ك» نعيم عن علي قال: «إذا نادى مناد من السماء أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويشربون حبه ولا يكون لهم ذكر غيره».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن عمار بن ياسر قال: «المهدي على أولة شعيب بن صالح».

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن أبي جعفر قال: «يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمين خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهمهم».

وأخرج «ك» نعيم أيضاً عن كعب بن علقمة قال: يخرج على لواء المهدي غلام حدث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهداها حتى ينزل إلباء».

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: إذا ملك رجل الشام وآخر مصر فاقتتل الشامي والمصري وسبي أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قتل صاحب الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي».

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي قبيل قال: يكون بإفريقية أمير اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلاً ثم يسير إلى المهدي فيؤدي إليه الطاعة ويقاتل عنه».

وأخرج «ك» أيضاً عن الحسن أن رسول الله ﷺ «ذكر فلا يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء من نصرها نصره الله ومن خذلها خذله حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي فيولونه أمرهم فيؤيده الله وينصره».

وأخرج «ك» أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم يمكثون ما شاء الله ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفين وأصحابه من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي».

وأخرج «ك» أيضاً عن علي، قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفيناني فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح فيهم أصحابه».

وأخرج «ك» أيضاً عن عمار بن ياسر قال: «إذا بلغ السفيناني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح».

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي جعفر قال: «تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة فإذا ظهر المهدي بمكة بعث إليه بالبيعة».

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: «إذا دارت رحا بني العباس وربط أصحاب الرايات خيولهم بزيتون الشام يهلك الله لهم الأصهب ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى امرؤ منهم إلا هارب أو مختف ويسقط الشعبان بنو جعفر، وبنو العباس ويجلس ابن أكلة الأكباد على منبر دمشق ويخرج البربر إلى سرة الشام فهو علامة خروج المهدي».

وأخرج «ك» أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: «إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح فيلتقي هو والسفيناني بباب اصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفيناني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه».

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي جعفر قال: بعث السفيناني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فزعة من وراء النهر من أرض خراسان عليهم رجل من بني أمية فيكون لهم وقعة بتونس ووقعة بدولاب الري ووقعة بتخوم زريح، فعند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه ثم يكون لهم وقعة بتخوم خراسان ويسير الهاشمي في طريق الري فيبرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى اصطخر إلى الأموي فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببغداد اصطخر فيكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها، ثم يأتيه جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده، ثم تكون واقعة بالمدائن بعد وقعة الري وفي عاقر قوفا وقعة صلمية يخبر عنها كل ناج ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل ووقعة في أرض من أرض نصيبين، ثم يخرج على الأحوص قوم من سوادهم وهم العصب عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان.

وأخرج «ك» أيضاً عن ضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا: يبعث السفيناني خيله وجنوده فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم وهم يومئذ في آخر المشرق فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم مولى لهم يقال له شعيب بن صالح أصفر قليل اللحية يخرج إليه في خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه شايعه فيصيره على مقدمته لو استقبل بهم الجبال الرواسي لهداها، فيلتقي هو وخيل السفيناني فيهزمهم فيقتل منهم مقتلة عظيمة ثم تكون الغالبة للسفيناني ويهرب الهاشمي ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام - قال الوليد: بلغني أن هذا الهاشمي أخو المهدي لأبيه - وقال بعضهم: هو ابن عمه - وقال بعضهم: إنه لا يموت ولكنه بعد الهزيمة يخرج إلى مكة فإذا ظهر المهدي خرج.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد عليهم السلام ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساءً فعند ذلك يهرب المهدي والبيض من المدينة إلى مكة فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه.

وأخرج «ك» أيضاً عن يوسف بن ذي قربا قال: يكون خليفة بالشام يغزو المدينة فإذا بلغ أهل المدينة خروج الجيش إليهم خرج سبعة نفر منهم إلى مكة فاستخفوا فيكتب صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليك فلان وفلان يسميهم بأسمائهم فاقتلهم فيعظم ذلك صاحب مكة ثم بنو مروان بينهم فيأتونه ليلاً ويستجيرون به فيقول اخرجوا آمنين فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهم والآخر ينظر، ثم يرجع إلى أصحابه فيخرجون ثم ينزلون جبلاً من جبال الطائف فيقيمون فيه ويبعثون إلى الناس فينسب إليهم ناس فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة فيهمزموهم ويدخلون مكة فيقتلون أميرها ويكونون بها حتى إذا خسف بالجيش استعد أمره وخرج.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي قبيل قال: يبعث السفيناني جيشاً فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويفترقون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي فإذا ظهر بمكة اجتمع من شذ منهم إليه بمكة.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي هريرة قال: يكون بالمدينة وقعة يغرق فيها أحجار الزيت ما الحرة عندها إلا كضربة سوط فيتحنى عن المدينة قدر بريدتين ثم يبايع للمهدي.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عباس قال: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهمزموهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة غريب فإذا أتوا البيداء فينزلها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب فيقول يا ويح أهل مكة ما جاءهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً فإذا هم قد خسف بهم فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض فيعالجها فيعلم أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي قبيل قال: لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير، فأما الذي هو بشير فإنه يأتي المهدي بمكة وأصحابه فيخبرهم بما كان من أمرهم. والثاني يأتي السفيناني فيخبره بما يؤول بأصحابه وهما رجلان من كلب.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي هريرة قال: يخرج السفيناني، والمهدي كفرسي رهان فيغلب السفيناني على ما يليه، والمهدي على ما يليه.

وأخرج «ك» أيضاً عن جعفر قال: يقوم المهدي سنة مائتين.

وأخرج «ك» أيضاً عن الزهري قال: يستخرج المهدي كارهاً من مكة من ولد فاطمة^٣ فيبايع.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي جعفر قال: يظهر المهدي بمكة عند العشاء معه راية

رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم فقد اتخذ الحجر وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسول الله ﷺ وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً على الهدى ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها أذنت بانصرام، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإمارة الباطل وإحياء سنته، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف^(١) رهبان بالليل أسد بالنهار، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم وتنزل الرايات السود الكوفة فيبعث بالبيعة إلى المهدي ويبعث المهدي جنوده في الأفاق ويميت الجور وأهله وتستقيم له البلدان ويفتح الله على يديه القسطنطينية».

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن مسعود قال: إذا انقطعت التجارات والطرق وكثرت الفتن خرج سبعة نفر علماء من أفق شتى على غير ميعاد يبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وجيشه، فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له: أنت فلان ابن فلان؟ فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار حتى يفلت منهم فيصفونه لأهل الخبر منه والمعرفة به فيقال هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى [أهل] مكة فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون: أنت فلان ابن فلان وأمك فلانة ابنة فلان وفيك آية كذا وكذا وقد أفلت منا مرة فمد يدك بنايعة؟ فيقول: لست بصاحبكم حتى يفلت منهم فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن ويقولون له: اثمنا عليك وداؤنا في عنقك إن لم تمد يدك بنايعة، هذا عسكر السفيناني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من حرام فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقي الله محبته في صدور الناس فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل.

وأخرج «ك» أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: حدثني محمد أن المهدي، والسفيناني، وكلباً يقتتلون في بيت المقدس حين تستقبله البيعة فيؤتى بالسفيناني أميراً فيأمر به فيذبح على باب الرحبة ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق، وأخرج أيضاً عن الوليد بن مسلم عن محمد بن علي قال: إذا سمع العائد الذي بمكة الخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء فيقول ألفي بعث الجيش حين يبلغه الخبر من إيلياء: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة بعثت إليه ما بعثت فساحوا في الأرض إن في هذا لعبرة ونصرة، فيؤدي إليه السفيناني الطاعة فيخرج حتى يلقي كلباً وهم أخواله فيعيرونه بما صنع

(١) قال صاحب النهاية: أي قطع السحاب المتفرقة، وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.

ويقولون: كساك الله قميصاً فخلعته فيقول: ما ترون أستقبله البيعة؟ فيقولون: نعم فيأتيه إلى إيلياء فيقول: أقلني فيقول: بلى فيقول له: أنتحب أن أقيلك؟ فيقول: نعم فيقبله ثم يقول: هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة باب إيلياء ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: إذا بعث السفيناني إلى المهدي جيشاً فخسف بهم بالبيداء وبلغ ذلك أهل الشام قال لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك فيرسل إليهم بالبيعة ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتنقل إليه الخزائن ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى يبني المساجد بالقسطنطينية وما دونها، ويخرج قبله رجل من أهل بيت بالمشرق ويحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: تفرح الفتن برجل منا يسومهم خسفاً لا يعطيهم إلا السيف يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة ولو كان من ولدها لرحمنا بغريه الله ببني العباس وبني أمية.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي جعفر قال: لا يخرج المهدي حتى تروا الظلمة.

وأخرج «ك» أيضاً عن مطر الوراق قال: لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهراً.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن سيرين قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: المهدي خاشع لله كخشوع النسر لجناحه.

وأخرج «ك» أيضاً عن عبد الله بن الحارث قال: يخرج المهدي وهو ابن أربعين سنة كأنه رجل من بني إسرائيل.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي الطفيل: «أن رسول الله ﷺ وصف المهدي فذكر ثقلاً في لسانه وضرب فخذة اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأ عليه الكلام اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي».

وأخرج «ك» أيضاً عن محمد بن جَمير قال: المهدي أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق وهو ابن ثمان عشرة سنة.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: «المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس كثر اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال في كتفه علامة النبي يخرج براية النبي ﷺ من مرط معلمة سوداء مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمدده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خلفهم وأدبارهم يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين».

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: «المهدي مني من قریش آدم ضرب من الرجال».

وأخرج «ك» أيضاً عن أرطاة قال: «المهدي ابن عشرين سنة». وأخرج أيضاً عن ابن

مسعود عن النبي ﷺ قال: «اسم المهدي محمد».

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «اسم المهدي اسمي».

وأخرج «ك» أيضاً عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: المهدي حق هو؟ قال نعم، قلت ممن هو؟ قال من ولد فاطمة.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عباس قال: المهدي شاب منا أهل البيت قيل عجز عنها شيوخكم ويرجوها شبابكم؟ قال: يفعل الله ما يشاء.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عباس قال: «المهدي منا يدفعها إلى عيسى ابن مريم».

وأخرج «ك» أيضاً عن علي عن النبي ﷺ قال: «المهدي رجل من عترتي يقاتل على ستي كما قاتلت أنا على الوحي».

وأخرج «ك» أيضاً عن الزهري قال: يخرج المهدي بعد الخسف في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً عدد أهل بدر فيلتقي هو وصاحب جيش السفيناني وأصحاب المهدي يومئذ جنتهم البرادع - يعني تراسهم - ويقال إنه يسمع يومئذ صوت مناد من السماء ينادي ألا إن أولياء الله أصحاب فلان - يعني المهدي - فتكون الدبرة على أصحاب السفيناني فيقتلون لا يبقى منهم إلا الشريد فيهربون إلى السفيناني فيخبرونه ويخرج المهدي إلى الشام فيتلقى السفيناني المهدي ببيعته ويسارع الناس إليه من كل وجه ويملأ الأرض عدلاً. وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: يبايع للمهدي سبعة رجال علماء توجهوا إلى مكة من أفق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيجتمعون بمكة فيبايعونه ويقذف الله محبته في صدور الناس فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا السفيناني بمكة عليهم رجل من جرم فإذا خرج بين مكة وخلف أصحابه ومشى في إزار ورداء حتى يأتي الحرم فيبايع له فيندمه كلب على بيعته فيأتيه فيستقبله البيعة فيقتله ثم يغير جيوشه لقتاله فيهزمهم ويهزم الله على يديه الروم ويذهب الله على يديه الفقر وينزل الشام.

وأخرج «ك» أيضاً عن أروطة قال: يدخل الصخري الكوفة ثم يبلغه ظهور المهدي بمكة فيبعث إليه من الكوفة بعثاً فيخسف به فلا ينجو منهم إلا بشير إلى المهدي ونذير إلى الإصطخري فيقبل المهدي من مكة، والصخري من الكوفة نحو الشام كأنهما فرسا رهان فيسبقه الصخري فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي فيأتون المهدي بأرض الحجاز فيبايعونه بيعة الهدى ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز فيقيم بها ويقال له: أنفذ فيكره المجاز ويقول اكتب إلى ابن عمي فلان بخلع طاعتي فأنا صاحبكم فإذا وصل الكتاب إلى الصخري بايع وسار إلى المهدي حتى ينزل بيت المقدس ولا يترك المهدي بيد رجل من الشام فترا من الأرض إلا ردها على أهل الذمة ورد المسلمين إلى الجهاد جميعاً، فيمكث في ذلك ثلاث سنين، ثم يخرج رجل من كلب له كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرناك حتى إذا ملكت بايعت هذا ليخرجن فليقاتلن فيقول: فيمن أخرج؟ فيقول لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا

يتخلف عنك ذات خسف ولا ظلف فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى تنزل بيسان ويوجهه إليهم المهدي راية وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل فينزلون على ماء ثم إبراهيم فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها فإذا تشاءمت الخيلات ولت كلب أدبارها وأخذ الصخري فيذبح على الصفا المتعرضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا المقنطرة التي على يمين الوادي على الصفا المتعرضة على وجه الأرض عليها يذبح كما تذبح الشاة فالخائب من خاب يوم كلب حتى تباع العذراء بثمانية دراهم.

وأخرج «ك» أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: لا يخرج المهدي حتى يقوم السفيناني على أعوادها.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: المهدي يبعث بقتال الروم يعطي معه عشرة يستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية. وأخرج أيضاً عن كعب قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي يستخرج التابوت من أرض يقال لها انطاكية.

وأخرج «ك» أيضاً عن عبد الله بن شريك قال: مع المهدي راية رسول الله ﷺ المعلمة. وأخرج «ك» أيضاً عن ابن سيرين قال: على راية المهدي مكتوب البيعة لله. وأخرج أيضاً عن طاوس قال: علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال جواداً بالمال رحيماً بالمساكين.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: تكون فتن ثم تكون جماعة على رأس رجل من أهل بيتي ليس له عند الله خلاق أو يموت فيقوم المهدي.

وأخرج «ك» أيضاً عن ضمرة عن بعض أصحابه قال: لا يخرج المهدي حتى لا يبقى قيل ولا ابن قيل إلا هلك - والقيل الرأس.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي قبيل قال: يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية حتى لا يبقى منهم إلا اليسير لا يقتل غيرهم ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل لكل رجل اثنين حتى لا يبقى إلا النساء ثم يخرج المهدي، وأخرج أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: تكون فتنة كان أولها لعب الصبيان كلما سكنت من جانب طمت من جانب آخر فلا تتناهى حتى ينادي مناد من السماء ألا إن الأمير فلان ذلكم الأمير حقاً ثلاث مرات.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي جعفر قال: ينادي مناد من السماء أن الحق في آل محمد، وينادي مناد من الأرض أن الحق في آل عيسى أو قال العباس شك فيه وإنما الصوت الأسفل كلمة الشيطان والصوت الأعلى كلمة الله العليا. وأخرج عن إسحاق بن يحيى عن أمه وكانت قديمة قال: قلت لها في فتنة ابن الزبير: إن هذه الفتنة تهلك الناس، قالت: كلا يا بني ولكن بعدها فتنة تهلك الناس لا يستقيم أمرهم حتى ينادي مناد من السماء عليكم بفلان.

وأخرج «ك» أيضاً عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «في المحرم ينادي مناد من السماء ألا إن صفوة الله فلان فاسمعوا له وأطيعوا في سنه الضرب والمعمة».

وأخرج «ك» أيضاً عن عمار بن ياسر قال: إذا قتل النفس الزكية وآخره تقتل بمكة صنعة نادى مناد من السماء: إن أميركم فلان وذلك المهدي الذي يملأ الأرض خصباً وعدلاً.

وأخرج «ك» أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: يكون فرقة واختلاف حتى يطلع كف من السماء وينادي مناد من السماء إن أميركم فلان. وأخرج أيضاً عن الزهري قال: [إذا] التقى السفيناني والمهدي للقتال يومئذ يسمع صوت من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان - يعني المهدي - وقالت أسماء بنت عميس: إن أمانة ذلك اليوم أن كفاً من السماء مدلاة ينظر إليها الناس.

وأخرج «ك» أيضاً عن الحكم بن نافع قال: إذا كان الناس بمنى وعرفات نادى مناد بعد أن تتحارب القبائل: ألا إن أميركم فلان ويتبعه صوت آخر ألا إنه قد صدق فيقتتلون قتلاً شديداً فجعل سلاحهم البرادع، وعند ذلك يرون كفاً معلمة في السماء ويشد القتال حتى لا يبقى من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر فيذهبون حتى يبايعوا صاحبهم.

وأخرج «ك» أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: يحج الناس معاً ويعرفون معاً على غير إمام فبينما هم نزول بمنى إذ أخذهم كالكلب فثارت القبائل بعضهم إلى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبه دماً فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي كأنه أنظر إلى دموعه فيقولون: هلم إلينا فلنبايعك، فيقول: ويحكمكم من عهد نقضتموه، وكم من دم سفكتموه فيبايع كرهاً فإن أدركنتموه فبايعوه فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عباس قال: يبعث المهدي بعد إياس وحتى يقول الناس لا مهدي وأنصاره ناس من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعونه كرهاً فيصلي بهم ركعتين عند المقام يصعد المنبر.

وأخرج «ك» أيضاً عن أبي هريرة قال: يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً.

وأخرج «ك» أيضاً عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي من المدينة إلى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره».

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: إذا خرجت الرايات السود من السفيناني التي فيها شعيب بن صالح تمنى الناس المهدي فيطلبونه فيخرج من مكة ومعه راية رسول الله ﷺ فيصلي ركعتين بعد أن يبايع الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال: يا أيها الناس ألع البلاء بأمة محمد وبأهل بيته خاصة فهو باغ بغى علينا.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال قتادة: المهدي خير الناس أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام مقدمته جبريل وساقته ميكائيل محبوب في الخلائق يطفىء الله به

الفتنة العمياء وتأمين الأرض حتى أن المرأة لتحج في خمس نسوة ما معهن رجل لا تتقي شيئاً إلا الله تعطي الأرض زكاتها والسماء بركتها.

وأخرج «ك» أيضاً عن مطر أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز فقال: بلغنا أن المهدي يصنع شيئاً لم يصنعه عمر بن عبد العزيز قلنا: ما هو؟ قال: يأتيه [رجل] فيسأله فيقول ادخل بيت المال فخذ فيدخل ويخرج ويرى الناس شباعاً فيندم فيرجع إليه فيقول خذ ما أعطيتني فيأبى ويقول إنا نعطي ولا نأخذ.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: إني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ما في عمله ظلم ولا عيب.

وأخرج «ك» أيضاً من طريق ضمرة عن محمد بن سيرين أنه ذكر فتنة تكون فقال: إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر، وعمر، قيل: أفيأتي خير من أبي بكر وعمر؟ قد كان يفضل على بعض قلت: في هذا ما فيه، وقد قال ابن أبي شيبة في المصنف في باب المهدي: حدثنا أبو أسامة عن عوف عن محمد - هو ابن سيرين - قال: يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر قلت: هذا إسناد صحيح وهذا اللفظ أخف من اللفظ الأول، والأوجه عندي تأويل اللفظين على ما أول عليه حديث بل أجز خمسين منكم لشدة الفتن في زمان المهدي وتَمَالَى الروم بأسرها عليه ومحاصرة الدجال له، وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب والرفعة عند الله، فالأحاديث الصحيحة والإجماع على أن أبا بكر، وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين.

وأخرج «ك» نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يأوي إلى المهدي أمته كما تأوي النحل إلى يعسوبها يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً».

وأخرج «ك» أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سمعت رجلاً يحدث قوماً فقال: المهديون ثلاثة: مهدي الخير عمر بن عبد العزيز، ومهدي الدم وهو الذي تسكن عليه الدماء، ومهدي الدين عيسى ابن مريم تسلم أمته في زمانه، وأخرج أيضاً عن كعب قال: مهدي الخيري يخرج بعد السفياي.

وأخرج «ك» أيضاً عن طاوس قال: إذا كان المهدي يبذل المال ويشتد على العمال ويرحم المساكين.

وأخرج «ك» أيضاً عن طاوس قال: وددت أني لا أموت حتى أدرك زمان المهدي يزاد للمحسن في إحسانه ويثاب فيه على المسيء. وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «المهدي يصلحه الله في ليلة واحدة».

وأخرج «ك» عن عمر بن الخطاب أنه ولج البيت وقال: والله ما أدري أدع خزائن البيت

وما فيه من السلاح والمال أو أقسمه في سبيل الله؟ فقال له علي بن أبي طالب: امض يا أمير المؤمنين فلست بصاحبه إنما صاحبه منا شاب من قریش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك فيهمزهم ويأخذ ما معهم من السبي والأموال ثم يصير إلى الشام فيفتحها ثم يعتق كل مملوك معه ويعطي أصحابه قيمتهم.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن لهيعة قال: يتمنى في زمان المهدي الصغير الكبير والكبير الصغير.

وأخرج «ك» أيضاً عن صباح قال: يمكث المهدي فيهم تسعاً وثلاثين سنة يقول الصغير يا ليتني كبرت ويقول الكبير يا ليتني كنت صغيراً. وأخرج «ك» عن عبد الله بن عمرو قال: المهدي ينزل عليه عيسى ابن مريم ويصلي خلفه عيسى.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: المهدي من ولد العباس. وأخرج أيضاً عن الزهري قال: المهدي من ولد فاطمة.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: ما المهدي إلا من قریش وما الخلافة إلا فيهم.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: المهدي رجل منا من ولد فاطمة.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عمر أنه قال لابن الحنفية: المهدي الذي يقولون كما يقول الرجل الصالح إذا كان صالحاً قيل له المهدي.

وأخرج «ك» أيضاً عن أرطاة قال: يبقى المهدي أربعين عاماً.

وأخرج «ك» أيضاً عن بقية بن الوليد قال: حياة المهدي ثلاثون سنة.

وأخرج «ك» أيضاً عن محمد بن حمير عن أبيه قال: يملك المهدي سبع سنين وشهرين وأياماً.

وأخرج «ك» أيضاً عن دينار بن دينار قال: بقاء المهدي أربعون سنة.

وأخرج «ك» أيضاً عن الزهري قال: يعيش المهدي أربع عشرة سنة ثم يموت موتاً.

وأخرج «ك» أيضاً عن علي قال: يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: يموت المهدي موتاً ثم يلي الناس بعده رجل من أهل بيته فيه خير وشره أكثر من خيره يغضب الناس يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة بقاؤه قليل يثور به رجل من أهل بيته فيقتله.

وأخرج «ك» أيضاً عن الزهري قال: يموت المهدي موتاً ثم يصير الناس بعده في فتنة ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زماناً ثم ينادي مناد من السماء ليس بإنس ولا جان بايعوا فلاناً ولا ترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة فينظرون فلا يعرفون الرجل ثم ينادي ثلاثاً ثم يبايع المنصور فيصير إلى المخزومي فينصره الله عليه فيقتله ومن معه.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: «يتولى رجل من بني مخزوم ثم رجل من الموالي ثم يسير رجل من المغرب رجل جسيم طويل عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقيه حتى يدخل بيت المقدس فيموت موتاً فتكون الدنيا شراً مما كانت، ثم يلي بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ظلوم غشوم، ثم يلي من بعد المضري العماني القحطاني يسير سيرة أخيه المهدي وعلى يديه تفتح مدينة الروم». وأخرج «ك» أيضاً عن الوليد عن معمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما القحطاني بدون المهدي» * وأخرج «ك» أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: بعد الجبابرة الجابر ثم المهدي ثم المنصور ثم السلم ثم أمير العصب.

وأخرج «ك» أيضاً عن ابن عمرو أنه قال: يا معشر اليمن يقولون: إن المنصور منكم والذي نفسي بيده إنه لقرشي أبوه ولو أشاء أن أسميه إلى أقصى جد هو له لفعلت. وأخرج أيضاً عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون من أهل بيتي رجل يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم من بعده القحطاني والذي نفسي بيده ما هو دونه.

وأخرج «ك» أيضاً عن أرطاة قال: ينزل المهدي بيت المقدس ثم يكون خلف من أهل بيته بعده تطول مدتهم ويخبرون حتى يصلي الناس على بني العباس فلا يزال الناس كذلك حتى يغزو مع واليهم القسطنطينية وهو رجل صالح يسلمها إلى عيسى ابن مريم ولا يزال الناس في رخاء ما لم ينتقص ملك بني العباس فإذا انتقص ملكهم لم يزالوا في فتن حتى يقوم المهدي.

وأخرج «ك» أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: ثلاثة أمراء يتوالون تفتح كلها عليهم كلهم صالح الجابر ثم المفرج ثم ذو العصب يمكثون أربعين سنة ثم لا خير في الدنيا بعدهم.

وأخرج «ك» أيضاً عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن المهدي يمكث أربع عشرة سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة ثم يقتل ثم يملك المولى يمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده هشيم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

وأخرج «ك» أيضاً عن كعب قال: يكون بعد المهدي خليفة من أهل اليمن من قحطان أخو المهدي في دينه يعمل بعمله وهو الذي يفتح مدينة الروم ويصيب غنائمها.

وأخرج «ك» أيضاً عن أرطاة قال: يكون بين المهدي وبين الروم هدنة ثم يهلك المهدي ثم يلي رجل من أهل بيته يعدل قليلاً ثم يقتل.

وأخرج «ك» أيضاً عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله ﷺ قال: «القحطاني بعد المهدي وما هو دونه». وأخرج أيضاً عن أرطاة قال: بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً ثم يموت على فراشه، ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتيلاً بالسلاح، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ ثم يخرج في زمانه الدجال وينزل في زمانه عيسى ابن مريم.

هذه الآثار كلها لخصتها من كتاب الفتن لنعيم بن حماد وهو أحد الأئمة الحفاظ، وأحد شيوخ البخاري. وبقي من أخبار المهدي ما أخرج «ك» ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي المهدي إن طال عمره أو قصر عمره ملك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وتمطر السماء مطرها وتخرج الأرض بركتها وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعيشه قبل ذلك».

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال: لا تمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن ولم يلبسها قيل يا أبا العباس يعجز عنها مشيختكم وينالها شبابكم؟ قال: هو أمر الله يؤتبه من يشاء.

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة عن حكيم بن سعد قال: لما قام سليمان فأظهر ما أظهر قلت لأبي يحيى: هذا المهدي الذي يذكر؟ قال لا.

وأخرج «ك» ابن أبي شيبة عن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: قد كان مهدياً وليس به إن المهدي إذا كان زيد [المحسن] في إحسانه ويكتب على المسيء من إساءته وهو يبذل المال ويشترى على العمال ويرحم المساكين.

وأخرج «ك» أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز هو المهدي؟ قال: هو مهدي وليس به إنه لم يستكمل العدل كله، وأخرج المحاملي في أماليه عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين قال: يزعمون أني أنا المهدي وأنني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدعون.

وأخرج «ك» أبو عمرو الداني في سننه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي تقدم صل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي» الحديث.

وأخرج «ك» ابن الجوزي في تاريخه عن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان ذو القرنين، وسليمان. والكافران نمرود، ويخت نصر، وسيملكها خامس من أهل بيتي».

وأخرج «ك» أبو عمرو الداني في سننه عن ابن شاذان قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يديه جماعة من اليهود.

وأخرج «ك» الداني عن الحكم بن عتيبة قال: قلت لمحمد بن علي سمعنا أنه سيخرج منكم رجل يعدل في هذه الأمة قال: إنا نرجو ما يرجو الناس. وإنا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يكون ما نرجو هذه الأمة وقبل ذلك فتنة شر فتنة يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً ويمسي كافراً فمن أدرك ذلك منكم فليقت الله

وليكن من أحلاس بيته .

وأخرج «ك» الداني عن سلمة بن زفر قال: قيل يوماً عند حذيفة قد خرج المهدي، فقال: لقد أفلحتم إن خرج وأصحاب محمد بينكم إنه لا يخرج حتى لا يكون غائب أحب إلى الناس منه مما يلقون من الشر .

وأخرج «ك» الداني عن قتادة قال: يجاء إلى المهدي في بيته والناس في فتنة يهراق فيها الدماء يقال له قم علينا فيأبى حتى يخوف بالقتل فإذا خوف بالقتل قام عليهم فلا يهراق بسببه محجمة دم .

وأخرج «ك» الداني عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون وقعة بالزوراء قال يا رسول الله: وما الزوراء؟ قال: مدينة بالمشرق بين أنهار يسكنها شرار خلق الله وجبابة من أمتي يقذف بأربعة أصناف من العذاب بالسيف وخسف وقذف ومسوخ» وقال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت السودان طلبت العرب مكشوفون حتى يلحقوا ببطن الأرض أو قال ببطن الأردن فبينما هم كذلك إذ خرج السفياي في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق فلا يأتي عليهم شهر حتى يتابعه من كلب ثلاثون ألفاً فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف وينجرون إلى الكوفة فينهونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق ويقودها رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السفياي إلى المدينة فينهونها ثلاثة أيام ثم يسبرون إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبريل عذبهم فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفياي فيخبرانه بخسف الجيش فلا يهوله، ثم إن رجالاً من قریش يهربون إلى قسطنطينية فيبعث السفياي إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق - قال حذيفة - حتى أنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس مجلس حتى تأتي فخذ السفياي فتجلس عليه وهو في المحراب قاعد فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول: ويحكم أكفرتم بعد إيمانكم إن هذا لا يحل، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق ويقتل كل من شايعه على ذلك، فعند ذلك ينادي مناد من السماء: أيها الناس إن الله قد قطع عنكم مدة الجبارين والمنافقين وأشياعهم ولاكم خير أمة محمد ﷺ فالحقوا به بمكة فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبد الله - قال حذيفة - : فقام عمران بن الحصين فقال: يا رسول الله كيف لنا حتى نعرفه؟ قال: هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كأن وجهه الكوكب الدري [في اللون] في خده الأيمن خال أسود ابن أربعين سنة فيخرج الأبدال من الشام وأشباههم ويخرج إليه النجباء من مصر وعصائب أهل الشرق وأشباههم حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يخرج متوجهاً إلى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، فيفرج به أهل السماء وأهل الأرض والطيور والوحوش والحيتان في

البحر، وتزيد المياه في دولته وتمد الأنهار، وتضعف الأرض أهلها وتستخرج الكنوز فيقدم الشام فيذببح السفيناني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية ويقتل كلباً قال رسول الله ﷺ: فالخائب من خاب يوم كلب ولو بعقال، قال حذيفة: يا رسول الله كيف يحل قتالهم وهم موحدون؟ فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة هم يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ولا يصلون».

وأخرج «ك» الداني عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في رمضان صوت وفي شوال معمرة وفي ذي القعدة تحارب القبائل وعلامته ينهب الحاج وتكون ملحمة بمنى تكثر فيها القتل وتسيل فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على الجمرة حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك يرضى به ساكن السماء وساكن الأرض» وأخرج «ك» نعيم عن كعب قال: يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذنب يضيء. وأخرج نعيم عن شريك قال: بلغني أنه قبل خروج المهدي ينكسف القمر في شهر رمضان مرتين. وأخرج أبو غنم الكوفي في كتاب الفتن عن علي بن أبي طالب قال: ويحاً للطالقات فإن الله فيه كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ولكن بها رجال عرفوا الله حق معرفته وهم أنصار المهدي آخر الزمان. وأخرج أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر».

وأخرج «ك» نعيم عن جعفر بن يسار الشامي قال: يبلغ رد المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرر إنسان شيء انتزعه حتى يرده، وأخرج «ك» نعيم عن سلمان بن عيسى قال: بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلاً منهم.

وفي «ك» الفردوس من حديث ابن عباس مرفوعاً: «المهدي طائوس أهل الجنة».

وأخرج «ك» أبو عمرو الداني في سننه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم عند طلوع الفجر بيت المقدس ينزل على المهدي فيقال: تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض».

وأخرج «ك» نعيم عن خالد بن سمير قال: هرب موسى بن طلحة بن عبيد الله من المختار إلى البصرة وكان الناس يرون في زمانه أنه المهدي. وأخرج نعيم عن صباح قال: لا خلافة بعد حمل بني أمية حتى يخرج المهدي. وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: وجدت في بعض الكتب يوم اليرموك أبو بكر الصديق أصبتم اسمه عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه عثمان ذو النورين أو في كفلين من الرحمة لأنه قتل مظلوماً أصبتم اسمه ثم يكون سفاح ثم يكون منصور ثم يكون الأمين ثم يكون مهدي ثم يكون سيف وسلام - يعني صلاحاً وعافية - ثم يكون أمير العصب ستة منهم من ولد

كعب بن لؤي ورجل من قحطان كلهم صالح لا يرى مثله.

وأخرج «ك» نعيم عن عبد الله بن عمرو وقال: يكون بعد الجبارين الجابر يجبر الله به أمة محمد ﷺ ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب فمن قدر على الموت بعد ذلك فليمت. وأخرج نعيم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الخامس من أهل بيتي فالهرج فالهرج حتى يموت السابع قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل كذلك حتى يقوم المهدي».

وأخرج «ك» نعيم عن محمد ابن الحنفية قال: يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير ثم يتشعث أمرهم في سنة خمس وتسعين فإن لم تجدوا إلا جحر عقرب فادخلوا فيه فإنه يكون في الناس شر طويل ثم يزول ملكهم في سنة سبع وتسعين أو تسع وتسعين ويقوم المهدي في سنة مائتين.

وأخرج «ك» نعيم عن عبد السلام بن مسلم قال: لا يزال الناس بخير في رضاء ما لم ينقض ملك بني العباس فإذا انتقض ملكهم لم يزالوا في فتنة حتى يقوم المهدي.

وأخرج «ك» نعيم عن الحكم بن نافع قال: يقاتل السفيايى الترك ثم يكون استتصاليه على يد المهدي وأول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك، وقال ابن سعد في الطبقات: أنا الواقدي قال: سمعت مالك بن أنس يقول: خرج محمد بن عجلان مع عبد الله بن حسن حين خرج بالمدينة فلما قتل محمد بن عبد الله وولي جعفر بن سليمان بن علي المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتى به فبكته وكلمه كلاماً شديداً وقال: خرجت مع الكذاب فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك شفثيه بشيء لا يدري ما هو فيظن أنه يدعو فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرفهم فقالوا: أصلح الله الأمير محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية فلم يزالون يطلبون إليه حتى تركه فولى محمد بن عجلان منصرفاً لم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله.

وأخرج «ك» نعيم عن كعب قال: يخاصر الدجال المؤمنيى بيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع فيبينما هم على ذلك إذ سمعوا صوتاً في الغلس فيقولون: إن هذا لصوت رجل شعبان فينظرون فإذا بعيسى ابن مريم وتقام الصلاة فيرجع إمام المسلميى المهدي فيقول عيسى تقدم فلك أقيمت الصلاة فيصلي بهم تلك الليلة ثم يكون عيسى إماماً بعده. وأخرج أبو الحسين بن المنادي في كتاب الملاحم عن سالم بن أبي الجعد قال: يكون المهدي إحدى وعشرين سنة أو اثنين وعشرين سنة ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح [أربع عشرة سنة ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح تسع سنين].

وأخرج ابن عساكر عن خالد بن معدان قال: يهزم السفيايى الجماعة مرتين ثم يهلك ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا. وأخرج ابن المنادي في الملاحم

قال: ليخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحيي الله بالمهدي محمد بن عبد الله السنن التي قد أميتت، وتسرع بعدله وبركته قلوب المؤمنين وتتألف إليه عصب العجم وقبائل من العرب فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة دون العشرة ثم يموت، قال ابن المنادي: وفي كتاب دانيال أن السفينيين ثلاثة وأن المهديين ثلاثة، فيخرج السفيناني الأول فإذا خرج وفشا ذكره خرج عليه المهدي الأول، ثم يخرج السفيناني الثاني فيخرج عليه المهدي الثاني، ثم يخرج السفيناني الثالث فيخرج عليه المهدي الثالث فيصلح الله به كل ما أفسد قبله ويستنقذ الله به أهل الإيمان ويحيي به السنة ويطفىء به نيران البدعة، ويكون الناس في زمانه أعزاء ظاهرين على من خالفهم ويعيشون أطيب عيش، ويرسل الله السماء عليهم مدراراً، وتخرج الأرض زهرتها ونباتها فلا تدخر من نباتها شيئاً فيمكث على ذلك سبع سنين ثم يموت. ثم قال: ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا محمد بن إبراهيم أبو أمية الطرسوسي ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا شريك بن عبد الله عن عمار بن عبد الله الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: يكون المهدي إحدى وعشرين سنة أو اثنتين وعشرين ثم يكون آخر من بعده وهو صالح [أربع عشرة سنة ثم يكون آخر من بعده وهو صالح تسع سنين].

وأخرج «ك» ابن منده في تاريخ أصبهان عن ابن عباس قال: المهدي شاب منا أهل البيت.

فصل: قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب، وابن الجوزي في غريب الحديث، وابن الأثير في النهاية في حديث علي أنه ذكر المهدي من ولد الحسن فقال: إنه أزيل الفخذين - والمراد انفراج فخذيه وتباعد ما بينهما.

«تنبيهات» الأول: عقد أبو داود في سننه باباً في المهدي وأورد في صدره حديث جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة» وفي رواية. «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». فأشار بذلك إلى ما قاله العلماء أن المهدي أحد الاثني عشر فإنه لم يقع إلى الآن وجود اثني عشر اجتمعت الأمة على كل منهم.

الثاني: روى الدارقطني في الأفراد، وابن عساكر في تاريخه عن عثمان بن عفان سمعت النبي ﷺ يقول: «المهدي من ولد العباس عمي» قال الدارقطني: هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم.

الثالث: روى ابن ماجه عن انس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم» قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص

على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه، وقال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السحري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه في طول من قصته وأمره، قال القرطبي: ويحتمل أن يكون قوله: عليه السلام ولا مهدي إلا عيسى أي لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى، قال: وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض، وقال ابن كثير: هذا الحديث فيما يظهر ببادئ الرأي مخالف للأحاديث الواردة في إثبات مهدي غير عيسى ابن مريم، وعند التأمل لا ينافيها بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهدياً أيضاً.

الرابع: أورد القرطبي في التذكرة أن المهدي يخرج من الغرب الأقصى في قصة طويلة ولا أصل لذلك والله أعلم.

٥٣ - الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد فقد كثر السؤال عن الحديث المشتهر على السنة الناس أن النبي ﷺ لا يمكث في قبره ألف سنة، وأنا أجيب بأنه باطل لا أصل له، ثم جاءني رجل في شهر ربيع الأول من هذه السنة - وهي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة - ومعه - ورقة بخطه ذكر أنه نقلها من فتيا أفتى بها بعض أكابر العلماء ممن أدركته بالنسب فيها أنه اعتمد مقتضى هذا الحديث وأنه يقع في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الأشرار وينفخ في الصور النفخة الأولى وتمضي الأربعون سنة التي بين النفختين وينفخ نفخة البعث قبل تمام الألف فاستبعدت صدور هذا الكلام من مثل هذا العالم المشار إليه وكرهت أن أصرح برده تأديباً معه فقلت: هذا شيء لا أعرفه، فحاولني السائل تحرير المقال في ذلك فلم أبلغه مقصوده وقلت: جولوا في الناس جولة فإنه ثم من ينفخ أشداقه ويدعي مناظرتي وينكر علي دعواي الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة ويزعم أنه يعارضني ويستجيش على من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفخت عليهم نفخة صاروا هباءً منثوراً، فدار السائل المذكور على الناس وأتى كل ذاكر وناس وقصد أهل النجدة والباس فلم يجد من يزيل عنه الالباس ومضى على ذلك بقية العام.

والسؤال: بكر لم يفض أحد ختامها بل ولا جسر جاسر أن يحسر لثامها، وكلما أراد أحد أن يدنو منها استعصت وامتنعت، وكل من حدثه نفسه أن يمد يده إليها قطعت، وكل من طرق سمعه هذا السؤال لم يجد له باباً يطرقه غير بابي، وسلم الناس أنه لا كاشف له بعد لساني سوى واحد وهو كتابي، فقصدني القاصدون في كشفه، وسألني الواردون أن أحبر فيه

مؤلفاً يزدان بوصفه، فأجبتهم إلى ما سألوا وشرعت لهم منهلاً، فإن شأوا علوا وأن شأوا نهلوا وسميته: «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» فأقول: أولاً الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، وذلك لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في أواخر الألف السادسة، وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن بين النفتين أربعين سنة فهذه مائتا سنة لا بد منها والباقي الآن من الألف مائة سنة وستتان وإلى الآن لم تطلع الشمس من مغربها، ولا خرج الدجال الذي خروجه قبل طلوع الشمس من مغربها بعد نزول عيسى بستتين، ولا ظهر المهدي الذي ظهوره قبل الدجال بسبع سنين، ولا وقعت الأشرار التي قبل ظهور المهدي، ولا بقي يمكن خروج الدجال عن قريب لأنه إنما يخرج على رأس مائة وقبله مقدمات تكون في سنين كثيرة، فأقل ما يكون أن يجوز خروجه على رأس الألف أي لم يتأخر إلى مائة بعدها فكيف يتوهم أحد أن الساعة تقوم قبل تمام ألف سنة؟ هذا شيء غير ممكن، بل إن اتفق خروج «الدجال» على رأس ألف وهو الذي أبداه بعض العلماء احتمالاً مكثت الدنيا بعده أكثر من مائتي سنة المائتين المشار إليها والباقي ما بين خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها، ولا ندرى كم هو، وإن تأخر الدجال عن رأس ألف إلى مائة ألف أخرى كانت المدة أكثر ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة سنة أصلاً، وها أنا أذكر الأحاديث والآثار التي اعتمدت عليها في ذلك.

ذكر ما ورد أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في أواخر الألف السادسة

قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: حدثنا صالح بن أحمد بن أبي محمد حدثنا يعلى بن هلال عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي، ثم ماتوا عليها وهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق عيونهم ولا يغفلون بالأغلال ولا يقننون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الإدراك من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة» وذكر بقية الحديث. وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد البغدادي أخبرنا أبو سهل حميد بن أحمد بن عمر الصيرفي أخبرنا أبو عمرو عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب أخبرنا أبو جعفر محمد بن شاذان بن سعدويه أخبرنا أبو علي الحسن بن داود البلخي حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا أبو هاشم الأيلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من قضى حاجة المسلم في الله كتب الله له عمر

الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهاره وقيام ليله» وقال ابن عدي: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله البلخي ثنا أحمد بن محمد حمزة بن داود حدثنا عمر بن يحيى حدثنا العلاء بن زيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة» قال الله تعالى: ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وقال الطبراني في الكبير: حدثنا أحمد بن النضر العسكري وجعفر بن محمد العرياني قالا: حدثنا الوليد بن عبد الملك بن سرح الحراني حدثنا سليمان بن عطاء القريشي الحربي عن سلمة بن عبد الله الجهني عن عمر بن أبي شجعة بن ربيع الجهني عن الضحاك بن زمل الجهني قال: رأيت رؤيا فقصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث - وفيه - إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة فقال ﷺ: «أما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفاً» أخرجه البيهقي في الدلائل وأورده السهيلي في الروض الأنف وقال: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه من طرق صحاح أنه قال: الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله ﷺ في آخرها، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل وعضده بآثار، وقوله ﷺ في هذا الحديث: «وأنا في آخرها ألفاً» أي معظم الملة في الألف السابعة ليطابق ما سيأتي من أنه بعث في أواخر الألف السادسة، ولو كان بعث في أول الألف السابعة كانت الأشرار الكبرى كالرجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وجدت قبل اليوم بأكثر من مائة سنة لتقوم الساعة عند تمام الألف ولم يوجد شيء من ذلك فدل على أن الباقي من الألف السابعة أكثر من ثلاثمائة [سنة].

وقال ابن أبي حاتم في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، وقال ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الأمل: حدثنا علي بن سعد حدثنا حمزة بن هشام قال سعيد بن جبيرة: إنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة، وقال عبد بن حميد في تفسيره: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال: إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وجعل أجل الدنيا ستة أيام، وجعل الساعة في اليوم السابع قد مضت ستة أيام وأنتم في اليوم السابع، وقال ابن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد حدثنا عكرمة - أو سعيد بن جبيرة - عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار وإنما هي سبعة أيام معدودات ثم ينقطع العذاب فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] إلى قوله تعالى: ﴿خَلْقَ الْبَقَرَةِ﴾ [البقرة: ٨١] أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقال عبد بن حميد: أنا شابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله، وقال الدينوري في المجالسة: ثنا محمد عبد العزيز أخبرنا أبي قال: سمعت سالم الخواص يقول: سمعت عثمان بن زائدة يقول: كان كرز

يجتهد في العبادة فقيل له: ألا ترح نفسك ساعة؟ فقال: كم بلغكم عن الدنيا؟ قالوا: سبعة آلاف فقال: كم بلغكم مقدار يوم القيامة؟ قالوا: خمسين ألف سنة قال: يعجز أحدكم أن يعمل سبع يومه حتى يياس من ذلك اليوم.

ذكر ما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة

وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث في الأرض أربعين سنة

قال ابن أبي حاتم في التفسير حدثنا يحيى بن عبدك القرطبي حدثنا خلف بن الوليد حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن العريان بن الهيثم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر فإذا كان رأس مائة خرج الدجال وينزل عيسى فيقتله. وأخرج الطبراني عن عبد الله بن سلام قال: يمكث الناس بعد الدجال أربعين سنة تمر الأسواق وتغرس النخل. وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين عاماً» وأخرج أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين عاماً إماماً عادلاً وحكماً قسطاً» وأخرج أحمد في الزهد عن أبي هريرة قال: يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلبي عسلاً لسالت. وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعاً» فذكر الحديث إلى أن قال: «وينزل عيسى ابن مريم فيقتله فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد ولا يمرض أحد ويقول الرجل لغنمه ولدوابه: اذهبوا فارعوا، وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المد من القمح فيذره بلا حرث فيجني منه سبعمائة مد، فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج فيموجون ويفسدون في الأرض فيبيعث الله دابة من الأرض فتدخل آذانهم فيصبحون موتى أجمعين وتنتن الأرض منهم فيؤذون الناس بنتنهم فيستغيثون بالله فيبيعث الله ريحاً يمانية غبراء ويكشف ما بهم بعد ثلاث وقد قذفت جيقتهم في البحر ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها».

قال أبو الشيخ في كتاب الفتن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاماً يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وستي ويموت ويستخلفون بأمر عيسى رجلاً من بني تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصحفهم». وأخرج مسلم، والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فيلبث في أمتي أربعين ثم يبعث الله عيسى فيطلبه حتى يهلكه ثم يبقى الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين

عداوة ثم يبعث الله ريحاً باردة تجيء من قبل الشام فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضت روحه حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ثم يبقى شرار الناس فيجيثهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها» وأخرج أبو يعلى، والرويانى في مسنديهما، وابن قانع في معجمه، والحاكم في المستدرک، والضياء في المختارة عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ريحاً يبعثها على رأس مائة سنة تقبض روح كل مؤمن».

ذكر مدة مكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها

قال ابن أبي شيبه في المصنف: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي قيس عن الهيثم بن الأسود قال: خرجت وافداً في زمن معاوية فإذا عنده عبد الله بن عمرو فقال لي عبد الله بن عمرو: من أنت؟ فقلت له: من أهل العراق قال: هل تعرف أرضاً فيكم كثيرة السباح يقال لها كوثنى؟ قلت: نعم، قال: منها يخرج الدجال ثم قال: إن للأشرار بعد الأخيار عشرين ومائة سنة لا يدري أحد من الناس متى يدخل أولها، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن، وقال ابن أبي شيبه: حدثنا وكيع عن إسماعيل عن أبي خيثمة عن عبد الله بن عمرو قال: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة، وقال عبد بن حميد: أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت أبا خيثمة يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة أخرجه نعيم بن حماد في الفتن. وأخرج نعيم بن حماد عن كعب قال: إذا انصرف عيسى ابن مريم والمؤمنون من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات فإذا رأوا كهيئة الهرج والغبار فإذا هي ريح قد بعثها الله لتقبض أرواح المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين، ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون ديناً ولا سنة يتهارجون تهارج الحمر عليهم تقوم الساعة. وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: يرسل الله بعد يأجوج ومأجوج ريحاً طيبة فتقبض روح عيسى وأصحابه وكل مؤمن على وجه الأرض ويبقى بقايا الكفار وهم شرار الأرض مائة سنة وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد أبأوها عشرين ومائة عام بعد نزول عيسى عليه السلام وبعد الدجال.

ذكر مدة ما بين النفختين

أخرج البخاري، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين أربعون عاماً»، وأخرج ابن أبي داود في البعث، وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون عاماً» وأخرج ابن المبارك في الزهد عن الحسن قال: بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها كل ميت. ثم بعد انتهائي بالتأليف إلى هنا رأيت في كتاب العلل للإمام أحمد بن حنبل قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول: قد خلا

من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة إنني لأعرف كل زمان منها ما كان فيه من الملوك والأنبياء، وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف بنحو أربعمائة سنة تقريباً.

فصل: ومما يدل على تأخر المدة أيضاً ما أخرجه الحاكم في تاريخه قال: حدثنا أبو سعيد بن أبي حامد حدثنا عبد الله بن إسحاق بن الياس حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يعبد الله في الأرض مائة سنة قبل ذلك».

ومما يدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس قال: سمعت والذي يقول: سمعت سليمان الحافظ يقول: سمعت أبا عصمة نوح بن مطر الفرغاني يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ، سمعت أبا صالح خلف بن محمد يقول: سمعت موسى بن أفلح [يقول] سمعت أحمد بن الجنيدي يقول سمعت عيسى بن موسى - سمعت أبا حمزة يقول: سمعت الأعمش يقول: سمعت مجاهداً يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأشرا بعد الأخيار خمسين ومائة سنة يملكون جميع أهل الدنيا وهم الترك» قال الديلمي: وأخبرناه عالياً أبي أخبرنا علي الميذاني أخبرنا سعيد بن أبي عبد الله أخبرنا أبو عمرو بن المهدي حدثنا ابن مخلد حدثنا أحمد بن الحجاج النيسابوري أخبرنا مقرب بن عمار أخبرنا معمر بن زائدة عن الأعمش به. وأخبرنا الروياني في مسنده حدثنا محمد بن إسحاق أخبرنا محمد بن أسد الخشني أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة حدثني حسان بن كريب قال: سمعت أبا ذر يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بمصر رجل من قريش أخنس يلي سلطاناً ثم يغلب عليه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الاسكندرية فيقاتل أهل الإسلام بها وذلك أول الملاحم» أخرجه ابن عساكر في تاريخه وقال: رواه غيره عن الوليد فأدخل بين حسان، وأبي ذر أبا النجم أخبرناه أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور، وعلي بن مسلم الفقيهاني قالا: أخبرنا أبو الحسين بن أبي الحديد أخبرنا جدي أخبرنا أبو بكر أخبرنا أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي حدثنا أبو عامر موسى بن عامر أخبرنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال: حدثني حسان بن كريب قال: سمعت أبا النجم يقول: سمعت أبا ذر يقول إنه سمع النبي ﷺ يقول: «سيكون بمصر رجل من بني أمية أخنس يلي سلطاناً ثم يغلب عليه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الاسكندرية فيقاتل أهل الإسلام بها فذلك أول الملاحم» ثم أخرج عن أبي عبد الله بن منده قال: قال لنا أبو سعيد بن يونس: أبو النجم يروي عن أبي ذر الغفاري والحديث معلول، ثم رأيت في كتاب الفتن لنعيم بن حماد قال: حدثنا أبو يوسف المقدسي - وكان كوفياً - عن محمد ابن الحنفية قال: يملك بنو العباس حتى يئس الناس من الخير ثم يتشعب أمرهم في سنة خمس وتسعين ويكون في الناس شر طويل ثم يزول ملكهم في سنة سبع وتسعين أو تسع وتسعين ويقوم المهدي في سنة مائتين. وأخرج نعيم أيضاً عن جعفر قال: يقوم المهدي سنة مائتين،

وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال: اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين. وهذه الآثار تشعر بتأخره إلى بعد الألف بمائتين، وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عمرو بن العاص قال: تهلك مصر إذا رميت بالقسي الأربع: قوس الترك، وقوس الروم، وقوس الحبش، وقوس أهل الأندلس. قلت: وجد الأول وسيوجد الباقيون. وأخرج نعيم بن حماد، وابن عبد الحكم في فتوح مصر عن عمر بن الخطاب أنه قال لرجل من أهل مصر: ليأتينكم أهل الأندلس فيقاتلونكم بوسيم حتى تركض الخيل في الدم ثم يهزمهم الله تعالى ثم تأتاكم الحبشة في العام الثاني. وأخرج نعيم عن أبي قبيل قال: خرج يوماً وردان من عند مسلمة بن مخلد وهو أمير على مصر فمر على عبد الله بن عمر مستعجلاً فناداه فقال: أين تريد؟ فقال: أرسلني الأمير إلى منف فأحفر له كنز فرعون قال: فارجع إليه وأقرئه مني السلام وقل له إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك إنما هو للحبشة يأتون في سفنهم يريدون الفسطاط فيسيرون حتى ينزلوا منفاً فيظهر لهم الله كنز فرعون فيأخذون منه ما يشاؤون فيقولون ما نبغي غنيمة أفضل من هذه فيرجعون ويخرج المسلمون في آثارهم حتى يدركوهم فيهزم الله تعالى الحبشة فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم. وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم فيأتكم مددكم من الشام فيهزمهم الله تعالى ثم يأتكم في ثلاثمائة ألف فتقاتلونهم أنتم وأهل الشام فيهزمهم الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

٥٤ - كشف الريب عن الجيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة: سأل سائل عن جيب قميص النبي ﷺ هل كان على صدره كما هو المعتاد الآن في مصر وغيرها؟ أو على كتفه كما يفعله المغاربة ويسميها أهل مصر فتحة حيدرية، وذكر أن قائلاً قال إن هذا الثاني هو السنة وأن الأول شعار اليهود؟.

الجواب: لم أقف في كلام أحد من العلماء على أن الأول شعار اليهود بل الظاهر أنه الذي كان عليه قميص النبي ﷺ، ففي سنن أبي داود (باب في حل الأزرار) ثم أخرج فيه من طريق معاوية بن قرة قال: حدثني أبي قال: «أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة فبايعناه وإن قميصه لمطلق» وفي رواية البغوي في معجم الصحابة لمطلق الأزرار قال: «فبايعته ثم أدخلت يدي في جيب قميصه فمست الخاتم» قال عروة: فما رأيت معاوية ولا أباه قط إلا مطلقاً أزرارهما في شتاء ولا حر، ولا يزران أزرارهما أبداً، فهذا يدل على أن جيب قميصه كان على صدره كما هو المعتاد الآن، وقول الفقهاء: لو رؤيت عورة المصلي من جيبه في ركوع أو سجود لم يكف فليزرره أو يشد وسطه يدل على ذلك أيضاً لأن العورة إنما ترى من الجيب في الركوع والسجود إذا كان على الصدر بخلاف الفتحة الحيدرية، وقد

ورد في ذلك حديث روى الشافعي في مسنده، وأحمد، والأربعة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم عن سلمة بن الأكوع قال: قلت يا رسول الله إني رجل أصيد أفأصلي في القميص الواحد؟ قال: نعم وأزرره ولو بشوكة» ثم رأيت النقل في المسألة صريحاً والله الحمد. قال البخاري في صحيحه: باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وأورد فيه حديث الجبتين في مثل المتصدق والبخل - وفيه - ويقول بأصبغه هكذا في جيبه.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: فالظاهر أنه كان لابساً قميصاً وكان في طوقه فتحة إلى صدره قال: بل استدل به ابن بطلال على أن الجيب في ثياب السلف كان عند الصدر، قال: وموضع الدلالة منه أن البخيل إذا أراد إخراج يده أمسكت في الموضع الذي ضاق عليها وهو الثدي والتراقي وذلك في الصدر، فبان أن جيبه كان في صدره لأنه لو كان في غيره لم يضطر يده إلى ثدييه وتراقيه، قال الحافظ ابن حجر بعد إيراد كلام ابن بطلال وفي حديث قره بن إياس الذي أخرجه أبو داود، والترمذي وصححه، وابن حبان لما بايع النبي ﷺ قال: «فأدخلت يدي في جيب قميصه فمست الخاتم» ما يقتضي أن جيب قميصه كان في صدره لأن في أول الحديث أنه رآه مطلق القميص أي غير مزرر انتهى. وأخرج الطبراني عن زيد بن أبي أوفى: «أن رسول الله ﷺ نظر إلى عثمان بن عفان فإذا أزراره محلولة فزرها رسول الله ﷺ بيده ثم قال: «اجمع عطفني ردائك على نحرك» هذا أيضاً يدل على أن جيبه كان على صدره. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلَيَصْرِفَنَّ يُخْرِجُنَّ عَلَىٰ جُؤْهِنَ﴾ [النور: ٣١] يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء، وقال ابن جرير في تفسيره: حدثني المثنى ثنا إسحاق بن الحجاج ثنا إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص [قوهي] محلول الزر.

كتاب البعث

مسألة: هل ورد أن الزامر يأتي يوم القيامة بمزماره، وأن السكران يأتي بقدحه، وأن المؤذن يأتي يؤذن؟.

الجواب: نعم ورد ما يقتضي ذلك وورد التصريح بأفراد منه ونص عليه العلماء، ففي صحيح مسلم: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه من حديث جابر، وروى البيهقي في البعث من حديث فضالة بن عبيد أن النبي ﷺ قال: «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة» وعليه حمل العلماء ما رواه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري: «يبعث الميت في ثيابه الذي مات فيها» أي في أعماله التي يموت فيها من خير أو شر، وقد ثبت في الصحيح أن المجروح في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يشب دماً - وفيه أيضاً - أن الذي مات على إحرامه يبعث ملبياً - وفي رواية ملبداً - وقد روى الأصبهاني في الترغيب من طريق عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً: «أن المؤذنين والملبين

يخرجون من قبورهم يوم القيامة يؤذن المؤذن ويلبي الملبى» - وعباد ضعيف - إلا أن للحديث شواهد منها الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها.

وروى الأصبهاني أيضاً من طريق أبي هذبة - وهو واه - عن أشعث الحداني عن أنس مرفوعاً: «من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران وبعث من قبره سكران» - الحديث - وقال الغزالي في كشف علوم الآخرة: من الناس من يحشر بفتنته الدنيوية، فيقوم مفتونون بالعود فعند قيامه من قبره يأخذه يمينه فيطرحة فيعود إليه، وكذلك يبعث السكران سكران، والزمار زامراً، وشارب الخمر والكوز معلق في عنقه، وكل أحد على الحال الذي صده في الدنيا عن سبيل الله انتهى.

وفي هذا الكلام إشارة إلى تخصيص الحديث السابق بأن الحالة التي يأتي عليها في الآخرة مما كان عليه في الدنيا المراد بها حالة الطاعة والمعصية بخلاف المباحات، فلا يأتي النجار مثلاً بآلته والبناء ونحوها إلا أن يستعملوها فيما لا يجوز شرعاً والله أعلم.

مسألة: حديث: «أول ما يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت» هل هو صحيح؟

الجواب: نعم رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان.

مسألة: في حديث الطبراني عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] قال: حور بيض [عين] ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر، فإن الشيخ شمس الدين السخاوي استفتى عنه فأفتى وضبطه بخطه شفر بالقاف وضبط الحوراء بالرفع وقال: هذه استعارة - يعني أن الحوراء - بمنزلة جناح النسر في السرعة والطيران والخفة، وأحضرت إلى الفتوى التي كتب عليها بذلك فرأيت خطه بذلك؟

الجواب: هذا تصحيف للحديث وتبديل لمعناه، إنما لفظ الحديث شفر الحوراء - بالفاء - مضافاً إلى الحوراء، والمراد به هذب العين، والمقصود تشبيهه بجناح النسر في الطول المناسب ذلك لضخامة العيون، وقد ورد التصريح بذلك في رواية ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حيث قال: شفر المرأة من الحور العين أطول من جناح النسر، وما قاله من عنده في تفسير ما صحفه في غاية الركاکة كما لا يخفى.

مسألة: هل ورد أن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن؟

الجواب: نعم قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو الحسين الخياط ثنا أبو عبد الله محمد بن روح ثنا الحكم بن موسى ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «عدد درج الجنة عدد آي القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة» قال الحاكم: إسناده صحيح ولم يكتب المتن إلا به وهو من الشواذ. وروى الديلمي في مسند الفردوس من طريق الفيض بن وثيق عن فرات بن سلمان عن ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «درج الجنة على قدر آي القرآن بكل آية درجة فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية

وست عشرة آية» بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض الفيض قال فيه ابن معين: كذاب خبيث.

٥٥ - رفع الصوت بذبح الموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: في الحديث: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال للفريقين أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هو الموت فيذبح» إلى آخره، ولا يخفى أن الموت عرض وهو لا يقبل الانتقال، ولا بد له من محل لعدم قيامه بنفسه، ولا يتألف ولا يتجسد ولا يتصور بصورة الجسم، وكيف يعرفه الفريقان ولم يشاهداه بهذه الصفة قبل ذلك؟ وما النكتة في فرح أهل الجنة بذبحه مع علمهم بأنه لا موت في الجنة ولا خروج بعد دخولها لما تقدم لهم من أخبار أنبيائهم وتلاوة كتبهم؟

الجواب: اشتمل هذا الكلام على ثلاثة أسئلة: فأما الأول فإنه إشكال قديم له في الوجود أكثر من أربعمئة سنة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل لأن الموت عرض والعرض لا ينقلب جسماً فكيف يذبح؟ فأنكرت طائفة صحة الحديث ودفعته، وتأولته فقالوا: هذا تمثيل ولا ذبح هناك حقيقة. وقال المازري: الموت عندنا عرض من الأعراض وعند المعتزلة عدم محض وعلى المذهبين لا يصح أن يكون كبشاً ولا جسماً، والمراد بهذا التمثيل والتشبيه قال: وقد يخلق الله تعالى هذا الجسم ثم يذبح ثم يجعل مثلاً لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنة؛ ونقله النووي في شرح مسلم واقتصر عليه، وقال القرطبي في التذكرة: الموت معنى والمعاني لا تنقلب جوهرأ، وإنما يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمال، وكذا الموت يخلق الله تعالى كبشاً يسميه الموت ويلقي في قلوب الفريقين أن هذا الموت يكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين، وقال غيره: لا مانع أن ينشئ الله تعالى من الأعراض أجساداً يجعلها مادة لها كما ثبت في صحيح مسلم في حديث: «إن البقرة، وآل عمران يجيثان كأنهما غمامتان» ونحو ذلك من الأحاديث، وقد تلخص مما سقناه من كلام العلماء أربعة أجوبة وبقي خامس لم أحب ذكره، وأما السؤال الثاني وهو كيف يعرفه الفريقان ولم يشاهداه؟ فجوابه: يؤخذ من قول القرطبي ويلقي في قلوب الفريقين إلى آخره، وحاصله أن الله تعالى يلقي في قلوبهم معرفة ذلك، وجواب ثان وهو أن الكلبي ومقاتلاً ذكرا في تفسيرهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] أن الله تعالى خلق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس لا تمر على شيء إلا حيي، وهذا يدل على أن

الميت يشاهد حلول الموت به في صورة كبش فلا إشكال حينئذ، وأما السؤال الثالث فهو قديم أيضاً وجوابه: أنه ورد في بعض طرق الحديث عند ابن حبان أنهم يطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، وفسر بأنه توهم لا يستقر، ولا ينافي ذلك تقدم علمهم بأنه لا موت في الآخرة لأن التوهمات تطرأ على المعلومات ثم لا تستقر فكان فرحهم بإزالة التوهم، وجواب ثان وهو أن عين اليقين أقوى من علم اليقين، فمشاهدتهم ذبح الموت أقوى وأشد في انتفائه من تقدم علمهم إذ العيان أقوى من الخبر والله أعلم.

مسألة: ثعلبة الذي روى أنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] الآيات، ذكر الباوردي، وابن السكن، وابن شاهين وغيرهم أنه ثعلبة بن حاطب أحد من شهد بدرًا، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ولا أظن الخبر يصح وإن صح ففي كونه هو البدري نظر، وقد ذكر ابن الكلبي أن ثعلبة بن حاطب الذي شهد بدرًا قتل بأحد فتأكدت المغايرة بينهما، فإن صاحب القصة تأخر في خلافة عثمان قال: ويقوي ذلك أن في تفسير ابن مردويه - ثعلبة بن أبي حاطب - والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فمن يكون بهذه المثابة؟ كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما ينزل؟ فالظاهر أنه غيره انتهى.

ونظير هذا ما روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية أن طلحة بن عبد الله قال: يتزوج محمد بنات عمنا ويحببهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت، وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة أجل مقاماً من أن يصدر منه ذلك حتى رأيت بعد ذلك أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه، فإن طلحة المشهور الذي هو أحد العشرة - طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم التيمي - وطلحة صاحب القصة - طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي - قال أبو موسى في الذيل عن ابن شاهين في ترجمته: هو الذي نزل فيه ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ الآية وذلك أنه قال: لئن مات رسول الله ﷺ لاتزوجن عائشة، وقال: إن جماعة من المفسرين غلطوا وظنوا أنه طلحة أحد العشرة.

مسألة: أبو ثعلبة الخشني ما اسمه وما اسم أبيه؟

الجواب: اسمه جرهم - بضم الجيم والهاء - قاله أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وآخرون، وقيل جرثوم - بضم الجيم والمثلثة - وقيل: جرثومة، وقيل عمرو، وقيل لاشم - بكسر الشين المعجمة - واسم أبيه ناشم - بالنون والشين المعجمة - جزم بذلك النووي في شرح المذهب، وقيل ناشب وقيل ناشر وقيل ناشج.

مسألة: أبو عبيدة بن الجراح هل له عقب؟

الجواب: لم يعقب شيئاً بل كان له ولدان: زيد، وعمير ماتا صغيرين وليس له عقب،

صرح بذلك ابن سعد في الطبقات ونقله عنه الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب .

مسألة: فيما رواه بعض أهل هذا الزمان لشخص من أكابر الأعيان أن بينه وبين النبي ﷺ في الرواية ستة أنفس وذلك أن شيخه أخبره أنه روى عن شخص من أصحاب سيدي يوسف عن شيخه النسر - أي عن شيخه - سيدي أبي العباس المثلث عن معمر الصحابي أن النبي ﷺ رآه يوم الخندق وهو ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة ينقلون بغلق واحد فضرب بكفه الشريف بين كتفيه وقال له: «عمرك الله يا معمر» فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التي ضربها بين كتفيه فإنها كانت أربع ضربات بعدد كل مائة سنة، وقال له بعد أن صافحه: من صافحك إلى ست أو سبع لم تمسه النار، أروى ذلك أحد من الأئمة أم هو كذب وافتراء لا يجوز لأحد نقله لأحد من الناس فضلاً عن أكابر الأمراء؟.

الجواب: هذا الحديث رواه الشيخ صلاح الدين الطرابلسي مرة في مجلس الأمير تماراز وكنت حاضراً فقلت له باطل ومعمر هذا كذاب دجال، وأوردت له الحديث الصحيح الذي قاله النبي ﷺ قبل وفاته بشهر: «أرايتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» وقلت له إن أهل الحديث وغيرهم قالوا إن من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته ﷺ فهو كاذب، وأن آخر الصحابة موتاً أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة، فقال لي لا بد من نقل في هذا بخصوصه، فلما رجعت رأيت الميزان للذهبي فرأيت ذكر معمر بن بريك وأنه عمر مئتين من السنين، وروى عنه أحاديث خماسية باطلة وهي كذب واضح وقال: إنه من نمط رتن الهندي فقيح الله من يكذب، فأرسلت الميزان للشيخ صلاح الدين فرآه فشكر ودعا، ثم بعد مدة أراني شخص ورقة فيها تحديث الشيخ صلاح الدين بهذا الحديث وإجازته إياه فكتبت فيها أن هذا الحديث كذب لا تحل روايته ولا التحديث به فليعلم كل مسلم أن معمرأ هذا دجال كذاب وقصته هذه كذب وافتراء لا يحل لمسلم أن يحدث بها ولا يرويها، ومن فعل ذلك دخل في قوله ﷺ: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار». ثم رأيت بعد ذلك فتياً قدمت لحافظ أبي الفضل بن حجر في معمر هذا فكتب عليها ما نصه - لا تخلو طريق من طرق المعمر عن متوقف فيه - حتى المعمر نفسه - فإن من يدعي هذه الرتبة يتوقف على ثبوت العدالة وثبوت ذلك عقلاً لا يفيد مع ورود الشرع بنفيه فإنه ﷺ أخبر في الأحاديث الصحيحة بانخرام قرنه بعد مائة سنة من يوم مقالته المشهورة، فمن ادعى الصحبة بعد ذلك لزم أن يكون مخالفاً لظاهر الخبر.

ثم رأيت فتياً أخرى رفعت له فكتب عليها ما نصه - هذا الحديث لا أصل له والمعمر المذكور إما كذاب أو اختلقه كذاب - وآخر الصحابة موتاً مطلقاً أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي - ثبت ذلك في صحيح مسلم، واتفق عليه العلماء، واحتج البخاري بحديث أنه ﷺ قال قبل موته بقليل: «إن على رأس مائة سنة من تلك الليلة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد» وأراد بذلك انخرام القرن فكل من ادعى الصحبة بعد أبي الطفيل فهو كاذب، انتهى جواب الحافظ ابن حجر.

مسألة: ما سن عائشة، وفاطمة رضي الله عنهما؟ وكم عاشت كل واحدة منهما بعد وفاة النبي ﷺ وأيهما أفضل؟.

الجواب: أما عائشة رضي الله عنها فسنها بضع وستون فإن النبي ﷺ تزوجها قبل الهجرة بستين، وقيل: بسنة ونصف، وقيل بثلاث سنين، ومات عنها وهي بنت ثمانين عشرة سنة وماتت سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، وأما فاطمة رضي الله عنها فقال الذهبي: الصحيح أن عمرها أربع وعشرون سنة، وقيل إحدى وعشرون، وقيل ست وعشرون، وقيل سبع وعشرون، وقيل ثمان وعشرون، وقيل تسع وعشرون، وقيل ثلاثون، وقيل ثلاث وثلاثون وقيل خمس وثلاثون، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر على الصحيح، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل شهران، وأما أيهما أفضل فثلاثة مذاهب أصحها أن فاطمة رضي الله عنها أفضل.

مسألة: قال ابن سعد في الطبقات: أنا عفان بن مسلم، ويحيى بن حماد، وموسى بن إسماعيل التبوذكي قال: أنبأ أبو عوانة ثنا إسماعيل السدي قال: سألت أنس بن مالك أصلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم؟ قال: لا أدري رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صديقاً نبياً، هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وقال ابن عساكر في تاريخه: أنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أحمد بن أبي عثمان أنا إسماعيل بن الحسن ثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل ثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ثنا عمرو بن محمد العنقري ثنا اسباط بن نصر عن السدي قال: سألت أنس بن مالك كم كان بلغ إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: قد كان قد ملأ مهده ولو بقي لكان نبياً ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء. وقال ابن عساكر: أنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الآبنوسي أنا أبو الطيب عثمان بن عمرو بن محمد بن المنتاب ثنا يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزي أنا ابن مهدي ثنا سفيان عن السدي سمعت أنس بن مالك يقول: لو عاش إبراهيم ابن النبي ﷺ كان صديقاً نبياً.

وقال الباوردي في معرفة الصحابة: ثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا منجاب بن الحارث ثنا أبو عامر الأسدي ثنا سفيان عن السدي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً» وقال الطبراني: ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثني أبي ثنا أبو أسامة ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى هل رأيت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ؟ قال: مات وهو صغير ولو قدر أن يكون نبي بعد محمد ﷺ لعاش ابنه إبراهيم ولكنه لا نبي بعده. وقال الطبراني: أنا أسلم بن سهل الواسطي ثنا وهب بن بقية ثنا محمد بن الحسين المدني عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: هل رأيت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ؟ قال: توفي وهو صغير ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي لعاش ولكنه لا نبي بعده - أخرجه أبو يعلى - ثنا زكريا بن يحيى الواسطي ثنا هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد به.

وقال ابن منده: أنا أحمد بن محمد بن زياد، ومحمد بن يعقوب قالوا: ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: «لما ولدت مارية القبطية لرسول الله ﷺ إبراهيم ومات قال رسول الله ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة ولو بقي لكان صديقاً نبياً» وقال البيهقي: أنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن يونس ثنا سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري ثنا شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: «لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة يتم رضاعه ولو عاش لكان صديقاً نبياً» وقال ابن عساكر: أنا أبو محمد هبة الله بن سهل بن عمر السديقي، وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: أنا أبو عثمان البحيري أنا أبو عمرو بن حمدان أنا أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ثنا عبيد بن إبراهيم الجعفي ثنا الحسن بن أبي عبد الله الفراء ثنا مصعب بن سلام عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لو عاش إبراهيم لكان نبياً» وقال ابن عساكر: أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي أنا أبو حامد أحمد بن الحسين أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن أحمد بن محمد أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن جابر ثنا إبراهيم بن الحسن الهمداني ثنا إسحاق بن محمد الفروي ثنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن أبي جده عن علي بن أبي طالب قال: «لما توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ أرسل النبي ﷺ إلى أمه مارية فجاء به فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه فدفنوه وأدخل النبي ﷺ يده في قبره فقال رسول الله ﷺ: «أما والله إنه لنبي ابن نبي ويكي ويكي المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت ثم قال رسول الله ﷺ: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يفضب الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون» قال ابن عساكر: عيسى - هو ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ليس بالقوي.

فصل: قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: وأما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبياً فباطل وجسارة على الكلام على المنغيات ومجازفة وهجوم على عظيم، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وهذا عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة [وكانه لم يظهر له وجه تأويله فبالغ في إنكاره، وجوابه أن القضية شرطية لا تستلزم الوقوع] ولا يظن بالصحابي أنه يهجم على مثل هذا بظنه والله أعلم.

فصل: روى أبو داود عن عائشة قالت: «مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً فلم يصل عليه رسول الله ﷺ» قال ابن حزم: خبر صحيح. قال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح: اعتل من سلم ترك الصلاة عليه بعلل، منها أنه استغنى بفضيلة أبيه عن الصلاة كما استغنى الشهيد بفضيلة الشهادة، ومنها أنه لا يصلي نبي على نبي وقد جاء أنه لو عاش لكان نبياً انتهى.

فصل: قال الشيخ تقي الدين [السبكي] في حديث: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»

فإن قلت: النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله؟ قلت: قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبياً إلى روحه الشريفة وإلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمده بنور ألهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً انتهى. ومن هذا يعرف تحقيق نبوة السيد إبراهيم في حال صغره وإن لم يبلغ سن الوحي.

مسألة: من قاضي القضاة شيخ الشيوخ تاج الدين بن عربشان الحنفي المسؤول من تفضلات مولانا شيخ الإسلام أمتع الله بوجوده الأنام توضيح التحرير في ذكر أولاد البتول، فإنه ذكر في مجلس عند بعض عظام الأمراء أن أولادها الحسن، والحسين، ومحسن فوق من بعض الحاضرين توقف في محسن فنظم العبد في ذلك أبيات فأراد عرض ذلك على المسامع الكريمة أفاض الله عليها نعمه الجسيمة ليزول ما أشكل من الإبهام بقصد الاستفادة من الإمام، فإن الاستفادة من المولى أخرى وأولى، أمد الله على الإسلام والمسلمين من مديد فضلهم، وأغدق من وافر بسيط طويلكم، فإن بآبكم العالي كعبة الإفادة رزقكم الله الحسنى وزيادة.

وأجبت: وقفت على هذا الدر النظيم والعقد الذي حوى كل جوهر فرد عظيم، فوجدت راقمه أعزه الله تعالى أبدع فيما رقم وأتى بالعجب العجائب فيما نثر ونظم، وأصاب في ذكره المحسن صوب الصواب، وأتى في تقريره بالحكمة وفصل الخطاب، وكيف يتصور أو يمكن توجيه الإنكار لمحسن وقد ورد الحديث المسند والأثر عن سيد بني ربيعة ومضر أنه سمي أولاد فاطمة بالحسن، والحسين ومحسن ونعم المحبر وقال: سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر، وشبير، ومشبر، والمنكر لذلك حقه أن يضرب عنه صفحاً حيث توقف وإن ثقل ومد عنقه متطلعاً إلى مراتب العلماء فليخفف:

أخبرني زائر رشيد	عن مخبر جاءه يفيد
أن ابن خزيمة عراه	تغير قبل ما يبيد
وأنه جاءه بنقل	عن العراق يستعيد
فقلت لا تنطقن بهذا	التبس الجد والحفيد
كلاهما في الأنام يدعى	محمدأ واسمه حميد
والفرق ما بين زين باد	ما عنه ذو يقظة يحيد
ذاك ابن إسحاق ذو صحيح	له المعالي غدت تشيد
في رابع القرن عام إحدى	وعشرة قد قضى الفريد

ولم يشن قط باختلاط بل وصفه كله سعيد
وابن ابنه الفضل ذو اختلاط مدة عامين أو تزيد
ومات في القرن عام سبع بعد ثمانين يا رشيد
نص على ذاك كل حبر وعده الحافظ المجيد

٥٦ - إتحاف الفرقة برفو الخرقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقه وأثبتة جماعة وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة فإنه قال الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي وقيل لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة.

الوجه الأول: أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم. **الثاني:** إن الحسن ولد لستين بقيتا من خلافة عمر باتفاق وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر فدعا له: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس، ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب، وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسنده، وذكر المزي أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة، ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل عثمان، وعلي إذ ذاك بالمدينة فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة، وزيادة على ذلك أن علياً كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة، والحسن في بيته هو وأمه. **الوجه الثالث:** إنه ورد عن الحسن ما يدل على سماعه منه، أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم قال: ثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا ثنا أبو حنيفة محمد بن صفية الواسطي ثنا محمد بن موسى الجرشى ثنا ثمامة بن عبيدة ثنا عطية بن محارب عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن قلت يا أبا سعيد إنك تقول قال: رسول الله ﷺ وإنك لم تدريه قال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك مني ما أخبرتك أني في زمان كما ترى - وكان في عمل الحجاج - كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً.

ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن عن علي

قال أحمد في مسنده: ثنا هشيم أنا يونس عن الحسن عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه» أخرجه الترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه؛ والضياء المقدسي في المختارة، قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي عند الكلام على هذا الحديث قال علي بن المديني: الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام، وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويج لعلي ابن أربع عشرة سنة ورأى علياً بالمدينة ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك، وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع علياً انتهى. قلت: وفي هذا القدر كفاية، ويحمل قول النافي على ما بعد خروج علي من المدينة، وقال النسائي: ثنا الحسن بن أحمد بن حبيب ثنا شاد بن فياض عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «أفطر الحاجم والمحجوم» وقال الطحاوي: ثنا نصر بن مرزوق ثنا الخطيب ثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان في الرهن فضل فأصابته جائحة فهو بما فيه» الحديث، وقال الدارقطني: ثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا الحسن بن شبيب المعمرى قال: سمعت محمد بن صدران السلمي ثنا عبد الله بن ميمون المزني ثنا عوف عن الحسن عن علي أن النبي ﷺ قال لعلي: «يا علي قد جعلنا إليك هذه السبعة بين الناس» الحديث.

وقال الدارقطني: ثنا علي بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن الحسن قال: قال علي: «إن وسع الله عليكم فاجعلوه صاعاً من بر وغيره» - يعني زكاة الفطر - وقال الدارقطني: ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا داود ابن رشيد ثنا أبو حفص الأبار عن عطاء بن السائب عن الحسن عن علي قال: «الخلية، والبرية، والبتة، والباثن، والحرام ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره» وقال الطحاوي: ثنا ابن مرزوق ثنا عمرو بن أبي رزين ثنا هشام بن حسان عن الحسن عن علي قال: «ليس في مس الذكر وضوءاً».

وقال أبو نعيم في الحلية: ثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو يحيى الرازي ثنا هناد ثنا ابن فضل عن ليث عن الحسن عن علي رضي الله عنه قال: «طوبى لكل عبد ثومه عرف الناس ولم يعرفه الناس عرفه الله تعالى برضوان أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة سيدخلهم الله في رحمة منه ليس أولئك بالمزابع البذر ولا الجفافة المرائين».

وقال الخطيب في تاريخه: أنا الحسن بن أبي بكر أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن غالب ثنا يحيى بن عمران ثنا سليمان بن أرقم عن الحسن عن علي قال: «كفنت النبي ﷺ في قميص أبيض وثوبي حبرة». وقال جعفر بن

محمد بن محمد في كتاب العروس: ثنا وكيع عن الربيع عن الحسن عن علي بن أبي طالب رفعه من قال: «في كل يوم ثلاث مرات صلوات الله على آدم غفر الله له الذنوب وإن كانت أكثر من زيد البحر» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريقه، ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب: قال يحيى بن معين: لم يسمع الحسن من علي بن أبي طالب قيل ألم يسمع من عثمان؟ قال يقولون عنه: رأيت عثمان قام خطيباً، وقال غير واحد: لم يسمع من علي وقد روي عنه غير حديث، وكان علي لما خرج بعد قتل عثمان كان الحسن بالمدينة ثم قدم البصرة فسكنها إلى أن مات. قال الحافظ ابن حجر: ووقع في مسند أبي يعلى قال: ثنا جويرية بن أشرس قال: أنا عقبه بن أبي الصهباء الباهلي قال: سمعت الحسن يقول: سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر» الحديث، قال محمد بن الحسن بن الصيرفي شيخ شيوخوا: هذا نص صريح في سماع الحسن من علي ورجاله ثقات - جويرية وثقه ابن حبان - وعقبه - وثقه أحمد، وابن معين - [انتهى، وحديث آخر يدل على ذلك قال اللالكائي في السنة: أنا أحمد بن محمد بن محمد الفقيه أنا محمد بن أحمد بن حمدان ثنا تميم بن محمد ثنا نصر بن علي ثنا محمد بن سواء ثنا سعيد بن أبي عروبة عن عامر الأحوال عن الحسن قال: شهدت علياً بالمدينة وسمع صوتاً فقال: ما هذا؟ قالوا: قتل عثمان قال: اللهم اشهد أنني لم أرض ولم أملأ مرتين أو ثلاثاً. ثم وجدت حديثاً آخر قال الحافظ أبو بكر بن مسدي في مسلاته: صافحت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسوي النغزوي بها قال: صافحت أبا الحسن علي بن سيف الحصري بالإسكندرية ح وصافحت أيضاً أبا القاسم عبد الرحمن بن أبي الفضل المالكي بالإسكندرية قال: صافحت شبيل بن أحمد بن شبيل قدم علينا قال كل واحد منهما: صافحت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيني قال: صافحت محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي قال: صافحت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة قال: صافحت أحمد بن محمد النغزوي بها قال: صافحت أحمد الأسود قال: صافحت مشاد الدينوري قال: صافحت علي بن الرزني الخراساني قال: صافحت عيسى القصار قال: صافحت الحسن البصري قال: صافحت علي بن أبي طالب قال: صافحت رسول الله ﷺ قال: صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل. قال ابن مسدي: غريب لا نعلمه إلا من هذا الوجه، وهذا إسناد صوفي انتهى].

مسألة: ذكر بعضهم أن النبي ﷺ لبس عمامة صفراء فهل لذلك أصل؟

الجواب: نعم قال الطبراني: ثنا محمد بن الحسين الأنماطي البغدادي ثنا مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري حدثني أبي عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: «رأيت على رسول الله ﷺ ثوبين مصبوغين بزعفران رداء وعمامة»، أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال ابن سعد في الطبقات: أنا الفضل بن دكين عن هشام بن سعد عن يحيى بن عبد الله بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه

وعمامته» وقال: أنا هاشم بن القاسم ثنا عاصم بن عمر عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم قال: «كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة». وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق سليمان بن أرقم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء»، وأخرج ابن سعد عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصفر ثيابه». وفي الصحيح من حديثه أن النبي ﷺ كان يصبغ بالصفرة. وقال الطبراني: ثنا أسلم بن سهل ثنا محمد بن الصباح ثنا عبيد بن القاسم عن إسماعيل بن أبي خالد عن ابن أبي أوفى قال: «كان أحب الصبغ إلى رسول الله ﷺ الصفرة» وأخرج ابن عساكر من طريق عباد بن حمزة عن عبد الله بن الزبير أنه بلغه أن الملائكة نزلت يوم بدر عليهم عمام صفر وكانت على الزبير يومئذ عمامة صفراء فقال النبي ﷺ: «نزلت الملائكة اليوم على سيما أبي عبد الله وجاء النبي ﷺ وعليه عمامة صفراء». وفي ذلك يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره عند البلاء وفارس الشعواء

وغداة بدر كان أول فارس شهد الوغى في اللامة الصفراء

نزلت بسيماء الملائك نصرة بالحوض يوم تألب الأعداء

في عدد أبواب الجنة: أخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون». وأخرج مسلم، وأبو داود، والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء».

وأخرج النسائي، وابن ماجه، والحاكم عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» وأخرج أحمد، والطبراني من حديث عقبة بن عامر مثله وأخرج أحمد وابن ماجه، وابن السني في عمل يوم ليلة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له من الجنة ثمانية أبواب يدخل من أيها شاء دخل».

وأخرج الطبراني من حديث ثوبان مثله. وأخرج ابن السني عن ثوبان قال: قال

رسول الله ﷺ: «من توضأ فأصبح الوضوء ثم قال عند فراغه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» وأخرج الخطيب في تاريخه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ للصلاة وأصبح الوضوء ورفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فتح له ثمانية أبواب الجنة وقيل له أدخل من أي باب شئت» وأخرج محمد بن نصر في كتاب الصلاة عن أبي هريرة، وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى أنها لتصطفق» وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وأبو يعلى، والطبراني، والحاكم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه» وأخرج أحمد، وابن ماجه، والطبراني، والبيهقي في البعث عن عقبة بن عبد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان له بنتان أو أختان أو عمتان أو خالتان وعالهن فتحت له ثمانية أبواب الجنة».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان له بنتان» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة اتقت ربها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها فتح لها ثمانية أبواب الجنة فقبل لها ادخلي من حيث شئت».

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قال: «للجنة ثمانية أبواب: باب للمصلين، وباب للصائمين، وباب للحاجين، وباب للمعتمرين، وباب للمجاهدين، وباب للذاكرين، وباب للصابرين، وباب للشاكرين». وأخرج أحمد، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في سننه عن عقبة بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «القتلى ثلاثة» فذكر الحديث إلى أن قال: «وادخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب ولجنهم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض» وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات يؤمن بالله واليوم الآخر قيل له ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت» وأخرج المستغفري في الدعوات وحسنه عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول حين يتوضأ بسم الله ثم يقول لكل عضو أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يقول حين يفرغ: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» وأخرج الحاكم في تاريخه عن أنس قال: مات ابن لعثمان بن مظعون فحزن عليه حزناً شديداً فقال له النبي ﷺ: «يا عثمان أما ترضى بأن للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة وأنت لا تنتهي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدت ابنك قائماً عنده أخذاً بحجزتك يشفع لك عند

ربك؟ قال: بلى قال المسلمون: يا رسول الله ولنا في فرطنا مثل ما لعثمان؟ قال: نعم لمن صبر واحتسب».

مسألة: فيما هو جار على السنة العامة وفي المدائح النبوية أن النبي ﷺ لان له الصخر وأثرت قدمه فيه، وأنه كان إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه فيه هل له أصل في كتب الحديث أو لا؟ وهل إذا ورد فيه شيء من خرقه؟ وصحيح هو أو ضعيف؟ وهل ما ذكره الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في معراجيه الذي ألفه مسجعاً ولفظه: ثم توجه نحو صخرة بيت المقدس وعماما. فصعد من جهة الشرق أعلاها. فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت. فأمسكتها الملائكة لما تحركت ومالت؟ ألهذا أيضاً أصل في كتب الحديث صحيح أو ضعيف أو لا؟ وهل هذا الأثر الموجود الآن بصخرة بيت المقدس المعروف هناك بقدم النبي ﷺ صحيح أو لا؟ وهل ورد في كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أثرت قدماء في الحجر الذي كان يبني عليه البيت الذي هو الآن بالمسجد الحرام بالمكان المعروف بمقام إبراهيم هل هو صحيح أو ضعيف أو ليس له أصل؟ وهل ما قاله بعضهم أنه لم يعط نبي معجزة إلا حصل لنبينا ﷺ مثلها أو لأحد من أمته صحيح ذلك أو لا؟ ومن هو قائل ذلك؟ وهل صح أن النبي ﷺ لما جاء إلى بيت أبي بكر الصديق بمكة ووقف ينتظره ألزق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق في الحجر وأثر فيه وبه سمي الزقاق بمكة زقاق المرفق أوليس لذلك أصل؟ وهل ما ذكره الثعلبي، والطريوشي في تفسيريهما أن النبي ﷺ لما حفر الخندق وظهرت الصخرة وعجزت الصحابة عن كسرها نزل ﷺ إلى الخندق وضربها ثلاث ضربات وأنها لانت له وتفتت صحيح ذلك أو ضعيف أوليس له أصل معتمد؟ وهل إذا ثبت أن الصخر لان له ﷺ وأثرت قدمه فيه يكون ذلك معجزة له ﷺ أو لا؟.

الجواب: أما حديث الصخرة التي ظهرت في الخندق وعجز الصحابة عن كسرها وضربها ثلاث ضربات فكسرها فإنه صحيح ورد من طرق بالفاظ متعددة فأخرجه البيهقي، وأبو نعيم معاً في دلائل النبوة من حديث عمرو بن عوف المزني، ومن حديث سلمان الفارسي، ومن حديث البراء بن عازب وأصله في الصحيح من حديث جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فأخذ المعول فضرب فعاد كتيباً أهيل، وأما قوله: هل ورد في كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أثرت قدماء في الحجر الذي كان يبني عليه البيت وهو المقام فنعم. وورد ذلك - أخرجه الأزرق في تاريخ مكة - من طريق أبي سعيد الخدري عن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما موقوفاً عليه بسند صحيح، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن قتادة، وأخرجه أيضاً عن عكرمة، وبقي ما ذكر في الأسئلة لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرقه في شيء من كتب الحديث:

شرط البخاري الإمام ومسلم فيما حكاه جماعة متوافره

تخريج ما يرويه عن خير الورى
وعليه أورد إنما الأعمال من
فأجابه القاضي أبو بكر هو الع
إن رواة أبي سعيد فانتفى الإ
وسواه زاد أبا هريرة فيه مع
وجماعة قالوا بأبلغ منه أن
فعن ابن منده قد رواه ثمان عش
يا من يروم الخوض في ذا الفن لا
لا يصلح الإقدام فيما رمته

اثنان من أصحابه المتكاثره
في الحفظ رتبته لديهم قاصره
ربي في شرح البخاري ناصره
يراد وارتفعت حلاه الفاخره
أنس فصارت أربعاً متظافره
يدرجنه في زمرة المتواتره
رة من صحاب كالنجوم الزاهره
تقدم عليه بهمة متقاصره
حتى تلجج في البحار الزاخره

مسألة: ذكر ذاكر أن أكثر قراءة النبي ﷺ في الصلاة كانت بقراءة نافع وهذا شيء لا أصل له البتة بل كان يقرأ بجميع الأحرف المنزلة عليه، وكيف ينسب إلى النبي ﷺ أمر لم يروه عنه أحد من الصحابة، ولا خرجه أحد من أئمة الحديث في كتبهم لا بإسناد صحيح ولا بإسناد غير صحيح، ثم إن هذا أمر لا يعرف لا من جهة الصحابة الذين سمعوا قراءته والذي روى عنهم أنهم قالوا قرأ بسورة كذا [أو بسورة كذا] ولم يقولوا في روايتهم قرأ السورة الفلانية بلفظ كذا ولفظ كذا حتى تطابق تلك الألفاظ فتوجد موافقة لقراءة نافع، ولو ثبت هذا الكلام عند الإمام مالك رضي الله عنه لكان أول قائل بقراءة البسملة في الصلاة لأن البسملة ثابتة في قراءة قالون عن نافع، ولم يثبت عند مالك أنه ﷺ قرأ البسملة في الصلاة، فهذا يدل على أنه لم يثبت عنده أنه كان أكثر قراءته بقراءة نافع، وما كل حديث وجد مقطوعاً بغير سند في كتاب يجوز الاعتماد عليه حتى يثبت تخريجه في كتاب حافظ بسند متصل صحيح، وكم في الكتب من أحاديث لا أصل لها ثم تبين أن هذا النقل لا وجود له، وأن الذي نقله القرافي في الذخيرة أنه تستحب القراءة بتسهيل الهمزة لأن ذلك لغة النبي ﷺ، وهذا كلام في غاية الحسن لا غبار عليه لأن العلماء أجمعوا على أن لغة النبي ﷺ لغة قريش ولغة قريش عدم تحقيق الهمز فيكون ذلك لغة النبي ﷺ صحيح، ولكن ليس فيه أن النبي ﷺ كان أكثر قراءته في الصلاة بقراءة نافع ولا روى هذا أحد من الصحابة البتة ولا خرجه أحد من أئمة الحديث، بل ولا في هذا دلالة على أنه كان أكثر قراءته بتسهيل، أكثر ما فيه أنه دل على أن ذلك لغته من غير قدر زائد على ذلك، وقد كان ﷺ يقرأ بجميع ما أنزل عليه بتسهيل الهمز الذي هو لغته، وبتحقيق الهمز الذي هو لغة غير قريش، وبترك الإمالة الذي هو لغة الحجاز، وبالإمالة التي هي لغة تميم، وذكر الأكثرية تحتاج إلى نص من الصحابة مخرج في كتاب معتبر بإسناد متصل صحيح ولا وجود لذلك البتة، وذكر أن القراءة بالترقيق في الصلاة مكروهة لأنها تذهب الخشوع وليس كذلك، لأن المكروه ما ورد فيه نهى خاص ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك نهى. وقوله: إنها تذهب

الخشوع ممنوع لأنه إن كان ذلك من جهة الفكر في أداء تلك الهيئة فجميع هيئات الأداء كذلك، والفكر في أداء ألفاظ القرآن على الهيئة التي أنزل عليها لا ينافي الخشوع لأنه من أمور العبادة والدين، وإنما ينافي الخشوع الفكر في الأمور الدنيوية لا الدينية ولا الأخروية - نصوا عليه - ثم إن المكروه عند الأصوليين من قسم القبيح كما أن المندوب عندهم من قسم الحسن ولا يوصف شيء من القرآن بالقبيح فإن قال قائل: قد ذهب جماعة إلى أن بعض القرآن أفضل من بعض. قلنا: مع اتفاقهم على أن الكل يقرأ ولا يقول أحد بأن غير الأفضل تكره قراءته هذا لا يتوهمه أحد، ثم إن قراءة القرآن بالأحرف الثابتة في السبعة فرض كفاية بالإجماع فكيف يتخيل أن يوصف ما هو فرض كفاية بأنه مكروه ثم تبين أن هذا النقل لا وجود له وأن الذي نقله القرافي في الذخيرة وكره مالك الترقيق، والتفخيم، والروم، والاشمام في الصلاة لأنها تشغل عن أحكام الصلاة، وليس المراد بهذه الكراهة التي هي أحد أقسام الأحكام الخمسة التي يصفها الأصوليون بأنها داخلة في قسم القبيح كالحرام، بل الكراهة في كلام الأئمة المجتهدين كمالك، والشافعي لها إطلاقان: أحدهما هذا ويعبر عنها بالكراهة الشرعية. والآخر بمعنى أن المجتهد أحب واختار أن لا يفعل ذلك من غير إدخاله في قسم المكروه الذي هو من نوع القبيح، ويعبر عن هذه بالكراهة الإرشادية وهذه الكراهة لا ثواب في تركها ولا قبح في فعلها، وقد ذكر أصحابنا ذلك في قول الشافعي: وأنا أكره المشمس من جهة الطب، فاختلفوا هل هذه الكراهة شرعية يثاب فيها أو إرشادية لا ثواب فيها؟ على وجهين. وقال الشافعي: وأنا أكره الإمامة لأنها ولاية وأنا أكره سائر الولايات، فليس مراد الشافعي بذلك الكراهة التي هي أحد أقسام الحكم الخمسة الداخلة في قسم القبيح، كيف والإمامة فرض كفاية لأن بها تنعقد الجماعة التي هي فرض كفاية، والرافعي يقول إنها أفضل من الأذان وفي كل منهما فضل وذلك مناف للكراهة قطعاً، وإنما مراد الشافعي أنه لا يحب الدخول فيها ولا يختاره للمعنى الذي ذكره فهي كراهة إرشادية لا شرعية، فلو فعلها لم يوصف فعله بقبح بل هو آت بعبادة فيها فضل إجماعاً، أما فضل يزيد على فضل الأذان كما هو رأي الرافعي، أو ينقص عنه كما هو رأي النووي، ولو كانت الإمامة مكروهة كراهة شرعية لم يكن فيها فضل البتة لأن الكراهة والثواب لا يجتمعان وكذلك قول القرافي، وكره مالك ما ذكر معناه أنه أحب واختار أن لا يفعل ذلك للمعنى الذي ذكره فهو أمر إرشادي، وليس مراده الكراهة التي يدخل متعلقها في قسم القبيح معاذ الله هذا لا يظن بمن هو دون مالك بكثير فضلاً عن هذا الإمام الجليل إمام دار الهجرة وإمام أهل المشرق والمغرب رضي الله عنه وعنا به.

٥٧ - بلوغ المأمول في خدمة الرسول ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى].

مسألة: حديث: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» ورد من حديث ابن عباس، وأبي هريرة. وجابر. فأما حديث ابن عباس فأخرجه عبد الرزاق في المصنف وأحمد في مسنده، وابن جرير في تهذيب الآثار، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في ذم الملاحه، وأبو يعلى، والعدني في مسنديهما، وعبد بن حميد، وابن الجارود في المنتقى والدارقطني في سننه، والطبراني، والحاكم في المستدرک وصححه، والبيهقي في سننه، والضياء المقدسي في المختارة - وقد صححه جمع من الأئمة الحفاظ - الحاكم كما ذكرناه، وابن الجارود، وحيث أخرجه في المنتقى فإنه التزم فيه الصحيح، والضياء حيث أخرجه في المختارة فإنه التزم فيها الصحيح الزائد على الصحيحين وقالوا: إن صحيحها أقوى من صحيح المستدرک، وصححه أيضاً ابن الطلاع في أحكامه نقله عنه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي؛ ولما حكى الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الترمذي أن الحاكم صححه أقره وأورد له عدة طرق تقويه لإسناده.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن ماجه، والبخاري، وابن جرير، والحاكم، وصححه أيضاً ابن الطلاع، لكن تعقب الحافظ ابن حجر تصحيح ابن الطلاع له فقال: حديث أبي هريرة لم يصح. قلت: لكن صحح حديث أبي هريرة، وابن عباس معاً ابن جرير في تهذيب الآثار ولعله الذي حمل الحاكم على تصحيح حديث أبي هريرة، وإنما ثبت حديث ابن عباس، وتعقب الذهبي تصحيح الحاكم لحديث أبي هريرة فقال: في سننه عاصم بن عمر العمري - وهو ضعيف - واعتذر عنه الحافظ العراقي بأنه إنما أخرجه شاهداً لحديث ابن عباس.

وأما حديث جابر فأشار إليه الترمذي حيث قال عقب حديث ابن عباس: وفي الباب عن جابر، وأبي هريرة، وقال العراقي في شرحه: رواه ابن حزم من طريق محمد بن القاسم عن يحيى بن أيوب عن عباد بن كثير عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه» ورواه ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن رجل عن ابن عقيل انتهى، وقد أخرج حديث جابر الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن جرير في تهذيب الآثار من طريق عباد بن كثير عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه».

وقد رأيت له طريقاً آخر من حديث علي وقد فات الحفاظين: العراقي، وابن حجر، قال ابن جرير في تهذيب الآثار: حدثني محمد بن معمر البحراني ثنا يحيى بن عبد الله بن بكر ثنا حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «يرجم من عمل قوم لوط أحسن أو لم يحسن».

تنبيه: إنما احتاج الحاكم في تصحيح هذا الحديث إلى شاهد لأن راويه عن عكرمة عن ابن عباس عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب - وعمرو وثقه الجمهور - منهم مالك، والبخاري، ومسلم وأخرجوا حديثه في الصحيحين في الأصول، وضعفه أبو داود، والنسائي ولأجل ذلك أنكر النسائي حديثه هذا، وقال يحيى: كان يستضعف. قال الذهبي في الميزان

بعد حكاية هذا: ما هو بمستضعف ولا بضعيف، نعم ولا هو في الثقة كالزهري وذويه، قال: وروى أحمد بن أبي مريم عن ابن معين قال: عمرو بن أبي عمرو ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به» قال الذهبي عقب ذلك: حديثه صالح حسن منقطع عن الدرجة العليا من الصحيح انتهى، والمقرر في علوم الحديث أن من يكون بهذه الصفة إذا وجد له متابع أو شاهد حكم لحديثه بالصحة فلهذا احتاج الحاكم إلى تخريج حديث أبي هريرة ليكون شاهداً لحديث ابن عباس، وإن كان حديث أبي هريرة ليس على شرط الصحيح إلا أنه أورد شاهداً لا أصلاً لئتم له تصحيح حديث ابن عباس، وقد أورد الحافظ أبو الفضل العراقي عدة طرق لحديث ابن عباس تقوية لتصحيح الحاكم له فقال: قد ورد أيضاً من راويه داود بن الحصين، وعباد بن منصور، وحسين بن عبد الله عن عكرمة فهؤلاء ثلاثة متابعين لعمرو بن أبي عمرو، فراوية داود أخرجها أحمد في مسنده باللفظ السابق. وأخرجها ابن جرير، والبيهقي في سننه بلفظ: «من وقع على الرجل فاقتلوه» ورواية عباد أخرجها البيهقي بلفظ في الذي يعمل عمل قوم لوط وفي الذي يؤتى في نفسه قال: يقتل. وأخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار بلفظ أن النبي ﷺ قال: «اقتلوا الفاعل والمفعول به في اللوطية» ورواية حسين أخرجها الطبراني في الكبير باللفظ السابق، وأورد العراقي أيضاً لحديث أبي هريرة طريقين آخرين: أحدهما في المستدرک، ومعجم الطبراني الأوسط. والثاني في المعجم الأوسط ولفظهما مخالف للفظ السابق، ثم أورد حديث جابر كما تقدم ثم قال: وفي الباب عن أبي موسى الأشعري عند البيهقي، وعن [أبي] أيوب عند الطبراني في الكبير، هذا جميع ما أورده العراقي من الشواهد لتصحيح حديث ابن عباس.

قلت: وقد وجدت شاهداً آخر على زيادة على ذلك قال أبو نعيم في الحلية: ثنا أبو محمد طلحة، وأبو إسحاق سعد أنبأ محمد بن إسحاق الناقد قالاً: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا أبي وكيع ثنا محمد بن قيس عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن أن عثمان أشرف على الناس يوم الدار فقال: أما علمتم أنه لا يجب القتل إلا على أربعة: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس، أو عمل عمل قوم لوط. وقال ابن أبي شيبة في المصنف: ثنا وكيع ثنا محمد بن قيس عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن أن عثمان أشرف على الناس يوم الدار فقال: أما علمتم أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأربعة: رجل عمل عمل قوم لوط، هذا إسناد صحيح، وفي قول عثمان رضي الله عنه للناس: أما علمتم دليل على اشتهاؤهم هذا عندهم كالثلاثة المذكورة معه، وقال ابن أبي شيبة: ثنا غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد عن أبي نضرة قال: سئل ابن عباس ما حد اللوطي؟ قال: ينظر إلى أعلى بناء في القرية فيرمى منه منكساً ثم يتبع بالحجارة.

وقال عبد الرزاق في المصنف عن ابن جريج. ح، وقال ابن أبي شيبة: ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن حثيم سمع مجاهداً، وسعيد بن

جبير يحدثان عن ابن عباس أنه قال في البكر يوجد على اللوطية: إنه يرجم. وقال ابن أبي شيبة: ثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن القاسم أبي الوليد عن يزيد بن قيس أن علياً رجم لوطياً وقال: ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن مجاهد في اللوطي قال: يرجم أحصن أو لم يحصن، وقال: ثنا يزيد أنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم في اللوطي قال: لو كان أحد يرجم مرتين رجم هذا، وقال: ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن عبيد الله بن عبد الله بن معمر في اللوطي قال: عليه الرجم قتلة قوم لوط. وقال: ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جابر بن زيد قال: حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج قال قتادة: نحن نحمله على الرجم.

فهذه الآثار كلها شواهد لتقوية حديث ابن عباس - وكيف يعتمد قول يحيى، وأبي داود والنسائي في ضعف روايه لو انفرد وقد وثقه رؤوس الأئمة مالك، والبخاري، ومسلم الذين هم مقدمون على كل حافظ في عصرهم ومن بعدهم وخرجوا له في الأصول، وقد قال الذهبي في الموعظة: من أخرج له الشيخان أو أحدهما على قسمين: أحدهما ما احتجا به في الأصول: وثانيهما من خرجا له متابعة وشهادة واعتباراً، فمن احتجا به أو أحدهما ولم يوثق ولا غمز فهو ثقة حديثه قوي، ومن احتجا به أو أحدهما وتكلم فيه فتارة يكون الكلام [تعتناً والجمهور على توثيقه فهذا حديثه قوي أيضاً، وتارة يكون الكلام] في تليينه وحفظه له اعتبار فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن التي قد يسميها من أدنى درجات الصحيح، فما في الكتابين بحمد الله رجل احتج به البخاري، أو مسلم في الأصول ورواياته ضعيفة بل حسنة أو صحيحة، ومن خرج له البخاري، أو مسلم في الشواهد والمتابعات ففيهم من في حفظه شيء وفي توثيقه تردد، فكل من خرج له في الصحيحين فقد قفز القنطرة فلا معدل له إلا ببرهان بين، نعم الصحيح مراتب والثقات طبقات، انتهى كلام الذهبي في الموعظة، وقد ذكر في الميزان أن عمرو بن أبي عمر خرج حديثه في الصحيحين في الأصول فكيف يحكم على حديثه [هذا] بالضعف كما تراه في كلام الذهبي هذا وهو لم ينفرد بل له متابعون عن عكرمة ولحديثه شواهد من رواية عدة من الصحابة، فلهذا صححه من صححه من الحفاظ ولم يلتفتوا إلى تضعيف من ضعف روايه واحتاج الحاكم إلى إيراد شاهد له لأن أقل أحوال عمرو أن يكون حديثه حسناً فيحتاج إلى شاهد يرقيه إلى درجة الصحة والله أعلم.

تنبيه آخر: ذكر الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي أن حديث ابن عباس المذكور مختلف في ثبوته فنبه بذلك على فائدة مهمة من اصطلاح الحديث، وقد أحبت أن أبينها لأن من لا إلمام له بعلم الحديث لا يفهم مراده بذلك، وربما توهم أن ذلك قدح في الحديث، كما رأى من لا معرفة له بالفن قول الترمذي في حديث أنا دار الحكمة وعلي بابها في بعض النسخ هذا حديث منكر فظن أنه أراد أنه باطل أو موضوع لعدم علمه بالمصطلح وجهله أن المنكر من أقسام الضعيف الوارد لا من أقسام الباطل الموضوع، وإنما هذا لفظ اصطلاحوا عليه وجعلوه لقباً لنوع محدود من أنواع الضعيف، كما اصطلاح النحاة على

جعلهم الموصول مثلاً لقباً لبعض أنواع المعرفة، وقد وقع للخطيب البغدادي أنه روى في تاريخه حديثاً باطلاً وقال عقبه: هذا حديث منكر، فتعقبه الذهبي في الميزان وقال: العجب من الخطيب كيف يطلق المنكر على هذا الخبر الباطل وإنما أطلق المنكر على حديث القلتين ووصف في الميزان عدة أحاديث في مسند أحمد، وسنن أبي داود، وغيرهما من الكتب المعتمدة بأنها منكورة بل وفي الصحيحين أيضاً، وما ذاك إلا لمعنى يعرفه الحفاظ وهو أن النكارة ترجع إلى الفردية ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلاً عن بطلانه، وطائفة كابن الصلاح ترى أن المنكر والشواذ مترادفان، وكم في الصحيح من حديث وصف بالشذوذ. كحديث مسلم في نفي قراءة البسملة في الصلاة فإن الإمام الشافعي رضي الله عنه حكم عليه بالشذوذ وليس لك أن تقول قد شرطوا في الصحيح أن لا يكون شاذاً فكيف يستقيم أن يكون مخرجاً في الصحيح ويحكم عليه بالشذوذ لأن هذا أيضاً من عدم معرفتك بالضعف، فإن ابن الصلاح لما ذكر ضابط الصحيح وشرط أن لا يكون شاذاً قال في آخر الكلام: فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث، فأشار إلى أن هذا ضابط الصحيح المتفق عليه، وبقي من الصحيح نوع آخر لم يدخل في هذا الضابط وهو الصحيح المختلف فيه ولهذا قال الزركشي في شرح مختصر ابن الصلاح: خرج الصحيح المختلف فيه عن هذا التعريف، ثم قال ابن الصلاح بعد هذا فوائد مهمة أحدها الصحيح يتنوع إلى متفق عليه ومختلف فيه، ويتنوع إلى مشهور وغريب وبين ذلك، قال الزركشي في شرحه، والحافظ ابن حجر في نكته عند هذا الموضوع: ذكر الحاكم في المدخل أن الصحيح من الحديث ينقسم عشرة أقسام - خمسة متفق عليها - وخمسة مختلف فيها - فالأول من القسم الأول: اختيار البخاري، ومسلم وهو الدرجة الأولى من الصحيح الذي يرويه الصحابي المشهور الذي له راويان، والأحاديث المروية بهذا الشرط لا يبلغ عددها عشرة آلاف. الثاني: الصحيح بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى الصحابي وليس له إلا راو واحد. الثالث: أخبار جماعة من التابعين الذين ليس لهم إلا راو واحد. الرابع: هذه الأحاديث الأفراد، والغرائب التي يرويها الثقات العدول تفرد بها ثقة من الثقات وليس لها طرق مخرجة في الكتب. الخامس: أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم ولم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم بها إلا عنهم. وأما الأقسام الخمسة المختلف في صحتها: فالأول: المرسل صحيح عند أهل الكوفة. الثاني: رواية المدلسين إذا لم يذكروا سماعهم - وهي صحيحة عند جماعة منهم. الثالث: خبر يرويه ثقة من الثقات عن إمام من أئمة المسلمين فيسنده ثم يرويه عنه جماعة من الثقات فيرسلونه. الرابع: رواية محدث صحيح السماع صحيح الكتاب ظاهر العدالة غير أنه لا يعرف ما يحدث به ولا يحفظه فإن هذا القسم صحيح عند أكثر أهل الحديث ومنهم من لا يرى الحجة به. الخامس: روايات المبتدعة وأهل الأهواء فإن رواياتهم عند أهل العلم مقبولة إذا كانوا

صادقين، قال الحاكم: فهذه الأقسام ذكرتها لئلا يتوهم متوهم أنه ليس بصحيح إلا ما أخرجه البخاري، ومسلم انتهى.

إذا عرفت ذلك فقول الحافظ ابن حجر: وحديث ابن عباس مختلف في ثبوته أراد به بيان أنه من قسم الصحيح المختلف فيه لا من القسم المتفق عليه وقصد بذلك تكملة الفائدة، فإن طريقته في هذا الكتاب أنه إذا كان الحديث من القسم الأول أطلق ثبوته، وإذا كان من القسم الثاني نبه عليه. وفي هذا الكتاب الجليل من نفائس الصناعة الحديثية ما لا يعرفه إلا المتبحر في الفن كمؤلفه، فليحذر المرء من الإقدام على التكلم في حديث رسول الله ﷺ بغير علم وليمعن في تحصيل الفن حتى يطول باعه ويرسخ قدمه، ويتبحر فيه لئلا يدخل في حديث: «من تكلم بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض» ولا يغتر بكونه لا يجد من ينكر عليه في الدنيا، فبعد الموت يأتيه الخبر إما في القبر أو على الصراط، والنبى ﷺ هناك يخاصمه ويقول له: كيف تجازف في حديثي وتكلم فيما ليس لك به علم، فأما أن ترد شيئاً قلته وإما تنسب إلي ما لم أقله، أما قرأت فيما أنزل علي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؟ فيا خجلته يومئذ ويا فضيحتة، هذا إن مات مسلماً وإلا عوقب والعياذ بالله بسوء الخاتمة كما يقول الخطباء على المنابر في بعض الخطب والذنوب فرب ذنب يعاقب العبد عليه بسوء الخاتمة، وكما نقل الشيخ محيي الدين القرشي الحنفي في تذكرته عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: أكثر ما يسلب الناس الإيمان عند الموت وأكبر أسباب ذلك الظلم، وأي ظلم أعظم من الجراءة على الخوض في حديث رسول الله ﷺ بغير علم، نسأل الله السلامة والعافية.

الفتاوى الأصولية الدينية

مبحث الإلهيات

مسألة: في تعريف الإيمان: وركنه، وشرطه، وسببه، ومحله، وهل يزيد وينقص، وما الدليل على ذلك؟.

الجواب: الإيمان هو التصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ وعلم مجيئه به من الدين بالضرورة وشرطه التلطف بكلمتي الشهادتين - وقيل هو ركن له - وسببه النظر المؤدي إلى ذلك، ومحله القلب وهو يزيد وينقص عندنا وعند أكثر السلف، وخالف في ذلك الحنفية، والأدلة على زيادته ونقصه كثيرة ذكر البخاري في صدر صحيحه منها جملة، منها قوله تعالى: ﴿وَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المائدة: 31] - ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] وفي الحديث: «الإيمان يزيد وينقص» أخرجه أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً، والدليمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

٥٨ - إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فقد وقع السؤال هل كان الأمم السابقة يوصفون بأنهم مسلمون أو لا؟ فأجبت بما نصه: اختلف العلماء هل يطلق الإسلام على كل دين حق أو يختص بهذه الملة الشريفة؟ على قولين: أرجحهما الثاني، فبلغني بعد ذلك أن منكر أن ذلك أعجب من ذلك وأنه استدل بأشياء على كون الأمم السابقة يوصفون بكونهم مسلمين فعجبت من ذلك عجبين: الأول: من إنكاره فإن كان أنكر أن للعلماء في ذلك قولين فهذا دليل على جهله بنصوص العلماء وأقوالهم، ومن هذا حاله يقال في حقه ما قاله الغزالي: لو سكت من لا يعرف قل الاختلاف، ومن قصر باعه وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع عليه فما له وللتكلم فيما لا يدره والدخول فيما لا يعنيه، وحق مثل هذا أن يلزم السكوت، وإذا سمع شيئاً لم يسمعه قط يعتقد أنه استفاد فائدة جديدة فيعدها نعمة من نعم الله عليه ويدعو لمن أجراها على يديه ويشكر الله عليها، وإن كان أنكر ترجيح القول الثاني فهذا ليس من وظيفته إنما ذلك من وظيفة المجتهدين العالمين بوجوه الترجيحات ومسالك الأدلة وطرق الحجاج والنظر، وإنكاره أيضاً دليل على جهله بنصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك. العجب الثاني: من

استدلاله فإن الاستدلال إنما يسوغ للمجتهد العالم بطريق الاستدلال أما غيره فما له، ولذلك قال الغزالي في كتاب التفرقة: [شرط المقلد] أن يسكت ويسكت عنه لأنه قاصر عن سلوك طريق الحجاج، ولو كان أهلاً له كان مستتباً لا تابعاً وإماماً لا مأموماً. وإن خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به ضارب في حديد بارد وطالب لإصلاح فاسد، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟ هذه عبارة الغزالي، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: شرط المفتي أن يكون مجتهداً، وأما المقلد إذا أفتى فهو ناقل وحامل فقه ليس بمفت ولا فقيه بل هو كمن ينقل فتوى عن إمام من الأئمة ثم أطال القول في ذلك، والعجب من هذا المنكر استدلاله بآيات من القرآن وليس هو ممن أتقن علم المعاني والبيان الذي لا تعرف بلاغة القرآن وأساليبه إلا به، وذلك من شروط الاجتهاد والاستنباط، بل ولا أتقن واحداً من العلوم الخمسة عشر التي لا يجوز لأحد أن يتكلم في القرآن حتى يتقنها، والعجب من تصديه لذكر أدلة ولو أورد عليه أدلة معارضة لما ذكره لم يدر كيف يصنع فيها، وقد أردت أن أبسط القول في هذه المسألة بذكر أدلة القول الراجح والأجوبة عما عارضها فأقول: للعلماء في هذه المسألة قولان مشهوران حكاهما غير واحد من الإئمة، أحدهما: أنه يطلق الإسلام على كل دين حق ولا يختص بهذه الملة - وبهذا أجاب ابن الصلاح - والقول الثاني: إن الإسلام خاص بهذه الملة الشريفة ووصف المسلمين خاص بهذه الأمة المحمدية ولم يوصف به أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط، فشرفت هذه الأمة بأن وصفت بالوصف الذي كان يوصف به الأنبياء تشريفاً لها وتكريماً، وهذا القول هو الراجح نقلاً ودليلاً لما قام عليه من الأدلة الساطعة، وقد خصت هذه الأمة من بين سائر الأمم بخصائص لم تكن لأحد سواها إلا للأنبياء [فقط] من ذلك الوضوء فإنه خصيصة بهذه الأمة ولم يكن أحد من الأمم يتوضأ إلا للأنبياء فقط في أشياء أخر.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال: إن الله أوحى إلى داود في الزبور يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد إلى أن قال: أمته أمة مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسول حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أنني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بال غسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسول قبلهم.

وأخرج الغرياني في تفسيره عن كعب قال: أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلا الأنبياء كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وأنت شهيد على قومك وادع أجبك، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآيَاتِهِمْ﴾ [غافر: ٦٠] وأخرج أبو نعيم، والبيهقي كلاهما

في دلائل النبوة عن كعب قال: في كتاب الله أن لكل نبي يوم القيامة نورين ولكل من اتبعه نور، ولمحمد ﷺ في كل شعرة في رأسه ووجهه نور، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما كنور الأنبياء، وخصائص هذه الأمة كثيرة وفيما أوردناه كفاية.

ذكر الأدلة للقول الراجح: الدليل الأول قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] وفي هذا اختلف في ضمير هو هل هو لإبراهيم أو لله؟ على قولين سيذكران، وقوله: ﴿سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لو لم يكن ذلك خاصاً بهم كالذي ذكر قبله لم يكن لتخصيصه بالذكر ولا لاقترانه بما قبله معنى وهذا هو الذي فهمه السلف من الآية - أخبرني الشيخ جلال الدين بن الملقن - مشافهة عن أبي الفرج العزي أنبأنا يونس بن إبراهيم عن أبي الحسن بن المقير أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر إجازة عن أبي القاسم بن منده أنا أبي أنا أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره أخبرنا أبو يزيد القراطيسي فيما كتب إلي أنا أصبغ سمعت ابن زيد يقول في قول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: لم يذكر الله بالإسلام غير هذه الأمة ولم نسمع بأمة ذكرت بالإسلام غيرها - هذا إسناد صحيح إلى ابن زيد - وهو أحد أئمة السلف في التفسير وطبقته في اتباع التابعين، وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال الله عز وجل: ﴿سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال الله عز وجل: ﴿سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: - يعني من قبل الكتب كلها ومن قبل الذكر - في هذا قال القرآن. وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال الله تعالى: ﴿سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ في الكتب وفي هذا أي في كتابكم. وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن سفيان بن عيينة في قوله: ﴿سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: في التوراة، والإنجيل وفي هذا قال القرآن، وذكر ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان في قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: يعني في الذكر في أم الكتاب، وفي هذا قال في القرآن، فهذا نصوص أئمة السلف المفسرين من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم أن الله سمى هذه الأمة المسلمين في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، وفي التوراة، والإنجيل، وسائر كتبه المنزلة في القرآن فإنه اختصهم بهذا الاسم من بين سائر الأمم، وسيأتي الاثر عن بعض كتب الله في تسمية هذه الأمة بهذا الاسم، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: هو إبراهيم ألا ترى إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

الدليل الثاني: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ دعا بذلك لنفسه ولولده وهما نبيان ثم دعا به لأمته من ذريته وهي هذه الأمة ولهذا قال عقب ذلك: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وهو

النبي ﷺ بالإجماع، فأجاب الله دعاءه بالأميرين ببعث النبي ﷺ فيهم وتسميتهم مسلمين ولهذا أشار تعالى إلى أن إبراهيم هو السبب في ذلك بقوله: ﴿وَلِلَّهِ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمُ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ كما تقدم عن ابن زيد، أخرج ابن أبي حاتم عن سلام بن أبي مطيع في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ قال: كانا مسلمين ولكن سألاه الثبات، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿وَمِنْ دُرَيْتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ قال: يعنيان العرب، وفي قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال: هو محمد ﷺ، وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال: يعني أمة محمد ﷺ فقيل له قد استجيب لك هو كائن في آخر الزمان.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] هو ظاهر في الاختصاص بهم. فإن قلت: لا يلزم. قلت: ذاك لجهلك بقواعد المعاني فإن تقديم لكم يستلزمه ويفيد أنه لم يرضه لغيرهم كما قال صاحب الكشف في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] أن تقديمهم تعريض بأهل الكتاب وأنهم لا يوقنون بالآخرة، وكما قال الأصفهاني في قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] أن تقديمهم يفيد أن غيرهم يخرج منها وهم الموحدون.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] وبهذه الآية استدل من قال: إن الإسلام كان من وصف الأنبياء دون أممهم - أخرج ابن المنذر عن عكرمة، وابن جريج في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤] الآية قال: يحكم بها محمد ﷺ ومن قبله من الأنبياء والرسل، والأخبار كلهم يحكم بما فيها من الحق ليهود.

الدليل الخامس: ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفه عن مكحول قال: كان لعمر على رجل حق فأثاه يطلبه فقال عمر: لا والذي اصطفى محمداً على البشر لا أفارقك، فقال اليهود: والله ما اصطفى الله محمداً على البشر فلطمه عمر فأتى اليهودي النبي ﷺ فأخبره فقال النبي ﷺ: «بل يا يهودي آدم صفي الله وإبراهيم خليل الله وموسى نجي الله وعيسى روح الله وأنا حبيب الله، بل يا يهودي تسمى الله باسمين سمي الله بهما أمتي هو السلام وسمى بها أمتي المسلمين، وهو المؤمن وسمى بها أمتي المؤمنين، بل يا يهودي طلبتم يوم ذخر لنا اليوم ولكم غد وبعد غد للنصارى، بل يا يهودي أنتم الأولون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بل إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها، وهي محرمة على الأمم حتى تدخلها أمتي». هذا الحديث صريح في اختصاص أمة بوصف الإسلام كما أن جميع ما فيه خصائص لها، ولو كانت الأمم مشاركة لها في ذلك لم يحسن إيراده في معرض التفضيل إذا كان اليهودي يقول ونحن أيضاً كذلك وسائر الأمم.

الدليل السادس: ما أخرجه البخاري في تاريخه، والنسائي في سننه، وابن مردويه في تفسيره عند قوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال:

«من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: نعم فادعوا بدعوة الله النبي سماكم بها المسلمين والمؤمنين عباد الله».

الدليل السابع: ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول لما أنزلت هذه الآية: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان، هذا صريح في أنه ﷺ فهم اختصاص الإسلام بدينه.

الدليل الثامن: ما أخرجه ابن جرير عند قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ عن قتادة قال: ذكر لنا أنه يمثل لأهل كل دين دينهم يوم القيامة، فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله ويعددهم الخير حتى يجيء الإسلام فيقول رب أنت السلام وأنا الإسلام - هذا موقف له حكم الرفع - لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وهو صريح في أن الإسلام يختص بهذا الدين ولا يطلق على كل دين حق كما ترى حيث فرق بينه وبين الإيمان المتعلق بأهل الأديان، ولهذا أورده ابن جرير عند هذه الآية الدالة على اختصاصه بهذه الأمة، وفيه تقوية للحديث السابق هو السلام وسمى أمتي المسلمين.

الدليل التاسع: ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال: أوحى الله إلى شعيا أني باعث نبياً أمياً مولده بمكة ومهاجره طيبة عبيد المتوكل المصطفى إلى أن قال: والإسلام ملته وأحمد اسمه - فهذا صريح في اختصاص الإسلام بملته - وهذا الأثر أورده صاحب الشفا في كتابه، والعجب ممن قرأه وسمعه ولم يتفطن له، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بعث محمد ﷺ بالإسلام وهو ملة إبراهيم، وملة اليهود والنصارى اليهودية والنصرانية.

الدليل العاشر: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] هو توسعة الإسلام ما جعل الله من التوبة ومن الكفارات، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قيل له: أما علينا في الدين من حرج في أن نسرق أو ننزني؟ قال: بلى قيل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ قال: الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع عنكم، هذا صريح في أن الإسلام هو هذه الشريعة السهلة الواسعة بخلاف [دين] اليهودية والنصرانية المشتمل على الإصر والضيق فإنه لا يسمى إسلاماً.

الدليل الحادي عشر: ما أخرجه أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس «قال: قيل يا رسول الله أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة» والحنيفية هي الإسلام لما أخرج ابن المنذر عن السدي قال: الحنيف المسلم، وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره في آخر سورة الأنعام عن عبد الرحمن بن أبزي أن النبي ﷺ قال: «أصبحت على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» فقلوه: حنيفاً مسلماً تفسير لقوله:

وعلى ملة إبراهيم فعلم بمجموع ذلك اختصاص الإسلام بملة النبي ﷺ التي بعث بها موافقاً لملة إبراهيم.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧] هذه الآية دالة على أن شريعة موسى تسمى اليهودية. وشريعة عيسى تسمى النصرانية. وشريعة إبراهيم تسمى الحنيفية وبها بعث النبي ﷺ، وهي صريحة في أن اليهود والنصارى لم يدعوا قط أن شريعتهم تسمى الإسلام ولا أن أحداً منهم يسمى مسلماً.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥] هذه الآية كالتي قبلها في الدلالة على ما ذكرنا والصراحة في أنهم لم يدعوا اسم الإسلام لهم قط.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥] أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ دعا يهود أهل المدينة وهم الذين حاجوا في إبراهيم وزعموا أنه مات يهودياً فأكذبهم الله فقال: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وتزعمون أنه كان يهودياً أو نصرانياً وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الإنجيل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: قالت النصارى كان إبراهيم نصرانياً. وقالت اليهود كان يهودياً، فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل إنما أنزلتا من بعده، وبعد كانت اليهودية والنصرانية، هذا صريح في أن شريعة التوراة تسمى يهودية، وشريعة الإنجيل تسمى نصرانية، ولا يسمى واحد منهما إسلاماً.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران: ٢٠] هذه الآية دالة على أن الإسلام خاص بهذا الدين وإلا لكان أهل الكتاب يقولون إذا قيل لهم أسلمتم نحن مسلمون وديننا إسلام.

الدليل السادس عشر: ما أخرجه الشيخان في حديث بدء الوحي من قول الراوي في حق ورقة وكان امرأً تنصر في الجاهلية فلو كان الدين الحق من ملة عيسى يسمى إسلاماً وصاحبه مسلم لقال وكان امرأً أسلم في الجاهلية.

الدليل السابع عشر: ما أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ ابن حيان عن عبد الله بن مسعود قال: تسمت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى إنا هدنا إليك وتسمت النصارى بالنصرانية بكلمة قالها عيسى: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فتسموا بالنصرانية. هذا صريح في أنهم سموا بهذين الاسمين من عهد نبيهما ولم يسموا بالمسلمين قط ولا نقل ذلك عن أحد ولا عنهم، فكيف يدعي لهم وصف شريف لم يدعوه هم لأنفسهم.

الدليل الثامن عشر: ما أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد فكانت تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما جاء الإسلام الحديث. هذا صريح في أن دين موسى الحق كان يسمى يهودية لا إسلاماً.

الدليل التاسع عشر: ما أخرجه مسلم، وغيره عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت إلا كان من أصحاب النار» سمي ﷺ الواحد من أهل الكتاب يهودياً أو نصرانياً ولم يطلق على أحد منهم لفظ الإسلام في أحاديث كثيرة لا تحصى.

الدليل العشرون: إطباق ألسنة الخلق كلهم من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، والمجاهدين، والفقهاء، والعلماء على اختلاف فنونهم، والمسلمين بأسرهم حتى النساء في قعر بيوتهن، والأطفال، واليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الفرق حتى الحيوانات، والحجر، [والشجر] في آخر الزمان على تسمية من كان على دين موسى يهودياً؛ ومن كان على دين عيسى نصرانياً. ومن كان على دين نبينا ﷺ مسلماً لا يمتري في ذلك كبير، ولا صغير، ولا عالم، ولا جاهل، ولا مسلم، ولا كافر، فترى هذا الإطباق ناشئ عن لا شيء ومبني على فساد، كلا بل هو الحق المطابق للواقع والله الهادي للصواب.

ذكر الأدلة التي احتج بها للقول الآخر: استند إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَأَنزَجْنَا فِيهَا عَذَابَ نَارٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) [الذاريات: ٣٥، ٣٦] والجواب عن ذلك ما حققه صاحب القول الراجح أن هذا الوصف كان يطلق فيما تقدم على الأنبياء والبيت المذكور بيت لوط عليه السلام ولم يكن فيه مسلم إلا هو وبناته وهو نبي، فصح إطلاقه عليه بالأصالة، وأطلق على بناته إما على سبيل التغليب وإما على سبيل التبعية، إذا لا مانع من أن يختص أولاد الأنبياء بخصائص لا يشاركهم فيها بقية الأمة، كما اختص السيد إبراهيم ابن نبينا ﷺ بأنه لو كان عاش لكان نبياً، وكما اختصت فاطمة بأنه لا يتزوج عليها، وكما اختصت أيضاً بأنها تمكث في المسجد مع الحيض والجنابة، وكذلك أزواج النبي ﷺ اختصوا بذلك، وكذلك علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين اختصوا بجواز المكث في المسجد مع الجنابة، كل ذلك على سبيل التبعية للنبي ﷺ، فكذا لا مانع من أن يوصف أولاد الأنبياء بما وصف به آبائهم تبعاً لهم، وكذلك قوله تعالى عن أولاد يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] إما على سبيل التبعية له إن لم يكونوا أنبياء مع أن فيهم يوسف وهو نبي قطعاً فلعله هو الذي تولى الجواب فأخبر عن نفسه بالأصالة وأدرج إخوته معه على سبيل التغليب وإن كانوا أنبياء كلهم فلا إشكال، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مَآئِمَّةً فَعَلَيْكُمْ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] إما أن يحمل على التغليب فإنه خاطبهم وفيهم أخوه هارون، ويوشع وهما نبيان فأدرج بقية القوم في الوصف تغليياً، أو يحمل على أن المراد إن كنتم متقادين لي

فيما أمركم به، وهذه الآيات أوردت عليّ مرة في درس التفسير فأجبت فيها بذلك ولم أرَ أحداً استند إليها، نعم رأيت ابن الصلاح استند إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وهذا من قول إبراهيم لبنيه، ويعقوب لبنيه، وفي بني كل أنبياء فلا يحسن الاستدلال به على غيرهم مع أنه لا يلزم منه طرده في أمة موسى، وعيسى لما علم من أن ملة إبراهيم تسمى الإسلام وبها بعث النبي ﷺ وكان أولاد إبراهيم، ويعقوب عليها فصيح أن يخاطبوا بذلك ولا يتعدى إلى من ملته اليهودية والنصرانية، وقد رأيت من أورد على ابن الصلاح في اختياره ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال: فما فائدة ذلك إذا كان كل منهم يسمى مسلماً، والتحقيق الذي قامت عليه الأدلة ما رجحناه من الخصوصية بالنسبة إلى الأمم وإن كان ما ورد من إطلاق ذلك فيمن تقدم فإنما أطلق على نبي أو ولد نبي تبعاً له أو جماعة فيهم نبي غلب لشرفه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ مَأْمُونُوا بِ وَرَسُولِي قَالُوا مَائِنًا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] فإن الحواريين [أنبياء منهم] فيهم الثلاثة المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [١٣] إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [١٤] [يس: ١٣، ١٤] نص العلماء على أنهم من حواري عيسى وأحد قولي العلماء أن الثلاثة أنبياء ويرشحه ذكر الوحي إليهم، وقال الراغب في قوله: ﴿يَخُكِّمُ بِهِمُ الْيَتِيمَ الَّذِينَ آسَلُمُوا﴾ [المائدة: ٤٤] أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم لأولي العزم الذين يهدون بأمر الله ويأتون بالشرائع انتهى.

فصل: قال قائل من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] الآية، وهذا من أعجب العجب، فإن المراد من الآية استواء الشرائع كلها في أصل التوحيد، وليس الإسلام اسماً للتوحيد فقط بل لمجموع الشريعة بفروعها وأعمالها، فالمستدل بهذه الآية إما أن يزعم أن الإسلام لا يطلق على الأعمال، أو يزعم استواء الشرائع في الفروع وكلاهما جهل من قائله، ثم لو قدر الاستواء لم يصح الاستدلال لأن محل النزاع في أمر لفظي وهو أنه هل تسمى تلك الشرائع إسلاماً أو لا تسمى؟ مع قطع النظر عن اتفاقها في الفروع واختلافها، وذلك راجع إلى قاعدة أن الإطلاق متوقف على الورد، والذي ورد به الحديث والأثر أنه لا يطلق على شيء من الشرائع السابقة إسلاماً وإن كان حقاً، كما أنه لا يطلق على شيء من الكتب السابقة قرآن وإن كان عزيزاً جليلاً، ولا في حق غير الأنبياء ﷺ وإن كانت الصلاة بمعنى الرحمة وتطلق عليهم الرحمة كل ذلك وقوفاً مع الورد، وقد تقدم عن ابن زيد أنه قال: لم يذكر الله بالإسلام غير هذه الأمة - وابن زيد أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير - أفتراه غفل عن هذه الآيات التي استدلت بها قائل هذه المقالة؟ كلا لم يغفل عنها بل علم تأويلها واطلع على مدرك الجواب عنها فنفي وهو آمن من إيرادها

عليه، وأعظم من ذلك رسول الله ﷺ أعلم خلق الله بكتاب الله حيث نص على اختصاص الإسلام بأمته وذكر ذلك لليهودي مبيناً به تمييز أمته على سائر الأمم، فلولا أنه ﷺ فهم ذلك من الآيات الدالة عليه وعلم أن الآي الآخر لا تعارضها لم يقل ذلك، ولو كان يطلق على الأمم السابقة مسلمون لكان اليهودي يقول له وأمة موسى أيضاً مسلمون فلا مزية لأمتك عليهم، ومن العجب من يستدل بآيات القرآن وهو غير متضلع من الحديث، ومن المعلوم أن في القرآن المجمل والمبهم والمحمتم وكل من الثلاثة محتاج إلى السنة تبيينه وتعيينه وتوضيح المراد منه، وقد قال عمر بن الخطاب: إنه سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله. وأخرج ابن سعد عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاججهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال: صدقت ولكن القرآن جمال ذو وجوه تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فحاججهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة. وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على القرآن أي مبينة له ومفسرة. وقال الإمام فخر الدين: أنزل القرآن على قسمين محكم ومتشابه ليكون فيه مجال لكل ذي مذهب فينظر فيه جميع أرباب المذاهب طمعاً أن يجد كل فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فيجتهدون في التأمل فيه، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويصل إلى الحق، ولو كان القرآن كله محكماً لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلاً لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه، قال: وأيضاً إذا كان القرآن مشتملاً على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة، والنحو، والمعاني، والبيان، وأصول الفقه، وغير ذلك، وفي ذلك مزيد مشقة في الوصول إلى المراد منه، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فلم يكن فيه مشقة توجب مزيد الثواب وكان يستوي في إدراك الحق منه الخواص والعوام - هذا كلام الإمام فخر الدين.

قلت: فإذا كان كذلك فكيف يحل لمن لم يتيقن واحداً من العلوم المشتركة التكلم في القرآن وعدتها خمسة عشر أن يتجراً على الاستدلال بآيات القرآن على حكم من الأحكام أو على أمر من الأمور جاهلاً بطريق الاستدلال عاجزاً عن تحصيل شروطه؟ ومثل هذا هو الذي ورد فيه الحديث: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية: «فقد كفر» والعجب أنه يعتمد على الاستدلال بآيات مع قطع النظر عن معارضها وعن النظر فيها هل هي مصروفة عن ظاهرها أو لا؟ وقد أوجب أهل الأصول على المجتهد المستدل بآية أو حديث أن يبحث عن المعارض وجوابه وعن الذي استدل به هل معه قرينة تصرفه

عن ظاهره؟ وهذا نطح مع الناطحين من غير تأمل ولا مراعاة لشرط من الشروط، فلو استحيا هذا الرجل من الله لوقف عند مرتبته وهي التقليد وترك الاستدلال لأهله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وأولو الأمر هم المجتهدون كما قال ابن عباس، وجابر بن عبد الله، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وغيرهم: أولو الأمر هم أولو الفقه وأولو الخبر، ولفظ مجاهد: هم الفقهاء والعلماء، وأخرج ابن جرير عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال: هم أهل العلم ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ومعلوم أن لفظ الفقهاء والعلماء إنما يطلق على المجتهدين، وأما المقلد فلا يسمى فقيهاً ولا عالماً كما نص عليه أهل الفقه والأصول، وامتناع إطلاق الفقيه والعالم على المقلد كامتناع إطلاق لفظ المسلم على اليهودي والنصراني خصوصية من الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فصل: ثم ظهر لي دليل (حاد وعشرون) وهو ما أخرجه أحمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مرت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فسرى عن رسول الله ﷺ وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتكم إنكم حظي من الأم وأنا حظكم من النبيين» هذا الحديث يدل على أن شريعة التوراة لا تسمى إسلاماً، لأن عمر لما رأى غضب النبي ﷺ من كتابته جوامع من التوراة بادر إلى قوله رضينا بالإسلام ديناً ليبرئ نفسه من الرضا بشريعة التوراة واتباعها، فلما قال ذلك سري عن النبي ﷺ لحصول المقصود من عمر وهو اقتضاره على شريعة الإسلام وإعراضه عن شريعة التوراة.

دليل ثان وعشرون: وهو قوله ﷺ لجبريل وقد سأله ما الإسلام؟ فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت» زاد في رواية: «وتغتسل من الجنابة» وهذا صريح في أن الإسلام مجموع هذه الأعمال وهذا المجموع مخصوص بهذه الأمة، فإن اللام في الصلاة المكتوبة للعهد وهي الخمس ولم تكتب الخمس إلا على هذه الأمة وصوم رمضان من خصائص هذه الأمة كما أخرجه ابن جرير عن عطاء، والحج، والغسل من الجنابة من خصائصها أيضاً كما تقدم في أثر وهب، فدل على أن من لم يعمل هذه الأعمال لا يسمى مسلماً، والأمم السابقة لم تعملها فلا يسمون مسلمين.

تحقيق: فإن قلت: ما تحرير المعنى في التخصيص بالتسمية؟ قلت: فيه معان، أحدها: أن الإسلام اسم للشريعة السمحة السهلة كما قال ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» [وقال: أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة] وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] توسعة الإسلام ووضع الإصر الذي كان على بني إسرائيل،

وشريعة اليهود والنصارى لا سهولة فيها بل هي في غاية المشقة والثقل كما هو معلوم من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا مِثْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وغير ذلك فلذلك لا تسمى إسلاماً.

المعنى الثاني: أن الإسلام اسم للشريعة المشتملة على فواضل العبادات من الجهاد والحج والوضوء والغسل من الجنابة ونحو ذلك، وذلك خاص بهذه الأمة لم يكتب على غيرها من الأمم، وإنما كتب على الأنبياء فقط كما تقدم في أثر وهب: «أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل» فلذلك سميت هذه الأمة مسلمين كما سمي بذلك الأنبياء والرسل ولم يسم غيرها من الأمم، ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه أبو يعلى من حديث علي مرفوعاً: «الإسلام ثمانية أسهم شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة والزكاة والحج والجهاد وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وما أخرجه ابن جرير في تفسيره، والحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله إلا إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] قيل ما الكلمات؟ قال: الإسلام ثلاثون سهماً عشر في قوله: ﴿التَّيْبُونُ أَلْمُكِيدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ و ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ وعشر في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخر الآية فأتَمَّهن كلهن فكتب له براءة، قال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] وأخرج الحاكم من وجه آخر عن ابن عباس قال: سهام الإسلام ثلاثون سهماً لم يتمها أحد إلا إبراهيم، ومحمد عليهما السلام، فعرف بذلك أن الإسلام اسم لمجموع هذه السهام، ولم تشرع كلها إلا في هذه الملة وملة إبراهيم، ولهذا أمر النبي ﷺ في غير ما آية من القرآن باتباع ملة إبراهيم وهي الحنيفية.

المعنى الثالث: أن الإسلام مدار معناه على الانقياد والإذعان ولم تدعن أمة لنبيها كما أذعنَت هذه الأمة فلذلك سموها مسلمين، وكانت الأنبياء تدعن للرسل الذين يأتون بالشرع كما تقدم في عبارة الراغب فسموا مسلمين، وكانت الأمم كثيرة الاستعصاء على أنبيائهم كما دلت على ذلك الأحاديث والآثار، منها حديث: «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» وقد قال المقداد يوم بدر: لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكم مقاتلون، والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لاتبعناك. وفي لفظ: لو خضت بنا البحر لخضناه معك. فلذلك اختصت هذه الأمة بأن سموها مسلمين من بين سائر الأمم. وكلما وقع في عبارة السلف من قولهم الإسلام دين الأنبياء ونحوه فمرادهم به دين الأنبياء وحدهم دون أممهم لما تقدم تقريره على حد قوله ﷺ: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي».

فصل: لما فرغت من تأليف هذه الكراسة واضطجعت على الفراش للنوم ورد علي قوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَإِذَا يُنَالُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (٥٣) [القصص: ٥٢، ٥٣] فكأنما ألقى عليّ جبل، فإن هذه الآية ظاهرها الدلالة للقول بعدم الخصوصية، وقد أفكرت فيها ساعة ولم يتجه لي شيء، فلجأت إلى الله تعالى ورجوت أن يفتح بالجواب عنها، فلما استيقظت وقت السحر إذا بالجواب قد فتح فظهر لي شيء ثلاثة أجوبة: الأول إن الوصف في قوله: ﴿مُسْلِمِينَ﴾ اسم فاعل مراد به الاستقبال كما هو حقيقة فيه لا الحال ولا الماضي الذي هو مجاز، والتمسك بالحقيقة هو الأصل، وتقدير الآية إنا كنا من قبل مجيئة عازمين على الإسلام به إذا جاء لما كنا نجاهد في كتبنا من نعتة ووصفه، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فالوصفان مراد بهما الاستقبال أي ستموت وسيقومون، وليس المراد بهما الحال قطعاً كما هو ظاهر، فكذلك المراد في الآية إنا كنا من قبله ناوين أن سنسلم إذا جاء، ويرشح هذا الجواب أن السياق يرشد إلى أن قصدهم الإخبار بحقيقة القرآن وأنهم كانوا على قصد الإسلام به إذا جاء به النبي ﷺ لما كان عندهم من صفاته وظهر لهم من دنو زمانه واقترب بعثته، وليس قصدهم الثناء على أنفسهم في حد ذاتهم بأنهم كانوا بصفة الإسلام أو لا فإن ذلك ينبو عنه المقام كما لا يخفى.

الجواب الثاني: أن يقدر في الآية أنا كنا من قبله به مسلمين فوصف الإسلام سببه القرآن لا التوراة والإنجيل، ويرشح ذلك ذكر الصلة في الآية الأولى حيث قال: ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ فدل على أن الصلة مرادة في الثانية أيضاً وإنما حذفت كراهة لتكرارها في الآية [مرتين حيث ذكرت في قوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ وكره إعادتها مرة أخرى في الآية] وحذفت إزالة لتعلق التكرار.

الجواب الثالث: إن هذا الوصف منهم بناء على [ما هو] مذهب الأشعري من أن من كتب الله أنه يموت مؤمناً فهو يسمى عند الله مؤمناً ولو في حالة كفر سبقت وكذا بالعكس والعياذ بالله، وإنما لم يطلق عليه هذا الوصف عندنا لعدم علمنا بالخواتم والمستقبلات، فكذلك هؤلاء لما ختم لهم بالدخول في الإسلام وصفوا أنفسهم به من أول أمرهم لأن العبرة في هذا الوصف بالخاتمة، وإذا كان الكافر المشرك يوصف في حال شركه بأنه مؤمن عند الأشعري لما قدر له من الإيمان عند الخاتمة فلأن يوصف بالإسلام [من كان على دين حق لما قدر له من الدخول في الإسلام] عند الخاتمة من باب أولى، وهذا معنى دقيق استفدناه في هذه الآية من قواعد علم الكلام، وبهذا يعرف أن من لم يتقن العلوم كلها ويطلع على مذاهب علماء الأمة ومداركها وقواعدها لم يمكنه استدلال ولا استنباط وهذا أمر ليس بالهين:

لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فصل: حيث ذكر الله هذه الأمة في القرآن ذكرها بالإسلام أو الإيمان خطاباً وغيبة كقوله: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿آيَةُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣١] وحيث ذكر الأمم السابقة لم يصفهم قط بإسلام لا إن ذمهم ولا إن

مدحهم بل [قال]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢] وقال: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ﴾ [الجمعة: ٦] وقال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّكَ وَرَحْمَتَنَا﴾ [المائدة: ٨٢] الآيات، فهذه الآية ذكرت مدحاً لمؤمني النصارى ولم يسمهم مسلمين بل قال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ﴾ [المائدة: ١٤] وقال في غير آية عند مدح المؤمنين منهم ومن اليهود: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلَكْتَبَ﴾ [القصاص: ٥٢] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] فأكثر ما أطلق عليهم عند المدح وصفهم بأنهم أوتوا الكتاب ومن أهل الكتاب هذا في كتابنا، وأما كتبهم فوصف فيها هذه الأمة بالإسلام كما قال: ﴿هُوَ سَمَكُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال سفيان بن عيينة: أي في التوراة، والإنجيل ولم يصفهم فيها بإسلام البتة، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن خيثمة قال: ما تقرأون في القرآن يا أيها الذين آمنوا فإنه في التوراة يا أيها المساكين.

فصل: رأيت في كلام الإمام أبي عبد الله بن أبي الفضل المرسي ما يشهد لما قدمته فقال في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكَتَبَ لِمَ تُعَاجِزُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥] ما نصه: لما قال الفريقان إن إبراهيم على دينهما رد عليهما وأخبر أنه على الإسلام قال: فإن قيل: كيف يكون على الإسلام وهو أيضاً نازل بعده؟ قيل: القرآن أخبر بذلك وما أخبرت كتبهم بما ادعوا.

فإن قيل: إن أريد بكون إبراهيم مسلماً كونه موافقاً لهم في الأصول فهو أيضاً موافق لليهود والنصارى الذين كانوا على ما جاء به موسى وعيسى في الأصول فإن جميع الأنبياء متوافقون في الأصول، وإن أريد به في الفروع فيكون النبي ﷺ مقررّاً لا شارعاً، وأيضاً فإن التقيد بالقرآن ما جاء موجوداً في زمان إبراهيم فتلاوته مشروعة في صلاتنا وغير مشروعة في صلاتهم.

قيل: أريد الفروع ويكون النبي ﷺ شارعاً لا مقررّاً لأن الله نسخ شريعة إبراهيم بشريعة موسى وعيسى ثم نسخ محمد ﷺ شريعتهم فكان صاحب شريعة لذلك، ثم موافقاً في الأكثر، وإن خالفه في الأقل لم يقدح ذلك في الموافقة، انتهى كلام المرسي وهو سؤال حسن وجواب نفيس.

فصل: دليل ثالث وعشرون وهو قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] قال أهل التفسير: نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب وبقي على تعظيم بعض شريعتهم كالسبت وترك لحوم الإبل فأمرهم أن يدخلوا في شرائع الإسلام كافة، ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة لأنها منسوخة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التمسك ببعض أحكام التوراة بعد أن عرفت من نسخها وكافة من وصف السلم كأنه قيل ادخلوا في جميع شرائع الإسلام اعتقاداً وعملاً - هذه عبارة المرسي في تفسير هذه الآية - وقد

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في مؤمني أهل الكتاب تمسكوا ببعض أمور التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم يقول: ادخلوا في شرائع دين محمد ولا تدعوا منها شيئاً، وهذا صريح في أن شريعة التوراة لا تسمى إسلاماً.

تنبيه: ذكر السبكي في عبارته لما تكلم على عموم رسالته ﷺ إلى الجن عدة آيات من القرآن استدلل بها على ذلك ثم قال عقب ذلك: واعلم أن المقصود بتكثير الأدلة أن الآية الواحدة والآيتين قد يمكن تأويلها ويتطرق إليها الاحتمال فإذا كثرت قد تترقى إلى حد يقطع بإرادتها ظاهراً ونفي الاحتمال والتأويل عنها انتهى، أقول: ولذلك أوردنا هنا ثلاثة وعشرين دليلاً لأن كل دليل منها على انفراده قد يمكن تأويله وتطرق الاحتمال إليه، فلما كثرت هذه الكثرة ترفت إلى حد غلب على الظن إرادة ظاهرها ونفي الاحتمال والتأويل عنها وعبرت بغلبة الظن دون القطع لأجل ما عارضها من الآيات التي استدلل بها للقول الآخر، وهذا مقام لا ينظر فيه ويحكم بالترجيح إلا المجتهد والله الموفق.

آخر الكتاب: قال مؤلفه شيخنا نفع الله المسلمين ببركته: ألفته في شوال سنة ثمان وثمانين وثمانمائة.

مسألة:

يا مفرداً باجتهاد في الأوان ويا بحر الوفا والصفاء والعلم والعمل
ما حد توحيدنا الله خالقنا سبحانه جل عن أين وعن مثل

الجواب: رويناه بإسناد صحيح من طريق المزني أن رجلاً سأله عن شيء من الكلام فقال: إني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجااء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد. هذا جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن هذا السؤال وبه أجبت.

٥٩ - تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول أول من قال به النصارى إلا أنهم خصوه بعبسى عليه السلام أو به وبمريم أمه ولم يعدوه إلى أحد، وخصوه باتحاد الكلمة دون الذات بحيث إن علماء المسلمين سلكوا في الرد عليهم طريق إلزامهم بأن يقولوا بمثل ذلك في موسى عليه السلام وفي الذات أيضاً وهم لا يقولون بالأميرين، وإذا سلموا بطلان ذلك لزم إبطال ما قالوه، وأما المتوسمون بسمه الإسلام فلم يبتدع أحد منهم هذه البدعة وحاشاهم من ذلك لأنهم أذكى فطرة وأصح لباً من

أن يمشي عليهم هذا المحال، وإنما مشى ذلك على النصارى لأنهم أبلد الخلق أذهاناً وأعمالهم قلوباً، غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة وزادوا على النصارى في تعدية ذلك والنصارى قصروه على واحد، فإن صح ذلك عنهم فقد زادوا في الكفر على النصارى، وأحسن ما اعتذر عن صدرت منه هذه الكلمة الدالة على ذلك وهي قوله أنا الحق بأنه قال ذلك في حال سكر واستغراق غيبوبة عقل، وقد رفع الله التكليف عن غاب عقله وألغى أقواله فلا تعد مقالته هذه شيئاً ولا يلتفت إليها فضلاً عن أن تعد مذهباً ينقل، وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد وينبهون على فسادهم ويحذرون من ضلاله، وهذه نبذة من كلام الأئمة في ذلك: قال حجة الإسلام الغزالي في الاحياء في باب السماع: الحالة الرابعة سماع من جاوز الأحوال والمقامات فزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط إحساسهن، وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بأنه فنى عن نفسه، ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى، فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود، وفنى أيضاً عن الشهود، فإن القلب أيضاً إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود، فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته، فالسكران لا خبرة له من سكره، والمتلذذ لا خبرة له من التذاده، إنما خبرته من الملتذ به فقط، ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء، فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضاً عن الشيء، ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين، وتطراً أيضاً في حق خالقية الخالق، ولكنها في الغالب تكون كالبراق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فإن دام لم تطقه القوى البشرية، فربما يضطرب تحت أعبائه اضطراباً تهلك فيه نفسه فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات، لأن السماع على الأحوال وهي ممترجة بصفات البشرية وهو نوع قصور، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها، كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع بالله وفي الله ومن الله. وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد لصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلاً، بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأساً إلى أن قال: ومن هنا نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال أنا الحق، وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالانسان أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محصن هذا كله لفظ الغزالي. وقال أيضاً في باب المحبة: من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه،

وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذا حاله، فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء، وأرض، وحيوان، وشجر، بل ينظر فيه من حيث إنه أثره لا من حيث إنه صنع، فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان، أو خطه، أو تصنيفه، ورأى فيه الشاعر والمصنف، ورأى آثاره من حيث إنه أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف، وكذا العالم صنع الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا لله، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله، فهذا هو الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وإنه فني عن نفسه، وإليه الإشارة بقول من قال: - كنا بنا ففينا [عنا فبقينا] بلا نحن - فهذه أمور معلومة عند ذوي الأبصار أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض إلى الأفهام، أو لاشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم، ثم قال: وقد تحزب الناس إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر، وإلى غالين مسرفين تجاوزوا إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم: أنا الحق، وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا: هو الإله، وقال آخرون: تدرع الناسوت باللاهوت، وقال آخرون اتحد به، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم وجه الصواب فهم الأقليون، انتهى كلام الغزالي وبدأنا بالنقل عنه لأنه فقيه أصولي متكلم صوفي وهو أجل من اعتمد عليه في هذا المقام لاجتماع هذه الفنون فيه.

وقال إمام الحرمين في الإرشاد: أصل مذهب النصارى أن الاتحاد لم يقع إلا بالمسيح عليه السلام دون غيره من الأنبياء، واختلفت مذاهبهم فيه، فزعم بعضهم أن المعنى به حلول الكلمة جسد المسيح لا يحل العرض محله، وذهبت الروم إلى أن الكلمة مازجت جسد المسيح وخالطته مخالطة الخمر اللبن - وهذا كله خبط.

وقال الأستاذ أبو بكر بن فورك في كتابه المسمى بالنظامي في أصول الدين: قالت النصارى إن عيسى عليه السلام لاهوتي ناسوتي وتكلموا في حلول الكلمة لمريم عليها السلام فمنهم من قال: إن الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة كما يحل الماء في اللبن حلول الممازجة والمخالطة، ومنهم من قال: إنها حلت فيها من غير ممازجة كما أن شخص الإنسان يتبين في المرأة الصقيلة من غير ممازجة بينهما، ومنهم من قال: إن مثل اللاهوت مع الناسوت مثل الخاتم مع الشمع في أنه يؤثر حتى يتبين فيه النقش ثم لا يبقى فيه شيء من الأثر، والأول طريقة يعقوبية، والثاني طريقة الملكية، والثالث طريق النسطورية، ثم قال: واعلم أنهم قالوا بالاتحاد فقالت طائفة منهم في معنى الاتحاد الكلمة التي هي كن حلت جسد المسيح، وقالت اليعقوبية: إن الاتحاد اختلاط وامتزاج وزعمت أن كلمة الله انقلبت

لحمًا ودمًا بالاتحاد، وقالت طائفة منهم: إن الاتحاد هو أنه أودعها بإظهار روح القدس عليه؛ وقد حكينا عن قال: يجري هذا الاتحاد مجرى وقوع الهيئة في المرأة والنقش من الخاتم في الشمع وما جرى مجراه؛ ويقال لهذه الطائفة منهم أن ظهور هذه الصورة في المرأة والشيء الصقيل ليس اختلاط شيء بشيء ولا انتقال شيء إلى شيء، بل أجرى الله العادة بأن الواحد إذا قابل الشيء الصقيل خلق الله له رؤية يرى بها نفسه، وأما أن يكون في الصقيل على شيء، فلا، أما ترى أنه إن لمس وجهه فوجه نفسه لمس لا وجه ظهر فيه فعلم أنه ليس في المرأة شيء، وهذا القول يوجب عليهم الإقرار بأنه ليس من القديم سبحانه وتعالى في مريم ولا في عيسى شيء ويبطل عليهم القول بأنه لاهوتي وناسوتي، وكذلك القول في الخاتم ونقشه مع الشمع فليس يحصل من الفص في الشمع شيء وإنما يتركب الشمع تركيباً من بعضه في بعض، ثم إن هذا الذي ذكره كله إنما يجوز بين المتماسين المتجاورين المتلاصقين الجسمين المحدودين الذين يجوز فيهما حلول الحوادث وتغير الأوصاف والله تعالى يتنزه عن ذلك كله، وأما قولهم إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا فلا يجوز لأنه لو جاز ذلك لجاز أن ينقلب القديم محدثاً، ولو جاز ذلك لجاز انقلاب المحدث قديماً فيبطل الفصل بينهما، وهذا محال فبطل ما قالوه انتهى.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب المحصل في أصول الدين: مسألة الباري تعالى لا يتحد بغيره لأنه حال الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين فلم يتحدا بل حدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحد لأن المعدوم لا يتحد بالوجود.

وقال الإمام أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي الكبير في مناظرة ناظرها لبعض النصارى في ذلك [القائل] بالحلول أو الاتحاد: ليس من المسلمين بالشرعية بل في الظاهر والتسمية ولا ينفع التنزيه مع القول بالاتحاد والحلول فإن دعوى التنزيه مع ذلك إلحاد، وكيف يصح توحيد مع اعتقاد أنه سبحانه حل في البشر المأخوذ من مريم، وهنالك حلوله إما حلول عرض في جوهر فيقولون بأنه عرض، أو حلول تداخل الأجسام فهو جسم، وهنالك إن حل كله فقد انحصر في القالب البشري وصار ذا نهاية وبداية أو بعضه فقد انقسم وتبعض وكل هذه الأمور أباطيل وتضاليل.

وقال القاضي عياض في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة، والباطنية، والنصارى، والقرامطة، وقال في موضع آخر: ما عرف الله من شبهه وجسمه من اليهود أو أجاز عليه الحلول والانتقال والامتزاج من النصارى، ونقله عنه النووي في شرح مسلم. وقال القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] هذا قول يعقوبية القائلين بالاتحاد، وقال في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [المائدة: ٧٤] أي ألا يتوبون بالانتهاء عن

تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعد الكبرى: ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر، لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم على الناس فإنهم لا يفهمون موجوداً في غير جهة، بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل فلا يعفى عنه انتهى.

قلت: مقصود الشيخ أنه لا يجري في تكفيرهم الخلاف الذي جرى في المجسمة، بل يقطع بتكفير القائلين بالحلول إجماعاً وإن جرى في المجسمة خلاف، وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول الحلية: أما بعد فقد استعنت بالله وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وياشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحداثق، وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوي من المتسوفين، ومن الكسالى والمتنبطين المشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال، وذلك لما بلغك من بسط لساننا وألسنة أهل الفقه والآثار في كل القطر والأمصار في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحلولية الكفار، وليس ما حل بالكذبة من الوقيعه والإنكار. بقادح في منقبة البررة الأخيار وواضع من درجة الصفوة الأبرار.

وقال صاحب [كتاب] معيار المريدين: اعلم أن منشأ أغلاط الفرق التي غلطت في الاتحاد والحلول جهلهم بأصول الدين وفروعه وعدم معرفتهم بالعلم، وقد وردت الأحاديث والآثار بالتحذير من عابد جاهل، فمن لا يكون له سابقة علم لم ينتج ولم يصح له سلوك، وقد قال سهل بن عبد الله التستري: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبارة الغافلين، والقراء المدهنين، والمتصوفة الجاهلين، فافهم ولا تغلط فإن الدين واضح قال: واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك، والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال، فإن رجلين مثلاً لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتيهما كما هو معلوم، فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم، فإذا أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً و عرفاً باجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته، وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه، قال: وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من

الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة، وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك وبقاء اليقين، وفناء الغفلة وبقاء الذكر. قال: وأما قول أبي يزيد البسطامي: سبحانه ما أعظم شائي فهو في معرض الحكاية عن الله، وكذلك قول من قال أنا الحق محمول على الحكاية، ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعقل، فضلاً عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات، ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام، وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك - هذا كله كلام معيار المريدين بلفظه - والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحاً - اصطلاح عليه الصوفية - ولا مشاحة في الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محذور فيه شرعاً، ولو كان ذلك ممنوعاً لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول بيني وبين صاحبي زيد اتحاد، وكم استعمل المحدثون، والفقهاء، والنحاة، وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثة، وفقهية، ونحوية كقول المحدثين: اتحاد مخرج الحديث. وقول الفقهاء: اتحد نوع الماشية وقول النحاة: اتحد العامل لفظاً أو معنى، وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذلك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد، وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا فقال من قصيدة له:

يظنوا بي حلولاً واتحاداً وقلبي من سوى التوحيد خالي

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول، وقال من أبيات آخر:

وعلمك أن كل الأمر أمري هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم الأمر كله لله وترك الإرادة معه والاختيار والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره.

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له مرة الكفار إنما انتشروا في بلادكم لانتشار الفلسفة هناك وقلة اعتنائهم بالشرعية والكتاب والسنة، قال: فقلت له: في بلادكم ما هو شر من هذا وهو قول الاتحادية، فقال: هذا لا يقوله عاقل فإن قول هؤلاء كل أحد يعرف فساد، قال: وحدثني الشيخ كمال الدين المذكور قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي الصانع؟ انتهى. قلت: ولهذا كانت طريقة الشاذلي هي أحسن طرق التصوف وهي في المتأخرين نظير طريقة الجنيد في المتقدمين، وقد قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في

كتاب جمع الجوامع: وإن طريق [الشيخ] الجنيد وصحبه طريق مقوم، وكان والده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يلزم مجلس الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يسمع كلامه ووعظه، ونقل عنه في كتابه المسمى غيرة الإيمان الجلي فائدة حسنة في حديث: «لا تسبوا أصحابي» فقال: إنه ذكر أن النبي ﷺ كانت له تجليات فرأى في بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال مخاطباً لهم: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه» وارتضى السبكي منه هذا التأويل وقال: إن الشيخ تاج الدين كان متكلم الصوفية في عصره على طريق الشاذلية انتهى. قلت: وهو تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي. والشيخ أبو العباس تلميذ الشاذلي. وقد طالعت كلام هؤلاء السادة الثلاثة فلم أر فيه حرفاً يحتاج إلى تأويل فضلاً عن أن يكون منكراً صريحاً، وما أحسن قول سيدي علي بن وفا:

تمسك بحب الشاذلية تلق ما تروم وحقق ذا الرجاء وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم شمس هدى في أعين المتأمل

ثم قال صاحب نهج الرشاد: وما زال عباد الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية، وإن كان بعض الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض في ذلك، وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: وأما المنتمون إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا يمتنع ظهور الروحاني في الجسماني كجبريل في صورة دحية الكلبي، وكبعض الجن أو الشياطين في صورة الأناسي قالوا: فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين وأولى الناس بذلك علي وأولاده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال: ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك وخاض معظم لجة الوصول فربما يحل الله فيه؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. كالنار في الجمر بحيث لا تمايز أو يتحد به بحيث لا اثنية ولا تغاير، وصح أن يقول هو أنا وأنا هو. قال: وفساد الرأيين غني عن البيان. قال: وههنا مذهب آخران يوهمان الحلول أو الاتحاد وليساً منه في شيء، الأول أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته وتغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى، وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد، وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وبعد الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان والله الموفق، ثم ذكر في المذهب الثاني وهو القول بالوحدة المطلقة [وقال: إنه غير الحلول والاتحاد وأنه أيضاً خارج عن طريق العقل والشرع وأنه باطل وضلال. وقد سقت بقية كلامه فيه في الكتاب الذي ألفته في ذم القول بالوحدة المطلقة] فإنه به أجدر، وذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف نحو ذلك قد سقت أيضاً عبارته في الكتاب المشار إليه.

وقال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه شرح منازل السائرين الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوي، شائماً برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه، فانياً بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلاً عن إرادة غيره، قد اتخذ مراده بمراد محبوبه أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحداً قال: وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخبر، فيكون المرادان والمعلومات والمذكوران واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين، فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب، وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب، فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم قد فنوا بعبادته عن عبادة ما سواه، وبجبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه، ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهراً لله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل:

يعادي الذي عادي من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤها عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه تعالى وحقوقه، والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً، وحقيقة هذا النفي والاثبات الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء، ففنى عن تأله ما سواه علماً وافراداً وتعمداً، وبقي تأله وحده، فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليقة وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة وأسس عليه الخلق والأمر - إلى أن قال: وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة، والمعصوم من عصمه الله، والله المستعان.

وقال في موضع آخر: وإن كان مشمراً للفناء العالي وهو الفناء عن إرادة السوي لم يبق في قلبه مراد يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد وهذا حقيقة المحبة الخالصة، وفيها يكون الاتحاد الصحيح وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الإرادة، قال: فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه أقدام السالكين وضلت فيه أفهام الواحدين انتهى، وقد تكرر كلام ابن القيم في هذا الكتاب في تضليل الاتحادية والقائلين بالوحدة المطلقة وقد سقت منه أشياء في كتابي الذي أشرت إليه فلينظر منه والله أعلم.

مسألة: في قول أهل السنة: إن العبد له في فعله نوع اختيار هل هو معارض لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]؟.

الجواب: لا معارضة فإن الاختيار الذي هو بمعنى القدرة والإرادة والإنشاء والإبداع خاص بالله تعالى لا شريك له. وأما الاختيار الذي أثبتته أهل السنة للعبد فالمراد به قصده

ذلك الفعل وميله إليه ورضاه به الذي هو مخلوق لله تعالى أيضاً لا على وجه الإكراه والإلجاء إليه.

والحاصل أن الله تعالى خلق للعبد قدرة بها يميل ويفعل، فالخلق من الله والميل والفعل من العبد صادران عن تقدير الله له ذلك فهما أثر الخلق والقدرة، فالاختيار المنسوب للعبد المفسر بما ذكرناه أثر الاختيار المنسوب إلى الله تعالى فافترقا، ولا إنكار في ذلك ولا معارضة فيه للآية وبهذا يتميز أهل السنة عن أهل القدر، والجبر معاً، قال الأصهباني في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَيَذُرُّهُمْ فِي مَظَانِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] اعلم أن كل فعل صدر من العبد بالاختيار فله اعتباران إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك إلى قدرة الله وإرادته لا شريك له، وإن نظرت إلى تميزه عن القسري الضروري فانسبه من هذه الجهة إلى العبد وهي النسبة المعبر عنها شرعاً بالكسب في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ آيَاتِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] وهي المحققة أيضاً إذا عرضت في ذهنك الحركتين الاضطرابية كالعرشة والاختيارية فإنك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة، فإذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم في الطغيان مخلوق لله تعالى فأضافه إليه، ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب إضافه إليهم انتهى، وقال في موضع آخر منه: صفة الإرادة للعبد هي القصد.

فهذا تحرير مذهب أهل السنة، وحاصله أن الاختيار المنسوب إلى العبد هو قصده لذلك الفعل وتوجهه إليه برضا منه وإرادة له وكونه لم يفعله بالإلجاء ولا إكراه ولا قسر فتأمل ذلك وافهم ترشد.

مسألة: هل العقل أفضل من العلم الحادث أم العلم؟.

الجواب: هذه المسألة اختلف فيها العلماء ورجحوا تفضيل العلم، لأن الباري تعالى يوصف بصفة العلم ولا يوصف بصفة العقل، وما ساغ وصفه تعالى به أفضل مما لم يسغ، وإن كان العلم الذي يوصف به تعالى قديماً ووصفنا حادث فإن الباري لا يوصف بصفة العقل أصلاً ولا على جهة القدم، ومن الأدلة على تفضيل العلم أن متعلقه أشرف، وأنه ورد بفضله أحاديث كثيرة صحيحة وحسنة ولم يرد في فضل العقل^(١) حديث وكل ما يروى فيه موضوع كذب، وكان شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي يقول: العقل أفضل باعتبار كونه [أقرب إلى الإفضاء إلى معرفة الله وصفاته، والعقل أفضل باعتبار كونه] منبعاً للعلم وأصلاً له، وحاصله أن فضيلة العلم بالذات وفضيلة العقل بالوسيلة للعلم.

(١) بل ورد آثار إلا أنها تنهض لأن تكون حجة.

مبحث النبوات

مسألة: كم عدد الأنبياء، والرسل؟.

الجواب: روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة الباهلي: «أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشرة قرون، قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر» رجاله رجال الصحيح، وأخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير».

مسألة:

ما أشهر القولين يا من علمه
في موت مشهور الحياة أي الخضر
قولان مشهوران قالهما الرضا
بقوام دين الله لقب وهو من
وأقام برهاناً على فقدانه
لا زلت معدوداً لكل ملمة

الجواب:

من بعد حمدي دائماً وثنائي
للناس خلف شاع في خضر وهل
ولكل قول حجة مشهورة
والمرتضى قول الحياة فكم له
خضر وإلياس بأرض مثل ما
هذا جواب ابن السيوطي الذي

مسألة:

يا عالم العصر يا مفتي الأنام أفد
كم بين موسى وعيسى من مئة سلفت
أثابك الله جنات النعيم بما
ثم الصلاة على أزكى الورى نسباً

عبيد بابك أنت البدر في الظلم
وبين عيسى وخير الخلق والأمم
تبديه من رشد للناس أو كرم
محمد سيد العربان والعجم

الجواب: .

الحمد لله ربي مسبح النعم ثم الصلاة على المبعوث للأمم
ألف وتسع مئة مع نيف ضبطوا ما بين موسى وعيسى صاحب الكلم
ونحو ست مئة في أرجح ذكروا ما بين موسى وعيسى صاحب الكلم
ونحو ست مئة في أرجح ذكروا ما بين عيسى وخير الخلق ذي الكرم
والحمد لله في قلبي أقدمه كذا بحمد إله العرش مختتمي

٦٠ - تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة: ما تقولون في قول العلماء أنه ﷺ لم يبعث إلى الملائكة. وفي قول الحافظ زين الدين العراقي إن السماء ليست محلاً للتكليف وقد أشكل ذلك بأمور، منها قوله ﷺ: «وأرسلت إلى الخلق كافة» والخلق يعم الإنس، والجن، والملائكة، فإن فسر بالثقلين فقط فما المخصص؟ وقوله تعالى: ﴿يَكُونُ لِلْمَلَكَيْنِ نَذِيرٌ﴾ [الفرقان: ١] والعالم يعم الملائكة وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقد بلغ الملائكة، وقد ورد إن الملائكة لا يفترقون عن عبادة ربهم. وورد صريحاً أنهم يتعبدون بعبادات هذه الأمة كحديث ابن عمر: «أن أهل السماء لا يسمعون من أهل الأرض إلا الأذان» وحديث سلمان: «إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان فإذا أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه» وقد قاتلت الملائكة الكفار، وتحضر صلاة الجمعة وغير ذلك مما يطول أشكل ذلك؟.

الجواب: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. سألت أكرمك الله فأحسن غاية الإحسان، وأوردت فأتقنت كل الإتقان، وأنا أجيبك عن ذلك بجوابين: أحدهما جدلي، والآخر تحقيقي: أما الجواب الجدلي فقولك: الخلق يعم، والعالمين يعم، ومن بلغ يعم، جوابه أنه من العام المخصوص أو المراد به الخصوص، وقولك: ما هو المخصص؟ جوابه أن مستنده الإجماع الذي ادعاه من ادعى، وقولك: ورد أنهم لا يفترقون جوابه منع الملازمة بينه وبين المدعي الذي هو بعثته إليهم لأن عبادتهم تكون بالأخذ عن ربهم أو بإرسال ملك من جنسهم إليهم كجبريل أو إسرافيل أو غيرهما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَبْسُوتُ مَطْمَعَيْنَ لَفَزَّنَّا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] وقولك: ورد صريحاً أنهم يتعبدون بعبادات هذه الأمة ثم أوردت حديث ابن عمر وليس فيه دلالة فضلاً عن صراحة لأن أكثر ما فيه أنهم يسمعون الأذان وليس فيه أنهم يتعبدون به، وحديث سلمان ظاهر فيما ذكرت مع أنه يمكن أن لا يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم كما تقدم، وقولك: وقد قاتلت الملائكة الكفار فيه أيضاً ما تقدم عن عدم الملازمة مع أنها لم تقاتل إلا في بدر

خاصة، وقولك: وتحضر صلاة الجمعة إنما حضرت لكتابة الحاضرين على طبقات مجيئهم وذلك من التكاليفات الكونية التي هي وظيفة الملائكة لا الشرعية التي بعثت بها الرسل، هذا آخر الجواب الجدلي. وأما الجواب التحقيقي فاعلم أن العلماء اختلفوا في بعثة النبي ﷺ إلى الملائكة على قولين: أحدهما أنه لم يكن مبعوثاً إليهم وبهذا جزم الحليمي، والبيهقي كلاهما من أئمة أصحابنا. ومحمود بن حمزة الكرمانى في كتابه العجائب والغرائب وهو من أئمة الحنفية. ونقل البرهان النسفي، والفخر الرازي في تفسيريهما الإجماع عليه، وجزم به من المتأخرين الحافظ زين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح. والشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع. وتبعتهما في كتابي شرح التقريب في الحديث، وشرح الكوكب الساطع في الأصول، والقول الثاني إنه كان مبعوثاً إليهم وهذا القول رجحته في كتاب الخصائص، وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد أنه ﷺ مرسل إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة، وأن قوله: «بعثت إلى الناس كافة» شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة، ورجحه أيضاً البارزى وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الضب له بالرسالة وشهادة الحجر والشجر له - وأزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه.

ذكر الأدلة التي أخذت منها إرساله إلى الملائكة

هي قسمان: ما يدل بطريق العموم، وما يدل بطريق الخصوص. فالذي يدل بطريق العموم قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] والعالمون شامل للملائكة كما هو شامل للإنس، والجن وقد أجمع المفسرون على أن قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] شامل لهؤلاء الثلاثة فكذا ذلك هذا، والأصل بقاء اللفظ على عمومته حتى يدل الدليل على إخراج شيء منه، ولم يدل هنا دليل على إخراج الملائكة، ولا سبيل إلى وجوده لا من القرآن ولا من الحديث، وقد نوزع من ادعى الإجماع في هذه الدعوى فمن أين تخصيصه بالإنس والجن فقط دون الملائكة؟ وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فإنه أيضاً شامل للملائكة.

وذكر صاحب الشفا أن النبي ﷺ قال لجبريل: «هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟» قال: نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله علي في القرآن بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] إلا أن هذا الحديث لم يوقف له على إسناد، وأما ما يدل بالخصوص فقد استنبطت أدلة لم اسبق إليها: الدليل الأول وهو أقواها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] - يعني الملائكة - ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن أرتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٨، ٢٧] ثم قال: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَذِيرٍ لَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ قال: - يعني من الملائكة - وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ مِنْ دُونِهِ﴾ قال: من الملائكة. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس قال: إن الله قال لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه وقد قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَتَذْكُرَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فثبت بذلك إرساله إليهم، ولم أقف إلى الآن على إنذار وقع في القرآن للملائكة سوى هذه الآية، والحكمة في ذلك واضحة لأن غالب المعاصي راجعة إلى البطن والفرج وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة فاستغنى عن إنذارهم فيه، ولما وقع من إبليس وكان منهم أو فيهم نظير هذه المعصية أنذروا فيها. نعم وقع في القرآن آية أخرى بسببهم لكنها من باب الإخبار لا الإنذار المحض وهي قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلما نزلت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قالت الملائكة: هلك كل نفس، فلما نزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قالت الملائكة: هلك أهل السماء وأهل الأرض.

الدليل الثاني: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عكرمة قال: صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد، هذا يدل على أن الملائكة في السماء تصلي بصلاة أهل الأرض. ويرشحه ما أخرجه مالك، والشافعي، وأحمد، والأئمة الستة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». وأخرج أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الذين خلفه آمين التفت من أهل السماء وأهل الأرض آمين غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه». وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة: «أن النبي ﷺ خرج على أصحابه فقال: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصفوف» وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «الصف الأول على مثل الملائكة».

الدليل الثالث: ما أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة من طريق الليث قال: حدثني خالد عن سعيد قال: بلغنا أن إسرافيل مؤذن أهل السماء يسمع تأذينه من في السموات السبع ومن في الأرضين إلا الجن والإنس ثم يتقدم بهم عظيم الملائكة يصلي بهم، قال: وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة في البيت المعمور، هذا يدل على أن الملائكة يؤذنون أذاننا ويصلون صلاتنا.

الدليل الرابع: ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه دخل المسجد لصلاة

الفجر فإذا قوم قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة فقال: هكذا عن وجوه الملائكة ثم قال: لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها فإن هذه الركعتين صلاة الملائكة. وأخرج أيضاً عن إبراهيم النخعي قال: كان يكرهون التساند إلى القبلة بعد ركعتي الفجر. وأخرج أحمد في مسنده عن حابس بن سعد - وكانت له صحبة - أنه دخل المسجد في السحر فرأى الناس يصلون في صفة المسجد فقال: إن الملائكة تصلي في السحر في مقدم المسجد، دلت هذه الآثار على أن الملائكة تصلي في جماعتنا صلاة الفجر وتحضرها في مساجدنا، ويرشحه ما أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] وأخرج أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود أنه كان يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله ويقرأ هذه الآية.

وأخرج عن قتادة قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قال: ﴿صَلَاةَ الْفَجْرِ﴾ [النور: ٥٨] وفي قوله: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة. وأخرج عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فيشهدونها جميعاً ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء.

الدليل الخامس: ما أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي في سننه عن سلمان الفارسي موقوفاً، والبيهقي من وجه آخر عن سلمان مرفوعاً قال: «إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان فإن أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه». وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال: «إذا أقام الرجل الصلاة وهو في فلان من الأرض صلى خلفه ملكان فإن أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة أمثال الجبال». وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال: من أقام الصلاة صلى معه ملكان فإن أذن وأقام صلى خلفه سبعون ملكاً. دلت هذه الآثار على أن الملائكة يصلون خلفنا صلاتنا وذلك دليل على أنهم مكلفون بشرعنا، ويرشح ذلك فرعان نص عليهما أصحابنا: الأول ما ذكره السبكي في الحلبيات أن الجماعة تحصل بالملائكة كما تحصل بالآدميين قال: وبعد أن قلت ذلك بحثاً رأيته منقولاً، ففي فتاوى الحناطي من أصحابنا من صلى في فضاء من الأرض بأذان وإقامة وكان منفرداً ثم حلف أنه صلى بالجماعة هل يحنث أو لا؟ فأجاب بأنه يكون باراً في يمينه ولا كفارة عليه لما روي أن النبي ﷺ قال: «من أذن وأقام في فضاء من الأرض وصلى وحده صلت الملائكة خلفه صفوفاً» فإذا حلف على هذا المعنى لا يحنث، قال السبكي: وينبغي على ذلك أن من ترك الجماعة لغير عذر وقلنا بأنها فرض عين هل نقول يجب القضاء كمن صلى

فاقد الطهورين؟ فإن كان كذلك فصلاة الملائكة إن قلنا بأنها كصلاة الآدميين وأنها تصير بها جماعة فقد يقال إنها تكفي لسقوط القضاء، الفرع الثاني، قول الأصحاب أنه يستحب للمصلي إذا سلم أن ينوي السلام على من على يمينه ويساره من ملائكة، وإنس، وجن.

الدليل السادس: ما أخرجه البزار عن علي قال: لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بدابة يقال لها البراق فذكر الحديث إلى أن قال: خرج ملك من الحجاب فقال الملك: الله أكبر الله أكبر - إلى أن قال: فقال أشهد أن محمداً رسول الله - إلى أن قال: ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأمر أهل السماء فيومئذ أكمل الله لمحمد ﷺ الشرف على أهل السموات والأرض.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن محمد ابن الحنفية مثله وفيه فقال الملك: حي على الصلاة فقال الله: صدق عبدي دعا إلى فريضتي - إلى أن قال: - ثم قيل لرسول الله ﷺ تقدم فتقدم فأمر أهل السماء فتم له شرفه على سائر الخلق. في هذا دلالة على إرساله إلى الملائكة من أربعة أوجه: الأول: شهادة الملك بالرسالة مطلقاً حيث قال: أشهد أن محمداً رسول الله. الثاني: قول الله في دعاء الملك إلى الصلاة دعا إلى فريضتي فإن ذلك يدل على أنها فرضت على أهل السماء كما فرضت على أهل الأرض. الثالث: إمامته لأهل السموات وصلاة الملائكة بأسرهم خلفه وذلك دليل على اتباعهم له وكونهم من جملة أتباعه. الرابع قوله: فيومئذ أكمل الله لمحمد الشرف على أهل السموات وإكمال الشرف له ببعثه إليهم وكونهم أتباعاً له، وكأنه في هذا الوقت أرسل إليهم ولم يكن أرسل إليهم قبل ذلك.

ويرشح ذلك أمر خامس وهو القرآن بين أهل السماء وأهل الأرض في الذكر، فكما كان شرفه على أهل الأرض بإرساله إليهم أجمعين فكذلك شرفه على أهل السموات بإرساله إليهم أجمعين. وكذا قوله في الرواية الأخرى فتم له شرفه على سائر الخلق - وسائر - في اللغة بمعنى الباقي فكان معنى الحديث أنه كان له شرف على الثقلين بإرساله إليهم ولم يكن أرسل إلى الملائكة فلما أرسل إليهم تم له الشرف على من بقي من الخلق وهم الملائكة، وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى السماء أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلي بهم فقدمني فصليت بالملائكة».

الدليل السابع: ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل آدم بالهند واستوحش فنزل جبريل فنأى بالأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن محمداً رسول الله مرتين» فهذه شهادة من جبريل برسالة محمد ﷺ وعلمها لأدم فدل ذلك على أنه ﷺ رسول إلى الأنبياء والملائكة معاً.

الدليل الثامن: ما ورد من حديث عمر بن الخطاب، وأنس، وجابر، وابن عباس، وابن عمر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وغيرهم أن النبي ﷺ أخبر أنه مكتوب على العرش وعلى كل سماء وعلى باب الجنة وعلى أوراق شجر الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فما كتب ذلك في الملكوت إلا على دون أسماء سائر الأنبياء إلا لتشهد به الملائكة وكونه

مرسلاً إليهم . وقد أخرج ابن عساكر عن كعب الأحبار أن آدم أوصى ابنه شيت فقال: كلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإنني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إنني طرفت فلم أر في السماء موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، ولم أر في الجنة قصرًا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها، فهذا يدل على أنه نبي الملائكة حيث لم تغفل عن ذكره، واستفدنا من هذا الأثر فائدة لطيفة وهو أنه ﷺ أرسل إلى الحور العين والولدان، ووضح بذلك أنه لم يدخل الجنة أحد ولم يستقر بها ممن خلق فيها إلا من آمن به ﷺ، ولعل من جملة فوائد الإسراء ودخوله إلى الجنة تبليغ جميع من في السموات من الملائكة ومن في الجنان من الحور والولدان ومن في البرزخ من الأنبياء رسالته ليؤمنوا به ويصدقوه مشافهة في زمنه بعد أن كانوا مؤمنين به قبل وجوده .

الدليل التاسع: قد صرح السبكي في تأليف له بأنه ﷺ أرسل إلى جميع الأنبياء آدم فمن بعده وأنه ﷺ نبي عليهم ورسوله إلى جميعهم واستدل على ذلك بقوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» وقوله ﷺ: «بعث إلى الناس كافة»، قال: ولهذا أخذ الله الموائيق له على الأنبياء كما قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١] قلت: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: لم يبعث نبي قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد . وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: لم يزل الله يتقدم في النبي ﷺ إلى آدم فمن بعده ولم تزل الأمم تتباصر به وتستفتح به .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار، قال السبكي: عرفنا بالخبر الصحيح حصول الكمال من قبل خلق آدم لنبينا ﷺ من ربه سبحانه وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له الموائيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم أنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ الموائيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه .

لطيفة أخرى: وهي كأنها إيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل إيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي ﷺ من ربه، فإذا عرفت ذلك فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم

اتصافه بما يقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل، فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي ﷺ الشريفة وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك. ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته ويتعلق به ما فيها من أمر ونهي كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء، وكذلك لو بعث النبي ﷺ في زمانه أو في زمان موسى، وإبراهيم، ونوح، وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أمهم والنبي ﷺ نبي عليهم ورسول إلى جميعهم، فنبوتهم ورسالتهم أعم وأشمل وأعظم ومتفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النسخ أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعة النبي ﷺ في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت به أنبياءهم، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات، انتهى كلام السبكي قلت: ويدل لكونه مرسلًا إلى الأنبياء ما ورد من حديث عبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله مرفوعاً «كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله» فهذا فيه إشارة إلى أنهم من أتباعه، وهذا التقرير الذي قرره السبكي قد أشار إليه الشرف البوصيري وقد مات قبل مولد السبكي بقوله في البردة:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فلإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرون أنوارها للناس في الظلم

إذا تقرر أنه ﷺ كان نبي الأنبياء ورسولاً إليهم وقد قامت الأدلة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة لزم أن يكون مرسلًا إلى الملائكة وأن يكونوا من جملة أتباعه بطريق الأولى.

الدليل العاشر: أنه ﷺ أعطى من الملائكة أموراً لم يعطها أحد من الأنبياء، منها قتالهم معه، ومنها مشيهم خلف ظهره إذا مشى، وذلك يدل على أنهم من جملة أتباعه وداخلون في شرعه، ومن كلام الرافعي في خطبة المحرر: واخدمته الملائك، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَمْ تُمِيقَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] هذه للنبي ﷺ خاصة - والمعقبات - الملائكة يحفظون محمداً ﷺ - أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، ومنها ما ورد في الحديث: «أن الله أيدي بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر» والوزير من أتباع الملك ضرورة فجبريل وميكائيل رؤوس أهل ملته من الملائكة، كما أن أبا بكر وعمر رؤوس أهل ملته من بني آدم، ومنها أنه لما مات ﷺ صلى عليه الملائكة بأسرهم لم يتخلف منهم أحد ولم يقع ذلك لغيره من الأنبياء؛ ومنها أن الملائكة يسألون الموتى في قبورهم عنه ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء سواه. ومنها أن الملائكة تحضر أمته إذا قاتلت العدو في سبيل الله لنصرة دينه وهذه خصيصة مستمرة إلى يوم القيامة، ومنها أن جبريل عليه السلام يحضر من مات من أمته ليتردد عنه الشيطان في

تلك الحالة، ومنها أن الملائكة تنزل في كل سنة ليلة القدر على أمته وتسلم عليهم، ومنها أنها أعطيت قراءة سورة الفاتحة من كتابه ولم تعط قراءة شيء من سائر الكتب وهي حريصة على سماع بقية القرآن من الإنس دون سائر الكتب، ومنها أنه نزل إليه ﷺ في حياته من الملائكة ما لم ينزل إلى الأرض منذ خلق كإسرافيل، ومنها أن ملك الموت استأذن عليه ولم يستأذن على نبي قبله، ومنها أنه وكل بقبره الشريف ملك يبلغه سلام من يصلي عليه، ومنها أنه ينزل على قبره الشريف كل يوم سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه كل يوم إلى أن يمسا فإذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحوا إلى أن تقوم الساعة، فإذا كان يوم القيامة خرج ﷺ في سبعين ألف ملك - أخرجه ابن المبارك في الزهد عن كعب الأحبار.

خاتمة: في كشف الأسرار لابن العماد حكاية أن آدم عليه السلام أرسل إلى الملائكة لينبئهم بما علم من الأسماء فإن صح ذلك كان أحد الأدلة على إرساله ﷺ إليهم لأنه ما أوتي نبي فضيلة إلا أوتي نبينا ﷺ مثلها أو نظيرها. وهذه القاعدة كالمجمع عليها، وممن نص عليها الإمام الشافعي رضي الله عنه، والحمد لله وحده.

٦١ - إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وقع السؤال - قد اشتهر أن النبي ﷺ حي في قبره وورد أنه ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» فظاهره مفارقة الروح [له] في بعض الأوقات فكيف الجمع؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل.

فأقول حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت [به] الأخبار، وقد ألف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء في قبورهم، فمن الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أنس أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبر موسى عليه السلام وهو يصلي فيه، وأخرج أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس أن النبي ﷺ قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتاً البنان يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا، وأخرج أبو داود، والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي الصلاة فيه فإن صلاتكم تعرض علي، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - يعني بليت - فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء»

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، والأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بلغته».

وأخرج البخاري في تاريخه عن عمار سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى ملكاً أعطاه اسماع الخلائق قائم على قبري فما من أحد يصلي علي صلاة إلا بلغته». وأخرج البيهقي في حياة الأنبياء، والأصبهاني في الترغيب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي مائة في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم وكل الله بذلك ملكاً يدخله علي في قبري كما يدخل عليكم الهدايا إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة» ولفظ البيهقي: «يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء» وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور». وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين حتى يرفع. قال: البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله، ثم قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد فذكر قصة الإسراء وفيه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء وكلمهم وكلموه. وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء وفيه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم.

وأخرج حديث أن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، وقال: هذا إنما يصح على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار انتهى. وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنه». وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله ﷺ غيري وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر.

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله ﷺ أيام الحرة حتى عاد الناس، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلزم المسجد أيام الحرة والناس يقتتلون قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف، وأخرج الدارمي في مسنده قال: أنبأنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثاً ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهممة يسمعها من قبر النبي ﷺ معناه. فهذه الأخبار دالة على حياة النبي ﷺ وسائر الأنبياء وقد قال تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران: ١٦٩] والأنبياء أولى بذلك فهم أجل وأعظم وما نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، والحاكم في المستدرک، والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن مسعود قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً. وأخرج البخاري، والبيهقي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي توفي فيه: لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان انقطع أبهري من ذلك السم، فثبت كونه ﷺ حياً في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى، وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائماً يصلي في قبره وأخبر ﷺ بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه انتهى، وسئل البارزي عن النبي ﷺ هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب إنه ﷺ حي.

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل الجارمين قال: المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا ﷺ حي بعد وفاته وأنه يسر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا ﷺ أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة وأنه رأى آدم في السماء الدنيا ورأى إبراهيم وقال له مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبينا ﷺ قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته، هذا آخر كلام الأستاذ.

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم السلام بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا ﷺ جماعة منهم وأمهم في الصلاة وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً قال: وهو بعد ما قبض نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه ﷺ اللهم أحيينا على سنته وأمتنا على ملته واجمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير، انتهى جواب البارزي.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي ﷺ إلى موسى عليه السلام في قبره، قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي، قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر.

فصل: وأما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه. والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ عن حيوة بن شريح عن أبي صخر عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»، ولا شك أن ظاهر هذا الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات وهو مخالف للأحاديث السابقة وقد تأملته ففتح علي في الجواب عنه بأوجه: الأول: - وهو أضعفها - أن يدعي أن الراوي وهم في لفظة من الحديث حصل بسببها الإشكال وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة ولكن الأصل خلاف ذلك فلا يعول على هذه الدعوى. الثاني: وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية أن قوله رد الله جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها قد كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مِّنْهُمُ﴾ [النساء: ٩٠] أي قد حصرت وكذا تقدر هنا والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد وحتى ليست للتعليل بل مجرد حرف عطف بمعنى الواو فصار تقدير الحديث ما من أحد يسلم علي إلا قد رد الله علي روحي قبل ذلك فأرد عليه، وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة رد الله علي بمعنى الحال أو الاستقبال وظن أن حتى تعليلية وليس كذلك، وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله وأيده من حيث المعنى أن الرد ولو أخذ بمعنى الحال والاستقبال لزم تكرره عند تكرار المسلمين، وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران: أحدهما تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه أو نوع ما من مخالفة التكرير إن لم يكن تأليم، والآخر مخالفة سائر الناس الشهداء وغيرهم فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ والنبي ﷺ أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة، ومحذور ثالث وهو مخالفة القرآن فإنه دل على أنه ليس إلا موتتان وحياتان وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل، ومحذور رابع وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً فلهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه، الوجه الثاني: أن يقال إن لفظ الرد قد لا يدل على المفارقة بل كنى به عن مطلق الصيرورة كما قيل في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عُذْنَا فِي وَإِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٩] أن لفظ العود أريد به مطلق الصيرورة لا العود بعد انتقال لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط، وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة المناسبة اللفظية بينه وبين قوله حتى أرد عليه السلام فجاء لفظ الرد في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث.

الوجه الثالث: وهو قوي جداً - أنه ليس المراد برد الروح عودها بعد المفارقة للبدن وإنما النبي ﷺ في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدة ربه كما كان في الدنيا في حالة الوحي وفي أوقات أخرى، فعبر عن إفاقة من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق برد الروح ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء وهي قوله: - فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام - ليس المراد الاستيقاظ من نوم فإن الإسراء لم يكن مناماً وإنما المراد الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت - وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظة الرد - وقد كنت رجحت الثاني ثم قوي عندي هذا.

الوجه الرابع: أن يقال: إن الرد يستلزم الاستمرار لأن الزمان لا يخلو من مصل عليه أقطار الأرض فلا يخلو من كون الروح في بدنه: الخامس: قد يقال إنه أوحى إليه بهذا الأمر أولاً قبل أن يوحى إليه بأنه يزال حياً في قبره فأخبر به ثم أوحى إليه بعد ذلك، فلا منافاة لتأخير الخبر الثاني عن الخبر الأول - هذا ما فتح الله به من الأجوبة ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد - ثم بعد كتابتي لذلك راجعت كتاب الفجر المنير فيما فضل به البشير النذير - للشيخ تاج الدين بن الفاكهاني المالكي - فوجدته قال فيه ما نصه: روي في الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» يؤخذ من هذا الحديث أن النبي ﷺ حي على الدوام وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد مسلم على النبي ﷺ في ليل أو نهار فإن قلت: قوله عليه السلام: «إلا رد الله إلي روحي» لا يلتزم مع كونه حياً على الدوام بل يلزم منه أن تتعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه كما تقدم بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً. **فالجواب** والله أعلم أن يقال: المراد بالروح هنا النطق مجازاً فكأنه قال عليه السلام إلا رد الله إلي نطقي وهو حي على الدوام، لكن لا يلزم من حياته نطقه فالحق سبحانه يرد عليه النطق عند سلام كل مسلم، وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح، كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر، ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَيَّيْتَنَا آتَيْنِي﴾ [غافر: ١١] هذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين، وهذا الذي ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التي ذكرتها فهو إن سلم - جواب سابع - وعندي فيه وقفة من حيث إن ظاهره أن النبي ﷺ مع كونه حياً في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات ويرد عليه عند سلام المسلم عليه وهذا بعيد جداً بل ممنوع، فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه، أما النقل فالأخبار الواردة عن حاله ﷺ وحال الأنبياء عليهم السلام في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاؤوا لا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين كذلك الشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاؤوا غير ممنوعين من شيء، ولم يرد أن أحداً يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات عن غير وصية، أخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب

الوصايا عن قيس بن قبيصة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى، قيل: يا رسول الله وهل تتكلم الموتى؟ قال نعم ويتزاورون».

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء، والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى طعام والشراب. وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى انتهى، وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب ولهذا عذب به تارك الوصية والنبي ﷺ منزّه عن ذلك، ولا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً بوجه من الوجوه كما قال لفاطمة رضي الله عنها في مرض وفاته: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحصرون بالمنع من النطق فكيف به ﷺ، نعم يمكن أن ينتزع من كلام الشيخ تاج الدين جواب آخر ويقرر بطريق أخرى وهو أن يراد بالروح النطق وبالرد الاستمرار من غير مفارقة على حد ما قررته في الوجه الثالث ويكون في الحديث على هذا مجازان: مجاز في لفظ الرد، ومجاز في لفظ الروح، فالأول استعارة تبعية، والثاني مجاز مرسل، وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط، ويتولد من هذا الجواب آخر وهو أن تكون الروح كناية عن السمع، ويكون المراد أن الله يرد عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع المسلم وأن بعد قطره ويرد عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلّغ، وليس المراد سمعه المعتاد وقد كان له ﷺ في الدنيا حالة يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة بحيث كان يسمع أطيب السماء كما بينت ذلك في كتاب المعجزات، وهذا قد ينفك في بعض الأوقات ويعود لا مانع منه وحالته ﷺ في البرزخ كحالته في الدنيا سواء.

وقد يخرج من هذا جواب آخر وهو أن المراد سمعه المعتاد ويكون المراد برده إفاقته من الاستغراق الملكوتي وما هو فيه من المشاهدة فيرده الله تلك الساعة إلى خطاب من سلم عليه في الدنيا، فإذا فرغ من الرد عليه عاد إلى ما كان فيه، ويخرج من هذا جواب آخر وهو أن المراد برد الروح التفرغ من الشغل وفراغ البال مما هو بصده في البرزخ من النظر في أعمال أمته والاستغفار لهم من السيئات، والدعاء بكشف البلاء عنهم، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها، وحضور جنازة من مات من صالح أمته، فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فلما كان السلام عليه من أفضل الأعمال وأجل القربات اختص المسلم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يرد عليه فيها تشريفاً له ومجازاة - فهذه عشرة أجوبة - كلها من استنباطي، وقد قال الجاحظ: إذا نكح الفكر الحفظ ولد العجائب، ثم ظهر لي جواب حادي عشر وهو أنه ليس المراد بالروح روح الحياة بل الارتياح كما في قوله تعالى: ﴿فَرَّجَ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] فإنه قرئ فروح - بضم الراء - والمراد أنه ﷺ يحصل له بسلام المسلم عليه ارتياح وفرح وهشاشة لحيه ذلك

فيحمله ذلك على أن يرد عليه، ثم ظهر لي جواب ثاني عشر وهو أن المراد بالروح الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة، قال ابن الأثير في النهاية: تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن ووردت فيه على معانٍ والغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد وقد أطلق على القرآن، والوحي، والرحمة، وعلى جبريل انتهى.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن الحسن البصري أنه قرأ قوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ بالضم وقال: الروح الرحمة، وقد تقدم في حديث أنس أن الصلاة تدخل عليه ﷺ في قبره كما يدخل عليكم بالهدايا والمراد ثواب الصلاة وذلك رحمة الله وإنعاماته، ثم ظهر لي جواب ثالث عشر وهو أن المراد بالروح الملك الذي وكل بقبره ﷺ يبلغه السلام، والروح يطلق على غير جبريل أيضاً من الملائكة، قال الراغب: أشرف الملائكة تسمى أرواحاً انتهى - ومعنى رد الله إلي روعي - أي بعث إلي الملك الموكل بتبليغي السلام هذا غاية ما ظهر والله أعلم.

تنبيه: وقع في كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما، أحدهما أنه عزا الحديث إلى الترمذي وهو غلط فلم يخرج من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي في الأطراف، الثاني أنه أورد الحديث بلفظ رد الله علي وهو كذلك في سنن أبي داود. ولفظ رواية البيهقي رد الله إلي [روحي] وهي ألطف وأنسب فإن بين التعديتين فرقاً لطيفاً، فإن رد يتعدى بعلي في الإهانة وبإلى في الإكرام قال في الصحاح: رد عليه الشيء إذا لم يقبله وكذلك إذا خطأه، ويقول رده إلى منزله ورد إليه جواباً - أي رجع - وقال الراغب من الأول: قوله تعالى: ﴿يَزِدُّكُمْ عَلَىٰ آفَاقِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩] ﴿رُدُّوهُآ إِلَىٰ آتِيهِ﴾ [ص: ٣٣] ﴿وَوَرُدُّهُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ [الأنعام: ٧١] ومن الثاني: ﴿فَرَدَّدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ﴾ [القصص: ١٣] ﴿وَلَكِنْ رُدُّدَتْ إِلَىٰ رَبِّ لَاجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

فصل: قال الراغب: من معاني الرد التفويض، يقال: رددت الحكم في كذا إلى فلان أي فوضته إليه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] انتهى، ويخرج من هذا جواب رابع عشر عن الحديث وهو أن المراد فوض الله إلي رد السلام عليه على أن المراد بالروح الرحمة والصلاة من الله الرحمة، فكان المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من الله تحقيقاً لقوله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً» والصلاة من الله الرحمة، ففوض الله أمر هذه الرحمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعو بها للمسلم فتحصل إجابته قطعاً، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وسلامه عليه، وينزل ذلك منزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة عليه، وتكون الإضافة في روعي لمجرد الملازمة، ونظيره قوله في حديث الشفاعة: «فبردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ينتهي إلى محمد» وفي حديث الإسراء: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم

وموسى وعيسى فنذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى.

والحاصل أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فوض الله إلي أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي فأتولى الدعاء بها بنفسي بأن أنطلق بلفظ السلام على وجه الرد عليه في مقابلة سلامه والدعاء له، ثم ظهر لي جواب خامس عشر وهو أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي ﷺ على أمته والرافة التي جبل عليها، وقد يغضب في بعض الأحيان على من عظمت ذنوبه أو انتهك محارم الله، والصلاة على النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب كما في حديث: «إذن تكفي همك ويغفر ذنبك» فأخبر ﷺ أنه ما من أحد يسلم عليه وإن بلغت ذنوبه ما بلغت إلا رجعت إليه الرحمة التي جبل عليها حتى يرد عليه السلام بنفسه، ولا يمنعه من الرد عليه ما كان منه قبل ذلك من ذنب، وهذه فائدة نفيسة وبشرى عظيمة، وتكون هذه فائدة زيادة من الاستغراقية في أحد المنفى الذي هو ظاهر في الاستغراق قبل زيادتها نص فيه بعد زيادتها بحيث انتفى بسببها أن يكون من العام المراد به الخصوص.

هذا آخر ما فتح الله به الآن من الأجوبة وإن فتح بعد ذلك بزيادة ألحقناها والله الموفق بمنه وكرمه، ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسؤول عنه مخرجاً في كتاب حياة الأنبياء للبيهقي بلفظ: «إلا وقد رد الله علي روعي» فصرح فيه بلفظ «وقد» فحمدت الله كثيراً وقوي أن رواية اسقاطها محمولة على إضمارها وأن حذفها من تصرف الرواة وهو الأمر الذي جنحت إليه في الوجه الثاني من الأجوبة، وقد عدت الآن إلى ترجيحه لوجود هذه الرواية فهو أقوى الأجوبة، ومراد الحديث عليه الأخبار بأن الله يرد إليه روحه بعد الموت فيصير حياً على الدوام حتى لو سلم عليه أحد رد عليه سلامه لوجود الحياة، فصار الحديث موافقاً للأحاديث الواردة في حياته في قبره، وواحداً من جملتها لا منافياً لها البتة بوجه من الوجوه - والله الحمد والمنة - وقد قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض تارة في ألفاظ المتن، وتارة في الإسناد، فيستبين بالطريق المزيد ما خفي في الطريق الناقصة والله تعالى أعلم.

٦٢ - كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد فقد ورد علي سؤال يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة صورته - المسؤول الجواب عما يذكر وهو أن عيسى عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان بماذا يحكم في هذه الأمة بشرع نبياً أو بشرعه؟ وإذا قلتم إنه يحكم بشرع نبينا فكيف طريق حكمه به أبمذهب من المذاهب الأربعة المتقررة أو باجتهاد منه؟ وإذا قلتم بمذهب من المذاهب الأربعة فبأي مذهب هو؟ وإذا قلتم

بالاجتهاد فبأي طريق تصل إليه الأدلة التي يستنبط منها الأحكام أبالنقل الذي هو من خصائص هذه الأمة أو بالوحي؟ وإذا قلتم بالنقل فكيف طريق معرفته صحيح السنة من سقيمها أبحكم الحفاظ عليه أو بطريق آخر؟ وإذا قلتم بالوحي فأَي وحي هو أَوْحي إلهام أو بتنزيل ملك فإذا كان بالثاني فأَي ملك وكيف حكمه في أموال بيت المال وأراضيه وما صدر فيها من الأوقاف أيقَر ذلك على ما هو الآن أو يحكم فيه بغير ذلك؟.

وأقول: قد ورد علي هذا السؤال من مدة تقارب شهرين وذلك يوم الجمعة رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة جاءني رجل من أهل العلم ممن أخذ العلم عن والدي فسألني عن أشياء من جملتها هذا السؤال وأجبت عنه بجواب مختصر، ومن جملة ما سألني عنه في ذلك المجلس قصة استحياء الملائكة من عثمان وأخرجت له في ذلك حديثين غريبين خرجتهما من تاريخ ابن عساكر وأوردتهما في كتاب تاريخ الخلفاء في ترجمة عثمان بن غفار رضي الله عنه، وها أنا ذاكر في هذه الأوراق جواب هذا السؤال على طريق البسط ذاكراً في كل كلمة أوردها مستندي فيها من الأحاديث والآثار وكلام العلماء، فقول السائل بماذا يحكم في هذه الأمة بشرع نبينا أو بشرعه؟ جوابه: أنه يحكم بشرع نبينا لا بشرعه، نص على ذلك العلماء ووردت به الأحاديث وانعقد عليه الإجماع، فمن جملة نصوص العلماء في ذلك قول الخطابي في معالم السنن عند ذكر حديث أن عيسى يقتل الخنزير: فيه دليل على وجوب قتل الخنازير وبيان أن أعيانها نجسة وذلك لأن عيسى عليه السلام إنما يقتل الخنزير على حكم شريعة نبينا محمد ﷺ لأن نزوله إنما يكون في آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية، ومن ذلك قول النووي في شرح مسلم: ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل بشرع ينسخ شرعنا ولا في الأحاديث شيء من هذا بل صحت الأحاديث بأنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما أخرجه أحمد، والبخاري، والطبراني من حديث سمرة عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم مصداقاً بمحمد ﷺ وعلى ملته فيقتل الدجال ثم وإنما هو قيام الساعة». وأخرج الطبراني في الكبير، والبيهقي في البعث بسند جيد عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «يلبث الدجال فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى ابن مريم مصداقاً بمحمد وعلى ملته إماماً مهدياً وحكماً عدلاً فيقتل الدجال». وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين».

ووجه الاستدلال من هذا الحديث أن عيسى يقول في صلاته يومئذ سمع الله لمن حمده وهذا الذكر في الاعتدال من خواص صلاة هذه الأمة كما ورد في حديث ذكرته في كتاب المعجزات والخصائص، وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال: «يهبط المسيح ابن مريم فيصلّي الصلوات ويجمع الجمع» فهذا صريح في أنه ينزل بشرعنا لأن مجموع الصلوات

الخميس وصلاة الجمعة لم يكونا في غير هذه الملة، وأخرج ابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها؟».

وأخرج ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عساكر قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها؟» وقول السائل: وإذا قلتم إنه يحكم بشرع نبينا فكيف طريق حكمه به أئمة من المذاهب الأربعة المقررة أو باجتهاد منه؟ هذا السؤال عجب من سائله وأشدّ عجباً منه قوله فيه: بمذهب من المذاهب الأربعة فهل خطر ببال السائل أن المذاهب في هذه الملة الشريفة منحصرة في أربعة والمجتهدون من الأمة لا يحصون كثرة وكل له مذهب من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين وهلم جرا، وقد كان في السنن الخوالي نحو عشرة مذاهب مقلدة أربابها مدونة كتبها - وهي الأربعة المشهورة - ومذهب سفيان الثوري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب الليث بن سعد، ومذهب إسحاق بن راهويه، ومذهب ابن جرير، ومذهب داود - وكان لكل من هؤلاء أتباع يفتون بقولهم ويقضون وإنما انقروا بعد الخمسمائة لموت العلماء وقصور الهمم فالمذاهب كثيرة فلا شيء خصص السائل المذاهب الأربعة؟ ثم كيف يظن بنبي أنه يقلد مذهباً من المذاهب والعلماء يقولون إن المجتهد لا يقلد مجتهداً، فإذا كان المجتهد من آحاد الأمة لا يقلد فكيف يظن بالنبي أنه يقلد؟ فإن قلت: فتعين حينئذ القول بأنه يحكم بالاجتهاد قلت: لا لم يتعين ذلك فإن نبينا ﷺ كان يحكم بما أوحى إليه في القرآن ولا يسمى ذلك اجتهاداً كما لا يسمى تقليداً، والدليل على ذلك أن العلماء حكوا خلافاً في جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فلو كان حكمه بما يفهمه من القرآن يسمى اجتهاداً لم تتجه حكاية الخلاف.

فإن قلت: بين لنا طريق معرفة عيسى بأحكام هذه الشريعة. قلت: يمكن أن يقال في ذلك ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم بالوحي من الله تعالى على لسان جبريل، وبالتنبيه على بعض ذلك في الكتاب الذي أنزل عليهم، والدليل على ذلك أنه ورد في الأحاديث والآثار أن عيسى عليه السلام بشر أمته بمجيء النبي ﷺ بعده وأخبرهم بجملة من شريعته يأتي بها تخالف شريعة عيسى، وكذلك وقع لموسى، وداود عليهما السلام، من ذلك ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال: إن الله لما قرب موسى نجياً قال: رب إنني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إنني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد قال: رب إنني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من

قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها فإن لم تقبل لم تأكلها النار فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في التوراة أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة وإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد.

فهذه أحكام في شرعنا مخالفة لشرع من قبلنا بينها الله تعالى لنبيه موسى فعلمها بالوحي لا بالاجتهاد ولا بالتقليد، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة أيضاً عن وهب بن منبه قال: إن الله أوحى في الزبور يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً لا أغضب عليه أبداً ولا يعصيني أبداً وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمه مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم، يا داود إني فضلت محمداً وأمه على الأمم كلهم أعطيتهم خصلاً لم أعطاها غيرهم من الأمم، لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ركبه إذا استغفروني منه غفرته، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم ولهم عندي أضعاف مضاعفة، وأعطيتهم على المصائب والبلايا إذا صبروا وقالوا إنا إليه راجعون الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم.

وأخرج الدارمي في مسنده عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال كعب: نجده محمد بن عبد الله مولده بمكة وبهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا بسخاب في الأسواق، ولا يكافىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، ودويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديتهم في جو السماء.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة وغيره عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «صفتي في الإنجيل أحمد المتوكل مولده مكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزي بالحسنة الحسنة ولا يكافىء بالسيئة أمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم أناجيلهم في صدورهم يصفون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذين يتقربون به إلى دمائهم رهبان بالليل ليوث بالنهار» وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن كعب الأحبار قال: صفة هذه الأمة في كتاب الله المنزل: خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال، هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أراد أحدهم أمراً قال أفعله إن شاء الله، وإذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله، وإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيد لهم ظهور

والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غر محجلون من آثار الوضوء.

فهذه جملة من أحكام شريعتنا مخالفة لشرع من قبلنا بينها الله لأنبيائه فيما أنزله عليهم من الكتب، وقد وردت الأحاديث والآثار ببيان أكثر من ذلك وتركها خوف الإطالة، ووردت الآثار أيضاً بأن الله بين لأنبيائه في كتبهم جميع ما هو واقع في هذه الأمة من أحداث وفتن وأخبار خلفائها وملوكها، من ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال: مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر الصديق مثل القطر أينما يقع نفع، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد أمير شديد لا يخاف في الله لومة لائم ثم يكون من بعدك خليفة تقتله أمة ظالمين له ثم يقع البلاء بعده.

وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب أنه دعا الأسقف فقال: هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ قال نجد صفتكم وأعمالكم، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن محمد بن يزيد الثقفي قال: اصطحب قيس بن خرشة، وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله، فقال قيس: ما يدريك فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به؟ فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة الذي أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة، وأخرج عبد الله بن أحمد في روايات الزهد عن هشام بن خالد الربيعي قال: قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة.

والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً وقد سردتها في كتاب المعجزات، وحاصلها القطع بأن الله بين لأنبيائه جميع ما يتعلق بهذه الأمة من أحكام وما يحدث فيها من حوادث وفتن، فعلم الأنبياء ذلك بطريق الوحي من الله من غير احتياج إلى أن يأخذهوا باجتهاد أو تقليد - هذا ما يتعلق بالطريق الأول - وقد اعترض علي في هذا الطريق بأنه يلزم عليه أن يكون كل ما في القرآن مضمناً في جميع الكتب السابقة، وأقول: لا مانع من ذلك بل دلت الأدلة على ثبوت هذا اللازم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْفَلَقِينَ﴾ (١٩٢) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ لَقِيَ زُحْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٤) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْفَلَقِينَ﴾ قال: القرآن، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ لَقِيَ زُحْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٤) قال: أي في كتب الأولين، وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية قال: يقول إنه في الكتب التي أنزلها على الأولين.

وأخرج عن مبشر بن عبيد القرشي في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَمْ بَآئِلَةً﴾ [الشعراء: ١٩٧] قال: يقول أولم يكن لهم القرآن آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، فقد دلت هذه الآية وكلام السلف في تفسيرها على أن المعاني التي تضمنها القرآن موجودة في كتب الله السابقة، وقد نص على هذا بعينه الإمام أبو حنيفة حيث استدلل بهذه الآية على جواز قراءة القرآن بغير

اللسان العربي وقال: إن القرآن مضمن في الكتب السابقة وهي بغير اللسان العربي أخذاً من هذه الآية، ومما يشهد بذلك وصفه تعالى للقرآن في عدة مواضع بأنه مصدق لما بين يديه من الكتب، فلولاً أن ما فيه موجود فيها لم يصح هذا الوصف، من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أخرج ابن جرير عن ابن جريج في الآية قال: القرآن أمين على الكتب فيما أخبرنا أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا.

وأخرج عن ابن زيد في الآية قال: كل شيء أنزله الله من تورا أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدقاً على ذلك كل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها وعلى ما حدث عنها أنه حق ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٧٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) [الأعلى: ١٨، ١٩] أخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٧٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) قال النبي ﷺ: «كان كل هذا في صحف إبراهيم وموسى» وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال: هذه السورة في ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ، وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٧٨) قال: ما قص الله في هذه السورة، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٧٨) قال: في كتب الله كلها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٢٧) [النجم: ٣٦، ٣٧] ﴿أَلَا نَزَّلُ الْآيَاتِ، فقد دل ذلك وأمثاله من القرآن على أن معاني القرآن موجودة في كتب الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه والله تعالى أعلم.

الطريق الثاني: أن عيسى ﷺ يمكن أن ينظر في القرآن فيفهم منه جميع الأحكام المتعلقة بهذه الشريعة من غير احتياج إلى مراجعة الأحاديث كما فهم النبي ﷺ ذلك من القرآن، فإن القرآن العزيز قد انطوى على جميع الأحكام الشرعية وفهمها النبي ﷺ بفهمه الذي اختص به ثم شرحها لأمته في السنة، وإفهام الأمة تقصر عن إدراك ما أدركه صاحب النبوة، وعيسى ﷺ نبي فلا يبعد أن يفهم من القرآن كفهم النبي ﷺ، وشاهد ما قلناه من أن جميع الأحكام الشرعية فهمها النبي ﷺ من القرآن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، ويؤيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه» وقال الشافعي أيضاً: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن، وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، وقال ابن بركان: ما قال النبي ﷺ من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه من عمه وكذا كل ما حكم أو قضى به، وقال بعضهم: ما

من شيء إلا يمكن استخراجاه من القرآن لمن فهمه الله حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين من قوله في سورة المنافقين: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده، وقال المرسى في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه ثم روت عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة، ومثل ابن مسعود، وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله، وقال ﷺ: «سيكون فتن قيل وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم» رواه الترمذي. وقال الله تعالى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُرْهَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال ﷺ: «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة» رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة، وقال ابن مسعود: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين رواه سعيد بن منصور في سننه - وقال ابن مسعود أيضاً: أنزل في هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن - رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما - وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله - رواه ابن أبي حاتم - وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله - رواه ابن أبي حاتم.

فعرف بمجموع ما ذكرناه أن جميع الشريعة منطوية تحت ألفاظ القرآن غير أنه لا ينهض لإدراكها منه إلا صاحب النبوة، قال بعض العلماء: العبارة في القرآن للعامة، والإشارة للخاصة، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء، وعيسى عليه السلام نبي رسول، فيفهم من القرآن ما انطوى عليه ويحكم به وإن خالف الإنجيل، وهذا معنى كونه يحكم بشرع نبينا ﷺ، فهذان طريقان كل منهما محتمل في معرفة عيسى ﷺ بأحكام هذه الشريعة ومأخذهما قوي في غاية الاتجاه والله أعلم.

الطريق الثالث: ما أشار إليه جماعة من العلماء منهم السبكي وغيره أن عيسى عليه السلام مع بقاءه على نبوته معدود في أمة النبي ﷺ ودخل في زمرة الصحابة، فإنه اجتمع بالنبي ﷺ وهو حي مؤمناً به ومصدقاً، وكان اجتماعه به مرات في غير ليلة الإسراء من جملة ما بمكة، روى ابن عدي في الكامل عن أنس قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ رأينا برداً وبدأ فقلنا: يا رسول الله ما هذا البرد الذي رأينا واليد؟ قال: قد رأيتموه؟ قلنا: نعم قال: ذاك عيسى ابن مريم سلم علي» وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن أنس قال: «كنت أطوف مع رسول الله ﷺ حول الكعبة إذ رأيته صافح شيئاً لا نراه قلنا: يا رسول الله رأيناك صافحت شيئاً ولا نراه قال: ذاك أخي عيسى ابن مريم انتظرت حتى قضى طوافه فسلمت عليه» فحينئذ لا مانع من أن يكون تلقى من النبي ﷺ أحكامه المتعلقة بشريعته

المخالفة لشريعة الإنجيل لعلمه بأنه سينزل في أمته ويحكم فيهم بشريعته فأخذها عنه بلا واسطة، وقد روى ابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إلا إن ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول إلا أنه خليفتي في أمتي من بعدي» وقد رأيت في عبارة السبكي في تصنيف له ما نصه - إنما يحكم عيسى بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة وحينئذ فيترجح أن أخذه للسنّة من النبي ﷺ بطريق المشافهة من غير واسطة وقد عده بعض المحدثين في جملة الصحابة هو، والخضر، وإلياس - قال الذهبي في تجريد الصحابة: عيسى ابن مريم عليه السلام نبي وصحابي فإنه رأى النبي ﷺ وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتاً انتهى.

وقول السائل: وكيف حكمه في أموال بيت المال أيقّر ذلك على ما هو الآن؟ كلام في غاية العجب فإن أموال بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي ولا يقر نبي على ذلك، وقد قال أصحابنا في الموارث: أنه لا يورث بيت المال إلا عند انتظامه؛ وانتظامه أن يكون كما كان في أيام الصحابة، وقد قال ابن سراقه من أئمتنا وهو قبل الأربعمائة: لبيت المال سنين كثيرة ما استقام فكيف قرب التسعمائة ولا يزداد الأمر - إلا شدة - وقد ألقت كتاباً في آداب الملوك - من طالع ما فيه من الأحاديث والآثار علم أن غالب أمور بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي، وقد وردت الأحاديث بأن المهدي يأتي قبل عيسى ابن مريم فيملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً، ويأتي عيسى فيقر صنع المهدي، ومما يعدل فيه المهدي أنه يقسم بين المسلمين فيتهم الذي استولى عليه ولاية الأتراك وأكلوه واستبدلوا به دونهم.

روى الإمام أحمد في مسنده، والبخاري، وأبو نعيم، والحاكم في مستدركه بسند صحيح عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم فيأكلون فيثكم» وورد ذلك أيضاً من حديث أنس، وحذيفة، وابن عمرو، وأبي موسى الأشعري، وروى ابن حبان في صحيحه عن أم سلمة قالت: «قال رسول الله ﷺ في المهدي أنه يقسم بين المسلمين فيتهم ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض يمكث سبع سنين». وأخرج أحمد في مسنده، وأبو يعلى بسند جيد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً؟ قيل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى يأمر متادياً فينادي من له في مال حاجة فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيكون كذلك سبع سنين» وقول السائل: وما صدر فيها من الأوقاف؟ جوابه أن ما كان منها وقفاً على وجوه البر، ومصالح المسلمين، والعلماء، والقراء، وذرية النبي ﷺ، وأقاربه، والفقراء، والمرضى، والزمنى، والمنقطعين، والمدارس، والمساجد، والحرمين، وبيت المقدس، وكسوة الكعبة، وما شاكل ذلك فهو وقف صحيح موافق للشريعة فيقره، وما

كان وقفاً على نساء الملوك، والأمراء، وأولادهم فهو وقف باطل مخالف للشرعية فيطله .
ثم ظهر لي طريق رابع وهو أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبي ﷺ في الأرض فلا مانع من أن يأخذ عنه ما احتاج إليه من أحكام شريعته ومستندي في هذا الطريق أمور: .
الأول: ما أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيئنه» .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فليسكنن فج الروحاء حاجاً أو معتمراً وليقفن على قبري فليسلمن علي ولأردن عليه» .

الثاني: أن النبي ﷺ في حياته كان يرى الأنبياء ويجتمع بهم في الأرض كما تقدم أنه رأى عيسى في الطواف وصح أنه ﷺ مر على موسى وهو يصلي في قبره، وصح أنه ﷺ قال: «الأنبياء أحياء يصلون» فكذلك إذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض يرى الأنبياء ويجتمع بهم ومن جملتهم النبي ﷺ فيأخذ عنه ما احتاج إليه من أحكام شريعته .

الثالث: أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامة الولي أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به في اليقظة ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب، ومن نص على ذلك من أئمة الشافعية الغزالي، والبارزي، والتاج بن السبكي، والعفيف الياضي، ومن أئمة المالكية القرطبي، وابن أبي جمرة، وابن الحاج في المدخل. وقد حكى عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا الحديث باطل فقال الفقيه: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: لو حجت عن النبي ﷺ طرفه عين ما عدت نفسي مع المسلمين .

فإذا كان هذا حال الأولياء مع النبي ﷺ فعيسى النبي ﷺ أولى بذلك أن يجتمع به في أي وقت شاء ويأخذ عنه ما أراد من أحكام شريعته من غير احتياج إلى اجتهد ولا تقليد لحفاظ الحديث .

الرابع: أنه روي عن أبي هريرة أنه لما أكثر الحديث وأنكر عليه الناس قال: لئن نزل عيسى ابن مريم قبل أن أموت لأحدثنه عن رسول الله ﷺ فيصدقني فقلوه: فيصدقني دليل على أن عيسى عليه السلام عالم بجميع سنة النبي ﷺ من غير احتياج إلى أن يأخذها عن أحد من الأمة حتى أن أبا هريرة الذي سمع النبي ﷺ احتاج إلى أن يلجأ إليه يصدقه فيما رواه ويزكيه - هذا آخر الجواب - ثم إن مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين وابن عم سيد المرسلين الإمام المتوكل على الله أعزه الله وأعز به الدين وهو الأمر بالكتابة أولاً أعاد الأمر ثانياً هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه وحي؟ والجواب نعم - روى مسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم من حديث

النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال - إلى أن قال: «فبينما هم على ذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً يده على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي فبينما هم كذلك أوحى الله إلى عيسى ابن مريم أنني قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرر عبادي إلى الطور فبعث الله ياجوج وماجوج» الحديث.

فهذا صريح في أنه يوحى إليه بعد النزول، والظاهر أن الجاني إليه بالوحي جبريل عليه السلام بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لأن ذلك وظيفته وهو السفير بين الله وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة، والدليل على ذلك ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عائشة قالت: قال ورقة لخديجة: جبريل أمين الله بينه وبين رسله، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره: وأبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة عن ابن سابط قال: في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة ووكل به ثلاثة من الملائكة فوكل جبريل بالكتب والوحي إلى الأنبياء. ووكل أيضاً بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكله بالنصر عند القتال. ووكل ميكائيل بالقطر والنبات. ووكل ملك الموت بقبض الأنفس فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان في أم الكتاب فيجدونه سواء. وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن السائب قال: أول من يحاسب جبريل لأنه كان أمين الله إلى رسله. وأخرج أبو الشيخ عن خالد بن عمران قال: جبريل أمين الله إلى رسله. وميكائيل يتلقى الكتب وإسرافيل بمنزلة الحاجب. وأخرج أيضاً عن عكرمة بن خالد «أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الملائكة أكرم على الله؟ فقال: «جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة تنبت، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر أو بحر، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم».

وأخرج أيضاً عن عبد العزيز بن عمير قال: اسم جبريل في الملائكة خادم ربه، وأخرج ابن أبي زمنين في كتاب السنة عن كعب قال: إذا أراد الله أن يوحى أمراً جاء اللوح المحفوظ حتى يصفق جبهة إسرافيل فيرفع رأسه فينظر فإذا الأمر مكتوب فينادي جبريل فيلبيه فيقول أمرت بكذا أمرت بكذا فيهبط جبريل على النبي ﷺ فيوحي إليه، وأخرج أبو الشيخ عن أبي بكر الهذلي قال: إذا أمر الله بالأمر تدلت الألواح على إسرافيل بما فيها من أمر الله فينظر فيها إسرافيل ثم ينادي جبريل فيجيبه - وذكر نحوه - وأخرج أيضاً عن أبي سنان قال: اللوح المحفوظ معلق بالعرش فإذا أراد الله أن يوحى بشيء كتب في اللوح فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل فينظر فيه فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل، وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل، فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائضه فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل فيدعى إسرافيل ترعد فرائضه فيقال له: هل بلغت اللوح؟ فإذا قال: نعم قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب ثم كذلك، وأخرج أيضاً عن وهيب بن الورد قال: إذا كان يوم

القيامة دعي إسرائيل ترعد فرائضه فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل فيدعي جبريل ترعد فرائضه فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرائيل؟ فيقول: بلغت الرسل فيؤتى بالرسول فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس فهو قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] وأخرج ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي جبلة بسنده قال: أول من يدعى يوم القيامة إسرائيل فيقول الله: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم رب قد بلغت جبريل فيدعي جبريل فيقال: هل بلغك إسرائيل عهدي؟ فيقول: نعم فيخلى عن إسرائيل فيقول: لجبريل ما صنعت في عهدي؟ فيقول: يا رب بلغت الرسل فيدعي الرسل فيقال لهم: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم فيخلى عن جبريل - الحديث - فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء، وعرف بها أيضاً أنه إنما يتلقى الوحي عن الله بواسطة إسرائيل وقد كنا سألنا عن ذلك منذ أيام.

خاتمة: اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ وهذا شيء لا أصل له. ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت: «قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فأني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل» فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى الأرض ويحضر موة كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة، ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض - وهو ما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في وصف الدجال - قال: «يمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعه من حرمة ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمة» ثم رأيت في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ﴾ [القدر: ٤] - الآية - عن الضحاك أن الروح هنا جبريل وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين - وذلك في كل سنة - وقد زعم زاعم أن عيسى ابن مريم إذا نزل لا يوحى إليه وحياً حقيقياً بل وحي إلهام وهذا القول ساقط مهممل لأمرين: أحدهما منابذته للحديث الثابت عن رسول الله ﷺ كما تقدم من صحيح مسلم، وغيره، وقد رواه الحاكم في المستدرک ولفظه: «فبيناه كذلك إذ أوحى الله إليه يا عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يد لأحدكم بقتالهم حول عبادي إلى الطور» وقال: صحيح على شرط الشيخين وذلك صريح في أنه وحي حقيقي لا وحي إلهام، والثاني أن ما توهمه هذا الزاعم من تعذر الوحي الحقيقي فاسد لأن عيسى نبي فأى مانع من نزول الوحي إليه، فإن تخيل في نفسه أن عيسى قد ذهب وصف النبوة عنه وانسلخ منه فهذا قول يقارب الكفر لأن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة أبداً ولا بعد موته، وإن تخيل اختصاص الوحي للنبي بزمان دون زمن فهو [قول] لا دليل عليه وبطله ثبوت الدليل على خلافه، وقد ألم السبكي بشيء مما ذكرناه

فقال في تصنيف له: ما من نبي إلا أخذ الله عليه الميثاق أنه إن بعث محمد في زمانه ليؤمن به ولينصره ويوصي أمته بذلك وفي ذلك من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلمي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم وتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأمهم كلهم من أمته، ويكون قوله: بعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً - إلى أن قال: فالنبي ﷺ هو نبي الأنبياء ولو اتفق مجيئه في زمن آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى وجب عليهم وعلى أمهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه، فلو وجد في عصرهم لزهم اتباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحد من هذه الأمة، نعم هو واحد من هذه الأمة بما قلناه - إن اتباعه للنبي ﷺ - وإنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة، وكل ما فيه من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء. وكذلك لو بعث النبي ﷺ في زمانه أو في زمان موسى، وإبراهيم، ونوح، وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالته إلى أمهم، والنبي ﷺ نبي عليهم ورسول إلى جميعهم، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم، هذا كلام السبكي [بحروفه] فعرف بذلك أنه لا تنافي بين كونه ينزل متبعاً للنبي ﷺ وبين كونه باقياً على نبوته ويأتيه جبريل بما شاء الله من الوحي والله أعلم.

قال زاعم: الوحي في حديث مسلم مؤول بوحى الإلهام. قلت: قال أهل الأصول: التأويل صرف اللفظ عن ظاهره لدليل فإن لم يكن لدليل فلعلم لا تأويل ولا دليل على هذا فهو لعب بالحديث، قال زاعم: الدليل عليه حديث لا وحي بعدي. قلنا هذا الحديث بهذا اللفظ باطل، قال زاعم: الدليل عليه حديث لا نبي بعدي قلنا يا مسكين لا دلالة في هذا الحديث على ما ذكرت بوجه من الوجوه لأن المراد لا يحدث بعده بعث نبي بشرع ينسخ شرعه كما فسره بذلك العلماء، ثم يقال لهذا الزاعم: هل أنت آخذ بظاهر الحديث من غير حمل على المعنى المذكور فيلزمك عليه أحد أمرين: إما نفي نزول عيسى أو نفي النبوة عنه وكلاهما كفر؟ ثم بعد مدة من كتابتي لهذا الجواب وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الإسلام ابن حجر صورته - ما قولكم في قول سيدنا رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان حكماً» فهل ينزل عيسى عليه السلام حافظاً لكتاب الله القرآن العظيم ولسنة نبينا ﷺ أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان ويجتهد فيها؟ وما الحكم في ذلك؟ فأجاب بما نصه - ومن خطه نقلت - لم يتقل لنا في ذلك شيء صريح والذي يليق بمقام عيسى عليه الصلاة والسلام أنه يتلقى ذلك عن رسول الله ﷺ فيحكم في أمته بما تلقاه عنه لأنه في الحقيقة خليفة عنه والله أعلم.

تنبيه: ويشبه هذا ما بلغني عن بعض المنكرين أنه أنكر ما ورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح وأنه صنف في إنكار ذلك كتاباً، وقال في توجيهه

ذلك: أن النبي ﷺ أجل مقاماً من أن يصلي خلف غير نبي، وهذا من أعجب العجب فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بأخبار رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا يخلف خبره، من ذلك ما رواه أحمد في مسنده: والحاكم في المستدرک وصححه عن عثمان بن أبي العاصي سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكر الحديث - وفيه - «فينزل عيسى عند صلاة الفجر فيقول له: أمير الناس تقدم يا روح الله فصل بنا فيقول إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضكم على بعض تقدم أنت فصل بنا فيتقدم فيصلي بهم فإذا انصرف أخذ عيسى حربته نحو الدجال».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم» وفي مسند أحمد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال» فذكر الحديث - إلى أن قال: «فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول: ليتقدم إمامكم» الحديث، وفي مسند أبي يعلى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم فيقول إمامهم تقدم فيقول أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أكرم الله به هذه الأمة». وروى أبو داود، وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحدثنا عن الدجال - فذكر الحديث - إلى أن قال: «وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: أقيموا الباب فيفتح ووراء الدجال». وروى مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمين تكرمه الله هذه الأمة» وقول هذا المنكر - أن النبي ﷺ أجل مقاماً من أن يصلي خلف غير نبي - جوابه أن نبينا ﷺ أجل الأنبياء مقاماً وأرفعهم درجة وقد صلى خلف عبد الرحمن بن عوف مرة، وخلف أبي بكر الصديق أخرى، وقال: «إنه لم يمت نبي حتى يصلي خلف رجل من أمته» ثبت ذلك في أحاديث صحيحة فكيف يتجه لهذا المنكر أن يقول هذا الكلام بعد ذلك؟ ولست أعجب من إنكار من لا يعرف إنما أعجب من إقدامه على تسطير ذلك في ورق يخلد بعده ويسطر في صحيفته، ثم رأيت في مصنف ابن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال: «المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليهما السلام».

٦٣ - لبس اليلب في الجواب عن إيراد حلب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصل كتاب الاعلام إلى حلب فوقف عليه واقف فرأى قولي فيه إن جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة، فكتب على الهامش بخطه ما نصه بل

قد عرف ذلك لغيره من الملائكة قال الحافظ برهان الدين الحلبي في شرح البخاري: اعلم أن في كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ سبع صور ذكرها السهيلي في روضه - إلى أن قال: سابعها وحي إسماعيل كما ثبت عن الشعبي أن النبي ﷺ وكل به إسماعيل فكان يترأى له ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل، قال ابن عبد البر في أول الاستيعاب وساق سنداً إلى الشعبي: قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين - ثم نقل عن شيخه ابن الملقن - أن المشهور أن جبريل ابتدأه بالوحي انتهى ما كتبه المعترض.

وأقول: الجواب عن ذلك من وجوه: أحدها: ما نقله المعترض نفسه في آخر كلامه عن ابن الملقن أن المشهور أن جبريل ابتدأه بالوحي وإنما قال ابن الملقن ذلك لأنه الثابت في أحاديث الصحيحين وغيرهما وأثر الشعبي مرسل أو معضل فكيف يعتمد عليه مع ثبوت خلافه في الصحيحين وغيرهما، والعجب من المعترض كيف اعترض بما لم يثبت مع نقله في آخر كلامه أن المشهور خلاف ما اعترض به.

الوجه الثاني: أن المراد بالسفير الذي هو مرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة إلى النبي ﷺ في بعض الأحيان كما أن كاتب السر مرصد للتوقيع عن السلطان ولا ينافي ذلك أن يوقع عنه غيره في بعض الأحيان فلا يسلب كاتب السر الاختصاص بهذا الاسم ولا يشاركه فيه من وقع مرة أو مرتين، فكذلك لا يسلب جبريل الاختصاص باسم السفير ولا يشاركه فيه أحد من الملائكة الذين جاؤوا إلى الأنبياء في وقت ما، وكم من ملك غير إسماعيل جاء إلى النبي ﷺ في قضايا متعددة كما هو في كثير من الأحاديث، وجاء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام فبشره بالخلة، فعجب من المعترض كيف اقتصر على إسماعيل دون مجيء غيره من الملائكة.

الوجه الثالث: إن العبارة التي أوردتها وهو السفير بين الله وبين أنبيائه بصيغة الجمع وإسماعيل لم ينزل إلى أحد غير النبي ﷺ كما ورد في الحديث، وذكر بعض العلماء في حكمته أنه الموكل بالنفخ في الصور والنبي ﷺ بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشرطها فبعث إليه إسماعيل بهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله وحينئذ فالمبعوث إلى النبي ﷺ فقط لا يصدق عليه أنه سفير بين الله وبين أنبيائه بصيغة الجمع لأنه لم يكن سفيراً إلا بين الله وبين نبي واحد، والحكم المنفي عن المجموع لا يلزم نفيه عن فرد من أفراد ذلك المجموع فلا يصح النقض به.

الوجه الرابع: أنه قد ورد في الحديث ما يوحي أثر الشعبي - وهو ما أخرجه مسلم، والنسائي، والحاكم عن ابن عباس - قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط قال فأتى النبي ﷺ فسلم عليه فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيتهما» قال

جماعة من العلماء: هذا الملك هو إسرافيل. وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول «لقد هبط عليّ ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو إسرافيل فقال أنا رسول ربك إليك أمرني أخبرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظرت إلى جبريل فأولماً إليّ أن تواضع فلو أنني قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً» وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الأحاديث، وهما ظاهران في أن إسرافيل لم ينزل إليه قبل ذلك فكيف يصح قول الشعبي أنه أتاه في ابتداء الوحي؟.

الوجه الخامس: أنه قد أقمنا في الاعلام الدليل على ذلك عقبه وهو قول ورقة: جبريل أمين الله بينه وبين رسوله، وقول ابن سابط: فوكل جبريل بالكتب والوحي إلى الأنبياء، وقال عطاء بن السائب: أول ما يحاسب جبريل لأنه كان أمين الله إلى رسله. وميكائيل يتلقى الكتب. وإسرافيل بمنزلة الحاجب. وقوله ﷺ «فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين» الحديث وأثار آخر. وقلنا في آخر الكلام فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء أفما كان عند المعترض من الفطنة ما يهتدي به لصحة هذا الكلام أخذاً من هذه الأدلة؟ هذا آخر الجواب والله أعلم.

مبحث المعاد

وهو ثلاثة أقسام: أحوال البرزخ. وأشراط الساعة والبعث
أحوال البرزخ

٦٤ - اللعة في أجوبة الأسئلة السبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: هل يعلم الأموات بزيارة الأحياء وما هم فيه؟ وهل يسمع الميت كلام الناس وما يقال فيه؟ وأين مقر الأرواح؟ وهل تجتمع ويرى بعضهم بعضاً؟ وهل يسأل الشهيد والطفل؟.

الجواب: هذه مسائل مهمة قلّ من تكلم عليها بما يشفي، وأنا إن شاء الله تعالى أتتبع الأحاديث والآثار الواردة في ذلك. أما المسألة الأولى فنعم يعلمون بذلك، روى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم» وروى ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» صححه أبو محمد عبد الحق.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن محمد بن قدامة الجوهري عن معن بن عيسى القزاز عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام، وروى فيه عن محمد بن واسع قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده، وعن الضحاك قال: من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة.

وأما المسألة الثانية وهي علم الأموات بأحوال الأحياء وبما هم فيه فنعم أيضاً، روى الإمام أحمد في مسنده ثنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا الصلت بن دينار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على عشائركم وعلى أقربائكم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك» وروى الطبراني في الأوسط من طريق مسلمة بن علي - وهو ضعيف - عن زيد بن واقد، وهشام بن الغاز عن مكحول عن عبد الرحمن بن سلامة عن أبي رهم عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة عباد الله كما تلقون البشير من أهل الدنيا فيقولون انظروا صاحبكم ليستريح فإنه في كرب شديد ثم يسألونه ما فعل فلان وفلانة هل تزوجت؟ فإذا سأله عن الرجل قد مات قبله فيقول أيها قد مات ذلك قبلي فيقولون إنا لله وإنا راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبشت الأم وبشت المربية» وقال: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتتم نعمتك عليه وأمته عليها، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به وتقربه إليك» ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن المبارك عن ثور بن يزيد عن أبي رهم عن أبي أيوب قال: «تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع به» وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء على الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فانقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم» وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات ثنا القاسم بن هاشم، ومحمد بن رزق الله قالاً: ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ثنا أبو إسماعيل السلولي سمعت مالك بن الداء يقول: سمعت النعمان بن بشير يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: الله الله في إخوانكم من أهل

القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم» وقال: ثنا عبد الله بن شبيب ثنا أبو بكر بن شيبه الحزامي ثنا فليح بن إسماعيل ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن أبي صالح، والمقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور» وقال: ثنا الحسن بن عبد العزيز ثنا عمر بن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز عن بلال بن أبي الدرداء قال: كنت أسمع أبا الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبد الله بن راحة إذا لقيته. وقال: ثنا أبو هشام ثنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إنه ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر بذلك عينه.

وأما المسألة الثالثة: وهي هل يسمع الميت كلام الناس وثناءهم عليه وقولهم فيه؟ فنعم أيضاً، أخرج الإمام أحمد في مسنده، والمروزي في الجنائز، وابن أبي الدنيا، وغيرهم من طريق أبي عامر العقدي عن عبد الملك بن الحسن المدني عن سعد بن عمرو بن سليم عن معاوية - أو ابن معاوية - وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره» وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق آخر عن أبي سعيد، وأخرج ابن أبي الدنيا، وغيره بأسانيد عن عمرو بن دينار، ويكر بن عبد الله المزني، وسفيان الثوري، وغيرهم معنى ذلك، وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا سريج بن يونس ثنا عبيدة بن حميد أخبرني عمار عن سالم بن أبي الجعد قال: قال حذيفة: الروح بيد ملك وأن الجسد ليفسل وأن الملك ليمشي معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب، وقال: ثنا الحسين بن عمرو القرشي ثنا أبو داود الحفري ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: الروح بيد ملك يمشي به مع الجنازة يقول له اسمع ما يقال لك فإذا بلغ حفرة دفنه معه.

وأما المسألة الرابعة: وهي مقر الأرواح فهي أجل هذه المسائل وأنا أستوفي لها إن شاء الله تعالى ما وقفت عليه في ذلك - روى مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» هذا حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن الشافعي عن مالك، والنسائي، وغيره. وأخرج أحمد، والطبراني في الكبير بسند حسن عن أم هانئ «أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تكون النسم طيراً تعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها».

وأخرج مسلم، وغيره من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً: «أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش». وأخرج أحمد، وأبو داود، والحاكم، وغيرهم بسند صحيح عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة

وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش». وأخرج أحمد، وعبد في مسنديهما، والطبراني بسند حسن عن محمود بن لبيد عن ابن عباس مرفوعاً: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية». وأخرج البيهقي في البعث، والطبراني بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: «لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت: يا أبا عبد الرحمن إن لقيت كعباً فأقرئه مني السلام فقال لها: يغفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل من ذلك فقالت: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين؟ قال: بلى قالت: فهو ذاك». وقال الطبراني: حدثنا أبو زرعة الدمشقي ثنا عبد الله بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال: «سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا: يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال: محبوسة في سجين» هذا حديث مرسل.

وأخرج أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، والبيهقي، وابن أبي داود في كتابي البعث لهما، وغيرهم من طرق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة» صححه الحاكم.

وأخرج البيهقي في الدلائل، وابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيريهما، وغيرهم من طريق أبي محمد الحماني عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج ما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء فإن ذلك أعجبه بالمعراج فصعدت أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين». وقال أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا أحمد بن إبراهيم الكيال ثنا موسى بن شعيب أبو عمران السمرقندي ثنا محمد بن سهيل ثنا أبو مقاتل السمرقندي ثنا أبو سهل هشام بن مصك عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة».

هذا ما وقفت عليه من الأحاديث المرفوعة، وأما الموقوفة فقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن رجاء ثنا النضر بن شميل ثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن يزيد بن جده عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال: «أبغض بقعة في الأرض إلى الله واد يقال له برهوت فيه أرواح الكفار». وأسند البيهقي في البعث، وابن الدنيا في كتاب المنامات عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام التقي فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت فقال: أو يلقى الأحياء الأموات؟ فقال: نعم أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت. وأسند البيهقي، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو قال: الجنة مطوية في قرون الشمس تنشر في كل

عام مرتين وأرواح المؤمنين في طير كالزراير تأكل من شجر الجنة. وأسند المروزي في الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال: ترفع أرواح المؤمنين إلى جبريل فيقال أنت ولي هذه إلى يوم القيامة. وأسند عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح الكفار تجمع ببرهوت سبخة بحضرموت وأرواح المؤمنين تجتمع بالجابية. وأسند البيهقي عن ابن عباس عن كعب قال: جنة المأوى فيها طير خضر ترتقي فيها أرواح الشهداء تسرح في الجنة وأرواح آل فرعون في طير سود تغدو على النار وتروح، وأن أطفال المسلمين في عصافير الجنة. وأسند أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال: إن الله في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خدّاش سمعت مالك بن أنس يقول: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلّة تذهب حيث شاءت.

وأما المسألة الخامسة: وهي هل تجتمع الأرواح ويرى بعضهم بعضاً؟ فنعم أيضاً وقد تقدم ذلك في حديث أبي أيوب عند الطبراني. وفي حديث أم بشر عنده. وعند البيهقي وفي أثر وهب. وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ثنا فضيل بن سليمان النمري ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن أبي ليبة عن جده قال: «لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أمه وجداً شديداً فقالت: يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام؟ فقال: نعم والذي نفسي بيده إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر». وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول: وعليك فتقول: اقرأ على بشر السلام. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا الحسن ثنا ابن لهيعة عن دراج عن عيسى بن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن روعي المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط». وأخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه: «أن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه والله يحب لقاء المؤمن وأن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الأرض فإذا قال تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ما جيء به إلينا».

وأخرج ابن أبي الدنيا بأسانيد عن عبيد بن عمير قال: إذا مات الميت تلقته الأرواح فيستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان. وعن الحسن قال: إذا احتضر المؤمن حضره خمسمائة ملك يقبضون روحه فيخرجون به إلى السماء الدنيا فتتلقاه أرواح المؤمنين الماضين فيريدون أن يستخبروه فتقول لهم الملائكة ارفقوا به فإنه خرج من كرب عظيم فيسأله الرجل عن أخيه وعن صاحبه. وعن سعيد بن جبيرة قال: إذا مات الميت استقبله ولده كما يستقبل الغائب. وعن ثابت البناني قال: بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين قد تقدموه من الموتى فهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم على أهله.

وأما المسألة السادسة: وهي أن الشهيد هل يسأل؟ فجوابه لا صرح به جماعة منهم القرطبي واستدل بحديث مسلم: «أنه ﷺ سئل هل يفتن الشهيد؟ فقال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة». قال القرطبي: ومعناه أن السؤال في القبر إنما جعل لامتحان المؤمن الصادق في إيمانه من المنافق، وثبوته تحت بارقة السيوف أدل دليل على صدقه في إيمانه وإلا لفر إلى الكفار.

وأما المسألة السابعة: وهي أن الطفل هل يسأل؟ ففيه قولان للحنابلة حكاهما ابن القيم في كتاب الروح، وقول النووي في الروضة، وشرح المذهب: إن التلقين بعد الدفن مختص بالبالغ، وأن الصبي الصغير لا يلحق دليل على اختياره أنه لا يسأل والله أعلم.

مسألة:

ماذا يقول إمام العصر مجتهد
فيما روي عن رسول الله من كلم
وقيل كلمت موتى لا سماع لهم
وقال لا تسمع الموتى إلا الله وإذا
لا زلت ترشد عبداً ظل في حلك
الجواب: .

الحمد لله حمداً دائماً الحقب
سماع موتى كلام الخلق معتقد
وآية النفي معناها سماع هدى
فالنفي جاء على معنى المجاز فخذ
مسألة: سؤال منكر ونكير في القبر هل هو عام لجميع الخلق أو يستثنى منه أحد؟ وهل تسأل الأطفال والسقط؟ .

الجواب: ليس عاماً للخلق بل يستثنى منه الشهيد ففي الحديث: «أنه ﷺ سئل أيفتن الشهيد في قبره؟ فقال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة» قال القرطبي في التذكرة نقلاً عن الحكيم الترمذي معناه: أنه لو كان عنده نفاق فر عند التقاء الزحفين وبريق السيوف لأن من شأن المنافق الفرار عند ذلك وشأن المؤمن البذل والتسليم لله، فلما ظهر صدق ضميره حيث برز للحرب والقتل لم يعد عليه السؤال في القبر الموضوع لامتحان المسلم الخالص من المنافق، قال القرطبي: وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق من باب أولى لأنه أجل قدراً، وممن يستثنى المرابط فقد ورد فيه أحاديث، والمطعون، والصابر في بلد الطعن محتسباً ومات بغير الطاعون - صرح به الحافظ ابن حجر في كتاب بذل الماعون - والأطفال في أصح القولين.

٦٥ - الاحتفال بالأطفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة: اختلف في الأطفال هل يفتنون في قبورهم ويسألهم منكر ونكير أو لا؟ على قولين شهيرين حكاهما ابن القيم في كتاب الروح عن أصحابه الحنابلة ورأيتهما أيضاً للحنفية، وللمالكية ويخرجان من كلام أصحابنا الشافعية، أحدهما أنهم لا يسألون - وبه جزم النسفي من الحنفية - وهو مقتضى كلام ابن الصلاح، والنووي، وابن الرفعة، والسبكي، وصرح به الزركشي، وأفتى به الحافظ ابن حجر. والثاني أنهم يسألون - رويناه عن الضحاك من التابعين - وجزم به من الحنفية البزازي، والبيكساري، والشيخ أكمل الدين - وهو مقتضى كلام ابن فورك، والمتولي، وابن يونس من أصحابنا - ونقله الشيخ سعد الدين التفتازاني عن أبي شجاع، وجزم به من المالكية القرطبي في التذكرة، والفاكهاني، وابن ناجي، والأقفهسي، وصححه صاحب المصباح في علم الكلام.

ذكر نقول القول الأول: قال النسفي في بحر الكلام: الأنبياء وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب، ولا عذاب القبر، ولا سؤال منكر ونكير، وقال النووي في الروضة من زوائده، وفي شرح المذهب: التلقين إنما هو في حق الميت المكلف أما الصبي ونحوه فلا يلحق، قال الزركشي في الخادم: هذا تابع فيه ابن الصلاح فإنه قال: لا أصل لتلقينه - يعني لأنه لا يفتن في قبره - وقال في موضع آخر في الخادم ما قاله ابن الصلاح، والنووي مبني على أنه لا يسأل في قبره انتهى. وقد تابعهما على ذلك ابن الرفعة في الكفاية، والسبكي في شرح المنهاج، وسئل الحافظ ابن حجر عن الأطفال هل يسألون؟ فأجاب بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً.

ذكر نقول القول الثاني: أخرج ابن جرير في تفسيره. عن جويبر قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام فقال: إذا وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عقده فإن ابني مجلس ومسؤول فقلت: عم يسأل؟ قال: عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم، وقال البزازي من الحنفية في فتاويه: السؤال لكل ذي روح حتى الصبي والله تعالى يلهمه، وقال الزركشي في الخادم قد صرح ابن يونس في شرح التعجيز بأنه يستحب تلقين الطفل، واحتج بأن النبي ﷺ لقن ابنه إبراهيم قال: وهذا احتج به المتولي في أصل المسألة، وقال السبكي في شرح المنهاج: إنما يلحق الميت المكلف أما الصبي فلا يلحق، وقال في التتمة: إن النبي ﷺ لما لحد ابنه إبراهيم لقنه وهذا غريب انتهى.

وعبارة التتمة الأصل في التلقين ما روي أن النبي ﷺ لما دفن إبراهيم قال: «قل الله ربي ورسولي أبي والإسلام ديني فليل له يا رسول الله أنت تلقته فمن يلقتنا؟ فأنزل الله تعالى:

﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] انتهى . وقال الشيخ سعد الدين في شرح العقائد: قال أبو شجاع: إن للصبيان سؤالاً . وقال صاحب المصباح: الأصح أن الأنبياء لا يسألون وتساءل أطفال المسلمين . وتوقف أبو حنيفة في سؤال أطفال المشركين . وقال القرطبي في التذكرة: فإن قالوا ما حكم الصغار عندهم؟ قلنا هم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه، هذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار، وقد جاء أن القبر ينضم عليهم كما ينضم على الكبار، وقد روى هناد بن السري عن أبي هريرة أنه كان يصلي على المنفوس ما عمل خطيئة قط فيقول: اللهم أجره من عذاب القبر انتهى . والأولون قالوا: إنما يكون السؤال لمن عقل الرسول والمرسل فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ قالوا: والجواب عن حديث أبي هريرة أنه ليس المراد فيه بعذاب القبر عقوبته ولا السؤال بل مجرد الألم بالغم، والهم، والحسرة، والوحشة، والضغط التي تعم الأطفال وغيرهم، وقد يستشهد لأصحاب القول الثاني بما أخرجه ابن شاهين في السنة قال: حدثنا عبد الله بن سليمان قال: ثنا عمرو بن عثمان قال: ثنا بقية قال: حدثني صفوان قال: حدثني راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: تعلموا حجتكم فإنكم مسؤولون حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه . والغلام إذا عقل فيقولون له إذا سألوك من ربك؟ فقل الله ربي، وما دينك؟ فقل الإسلام ديني، ومن نبيك؟ فقل محمد ﷺ، وإنما رجحت القول الأول في كتاب شرح الصدور وغيره تبعاً لأهل مذهبنا فإن الأئمة المتأخرين منهم عليه والله تعالى أعلم، ثم رأيت في شرح الرسالة لأبي زيد عبد الرحمن الجزولي ما نصه - يظهر من أكثر الأحاديث أن المؤمنين يفتنون في قبورهم سواء كانوا مكلفين أو غير مكلفين - ويؤخذ من بعض الأحاديث أنه إنما أراد المكلفين، ويظهر من كلام أبي محمد هنا ومما يأتي أنه أراد المكلفين، وغير المكلفين لأنه قال فيما يأتي: أنه أراد المكلفين وعافه من فتنة القبر، وللشيوخ هنا تأويلان فمنهم من ترك الكتاب على ظاهره ومنهم من قيده فقال: يريد المكلفين ولكن يناقضه ما قال في الجنائز انتهى .

وقال يوسف بن عمر في شرح الرسالة: المراد بالمؤمنين في قوله: «وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم» غير المجاهدين الشهيدان في سبيل الله وغير الصبيان على قول . وقال الشيخ أكمل الدين في الإرشاد: السؤال لكل ميت كبير أو صغير يسأل إذا غاب عن الآدميين، وإذا مات في البحر أو أكله السبع فهو مسؤول، والأصح أن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون، ثم رأيت الحديث المشار إليه في تلقين إبراهيم أورده الأستاذ أبو بكر بن فورك في كتابه المسمى بالنظامي في أصول الدين مستدلاً به على أصل السؤال وعبارته - أعلم أن السؤال في القبر حق - وأنكرت المعتزلة ذلك بناء على أصلهم الواهي، ويدل على صحة ما قلناه ما روي عن النبي ﷺ أنه لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال: «يا بني القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون، يا بني قل الله ربي

والإسلام ديني ورسول الله أبي، فبكت الصحابة وبكى عمر بن الخطاب بكاء ارتفع له صوته فالتفت النبي ﷺ فرأى عمر يبكي والصحابة معه فقال: يا عمر ما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج إلى ملقن مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك أي شيء تكون صورته في مثل هذه الحالة؟ فبكى النبي ﷺ وبكت الصحابة معه ونزل جبريل وسأل النبي ﷺ عن سبب بكائهم فذكر النبي ﷺ ما قاله عمر وما ورد عليهم من قوله عليه السلام فصعد جبريل ونزل وقال: ربك يقرئك السلام ويقول: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - يريد بذلك وقت الموت وعند السؤال في القبر - فتلا النبي ﷺ عليهم الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله تعالى. ومن النقول الموافقة للقول الثاني قال شمس الدين البيكساري في شرح عمدة النسفي: السؤال لكل ميت صغيراً كان أو كبيراً، وأبو حنيفة توقف في أطفال المشركين في أنهم هل يسألون ويدخلون الجنة أم لا؟ وعند غيره يسألون، وذكر الفاكهاني في شرح الرسالة كلام القرطبي في أن الصغار يسألون ثم قال: وقال بعض المتأخرين: وليس في إحياء الأطفال خبر مقطوع به والعقل يجوزه، وقال الجمال الأقفهسي في شرح الرسالة: ظاهر قول الرسالة وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون إن كان المكلف وغيره يسأل وهو الذي يظهر من أكثر الأحاديث، وقال أبو القاسم بن عيسى بن ناجي في شرح الرسالة: ظاهر كلام الشيخ أن الصبي يفتن وهو كذلك قاله القرطبي في تذكرته؛ وقال أيضاً في باب الدعاء للطفل والصلاة عليه عند قوله وعافه من فتنة القبر: هذا كالنص في أن الصغير يسأله منكر ونكير.

٦٦ - طلوع الثريا بإظهار ما كان خفياً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: فتنة الموتى في قبورهم سبعة أيام أوردتها غير واحد من الأئمة في كتبهم، فأخرجها الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الحلية بالإسناد إلى طاوس أحد أئمة التابعين، وأخرجها ابن جريج في مصنفه بالإسناد إلى عبيد بن عمير - وهو أكبر من طاوس في التابعين - بل قيل إنه صحابي، وعزاها الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب أهوال القبور إلى مجاهد، وعبيد بن عمير فحكم هذه الروايات الثلاث حكم المراسيل المرفوعة على ما يأتي تقريره، وفي رواية عبيد بن عمير - زيادة أن المنافق يفتن أربعين صباحاً - وهذه الرواية بهذه الزيادة أوردتها الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد، والإمام أبو علي الحسين بن رشيق المالكي في شرح الموطأ، وحكاها الإمام أبو زيد عبد الرحمن الجزولي من المالكية في الشرح الكبير على رسالة الإمام أبي محمد بن

أبي زيد، والإمام أبو القاسم بن عيسى بن ناجي من المالكية في شرح الرسالة أيضاً - وأورد الرواية الأولى - والشيخ كمال الدين الدميري من الشافعية في حياة الحيوان؛ وحافظ العصر أبو الفضل بن حجر في المطالب العالية.

ذكر الرواية المسندة عن طاوس: قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب الزهد له: حدثنا هاشم بن القاسم قال: ثنا الأشجعي عن سفيان قال: قال طاوس: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً فكانوا يستحبون أن يطعموا عنهم تلك الأيام، قال الحافظ أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا هاشم بن القاسم ثنا الأشجعي عن سفيان قال: قال طاوس: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

ذكر الرواية المسندة عن عبيد بن عمير: قال ابن جريج في مصنفه عن الحارث بن أبي الحارث عن عبيد بن عمير قال: يفتن رجلان مؤمن ومنافق، فأما المؤمن فيفتن سبعاً، وأما المنافق فيفتن أربعين صباحاً^(١). الكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول: رجال الإسناد الأول رجال الصحيح - وطاوس من كبار التابعين، قال أبو نعيم في الحلية: هو أول الطبقة من أهل اليمن، وروى أبو نعيم عنه أنه قال: أدركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ، وروى غيره عنه قال: أدركت سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال ابن سعد: كان له يوم مات بضع وتسعون سنة. وسفيان - هو الثوري - وقد أدرك طاوساً فإن وفاة طاوس سنة بضع عشرة ومائة في أحد الأقوال، ومولد سفيان سنة سبع وتسعين إلا أن أكثر روايته عنه بواسطة. والأشجعي اسمه عبيد الله بن عبيد الرحمن، ويقال ابن عبد الرحمن، وأما الإسناد الثاني فعبيد بن عمير - هو الليثي قاص أهل مكة - قال مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح: إنه ولد في زمن النبي ﷺ قال غيره: إنه رأى النبي ﷺ فعلى هذا يكون صحابياً، وكان يقص بمكة على عهد عمر بن الخطاب وهو أول من قص بها - وكانت وفاته قبل وفاة ابن عمر - وأما الحارث - فهو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذياب الدوسي - روى له البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم في صحيحه، وروى عنه ابن جريج. والدروردي وغيرهما، وأما ابن جريج - فهو الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي - قال أحمد بن حنبل: هو أول من صنف الكتب، وقال ابن عيينة: سمعت ابن جريج يقول: ما دون العلم تدويني أحد - روى عن خلق من التابعين ومات سنة تسع وأربعين ومائة - وقد جاوز المائة.

الوجه الثاني: المقرر في فن الحديث والأصول أن ما روي مما لا مجال للرأي فيه كأمر البرزخ والآخرة فإن حكمه الرفع لا الوقف وإن لم يصرح الراوي بنسبته إلى

(١) وجد على هامش بعض النسخ التي مراجع عليها ما نصه - هذا موقف والأحاديث الماضية على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهي أولى بالقبول انتهى ورجح صاحب الكتاب أنه لا يسأل اهـ.

النبي ﷺ، قال العراقي في الألفية:

وما أتى عن صاحب بحيث لا يقال رأياً حكمه الرفع على
ما قال في المحصول نحو من أتى فالحاكم الرفع لهذا أثبتنا

وقال في شرحها: ما جاء من صحابي موقوفاً عليه ومثله لا يقال الرأي حكمة حكم المرفوع كما قال الإمام فخر الدين في المحصول فقال: إذا قال الصحابي قولاً ليس للاجتهاد فيه مجال فهو محمول على السماع تحسناً للظن به كقول ابن مسعود: من أتى ساحراً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، ترجم عليه الحاكم في علوم الحديث معرفة المسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول الله ﷺ فقال: ومثال ذلك - فذكر ثلاثة أحاديث - هذا أحدها، وما قاله في المحصول موجود في كلام غير واحد من الأئمة كأبي عمر بن عبد البر وغيره، وقد أدخل ابن عبد البر في كتابه التقصي عدة أحاديث ذكرها مالك في الموطأ موقوفة مع أن موضوع الكتاب لما في الموطأ من الأحاديث المرفوعة منها حديث سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف، وقال في التمهيد: هذا الحديث موقوف على سهل في الموطأ عند جماعة الرواة عن مالك قال: ومثله لا يقال من جهة الرأي انتهى كلام العراقي في شرح الألفية، وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر في شرح النخبة: مثال المرفوع من القول حكماً ما يقوله الصحابي مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا تعلق له ببيان لغة أو شرح غريب، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، قال: وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره، بذلك يقتضي مخبراً له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقفاً للقاتل به ولا موقف للصحابة إلا النبي ﷺ، وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله ﷺ فهو مرفوع، مثال المرفوع من الفعل حكماً أن يفعل الصحابي ما لا مجال للاجتهاد به فينزل على أن ذلك عنده عن النبي ﷺ كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في صلاة علي في الكسوف في كل ركعة أكثر من ركوعين، انتهى كلام شرح النخبة.

وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح: ما قاله الصحابي مما لا مجال للاجتهاد فيه، فحكمه الرفع كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية كالملاحم، والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع، قال أبو عمرو الداني: قد يحكي الصحابي قولاً يوقفه فيخرجه أهل الحديث في المسند لامتناع أن يكون الصحابي ما قاله إلا بتوقف، كما روى أبو صالح السمان عن أبي هريرة قال: نساء كاسيات عاريات مائلات لا يجدن عرف الجنة - الحديث - لأن مثل هذا لا يقال بالرأي فيكون من جملة المسند.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح،

والإمام الشافعي، وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند، والبيهقي، وابن عبد البر في آخرين، قال: وقد حكى ابن عبد البر الإجماع على أنه مسند وبذلك جزم الحاكم في علوم الحديث، والإمام فخر الدين في المحصول انتهى.

وعبارة المحصول: إذا قال الصحابي قولاً لا مجال للاجتهاد فيه حمل على السماع لأنه إذا لم يكن من محل الاجتهاد فلا طريق إلا السماع من النبي ﷺ انتهى، وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الترمذي: ما رواه المصنف عن عمر بن الخطاب أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك هو وإن كان موقوفاً عليه فمثله لا يقال من قبل الرأي وإنما هو أمر توقيفي فحكمه حكم المرفوع كما صرح به جماعة من الأئمة وأهل الحديث والأصول، فمن الأئمة الشافعي رضي الله عنه ونص عليه في بعض كتبه كما نقل عنه. ومن أهل الحديث أبو عمر بن عبد البر فأدخل في كتاب التقصي أحاديث من أقوال الصحابة مع أن موضوع كتابه للأحاديث المرفوعة من ذلك حديث سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف، وقال في التمهيد: هذا الحديث موقوف على سهل في الموطأ عند جماعة الرواة عن مالك ومثله لا يقال من جهة الرأي، وكذلك فعل الحاكم أبو عبد الله في كتابه في علوم الحديث فقال في النوع السادس من معرفة الحديث: معرفة المسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول الله ﷺ ثم روي فيه ثلاثة أحاديث: قول ابن عباس كنا نتمضمض من اللبن ولا نتوضأ منه. وقول أنس: كان يقال في أيام العشر كل يوم ألف يوم ويوم عرفة عشرة آلاف يوم قال - يعني في الفضل - وقال عبد الله بن مسعود: من أتى ساحراً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، قال: فهذا وأشباهه إذا قاله الصحابي فهو حديث مسند وكل ذلك مخرج في المسانيد.

ومن الأصوليين الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه المحصول: إذا قال الصحابي قولاً ليس للاجتهاد فيه مجال فهو محمول على السماع. وقال القاضي أبو بكر بن العربي عقب ذكره لقول عمر: ومثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفاً لأنه لا يدرك بنظر انتهى، هذا كله إذا صدر ذلك من الصحابي فيكون مرفوعاً متصلاً، فإن صدر ذلك من التابعي فهو مرفوع مرسل كما ذكر ابن الصلاح ذلك في نظير المسألة، وصرح به البيهقي في هذه المسألة بخصوصها فإنه أخرج في شعب الإيمان بسنده عن أبي قلابة قال: في الجنة قصر لصوام رجب ثم قال: هذا القول عن أبي قلابة - وهو من التابعين - فمثله لا يقول ذلك إلا عن بلاغ ممن فوقه عمن يأتيه الوحي. وأخرج البيهقي أيضاً في شعب الإيمان بسنده عن أبي قلابة قال: من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة وإن أدرك الدجال لم يضره وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأ يس غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه، ومن

قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند والدته عسر عليها ولدها يسر عليها، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة ولكل شيء قلب وقلب القرآن يس. ثم قال عقبه: هكذا نقل إلينا عن أبي قلابة - وهو من كبار التابعين - ولا نقول ذلك إن صح عنه إلا بلاغاً.

وروى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه كان يقول: إن المصلي ليصلي الصلاة وما فاتته وقتها ولما فاتته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله، قال ابن عبد البر: هذا له حكم المرفوع إذ يستحيل أن يكون مثله رأياً - ويحيى بن سعيد [من صغار التابعين، وروى مالك في الموطأ أيضاً عن سعيد] بن المسيب أنه كان يقول: من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك، فإن أذن وأقام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال، قال بعضهم: هذا لا يقال بالرأي فهو مرفوع، وهذا استدلل به السبكي في الحلبيات على حصول فضيلة الجماعة بذلك، وروى عبد الرزاق عن عكرمة قال: صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد - أورده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في تفسير قوله ﷺ: «فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة» وقال: مثله لا يقال بالرأي فالمصير إليه أولى - وعكرمة تابعي - وهذا الأثر الذي نحن فيه من ذلك فإنه من أحوال البرزخ التي لا مدخل للرأي والاجتهاد فيها ولا طريق إلى معرفتها إلا بالتوقيف والبلاغ عمن يأتيه الوحي وقد قال ذلك عبيد بن عمير، وطاوس - وهما من كبار التابعين - فيكون حكمه حكم الحديث المرفوع المرسل وإن ثبتت صحة عبيد بن عمير فحكمه حكم المرفوع المتصل، قال ابن عبد البر في التمهيد في شرح حديث فتنة القبر وسؤاله: أحكام الآخرة لا مدخل فيها للقياس والاجتهاد ولا للنظر والاحتجاج والله يفعل ما يشاء لا شريك له، وقال القرطبي في التذكرة: هذا الباب ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد انتهى.

ويؤيد ما ذكرناه أن هذه الأمور إذا صدرت من التابعين تحمل على الرفع إلى رسول الله ﷺ - ما أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: كان علي بن حسين يذكر أن العبد إذا احتمل إلى قبره نادى حملته إذا بشر بالنار فيقول يا أخوتاه ما علمتم ما عاينت بعدكم إن أخاكم بشر بالنار فيا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله أنشد بالله كل ولد أو جار أو صديق أو أخ إلا احتبسني عن قبري فإنه ليس بين صاحبكم وبين النار إلا أن تواروه في التراب والملائكة ينادون امض عدو الله فإذا دنا من حفرة يقول ما لي من شفيع مطاع ولا صديق حميم، ثم إذا أدخل القبر ضرب ضربة تذعر لها كل دابة غير الجن والإنس. وأما ولي الله إذا احتمل إلى قبره وبشر بالجنة نادى حملته يا أخوتاه أما علمتم أنني بشرت بعدكم بالرضا من الله والجنة والنجاة من سخط الله والنار فعجلوا بي إلى حفرتي ﴿يَكَلِّتُ قَوِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَا عَفْرَى لِي رَبِّ وَحَمَلَتِي مِنَ الْكُرْهِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] والملائكة ينادون امض ولي الله إلى رب كريم يثيب بالشئ السير العظيم الجزيل، اللهم اجعلها غدوة أو راحة إلى الجنة، فإذا أدخل القبر تلقى بحزمة من ريحان الجنة يجد ريحها كل ذي ريح

غير الإنس والجن، قال أبو جعفر: كان علي بن حسين إذا ذكر أشباه هذا الحديث بكى ثم يقول: إني لأخاف الله أن أكتمه ولئن أظهرته ليدخلن علي أذى من الفسقة وذلك أن علي بن الحسين ذكر حديث الذي ينادي حملته فقال ضمرة بن معبد - رجل من بني زهرة - والله يا علي بن حسين لو أن الميت يفعل كما زعمت بمناشدتك حملته إذا لوثب عن أيدي الرجل من سريره فضحك أناس من الفسقة وغضب علي بن حسين وقال: اللهم إن ضمرة كذب بما جاء به محمد رسولك فخذة أخذ أسف فما لبث ضمرة إلا أربعين ليلة حتى مات فجأة. قال أبو جعفر: فاشهد على مسلم بن شعيب مولاة وكان ما علمناه خياراً أنه أتى علي بن حسين ليلاً فقال: اشهد أنني سمعت ضمرة أعرفه كما كنت أعرف صوته حياً وهو ينادي في قبره: ويل طويل لضمرة إلا أن يتبرأ منك كل خليل وحللت في نار الجحيم فيها مييتك والمقيل، فقال علي بن حسين: نسأل الله العافية، هذا جزاء من ضحك وأضحك الناس بحديث رسول الله ﷺ، فانظر كيف ذكر علي بن حسين الحديث أولاً من غير تصريح بعزوه إلى النبي ﷺ اتكالاً على علم ذلك لأنه ليس مما يقال من قبل الرأي وإنما معتمده التوقيف والسمع، ثم لما وقعت هذه القصة صرح بأنه حديث جاء به رسول الله ﷺ، وبالجمل فالحكم على مثل هذا بالرفع من الأمور التي أجمع عليها أهل الحديث.

الوجه الثالث: إذا تقرر أن أثر طاوس حكمه حكم الحديث المرفوع المرسل وإسناده إلى التابعي صحيح كان حجة عند الأئمة الثلاثة أبي حنيفة، ومالك، وأحمد مطلقاً من غير شرط، وأما عند الإمام الشافعي رضي الله عنه فإنه يحتج بالمرسل إذا اعتضد بأحد أمور مقررة في محلها، منها مجيء آخر أو صحابي يوافقه، والاعتضاد ههنا موجود فإنه روي مثله عن مجاهد، وعن عبيد بن عمير - وهما تابعيان إن لم يكن عبيد صحابياً - فهذان مرسلان آخران يعضدان المرسل الأول، قال الترمذي في آخر كتابه: حدثنا أبو بكر عن علي بن عبيد الله قال: قال يحيى بن سعيد: مراسلات مجاهد أحب إلي من مراسلات عطاء بن أبي رباح بكثير - كان عطاء يأخذ عن كل ضرب قال علي: قلت ليحيى: مراسلات مجاهد أحب إليك أم مراسلات طاوس؟ قال: ما أقربهما، وأما إذا قلنا بثبوت الصحة لعبيد بن عمير فإن الحديث يكون مرفوعاً متصلاً من طريقه، وأثر طاوس شاهد قوي له يرقيه إلى مرتبة الصحة، وقد احتج ابن عبد البر بأثر عبيد بن عمير، هذا ما ذهب إليه من اختصاص السؤال بالمنافق وأن الكافر الصريح لا يسأل ولولا ثبوته عنده وصحته ما احتج به، وقد قال النووي في شرح مسلم: الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلاً تبيننا به صحة المرسل وجاز الاحتجاج به وبصير في المسألة حديثان صحيحان.

الوجه الرابع: قوله: كانوا يستحبون من باب قول التابعي كانوا يفعلون وفيه قولان لأهل الحديث والأصول: أحدهما أنه أيضاً من باب المرفوع وأن معناه كان الناس يفعلون ذلك في عهد النبي ﷺ ويعلم به ويقر عليه، والثاني أنه من باب العزو إلى الصحابة دون انتهائه إلى

النبي ﷺ، ثم اختلف على هذا هل هو إخبار عن جميع الصحابة فيكون نقلاً للإجماع أو عن بعضهم؟ على قولين أحدهما في شرح مسلم للنووي، الثاني قال شمس الدين البرشنسي في شرح ألفيته المسماة بالمورد الأصفي في علم الحديث: قول التابعين كانوا يفعلون يدل على فعل البعض وقيل يدل على فعل جميع الأمة أو البعض وسكوت الباقيين أو فعلوا كلهم على وجه ظهر للنبي ﷺ ولم ينكره انتهى، وقال الرافعي في شرح المسند: مثل هذا اللفظ يراد به أنه كان مشهوراً في ذلك العهد من غير تكير، فقول طاوس: فكانوا يستحبون إن حمل على الرفع كما هو القول الأول كان ذلك من تنمة الحديث المرسل ويكون الحديث اشتمل على أمرين: أحدهما أصل اعتقادي وهو فتنة الموتى سبعة أيام، والثاني حكم شرعي فرعي وهو استحباب التصديق والإطعام عنهم مدة تلك الأيام السبعة كما استحسب سؤال التثبيت بعد الدفن ساعة، ويكون مجموع الأمرين مرسل الإسناد لإطلاق التابعي له، وعدم تسميته الصحابي الذي بلغه ذلك فيكون مقبولاً عند من يقبل المرسل مطلقاً وعند من يقبله بشرط الاعتضاد لمجيئه عن مجاهد، وعن عبيد بن عمير، وحيث فلا خلاف بين الأئمة في الاحتجاج بهذا المرسل، وإن حملنا قوله: فكانوا يستحبون على الإخبار عن جميع الصحابة وأنه نقل للإجماع كما هو القول الثاني فهو متصل، لأن طاوساً أدرك كثيراً من الصحابة فأخبر عنهم بالمشاهدة وأخبر عن بقية من لم يدركه منهم بالبلاغ عنهم من الصحابة الذين أدركهم، وإن حملناه على الإخبار عن بعض الصحابة فقط كما هو القول الثالث - وهو الأصح - كان متصلاً عن ذلك البعض الذين أدركهم، وحيث فالحديث مشتمل على أمرين كما ذكرناه، فأما الثاني فهو متصل كما هو الظاهر، وأما الأول فإما مرسل على ما تقدم تقريره لأنه قول لا يصدر إلا عن صاحب الوحي وقد أطلقه تابعي فيكون مرسلًا لحذف الصحابي المبلغ له من السند، وعلى هذا فيكون الأمر الثاني المنقول عن الصحابة أو عن بعضهم عاضداً لذلك المرسل لأن من وجوه اعتضاد المرسل عندنا أن يوافقه فعل صحابي فيكون هذا عاضداً ثالثاً بعد العاضدين السابقين وهما قول مجاهد، وقول عبيد بن عمير، ويكون الحديث مشتملاً على جملة مرفوعة مرسلة، وجملة موقوفة متصلة عاضدة لتلك الجملة المرسلة، وإنما أوردهما طاوس كذلك لأن قصده توجيه الحكم الشرعي وهو استحباب الإطعام عن الموتى مدة سبعة أيام فذكر أن سببه ورود فتنهم في تلك الأيام، ولهذا فرعه عليه بالفاء حيث قال: فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام، ونظير هذا الأثر في ذلك ما أخرجه الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري قال: إنما كره المنديل بعد الوضوء لأن ماء الوضوء يوزن، أراد الزهري - وهو من التابعين - تعليل الحكم الشرعي - وهو ترك التشيف بعد الوضوء بسبب لا يؤخذ إلا من الأحاديث المرفوعة لأن وزن ماء الوضوء لا يدرك إلا بتوقيف لأنه من أحوال القيامة، فلما أورد الحديث مورد التعليل أورده مرسلًا محذوفاً منه الصحابي، وقد قال النووي في آخر شرح مسلم: قد عملت الصحابة فمن بعدهم بهذا فيفتي الإنسان منهم بمعنى الحديث عند الحاجة إلى الفتيا

دون الرواية ولا يرفعه فإذا كان في وقت آخر رفعه، وقال الرافعي في شرح المسند: قد يحتج المحتج ويفتي المفتي بلفظ الحديث ولا يسنده إلى رسول الله ﷺ، ويحتمل أثر طاوس أمراً ثانياً وهو اتصال الجملة الأولى أيضاً لأن الإخبار عن الصحابة بأنهم كانوا يستحبون الإطعام عن الموتى تلك الأيام السبعة صريح في أن ذلك كان معلوماً عندهم وأنهم كانوا يفعلون ذلك لقصد التثبيت عند الفتنة في تلك الأيام وإن كان معلوماً عن الصحابة كان ناشئاً عن التوقيف كما تقدم تقريره، وحينئذ يكون الحديث من باب المرفوع المتصل لا المرسل لأن الإرسال قد زال وتبين الاتصال بنقل طاوس عن الصحابة، ولهذا قلت في أرجوزتي:

إسناده قد صح وهو مرسل وقد يرى من جهة يتصل
لأنه وإن كان مرسلًا في الصورة الظاهرة إلا أنه عند التأمل يتبين اتصاله من جهة ما نقله
طاوس عن الصحابة من استحباب الإطعام في تلك الأيام المستلزم لكون السبب في ذلك
وهو الفتنة فيها كان معلوماً عندهم، وتبين بذلك السر في إرسال طاوس الحديث وعدم
تسمية الصحابي المبلغ له لكونه كان مشهوراً إذ ذاك والمبلغون له فيهم كثرة فاستغنى عن
تسمية أحد منهم، ولأن في استيعاب ذكر من بلغه طولاً وإن سمي البعض أوهم الاختصار
عليه أنه لم يبلغه إلا ممن سمي فقط، وخصوصاً على القول بأن هذه الصيغة تحمل على
الإخبار عن جميع الأمة فإن ذلك يكون أبلغ في عدم تسمية أحد من المبلغين، وعلى كل
تقدير فالحديث مقبول ويحتج به لأن الأمر دائر بين أن يكون متصلاً وبين أن يكون مرسلًا
عضده مرسلان آخران وفعل بعض الصحابة أو كلهم أو كل الأمة في ذلك العصر، فهذا
تقرير الكلام على قبول الحديث والاحتجاج به من جهة في الحديث، والأصول والله أعلم.

الوجه الخامس: قال الإمام عبد الجليل بن موسى القصري في شعب الإيمان - ونقله
عنه الإمام أبو زيد الجزولي - في شرح رسالة أبي زيد: البرزخ على ثلاثة أقسام: مكان،
وزمان، وحال. فالمكان من القبر إلى عليين تعممه أرواح السعداء. ومن القبر إلى سجين
تعممه أرواح الأشقياء، وأما الزمان فهو مدة بقاء الخلق فيه من أول من مات أو يموت من
الجن والإنس إلى يوم يبعثون. وأما الحال فإما منعمة، وإما معذبة أو محبوسة حتى تتخلص
بالسؤال من الملكين الفتانين انتهى؛ فقله: أو محبوسة حتى تتخلص من الملكين الفتانين
صريح أو ظاهر في أن فتنة القبر تكون في مدة بحيث يمكن محبوساً لأجلها إلى أن يتخلص
منها وتلك المدة هي السبعة الأيام الواردة، فهذا تأييد لذلك، ويؤيده أيضاً ما ذكر الحافظ
ابن رجب في كتاب أهوال القبور عن مجاهد قال: الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم
دفن الميت لا تفارقه، فهذه آثار يؤيد بعضها بعضاً.

الوجه السادس: أطبق العلماء على أن المراد بقوله يفتنون ويفتن القبر سؤال الملكين
منكر ونكير، والأحاديث صريحة فيه ولهذا سمي ملكاً السؤال الفتانين، وروى البخاري
حديث «أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول

هو محمد رسول الله» الحديث، وروى أحمد، والبيهقي حديث «أما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره ثم يقال له فيم كنت؟» الحديث فانظر كيف فسر قوله: تفتنون في القبور بسؤال الملكين. وروى أحمد، وأبو داود من حديث أنس مرفوعاً: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها وأن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله» الحديث، وروى أحمد، والطبراني، والبيهقي من طريق أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهاز فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟» الحديث، وروى ابن أبي داود في البعث، والبيهقي عن عمر بن الخطاب قال: «قلت يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال: فتانا القبر» للحديث، وروى أبو نعيم، والبيهقي من مرسل عطاء بن يسار مثله، وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ لعمر: كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: فتانا القبر» الحديث، وروى البيهقي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «بي يفتن أهل القبور وفيه نزلت هذه الآية ﴿يُبْتَلَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾» [إبراهيم: ٢٧] وروى أحمد، وأبو داود حديث: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتاني القبر». وروى النسائي حديث: «إن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة». وروى جوير من حديث ابن عباس قال: شهد رسول الله ﷺ جنازة رجل من الأنصار فذكر الحديث - وفيه سؤال الملكين وقال: «وهي أشد فتنة تعرض على المؤمن».

فهذه أحاديث مرفوعة صريحة في أن المراد بفتنة القبر سؤال منكر ونكير، وكذا ما رواه أبو نعيم من مرسل ضمرة فتانو القبر ثلاثة: أنكر وناكور ورومان، وما رواه ابن الجوزي عنه أيضاً مرفوعاً فتانو القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان، وأما كلام العلماء فقال ابن الأثير في النهاية في حديث الكسوف: إنكم تفتنون في القبور يريد مسألة منكر ونكير - من الفتنة الامتحان والاختبار - وقد كثرت استعاذته من فتنة القبر [وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك] ومنه الحديث: «فبي تفتنون وعني تسألون - أي تمتحنون بي في قبوركم - ويتعرف إيمانكم بنبوتي». وقال النووي في شرح مسلم عند قوله ﷺ: «رأيتكم تفتنون في القبور» معنى تفتنون تمتحنون فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فيقول المؤمن: هو رسول الله، ويقول المنافق: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، هكذا جاء مفسراً في الصحيح، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد في شرح هذا الحديث: للفتنة وجوه كثيرة، ومعناها هنا الابتلاء والامتحان والاختبار، وكذا قال الباجي، وابن رشي، والقرطبي في شروحهم على الموطأ. وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد في الرسالة: وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. قال يوسف بن عمر في شرح الرسالة: قوله تفتنون - أي تختبرون - وهو قوله ويسألون وأتى به تفسيراً لقوله

تفتنون، وقال الجزولي في شرح الرسالة: الفتنة تأتي والمراد بها الكفر وهو قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] وتأتي والمراد بها الاحتراق وهو قوله: ﴿يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى النَّارِ نُبْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] وتأتي والمراد بها الميل وهو قوله: ﴿لَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] وتطلق ويراد بها الضلال قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وتطلق ويراد بها المرض قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦] وتطلق ويراد بها الاختبار وهو قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّا قُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] أي اختبرناك قال: وهو المراد هنا فيكون قوله: تفتنون معناه تختبرون، وقال الإمام علم الدين السخاوي في أرجوزته في أصول الدين:

وكل ما أتاك عن محمد صلى عليه الله خذه ترشد
من فتنة في العباد في القبور والعرض يوم البعث والنشور
قال شارحه: فتنة القبور سؤال منكر ونكير.

الوجه السابع: إن قال قائل: لم يرد في سائر الأحاديث تصريح بذكر سبعة أيام. قلنا: ولا ورد فيها تصريح بنفيها ولا تعرض لكون الفتنة مرة أو أكثر بل هي مطلقة صادقة بالمرّة وبأكثر، فإذا ورد ذكر السبعة من طريق مقبول وجب قبوله، وكان عند أهل الحديث من باب زيادات الثقات المقبولة، وعند أهل الأصول من باب حمل المطلق على المقيد، ونظيره إن أكثر أحاديث السؤال وردت مطلقة، وورد في حديثين أن السؤال يعاد عليه في المجلس الواحد ثلاث مرات. فحمل ذلك الإطلاق على هذا، والحديثان المشار إليهما - أحدهما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي قتادة بسند حسن - والآخر أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ونظيره أيضاً أنه ورد في أحاديث مجيء ملكين وفي أحاديث مجيء ملك واحد قال القرطبي: لا تنافي بينهما لأن الذي روى مجيء ملك لم يقل في روايته ولا يأتيه غيره، وكذلك نقول: إن الأحاديث المطلقة لم يقل فيها ولا يفتن سوى يوم واحد ولا قيل ولا يأتيان بعد اليوم الأول فلا تنافي بينهما وبين رواية أنهم يفتنون سبعة.

الوجه الثامن: إن قيل إعادة السؤال بعد اليوم الأول هل هو تأسيس أو تأكيد؟ فالجواب أنه تأكيد فما هو إلا سؤال واحد عن ربه ودينه ونبيه، وجواب واحد يكرر عليه بعد السؤال والجواب الأول للتأكيد، وقد ورد الحديث بأنهم لا يسألون عن شيء سوى ذلك ونص عليه العلماء.

الوجه التاسع: إن قيل فما الحكمة في التكرير سبعة وهلا اكتفى بالأول؟.

فالجواب أولاً أن نقول هل ظننت أن المقصود من السؤال علم ما عنده حتى إذا أجاب أول مرة حصل المقصود؟ معاذ الله لا يظن ذلك عاقل قد علم الله ما هو عليه قبل السؤال بل وعلم ذلك الملكان أيضاً، ولذا ورد في الصحيح أنهما يقولان له إذا أجاب نم صالحاً فقد

علمنا أن كنت لمؤمناً، وإنما المقصود من السؤال أمور: أحدها: إظهار شرف النبي ﷺ ومكانته وخصوصيته ومزيته على سائر الأنبياء، فإن سؤال القبر إنما جعل تعظيماً له وخصوصية شرف بأن الميت يسأل عنه في قبره ولم يعط ذلك نبي قبله كما قال ﷺ: «فأما فتنة القبر فبني تفتنون وعني تسألون» الحديث، أخرجه أحمد، والبيهقي من حديث عائشة بسند صحيح، قال الحكيم الترمذي: سؤال القبور خاص بهذه الأمة لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هذا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب.

الثاني: قال الحلبي من أصحابنا في شعب الإيمان: لعل المعنى في السؤال - والله أعلم - أن الميت قد حول من ظهر الأرض إلى بطنها الذي هو الطريق إلى الهاوية فيجيء هناك ويوقف ويسأل، فإن كان من الأبرار عرجت الملائكة بنفسه وروحه إلى عليين وهو نظير إيقافه في المحشر على سفير جهنم واستعراض عمله حتى إذا وجد من الأبرار أجيء على الصراط وإن كان من الفجار ألقى في النار، وانتهى كلام الحلبي.

الثالث: قال بعضهم: جعلت فتنة القبر تكرمة للمؤمن وإظهاراً لإيمانه وتمحيصاً لذنوبه، وقال بعض العلماء: من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أشياء أن يتوب فيتأب عليه، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات فتمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه، أو في البرزخ بالضغط والفتنة فتكفر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه، أو تدركه شفاعة نبيه، أو رحمة ربه، انتهى.

الرابع: قال عبد الجليل القصري في شعب الإيمان: المعنى في سؤال الملكين الفتانين في القبر أن الخلق في التزام الشرائع وقبول الإيمان لا بد لهم من الاختبار لأمر الله ومن النظر فيه وفي أمر الرسل وما جاءت به، وهو المعبر عنه بأول الواجبات عند عرض الشرائع على العقول، فيعتقد كل أحد في قلبه وسره على حسب ما قدر له حين تعترضهم أفكار النظر والفكر فيما جاءت به الرسل من أمور الغيب، فمن بين منكر جاحد أو شاك مرتاب، ومن بين مؤمن مصدق موقن مطمئن ثابت، هذه حال الكل مدة الدنيا من أول ما وجبت عليهم الواجبات إلى حين الموت، فلما حصل الخلق في الآخرة فتنوا بالجزاء عن عقائدهم وأحوالهم جزاءً وفاقاً، ولذلك يقول الملكان للمسؤول: قد علمنا أن كنت لمؤمناً، ولا دريت ولا تليت وعلى الشك حييت وعليه مت، على حسب اختلاف أسرار الخلق في الدنيا ثم بعد ذلك يفتح لكل أحد باب إلى الجنة وباب إلى النار وينظر إلى مقعده منهما، ومعنى ذلك أن الرسل جاءت من عند الله وفتحت للعقول أبواب دين الإسلام حين عرضته على

العقول وحين وجوب الواجبات وأمرت بالدخول فيه وأمرت بالتزام الطاعات وترك المعاصي، وذكرت للعقول أن من التزم الطاعات جوزي بالجنة ودخلها، ومن أعرض وأبى وقع في الكفر ودخل النار، فمن بين داخل مفتوح له بدخوله في الإسلام والشرائع ومن بين خارج نافر، فيقال للعبد ذلك الوقت: هذا مقعدك من الجنة أو النار أبدلك الله مقعداً من النار أو الجنة كما صنع هو بنفسه في دار الدنيا فافهم.

الخامس: قال الباجي في شرح الموطأ: ليس الاختبار في القبر بمنزلة التكليف والعبادة وإنما معناه إظهار العمل وإعلام بالمآل والعاقبة كاختبار الحساب لأن العمل والتكليف قد انقطع بالموت، قال مالك: من مات فقد انقطع عمله وفتنة الرجل لمعنى التكليف والتعبد لكنه شبهها بها لصعوبتها وعظم المحنة بها وقلة الثبات معها انتهى.

إذا عرفت المقصود من السؤال عرفت منه حكمة التكرير، أما على المعنى الأول فلأن التكرير أبلغ في إظهار شرف المصطفى وخصوصيته ومكانته وأما على المعنى الثاني فلأن ذلك هو وقت العروج بالروح إلى عليين والجنة كما قال ﷺ: «غالية لا تدرك بالهويناء» ولهذا جعل الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر طريقاً إلى وصول الإنسان إليها ببدنه، ولا شك في شدة ذلك الطريق، فجعل عوضه لوصول الروح إليها تكرير الفتنة سبعة أيام، ولهذا جعله الحليمي نظير الإيقاف على الصراط، وأما على المعنى الثالث فواضح لأنه قد يكون على المؤمن من صفات الذنوب ما يقتضي التشديد عليه بذلك وهو رحمة من الله في حقه حيث اكتفى منه بذلك وكفر عنه به، ولو شاء لانتقم منه بعذاب القبر الذي هو أشد من السؤال بكثير، ولكنه لطف بعبادة المؤمنين فكفر عنهم الصغائر بمقاساة أهوال السؤال ونحوه وخص عذاب القبر بالكبائر، ونظيره في الأحكام الشرعية من وجب عليه تعزير فصول من العقوبة على الإغلاظ في القول والانتهاز رحمة له ورفقاً به، أو لكونه من ذوي الهيئات الذين يكتفي في تعزيرهم بمثل ذلك، وقد ورد الحديث أن فتنة القبر أشد فتنة تعرض على الموقن فمن تمام شدتها تكريرها سبعة أيام.

الوجه العاشر: إن قيل فما الحكمة في هذا العدد بخصوصه؟ فالجواب أن السبع والثلاث لهما نظر في الشرع، فما أريد تكريره فإنه يكرر في الغالب ثلاثاً، فإذا أريد المبالغة في تكريره كرر سبعاً، ولهذا كررت الطهارة في الوضوء والغسل ثلاثاً، ولما أريد المبالغة في طهارة النجاسة الكلية كررت سبعاً، فلما كانت هذه الفتنة أشد فتنة تعرض على المؤمن جعل تكريرها سبعاً لأنه أشد نوعي التكرير وأبلغه، وفيه مناسبة ثانية وهي أن استعراض الأعمال على الصراط يكون على سبع عقبات ويروى على سبع قناطر، وقد تقدم عن الحليمي أنه جعل سؤال القبر نظير إيقافه على الصراط فكان السؤال في القبر في سبعة أيام على نمط السؤال على الصراط في سبعة أمكنة.

ومناسبة ثالثة: وهي أن الغالب الوقوع في الأحكام الشرعية يكون ثلاثاً والنادر الوقوع يكون سبعاً ولهذا كانت غسلات الوضوء، والغسل، وتسيبحات الركوع، والسجود، ونحو

ذلك ثلاثاً. وأشواط الطواف، والسعي، وتكبيرات الركعة الأولى من صلاة العيدين، والاستسقاء سبعاً، فلما كان السؤال لا يقع في الدهر للإنسان إلى نوبة واحدة كرر سبعاً.

ومناسبة رابعة: وهي أن أيام الأسبوع سبعة ولا ثامن للأيام في الدنيا بل ولا في الآخرة، وقد ورد الحديث أن أيام الأسبوع تشهد للإنسان بما عمل فيها من خير وتشهد عليه بما عمل فيها من شر، فناسب أن يسأل أول ما ينزل قبره مدة الأيام السبعة الشاهدة له وعليه.

ومناسبة خامسة: وهي أن السؤال يعقبه الخلاص من الهوى إلى سجين وذلك تحت سبع أرضين. والعروج إلى عليين وذلك فوق سبع سموات، فناسب أن يسأل سبعة أيام ليكون كل يوم في مقابلة خلاص من أرض وعروج إلى سماء.

ومناسبة سادسة: وهي أن الحديث ورد أن مدة الدنيا كلها جمعة من جمع الآخرة وذلك سبعة آلاف سنة لأن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون، فناسب أن يكون السؤال الموصل للجنة مدة جمعة من جمع الدنيا وذلك سبعة أيام.

ومناسبة سابعة: وهي أن السؤال إذا أحسن الجواب عنه ثبت إيمانه وخلص بذلك من أن يكون من أهل جهنم وهي سبع طبقات لها سبعة أبواب، فناسب أن يسأل سبعاً ليكون كل يوم في مقابلة الخلاص من طبقة وباب فهذه سبع مناسبات في السبعة، والسبع المعتبرة في الشرع والخلق كثيرة جداً، وقد استدل ابن عباس على أن ليلة القدر - ليلة سبع - بأن الله جعل السموات سبعاً والأرض سبعاً والطواف سبعاً وخلق الإنسان من سبع وما أنبت الأرض سبع، وورد في أثر أن الإنسان يميز في سبع ثم يحتلم في سبع ثم يكمل طوره في سبع ثم يكمل عقله في سبع، فظهر مناسبة اعتبار هذا العدد بخصوصه وقد قلت في ذلك آياتاً:

في عام سبع أتى سبع المنية إذ	من بعد سبع وسبع كان قد غبرا
إذ مر من أشهر القبطي سبع ربي	لبرهومات الذي بالطعن قد شهرا
وشاع في هذه الأيام مسألة	النقل عني فيها في الوري أثرا
بأن ميت هذا الخلق يسأل في	سبع من الدهر مهما غاب أو قبرا
فشار فيها هريز من أولى سفه	فجاءهم أي سبع في الوغى كسرا
أبديت في حكمة الأعداد مبتكراً	من التناسب سبعاً أنجماً زهرا
يا رب من سبع نيران أجرني	بالسبع المثاني وجد بالعفو مقتدرا

الوجه الحادي عشر: أخرج الحكيم الترمذي بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: «في القبر حساب وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر نجا ومن حوسب في القيامة عذب» وقال ابن أبي شيبه في المصنف: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن مجالد عن محمد بن المنتشر عن ابن حراش عن حذيفة بن اليمان قال: «إن في القبر حساباً ويوم القيامة عذاباً». قال الحكيم الترمذي: إنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه

غداً في الموقف فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر وقد اقتص منه انتهى، وهذا وإن كان صورته صورة الموقوف على حذيفة فإن حكمه حكم المرفوع كما تقدم تقريره. وشاهده ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له يرى المسلم عمله في قبره». وأخرج البزار، والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر».

وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عذاب القبر من ثلاثة: من الغيبة والنميمة والبول فإياكم وذلك» وله شواهد كثيرة قال ابن رجب: قد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول، والنميمة، والغيبة بعذاب القبر - وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب - والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان: حق لله وحق لعباده، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء» وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما، فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة والوقعة في الأعراس - وهما أسير أنواع الأذى - فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما انتهى، قال ابن رجب: وروى ابن عجلان عن عون بن عبد الله قال: يقال إن العبد إذا دخل قبره سئل عن صلاته أول شيء يسأل عنه فإن جازت له صلاته نظر فيما سوى ذلك من عمله وإن لم يجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد.

الوجه الثاني عشر: إن قيل: مقتضى كون الفتنة سبعة أيام مشروعية التلقين في الأيام السبعة. فالجواب: لا. أما أولاً فلأن التلقين لم يثبت فيه حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق المحدثين، ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة - وآخر من أفتى بذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام - وإنما استحبه ابن الصلاح وتبعه النووي نظراً إلى أن الحديث الضعيف يتسامح به في فضائل الأعمال، وثانياً أن هذه أمور توقيفية لا مدخل للرأي فيها ولم يرد التلقين إلا ساعة الدفن خاصة وورد في سائر الأيام الإطعام فاتبع الوارد في ذلك. فإن قلت: هل يظهر لاختصاص التلقين باليوم الأول من حكمة؟ قلت: ظهر لي حكمتان: الأولى أن المخاطب بذلك من حضر الدفن من المؤمنين الشفعاء وذلك إنما يكون في اليوم الأول لأن الشرع لم يرد بتكليف الناس المشي مع الميت إلى قبره إلا لدفنه خاصة ولم يكلفهم التردد إلى قبره بعد ذلك فلم يشرع التلقين في سائر الأيام لما في تكليفهم التردد إليه طوال الأسبوع من المشقة فاقصر على ساعة الدفن. الثانية: أن كل مبتدأ صعب وأول نزوله قبره ساعة لم يتقدم له مثلها قط فأنس بالتلقين وسؤال التثبيت، فإذا اعتاد بالسؤال أول يوم وألفه سهل عليه بقية الأيام فلم يحتاج إليه وشرع الإطعام لأنه قد يكون له ذنوب يحتاج إلى ما يكفرها من صدقة ونحوها، فكان في الصدقة عنه معونة له على تخفيف الذنوب ليخفف عنه هول السؤال وصعوبة خطاب الملكين وإغلاظهما وانتهازهما.

الوجه الثالث عشر: لم يرد تصريح ببيان الوقت الذي يجيء فيه الملكان في سائر الأيام

وإنما ورد أنهما يأتياه في اليوم الأول إذا انصرف الناس من دفنه، وقد يؤخذ من قول عبيد بن عمير يفتن المؤمن سبعا والكافر أربعين صباحا أنهما يأتیان في سائر الأيام أول النهار، وقد يكون أراد بقوله أربعين صباحا أربعين يوماً كما جرت عادتهم بذلك أن يكونوا عن اليوم بالصباح إطلاقاً للجزء وإرادة للكل فلا يكون فيه دلالة على مجيئهما أول النهار، ويحتمل أن يأتيا في سائر الأيام في مثل الساعة التي جاء فيها أول يوم دفن والعلم في ذلك عند الله تعالى، وإذا كنا لم نعلم وقت مجيئهما من النهار لكون ذلك من المغيبات التي لا اطلاع لأحد عليها إلا بتوقيف من صاحب الوحي ولا طريق إلى الاستدلال عليها بالنظر فكيف يظن أن أخبار طائوس وغيره بوقوع الفتنة سبعة أيام صدر عنهم من غير توقيف أو سماع أو بلاغ ممن فوقهم عن يأتية الوحي؟ حاشا وكلا لا يظن ذلك من له أدنى تمييز.

الوجه الرابع عشر: ورد في أحاديث السؤال المطلقة أن الملكين يعيدان عليه السؤال ثلاث مرات في المجلس كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ولم يرد في حديث الأيام السبعة تصريح بمثل ذلك، فيحتمل جريان ذلك كل يوم بناء على أن الأحاديث المتعددة إذا كان في كل واحد منها إطلاق من وجه وتقييد من وجه تقييد إطلاق كل حديث بتقييد الآخر كما هو قاعدة الأصول وهذا منه.

الوجه الخامس عشر: قال قائل في حديث البخاري أنه يقال له عقب السؤال نم صالحاً فدل على أنه لا شيء بعده. والجواب أن هذا كلام من لم يتسع نظره في الحديث ولا اطلع على مصطلحات العلماء المتكلمين على الأحاديث حيث يجمعون طرق الأحاديث كلها ورواياته ويضمون بعضها إلى بعض، ويأخذون من كل حديث ما فيه من فائدة زائدة ويقولون فيما خلا من تلك الزيادة: هذا حديث مختصر ورد في غيره زيادة عليه، والحديث الذي في البخاري لفظه عن أسماء بنت أبي بكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور فيقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقن - فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا فيقال له نم صالحاً قد علمنا أن كنت لمؤمناً، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» هذا لفظ البخاري من غير زيادة عليه وهو أخصر حديث ورد في السؤال، وقد ورد سواه أحاديث مطولة صحيحة فيها زيادات كثيرة اعتمدها الناس ولا يسعهم إلا اعتمادها، فإن أخذ هذا الرجل بهذا الحديث فقط وترك ما سواه لزمه رد ما ثبت في الأحداث الصحيحة ولا يقع في ذلك عاقل، من ذلك أنه لم يذكر في الحديث السؤال عن ربه ودينه وهو ثابت في غيره، وأن المؤمن يقول في الجواب ربي الله وديني الإسلام، ومن ذلك أنه لم يسم فيه الملكان بمنكر ونكير وهو ثابت في حديث الترمذي، وقد أطبق أهل السنة على اعتباره ولم يخالف فيه إلا المعتزلة فقالوا: لا يجوز أن تسمى الملائكة بمنكر ونكير، ولم يلتفت أهل السنة إلى قولهم اعتماداً على ما جاء في بعض طرق الحديث إلى غير ذلك من الزيادات الواقعة في أحاديث السؤال على كثرتها فإنها أكثر من سبعين حديثاً ما

من حديث منها إلا وفيه زيادة ليست في غيره، فمن لم يقف إلا على حديث واحد من سبعين حديثاً حقه أن يسكت مع الساكتين ولا يقدم على رد الأحاديث وإلغائها، وتأويل حديث البخاري أنه يقال له نم صالحاً عند آخر جواب يجيب به في آخر يوم يسأل فيه وذلك من المحذوفات المطوي ذكرها في الحديث كسائر ما حذف منه، وما أحسن ما وقع للحافظ أبي عمر بن عبد البر حيث تكلم على الحديث في الموطأ، وغيره أن جبريل لم يصل في وقت فرض الصلاة بالنبي ﷺ الصلوات الخمس إلا مرة واحدة فقال: والجواب عن ذلك أنه قد ثبت إمامة جبريل لوقتتين، ما بين هذين وقت وهذه زيادة يجب قبولها والعمل بها لنقل العدول لها وليس ترك الإتيان بحجة وإنما الحجة في شهادة من شهد لا في رواية من أجمل واختصر، انتهى كلام ابن عبد البر.

ووقع له أيضاً أنه تكلم على حديث ثم روي من طرق مرسله زيادة عليه ثم قال: ومراسيل مثل هؤلاء عند مالك حجة وهو خلاف ظاهر حديث الموطأ وحديث هؤلاء بالصواب أولى لأنهم زادوا وأوضحوا وفسروا ما أجمله غيرهم وأهمله - هذه عبارته - وقال القرطبي في شرح مسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صومه وقيامه: هذا الحديث اشتهر وكثرت رواته فكثر اختلافه حتى ظن من لا بصيرة عنده أنه مضطرب وليس كذلك فإنه إذا تتبع اختلافه وضم بعضه إلى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه إذ ليس فيه اختلاف تناقض ولا تهاتر، بل يرجع اختلافه إلى أن بعضهم ذكر ما سكت عنه غيره وفصل بعض ما أجمله غيره انتهى، ولا شك في أنه لا منافاة بين حديث السبعة وحديث البخاري فإنه يجمع بينهما بأن معنى حديث البخاري قد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور فيقال ما علمك إلى آخره أن ذلك يقع في سبعة أيام لأنه لفظ مطلق صادق بالمرة وبأكثر، فإذا روى الثقة أن ذلك يقع سبعاً وجب قبوله وحمل آخر الحديث وهو قوله نم صالحاً على أن ذلك يقع عند انتهاء الفتنة وذلك بآخر يوم منها.

ولنختم الكتاب بلطائف: الأولى: أن سنة الإطعام سبعة أيام بلغني أنها مستمرة إلى الآن بمكة والمدينة فالظاهر أنها لم تترك من عهد الصحابة إلى الآن وأنهم أخذوها خلفاً عن سلف إلى الصدر الأول. [ورأيت] في التواريخ كثيراً في تراجم الأئمة يقولون: وأقام الناس على قبره سبعة أيام يقرؤون القرآن، وأخرج الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في كتابه المسمى تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري سمعت الشيخ الفقيه أبا الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي يقول: توفي الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربعمائة بدمشق وأقمنا على قبره سبع ليال نقرأ كل ليلة عشرين ختمة.

الثانية: قد عرف أنه يستثنى جماعة لا يسألون أصلاً كالصديق، والشهيد، والمرابط، ومن ألحق بهم، ومن اللطائف في ذلك ما أورده الجزولي من أئمة المالكية في شرح الرسالة قال: روي أن النبي ﷺ قال: «إن منكراً ونكيراً ينزلان بالميت في قبره وهما فظان غليظان

أسودان أزرقان يطان في شعورهما ويتحتان الأرض بأنيا بهما يمشيان في الأرض كما يمشي أحدكم في الضباب بيد كل واحد منهما مرزبة من حديد لو وضعت على أعلى جبل في الدنيا لذاب كما يذوب الرصاص فيسألانه فقال له عمر: وأنا كما أنا الآن؟ قال: نعم فقال: إذن والله أخاصمهما فرآه ابنه عبد الله بعد موته فقال له: ما كان منك؟ فقال له: أتاني الملكان فقالا لي من ربك ومن نبيك؟ فقلت ربي الله ونبي محمد وأنتما من ربكما فنظر أحدهما إلى الآخر فقال إنه عمر فوليا عني قال الجزولي: ومثله يروى عن أبي المعالي أنهما وقفا عليه وهابا أن يكلماه فقال لهما: ما شأنكما أنتما ملكا ربي أفنيت في ذكره عمري ويسرت لنصرتي فما عسى أن تقولوا وقد امتلأت الدنيا بأقواله وسميت فيها أبا المعالي؟ فقالا: قد علمنا أنك أبو المعالي نم هنيئاً ولا تبالي. قلت: أبو المعالي هو إمام الحرمين وهذا الذي وقع له من بركة العلم، فلو لم يكن من بركة العلم إلا هذا الإكرام لكان فيه كفاية، ويشبه هذا ما أخرجه الحافظ أبو الطاهر السلفي في الطيوريات عن سهل بن عمار قال: رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت لمثلي يقال وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا، وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي في السنة: أخبرنا محمد بن المظفر بن حرب ثنا إبراهيم بن محمد بن عثمان النيسابوري قال: سمعت أحمد بن محمد الحيري المزكي يقول: حدثني عبد الله بن الحارث الصنعاني قال: سمعت حوثة بن محمد المنقري البصري يقول رأيت يزيد بن هارون الواسطي في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: تقبل مني الحسنات وتجاوز عن السيئات ووهب لي التبعات، قلت: وما كان بعد ذلك؟ قال: وهل يكون من الكريم إلا الكرم؟ غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة، قلت: فبم نلت الذي نلت؟ قال: بمجالس الذكر، وقول الحق وصدقني في الحديث وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر، قلت: ومنكر ونكير حق؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو لقد أقعداني وسألاني وقال لي من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب فقلت لمثلي يسأل أنا يزيد بن هارون الواسطي وكنت في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس، فقال أحدهما: صدق هو يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم، وقال الحافظ أبو طاهر السلفي في انتخابه لحديث الفراء: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمد، الأرتاحي أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين الفراء أنا أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر البخاري الحافظ ثنا القاضي أبو الحسن محمد بن إسحاق الملحمي ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن كثير ابن بنت يزيد بن هارون قال: رأيت جدي يزيد بن هارون في النوم فقلت له يا جدي كيف رأيت منكراً ونكيراً؟ فقال يا بني جاءني فأجلساني في قبري وقال لي من ربك؟ فقلت لهما إلي يقال هذا وقد كنت أعلم الناس الدين منذ ثمانين سنة؟.

الثالثة: عجبت ممن استغرب سؤال الميت سبعة أيام وقد صرح الغزالي بما هو أعظم من ذلك، ذكر الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى في ترجمة الشيخ أبي الفتح أخي الغزالي أنه حكى يوماً على رأس منبره قال: سمعت أخي حجة الإسلام قدس الله روحه يقول إن الميت من حين يوضع على النعش يوقف في أربعين موقفاً يسأله ربه عز وجل قال السبكي: فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ويختم لنا بخير بمنه وكرمه.

الرابعة: أخرج ابن سعد في الطبقات من طريق ليث عن طاوس قال: ما تعلمت فتعلمه لنفسك فإن الناس قد ذهب منهم الأمانة قال: وكان يعد الحديث حرفاً حرفاً. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق ليث قال: قال لي طاوس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك فإن الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس، وقال أبو محمد عبيد الله بن علي [بن عبد الرحمن بن منصور بن زياد الكاتب في أماليه ثنا الحسن بن علي] بن راشد قال: سمعت أبا الربيع العتكي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إني أخذت من كل طير ريشة ومن كل ثوب خرقه قال: وسمعت سفيان بن عيينة يقول لأصحاب الحديث: إني لأحرم جلسائي الحديث الغريب لموضع رجل واحد ثقيل.

أحوال البعث

مسألة: هل يمر إبليس وكفار الإنس والجن على الصراط؟.

الجواب: صرح ابن برجان في الإرشاد بأن الكفار لا يمرون على الصراط، وفي الأحاديث ما يشهد له، وفي أحاديث آخر ما يقتضي خلاف ذلك وأنهم يمرون فحملت ذلك على المناقضين لكون بعض الروايات فيها ما يدل على ذلك، ثم رأيت القرطبي صرح بأن في الآخرة صراطين: صراط لعموم الخلق إلا من يدخل الجنة بغير حساب ومن يلتقطهم عنق النار، وصراط للمؤمنين خاصة وهذا جمع حسن وعرف منه أن من يلتقطهم عنق النار وهم طوائف مخصوصة من الكفار لا يمرون على الصراط أصلاً، وكذلك بعث النار الذي يخرج من الخلق إليها قبل نصب الصراط دلت الأحاديث على أنهم لا يمرون على الصراط أصلاً وهم طوائف من الكفار، والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتابين اليهود والنصارى فإن هؤلاء الفرق الثلاث ورد في الحديث أنهم يحملون عليه فيسقطون منه في النار، وكذلك من ينصب له الميزان من الكفار وهم طائفة مخصوصة منهم يمرون عليه فيحضرهم وزنهم فإن الميزان إنما هو على الصراط - هذان ملخص القول في ذلك - وبسطه في كتابنا المسمى - بالدور السافرة في أمور الآخرة - والله أعلم.

مسألة: قوله ﷺ: «يحشر الناس حفاة عراة» هل هو على عمومته بدليل قوله: «فيكون أول من يكسى إبراهيم» أو هو مخصوص بغير الأنبياء؟.

الجواب: هو مخصوص وليس على عمومته فقد نص البيهقي على أن بعض الناس يحشر عارياً وبعضهم يحشر في أكفانه وحمل على ذلك قوله ﷺ: «يبعث الميت في ثيابه التي

يموت فيها» رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم - وقول معاذ بن جبل - أحسنوا أكفان موتاكم فإن الناس يحشرون في أكفانهم - رواه ابن أبي الدنيا، وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب مثله، وهذان الموقوفان لهما حكم الرفع. ونص القرطبي على أن حديث الحشر عراة مخصوص بغير الشهداء، وأن حديث أبي داود ونحوه في الشهداء، وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن قال: يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد، وإذا خص من الحديث الشهداء أو أهل الزهد فالأنبياء من باب أولى.

مسألة: أحاديث الحشر عراة عارضها أحاديث آخر صرح فيها بأن الناس يحشرون في أكفانهم - واختلف العلماء في ذلك - فمنهم من سلك مسلك الترجيح فرجح أحاديث الحشر في الأكفان على أحاديث الحشر عراة وهذا رأي القليل، والأكثر سلكوا مسلك الجمع فجمعوا بين الأحاديث بأن أحاديث الحشر في الأكفان خاصة بالشهداء وأحاديث الحشر عراة في غيرهم - هكذا نقله القرطبي - وجمع البيهقي بأن بعض الناس يحشر عارياً وبعضهم يحشر في أكفانه ولم يعين شهداء ولا غيرهم، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق عليه السلام أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين. وفوج يمشون ويسعون. وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أبو داود، والترمذي، ومن حديث معاوية بن حيدة أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي. وفي المجالسة للدينوري عن الحسن قال: يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد وهذا له حكم المرفوع المرسل.

مسألة:

سألتكمو رجال العلم عما	بدا لي حيث لا علم بذاكا
هل الإيمان يوزن يوم حشر	بميزان وإلا ليس ذاكاً؟
فإن قلتم بوزن هل تقولوا	مع الحسنات أو ضد لذاكا؟
وإن قلتم مع الحسنات يبقى	بأن لا وزن مع شيء يحاكي
ويرجع بعد ذاك بسيئات	فلا للنار داخله هناكا
من أهل الحق والتوحيد نفس	فسبحان اللطيف بنا هناكا
أوزن مطلقاً أو لا تقولوا	بهذا أنتم أهل لذاكا؟
أجيبوا العبد فهو لكم محب	وفضلكم بمصر لا يحاكي
فلا زلتم لمعضلة تحلوا	وفي الجنات ماواكم هناكا

الجواب:

لرب العرش حمداً لا يحاكي	وأشكره وما أولى بذاكا

كعرف الزهر ينبت في رباكا
نواده التي حسنت حباكا
بتذكرة تنمقها حياكا
بأعمال فتنسلك انسلاكا
موازن حاله ضد هناك
ليتنزنا محال فرض ذاك
لتوحيد وأخبار كذاكا
فحقاً أعظم الحسنات ذاك
ففي تأليف بعث لي دراكا
جواباً لم يغادره مساك
على نسق يحاك ولا يحاكي

وللمختار تسليم ثناه
لقد نص الحكيم الترمذي في
وعنه حكاه نقلاً قرطبي
بأن الوزن مختص بحشر
وما الإيمان موزوناً فإن المـ
أیجمع واحد كفوراً وضداً
وفي خبر البطاقة جاء وزن
فأولها بنذب في اذكار
ومن يقصد لبسط في اتزان
وناظمه ابن الأسيوطي أبدي
بنظم ناسج منوال حسن
مسألة:

أبدى عجيباً عم في عصره
في سائر الأقطار من دره
عاطره قد ضاع في نشره
وحاز حسن السبك في نشره
يحشر في الأخرى على عمره
أو بعد حشر زيد في قدره
ينكحها ما القول في أمره؟
رب العلا الرحمن في ذكره
كالحوار يا من فاق في دهره
ومن بقي قد صار في فكره
منحة رب العرش من سره
بذلتهم الإجهاد في نصره

ما قول حبر بحر أفكاره
وفاض منه أنهرأ بالهدى
تأليفه صاغ لنا عسجدا
حكى لنظم الدر في جیده
في الطفل: إن مات صغيراً فهل
وفي جنان الخلد يبقى كذا
وهل له في الحور من زوجة
وأمر ولدان حكاهم لنا
أمن بني آدم أم خلقهم
لكم علوم أعجزت من مضى
وسلموا أن الذي نلتتموا
يثيبكم جناته مثل ما
الجواب:

وأشكر الهادي على نشره
في خلقه والقدر في حشره
يزداد كالبالغ في قدره

الحمد لله على يسره
الطفل يأتي مثل ما قد مضى
وعند ما يدخل جناته

وكم له في الخلد من زوجة من بشر والحدود في قصره
والحدود والولدان جنس سوى ليسوا بنبي آدم فاستقره

٦٧ - تحفة الجلساء برؤية الله للنساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة: رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد الرجال، والنساء بلا نزاع، وذهب قوم من أهل السنة إلى أنها تحصل فيه للمنافقين أيضاً. وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضاً ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة، وله شاهد رويناه عن الحسن البصري، وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء، والرسل، والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة، واختلف بعد ذلك في صور: إحداها النساء: من هذه الأمة وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء حكاهما جماعة منهم الحافظ عماد الدين بن كثير في أواخر تاريخه: أحدها أنهن لا يرين لأنهن مقصورات في الخيام ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن. والثاني أنهن يرين أخذاً من عمومات النصوص الواردة في الرؤية. والثالث أنهن يرين في مثل أيام الأعياد فإنه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلياً عاماً فيرينه [في مثل هذه الحال دون غيرها، قال ابن كثير: وهذا القول يحتاج] إلى دليل خاص عليه، وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف: كل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا فإنه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه - ويوم الجمعة يدعى في الجنة يوم المزيدي - ويوم الفطر، والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة، وروي أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة - هذا لعموم أهل الجنة - فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم بكرة وعشياً انتهى.

قلت: الحديث الذي أشار إليه ابن رجب - ولم يقف عليه ابن كثير - أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية قال: حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا مروان بن جعفر ثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم ثنا عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة ويراها المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر».

الثانية: الملائكة: فذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى أنهم لا يرون ربهم لأنهم لم يثبت لهم ذلك كما ثبت للمؤمنين من البشر وقد قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] خرج منه مؤمنو البشر بالأدلة الثابتة فبقي على عمومهم في الملائكة، ولأن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة كالجهاد، والصبر على البلاء، والمحن، والرزايا،

وتحمل المشاق في العبادات لأجل الله، وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم وبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ولم يثبت مثل هذا للملائكة انتهى؛ وقد نقله عنه جمع من المتأخرين ولم يتعقبوه بنكير. منهم الإمام بدر الدين الشبلي صاحب آكام المرجان في أحكام الجان. والعلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع ولكن الأقوى أنهم يرونه. فقد نص على ذلك إمام أهل السنة والجماعة - الشيخ أبو الحسن الأشعري قال في كتابه الإبانة في أصول الديانة ومنه نقلت ما نصه: أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبيه ﷺ فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصدّيقين النظر إلى وجهه عز وجل انتهى. وقد تابعه على ذلك الإمام الحافظ البيهقي قال في كتاب الرؤية - باب ما جاء في رؤية الملائكة ربهم - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأحمد بن الحسن قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم قال: خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً وأن منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم تبارك وتعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وأخبرنا محمد بن عبد الله، وأحمد بن الحسن قال: ثنا أبو العباس ثنا محمد بن إسحاق ثنا روح بن عبادة ثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة يخطب على منبر المدائن فجعل يعظنا حتى بكى وأبكنا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت - ولقد سمعت فلاناً نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمة من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح قال: وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة [وركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة] وصفوا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون إليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك» أخرجه أبو الشيخ في العظمة ولفظه: «فإذا رفعوا ونظروا إلى وجه الله تعالى قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك». وممن قال برؤية الملائكة من المتأخرين العلامة شمس الدين بن القيم، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني وهو الأرجح بلا شك، ومنهم من قال إن جبريل عليه السلام يراه دون سائر الملائكة لأنه وقف على الحديث الذي ورد فيه رؤيته ولم يقف على الحديثين السابقين في رؤية الملائكة على العموم - ومشى عليه أبو إسحاق [إسماعيل] الصفار البخاري من الحنفية - فإني رأيت في أسئلته المشهورة ما نصه - سئل عن الملائكة هل يرون ربهم؟ فأجاب اعتماد والدي الشهيد [أنهم] لا يرون ربهم سوى

جبريل فإنه يرى ربه مرة واحدة ولا يرى أبداً انتهى .

والصواب العموم، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «تمد الأرض يوم القيامة مداً لعظمة الرحمن ثم لا يكون لبشر من بني آدم إلا موضع قدميه ثم أدهى أول الناس فأخر ساجداً ثم يؤذن لي فأقوم فأقول يا رب أخبرني هذا - لجبريل - وهو عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قبلها قط إنك أرسلته إلي قال: وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله صدق ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض فبذلك المقام المحمود». قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين قال: لكن أرسله معمر عن ابن شهاب عن علي بن حسين بنحوه، وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن رجل من أهل [العلم] ولم يسمه «أن الأرض تمد يوم القيامة» الحديث. وقال عبد الرزاق في تفسيره: أنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه قال: فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين العرش والله ما رآه قبلها فأقول أي رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبدوك في أطراف الأرض وهو المقام المحمود» أخرجه ابن جرير، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي بن وهب ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين قال: أخبرني رجل من أهل العلم أن النبي ﷺ قال: تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم لعظمة الرحمن ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدميه فأدهى أول الناس فأخر ساجداً ثم يؤذن لي فأقول يا رب أخبرني هذا - لجبريل - وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قط قبلها إنك أرسلته إلي وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الرحمن تبارك وتعالى صدقت قال: ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود.

الثالثة: الجن: وقد نقل صاحب آكام المرجان مقالة الشيخ عز الدين في الملائكة ثم قال: والجن أولى بالمنع منهم، وقال الجلال البلقيني لم أقف على كلام أحد من العلماء تعرض لهذه المسألة ولم تثبت الرؤية إلا للبشر، ثم نقل كلام الشيخ عز الدين في أن الملائكة لا يرون ثم قال: وإذا كان ذلك في الملائكة ففي الجن بطريق الأولى ثم قال: وقد يتوقف في الأولوية لأن الإيمان في عرف الشرع يشمل مؤمني الثقلين، ثم قرر ثبوت الرؤية للملائكة ثم قال: وعلى مقتضى استدلال الأئمة، والأشعري تثبت الرؤية لمؤمني الجن.

الرابعة: مؤمنو الأمم السابقة: وفيهم احتمالان لابن أبي جمرة وقال: إن الأظهر مساواتهم لهذه الأمة في الرؤية والله أعلم.

مسألة: قال الدارقطني: أخبرنا الحسن بن إسماعيل أنا أبو الحسن علي بن عبدة ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال

رسول الله ﷺ: «إن الله ليتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة» في المغني للذهبي - علي بن عبدة وضاع - وقلتم في تأليفكم النكت البديعيات على الموضوعات إن للحديث طريقاً على شرط الحسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ يتجلى للخلائق فلم لم تستدلوا به على رؤية الملائكة يوم القيامة مع ذلك الحديثين واللفظ الأول يستدل به على الرؤية لبني آدم مطلقاً الرجال والنساء في العيد وغيره وأنه ليس مقيداً بوقت معلوم لا سيما وهو حسن.

الجواب: الاستدلال إنما يكون بالألفاظ التي لا يطررها الاحتمال، ومتى طرق اللفظ الاحتمال سقط به الاستدلال، والخلائق يحتمل أن يحمل على بني آدم فلا يستدل به على الملائكة خصوصاً. وقد ورد بلفظ الناس الخاص ببني آدم وهذان التجلي العام يمكن حمله أولاً على الذكور الذين يحضرون الزيارة فيكون من خصوص الأفراد، ويمكن حمله على التجلي أيام الأعياد فيكون من خصوص الأوقات ويشمل الإناث، ويمكن حمله - وهو الأظهر - على التجلي في الموقف وذلك شامل للمخلوق بأسرهم: الإنس، والجن، والملائكة، والذكور، والإناث، وإن ورد في بعض ألفاظه يوم القيامة قوى هذا الحمل الأخير فانزاح الإشكال والله أعلم.

٦٨ - مسالك الحنفا في والدي المصطفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: الحكم في أبوي النبي ﷺ أنهما ناجيان وليس في النار صرح بذلك جمع من العلماء ولهم في تقرير ذلك مسالك: المسلك الأول: أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة - نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه وسائر الأصحاب - بل زاد بعض الأصحاب وقال: إنه يجب في قتله القصاص ولكن الصحيح خلافه لأنه ليس بمسلم حقيقي وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذب، وهذا المسلك أول ما سمعته في هذا المقام نحن فيه من شيخنا - شيخ الإسلام - شرف الدين المناوي فإنه سئل عن والد النبي ﷺ هل هو في النار؟ فزأر في السائل زأرة شديدة فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال: إنه مات في الفترة ولا تعذيب قبل البعثة، ونقله سبط بن الجوزي في كتاب مرآة الزمان عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه ﷺ ثم قال ما نصه: وقال قوم قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى

بَعَثَ رَسُولًا ﴿ والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما، وجزم به الأبي في شرح مسلم وسأذكر عبارته، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر في بعض كتبه فقال: والظن بآله ﷺ - يعني الذين ماتوا قبل البعثة - أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له ﷺ لتقرّ بهم عينه، ثم رأيت قال في الإصابة: ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم، ومن مات في الفترة، ومن ولد أكمه أعمى أصم، ومن ولد مجنوناً أو طراً عليه الجنون قبل أن يبلغ، ونحو ذلك أن كلاً منهم يدلي بحجة ويقول لو عقلت أو ذكرت لآمنت فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فمن دخلها كانت له برداً وسلاماً ومن امتنع أدخلها كرهاً - هذا معنى ما ورد من ذلك - قال: وقد جمعت طرقه في جزء مفرد قال: ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائعاً فينجو إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن وثبت [في الصحيح] أنه في ضحضاح من نار، وقد جعلت قصة الامتحان داخلة في هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل لكنني وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوي التحقيق.

ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكّم العقل - أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو تأتية من الله بينة. الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ ۖ يُظَلِّرُ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] أورد هذه الآية الزركشي في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع. الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] أورد هذه الآية الزركشي أيضاً، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الهالك في الفترة يقول رب لم يأتني كتاب ولا رسول - ثم قرأ هذه الآية» ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤] أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول رب لم يأتني كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا﴾ إلى آخر الآية. الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَلْقَاهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، و قتادة في الآية قالا: لم يهلك الله ملة حتى يبعث إليهم محمداً ﷺ فلما كذبوا وظلموا بذلك هلكوا. السادسة: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ فَأَتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِكُمْ ﴿١٥٦﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦] السابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَمَّا مُنذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩] أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال: ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة لله ذكرى وما كنا ظالمين، يقول: ما كنا لنعذبهم إلا من البينة والحجة. الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِشُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قال المفسرون: احتج عليهم ببعثة النبي محمد ﷺ وهو المراد بالذير في الآية.

ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار. الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما، والبيهقي في كتاب الاعتقاد وصححه عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «أربعة يمتحنون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبر، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ موافقهم ليطيعه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها». الحديث الثاني: أخرج أحمد، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما، وابن مردويه في تفسيره، والبيهقي في الاعتقاد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أربعة يمتحنون» فذكر مثل حديث الأسود بن سريع سواء. الحديث الثالث: أخرج البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه أي رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود لم أدرك العمل، قال: فيرفع لهم نار فيقال لهم ردوها أو قال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيت فكيف برسلي بالغيب» في إسناد عطية العوفي - فيه ضعف - والترمذي يحسن حديثه - وهذا الحديث له شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته. الحديث الرابع: أخرج البزار، وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته، فيقول الله تبارك وتعالى لعن من جهنم ابرزي فيقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه، فيقول من كتب الله عليه الشقاء: يا رب أنتدخلناها ومنها كنا نفرق، ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً فيقول الله قد عصيتُموني فأنتم لرسلي أشد

تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار». الحديث الخامس: أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تأتتنا رسل؟ قال: وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع. الحديث السادس: أخرج البزار، والحاكم في مستدركه عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولاً لكننا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرايتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون نعم، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيباً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أجرنا منها فيقول لهم: ألم تزعموا أنني إن أمرتكم بأمر تطيعوني فيأخذ على ذلك مواليقهم فيقول: اعمدوا إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين، فقال النبي ﷺ: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً» قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، ومسلم.

الحديث السابع: أخرج الطبراني، وأبو نعيم عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «يؤتى يوم القيامة بالميمسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة بالهالك صغيراً، فيقول الممسوخ عقلاً يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد بعقله مني، وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب: إني أمرتكم بأمر فتطيعون؟ فيقولون نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضربتهم، فتخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلك ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعاً، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون ضميمهم فتأخذهم». قال الكيا الهراسي في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم: اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى حكم من قضيات العقول، فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة، والكرامية، والمعتزلة، وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة. فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول، ومنها ما يتلقى من قضيات العقول، قال: وأما نحن فنقول لا يجب شيء قبل مجيء الرسول، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر فنقول لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر، وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون ما الواجب الذي هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه إن النظر الذي هو أول الواجبات

طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه، قال: وقد ذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال: قبل مجيء الرسول تتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطر آخر على نقيضه فتتعارض الخواطر ويقع العقل في حيرة ودهشة فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة وليس ذلك إلا بمجيء الرسول، وههنا قال الأستاذ أبو إسحاق: إن قول لا أدري نصف العلم ومعناه أنه انتهى علمي إلى حد وقف عند مجازة العقل - وهذا إنما يقوله من دقق في العلم وعرف مجاري العقل مما لا يجري فيه ويقف عنده انتهى.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول: شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة لنا أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه فلا وجوب. أما الملازمة فبينة. وأما أنه لا تعذيب فلقله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ نفى التعذيب إلى غاية البعثة فينتفي وإلا وقع الخلف في قول الله وهو محال انتهى، وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل، والبيضاوي في منهاجه.

وقال القاضي تاج الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب على مسألة شكر المنعم: تتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح، وقال البغوي في التهذيب: أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام، فإن قتل قبل أن يدعى إلى السلام وجب في قتله الدية والكفارة، وعند أبي حنيفة لا يجب الضمان بقتله، وأصله أنه عندهم محجوج عليه بعقله وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه لقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول انتهى. وقال الرافعي في الشرح: من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام ولو قتل كان مضموناً خلافاً لأبي حنيفة، وبني الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده، وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة ولا تتوجه المؤاخذه قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ انتهى. وقال الغزالي في البسيط: من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح لأنه ليس مسلماً على التحقيق وإنما هو في معنى المسلم، وقال ابن الرفعة في الكفاية: لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد.

وقال النووي في شرح مسلم في مسألة أطفال المشركين: المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قال: وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى انتهى. فإن قلت: هذا المسلك الذي قرره هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟ قلت: لا بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً، كما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه. وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه

هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور، تأخر زمانهما، وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ستمائة سنة، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقد من يعرف الشرائع وبلغ الدعوة على وجهها إلا نفرأ يسيراً من أحبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار الأرض كالشام وغيرها، ولم يعهد لهما تقلب في الأسفار سوى إلى المدينة ولا عمر عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش، فإن والد النبي ﷺ لم يعيش من العمر إلا قليلاً.

قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي في كتابه الدرة السنية في مولد سيد البرية : كان سن عبد الله حين حملت منه أمة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عاماً ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله فمات بها عند أخواله من بني النجار - والنبي ﷺ حمل - على الصحيح انتهى، وأمه قريبة من ذلك لا سيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أنهم لا يعرفون ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه، ولهذا لما بعث النبي ﷺ تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها، إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم أزيد من ثلاثة آلاف سنة فاتضح بذلك صحة دخولهما في هذا المسلك.

ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في أماليه ما نصه: كل نبي أرسل إلى قومه إلا نبينا ﷺ قال: فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فيصير الكل من أهل الفترة - هذا كلامه - فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه، ثم يرشح ما قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر: إن الظن بهما أن يطعما عند الامتحان أمران: أحدهما ما أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه عن ابن مسعود قال: «قال شاب من الأنصار - لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول الله ﷺ منه - يا رسول الله أرأيت أبواك في النار فقال: ما سألتهما ربي فيطعني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود» فهذا الحديث يشعر بأنه يرتجى لهما الخير عند قيامه المقام المحمود وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حيثن ذلك كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك في أنه يقال له عند قيامه ذلك المقام سل تعط واشفع تشفع كما في الأحاديث الصحيحة فإذا سأل ذلك أعطيه، الأمر الثاني ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] قال: من رضا محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل

بيته النار، ولهذا عمم الحافظ ابن حجر في قوله: الظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان، وحديث ثالث أخرج أبو سعيد في شرف النبوة، والملا في سيرته عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك» أوردته الحافظ محب الدين الطبري في كتابه ذخائر العقبى، وحديث رابع - أصرح من هذين - أخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية» أوردته المحب الطبري - وهو من الحفاظ والفقهاء - في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى وقال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته انتهى، وإنما احتاج إلى تأويله في أبي طالب دون الثلاثة أبيه وأمه وأخيه - يعني من الرضاة - لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم والثلاثة ماتوا في الفترة، وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم، وغيره وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاة، فهذه أحاديث عدة يشد بعضها بعضاً، فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم صححه، ومما يرشح ما نحن فيه ما أخرجه ابن أبي الدنيا قال: ثنا القاسم بن هاشم السمسار ثنا مقاتل بن سليمان الرملي عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أبناء العشرين من أمتي فوهبهم لي». ومما ينضم إلى ذلك وإن لم يكن صريحاً في المقصود ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب». وما أوردته المحب الطبري في ذخائر العقبى وعزاه لأحمد في المناقب عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم» وهذا أخرجه الخطيب في تاريخه من حديث يغنم عن أنس وما أوردته أيضاً وعزاه لأبي البختری عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينتفع بلى حتى تبلغ حكم - وهم أحد قبيلتين من اليمن - إنني لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له فيشفع حتى أن إبليس ليتناول طمعاً في الشفاعة» ونحو هذا ما أخرجه الطبراني من حديث أم هانئ أن النبي ﷺ قال: «ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي وأن شفاعتي تنال حاء وحكم»^(١).

لطيفة: نقل الزركشي في الخادم عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي ﷺ واعتاقه ثوبية حين بشر به قال: وإنما هي كرامة له ﷺ.

تنبيه: ثم رأيت الإمام أبا عبد الله محمد بن خلف الأبي بسط الكلام على هذه المسألة في شرح مسلم عند حديث: «إن أبي وأباك في النار» فأورد قول النووي فيه أن من مات

(١) في النهاية لابن الأثير هما - أي حاء وحكم قبيلتان جافيتان من وراء رمل بيرين.

كافراً في النار ولا تنفعه قرابة الأقربين ثم قال: قلت انظر هذا الإطلاق وقد قال السهيلي: ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات». وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ولعله يصح ما جاء أنه ﷺ سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فأما به ورسول الله ﷺ فوق هذا ولا يعجز الله سبحانه شيء، ثم أورد قول النووي - وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الرسل، ثم قال: قلت تأمل ما في كلامه من التنافي فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي ﷺ، ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين. فإن قلت: صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المحجن وغيره.

قلت: أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة: الأول: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع. الثاني: قصر التعذيب [على هؤلاء والله أعلم بالسبب. الثالث: قصر التعذيب] المذكور في هذه الأحاديث على من بدل وغير الشرائع وشرع من الضلال ما لا يعذر به، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام: الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعته كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه. القسم الثاني: من بدل وغير وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهو الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام، وشرع الأحكام، فبحر البحيرة، وسبب السائبة ووصل الوصيلة، وحمى الحامي - وزادت طائفة من العرب على ما شرعه - أن عبدوا الجن، والملائكة، وحرقوا البنين، والبنات، واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدة وحجاباً يضاؤون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان كذلك، فإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين للقطع كما تقدم. وأما القسم الأول فقد قال ﷺ في كل من قس، وزيد: أنه يبعث أمة وحده. وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين، انتهى ما أورده الأبي.

المسلك الثاني: أنهما لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم عليه السلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وغيرهما، وهذا المسلك ذهب إليه طائفة منهم الإمام فخر الدين الرازي فقال في

كتابه أسرار التنزيل ما نصه: قيل إن أزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه: منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ويدل عليه وجوه، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ جِبْنَ تَقَوْمٍ﴾ (٢٨) وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] قيل معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمه أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ على وجوه أخرى. وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً - هذا كلام الإمام فخر الدين بحروفه - وناهيك به إمامة وجلالة فإنه إمام أهل السنة في زمانه، والقائم بالرد على من فرق المبتدعة في وقته، والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره - وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها - وعندي في نصرة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور، أحدها دليل استنبطته مركب من مقدمتين: الأولى: أن الأحاديث الصحيحة [دلت] على أن كل أصل من أصول النبي ﷺ من آدم إلى أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرنه وأفضلهم. والثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي ﷺ ثم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض، ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها، وإذا قارنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً أن آباء النبي ﷺ لم يكن فيهم مشرك لأنه قد ثبت في كل منهم أنه من خير قرنه، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم إياهم فهو المدعي، وإن كانوا غيرهم وهم على الشرك لزم أحد أمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم - وهو باطل بالإجماع - وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم - وهو باطل - لمخالفة الأحاديث الصحيحة فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا من خير أهل الأرض كل في قرنه.

ذكر أدلة المقدمة الأولى: أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه». وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبيي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا

كنت في خيرهما». وأخرج مسلم، والترمذي وصححه عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث وائلة بلفظ: «إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذة خليلاً واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب» أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى. وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف [وخير بني مناف] بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما». وأخرج الطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا من خيار إلى خيار».

وأخرج الترمذي وحسنه، والبيهقي، عن ابن عباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حين خلقتني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً».

وأخرج الطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً».

وأخرج أبو علي بن شاذان فيما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى - وهو في مسند البزار - عن ابن عباس قال: «دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية: منا رسول الله ﷺ فقالوا: تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس فقام على المنبر فقال: أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله قال: انسبوني قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال: فما بال أقوام ينزلون أصلي؟ فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً».

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال: بلغ النبي ﷺ أن قوماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناس فغضب رسول الله ﷺ وقال: «إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبلاً، ثم

جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، ثم قال: أنا خيركم قبلاً وخيركم بيتاً. وأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت: قال «رسول الله ﷺ» قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد أجد بني أب أفضل من بني هاشم. قال الحافظ ابن حجر في أماليه: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية، والاصطفاء، والاختيار من الله. والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك.

ذكر أدلة المقدمة الثانية: قال عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن ابن جريج قال: قال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب: لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها - هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين - ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الدبري عن عبد الرزاق.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده. وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هَذِي فَمَنْ تَبِعَ هَذَا﴾ [البقرة: ٣٨] الآية قال: ما زال الله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء له يعلمون الله بطاعته، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: روى ابن القاسم عن مالك قال: بلغني عن ابن عباس أنه قال: لا يزال الله تعالى في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد، والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض هذا أيضاً له حكم الرفع - وأخرج الأزرق في تاريخ مكة عن زهير بن محمد قال: لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها. وأخرج الجندي في فضائل مكة عن مجاهد قال: لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعداً لولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها. وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن كعب قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب. وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ﷺ ناس على الفطرة يعبدون الله، وإنما وقع التقيد في هذه الآثار الثلاثة بقوله من بعد نوح لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

وأخرج البزار في مسنده، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم،

والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود كان الناس أمة واحدة فاختلفوا. وأخرج أبو يعلى، والطبراني، وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: على الإسلام كلهم. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأخرج ابن سعد في الطبقات من وجه آخر عن ابن عباس قال: ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عكرمة قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص لأنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] بل ورد في أثر أنه كان نبياً - أخرجه ابن سعد في الطبقات، والزيبر بن بكار في الموفقيات، وابن عساكر في تاريخه عن الكلبي - وولده أرفخشذ صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر - وفيه أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده ولد أرفخشذ إلى تارح - ورد التصريح بإيمانهم - في أثر، وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن نوحاً عليه السلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية فبنى كل رجل منهم بيتاً فسميت سوق الثمانين فغرق بنو قابيل كلهم وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام ولم يزلوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا - هذا لفظ هذا الأثر.

فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي ﷺ كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود، وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر، فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء، وهذا القول - أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم - ورد عن جماعة من السلف - أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي﴾ [الأنعام: ٧٤] قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان [اسمه] تارح، وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي﴾ قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرح - أو تارح - بن شاروخ بن ناحور بن فالخ،

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له اسم أبي إبراهيم آزر فقال: بل اسمه تارح، وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده؛ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس - أنه كان يقول: الجد أب ويتلو: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ الآية. وأخرج عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ قال: سمي العم أباً، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: الخال والد، والعم والد وتلا هذه الآية.

فهذه أقوال السلف من الصحابة، والتابعين في ذلك، ويرشحه أيضاً ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى أن كانت العجوز لتجمع الحطب، فلما أن أرادوا أن يلقوه في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما ألقوه قال الله: ﴿يَنَارُ كُوِيَ بُرْءًا وَسَلَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فقال عم إبراهيم: من أجلي دفع عنه فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقتة، فقد صرح في هذا الأثر بعم إبراهيم - وفيه فائدة أخرى - وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار، وقد أخبر الله سبحانه في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو الله، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر له بعد ذلك.

أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو الله فلم يستغفر له. وأخرج عن محمد بن كعب، وقتادة، ومجاهد، والحسن، وغيرهم قالوا: كان يرحوه في حياته فلما مات على شركه تبرأ منه، ثم هاجر إبراهيم عقب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك في القرآن، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر ثم رجع إلى الشام ثم أمره الله أن ينقلها ولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] إلى قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [١١] [إبراهيم: ٤١] فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة - فيستنبط من هذا - أن الذكر في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيقي فله الحمد على ما ألهم.

روى ابن سعد في الطبقات عن الكلبي قال: هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام - وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة - فأتى حران فأقام بها زماناً، ثم أتى الأردن فأقام بها زماناً، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً، ثم خرج إلى الشام فنزل السبع أرضاً بين إيلياء وفلسطين، ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء، وروى ابن

سعد عن الواقدي قال: ولد لإبراهيم إسماعيل - وهو ابن تسعين سنة - فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة بضعاً وخمسين سنة.

تتميم: ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم، وإسماعيل، قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي. قلت: وقد صح بذلك الحديث، أخرج البخاري، ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجبر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب». وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيت يجبر أمعاءه في النار».

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجبر قصبه بالنار أنه أول من غير دين إبراهيم». ولفظ ابن إسحاق: «إنه كان أول من غير دين إسماعيل» - ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي - وله طريق أخرى، وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس قال: كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، قال: فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك - قال السهيلي في الروض الأنف: كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم، وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فيبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال. الشيخ: قل تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها عمرو ودانت بها العرب، انتهى كلام السهيلي، وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي ﷺ فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها - وزاد في التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك - قوله: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرط فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة، وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي ﷺ فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم، إلا أن العرب بعد

ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير انتهى.

ثبت أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو [المذكور] كلهم مؤمنون بيقين، ونأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر. الأمر الثاني: مما ينتصر به لهذا المسلك آيات. وأثار وردت في ذرية إبراهيم وعقبه، الآية الأولى وهي أصرحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] أخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: لا إله إلا الله. وقال عبد بن حميد: حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده، وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم: فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يوحد الله ويعبده - أخرجه ابن المنذر - ثم قال: وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم: فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله، قال وقول آخر: فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة. وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال: العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور.

وأخرج عن عطاء قال: العقب ولده وعصبته، الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلن يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام - وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام - واجعله أمة واحداً قانتاً بأمرى داعياً إلى سبيلي أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم - استجيب دعوته في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحامته - الحديث.

هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً، ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي ﷺ خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي ثم عادت إليهم فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم، فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد، فهم أولى بأن

يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا ألم تسمع قوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؟ قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟ قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا - إذا أسكنهم إياه فقال: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فيه وقد خص أهله وقال: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَتُكِنُّ مِنْ ذُرِّيَّتِي يُوَادُّ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة - وهو أحد الأئمة المجتهدين، وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما - الآية الثالثة: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله. آية رابعة: أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد ابن علي قال: قالت سارة لما بشرتها الملائكة: ﴿يَتَوَلَّيْكَ إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] فقالت الملائكة [ترد على سارة] أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد؟ قال: فهو كقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ محمد وآله من نسله عقب إبراهيم داخل في ذلك.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان، ومعد، وربيعة، ومضر، وخزيمة، وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير، وذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله أوحى إلى أرميا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنني قد سلطته على العرب، وأمر الله أرميا أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقرة فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل، ففعل أرميا ذلك واحتمل معد إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن، وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد الله ابن خالد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم». وقال السهيلي في الروض الأنف في الحديث المروي: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين.

قلت: وقفت عليه مستنداً فأخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال: حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي ثنا أبو يعقوب الشعرائي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا عثمان بن قايذ عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين». وأخرج بسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا تميمًا وضبة فإنهما كانا مسلمين». وأخرج بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا قسًا فإنه كان مسلماً». ثم قال السهيلي: ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنًا» وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج - قال: وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة -

وقيل: هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشدهم في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهداً فحواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا
قال: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له انتهى.

قلت: هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف وفي آخره، وكان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة سنة وستون سنة - والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا، وهو صاحب الحاروي الكبير - له كتاب أعلام النبوة في مجلد كثير الفوائد وقد رأيتُه وسأنتل منه في هذا الكتاب، فحصل مما أوردناه أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم وولد كعب مرة الظاهر أنه كذلك لأن آباء أوصاه بالإيمان وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم: كلاب، وقصي، وعبد مناف، وهاشم ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا، وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال: أحدها - وهو الأشبه - أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره، والثاني أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم - وهو ظاهر عموم كلام الإمام فخر الدين - وما تقدم عن مجاهد، وسفيان بن عيينة، وغيرهما في تفسير الآيات السابقة، والثالث أن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به وأسلم ثم مات - حكاه ابن سيد الناس - وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها لأنه لا دليل عليه، ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره، ولا قال هذا القول أحد من أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة، ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث لأن خلاف الشيعة لا يعتد به، قال السهيلي في الروض الأنف: وفي الصحيح: «أن رسول الله ﷺ دخل علي أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل، وابن أبي أمية فقال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل، وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب». قال: فظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد ﷺ وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم غير أن في مسند البزار، وكتاب النسائي من حديث عبد الله بن عمرو: «أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة وقد عزت قوماً من الأنصار عن ميتهم: لملك بلغت معهم الكدى^(١)؟ فقالت لا، فقال: لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك». قال: وقد خرج أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك، قال:

(١) الكدى بضم الكاف المقابر قال ابن الأثير: وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة وهي جمع كدية ويروى بالراء.

وفي قوله: جد أبيك ولم يقل جدك تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أباه وأمه وآمنا به فالله أعلم.

قال: ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك لأن قوله ﷺ حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلوداً في النار، هذا كله كلام السهيلي بحروفه، وقال الشهرستاني في الملل والنحل: ظهر نور النبي ﷺ في أسارير عبد المطلب بعض الظهور وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن ذنوبات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فقبل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بأسائه، وببركة ذلك النور قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس:

لا هم أن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم يوماً محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستاني - ويناسق ما ذكره - ما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال: كانت الدية عشراً من الإبل وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل وأقرها رسول الله ﷺ، وينضم إلى ذلك أن النبي ﷺ انتسب إليه يوم حنين فقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا أقوى ما تقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار، روى البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل أن رجلين انتسبا على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان أنا فلان بن فلان فقال رسول الله ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما أنا فلان بن فلان إلى تسعة وقال الآخر أنا فلان بن فلان ابن الإسلام فأوحى الله إلى موسى هذان المنتسبان أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت ثالثهما في الجنة». وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريحانة عن النبي ﷺ قال: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وشرفاً فهو عاشرهم في النار». وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحج الجمل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية». وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع التثن بأنفها».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وأوضح من ذلك في التقرير أن البيهقي أورد في شعب الإيمان حديث مسلم إن في أمي أربعاً من أمر الجاهلية ليسوا بتاركين الفخر في الأحساب - الحديث، وقال عقبه: فإن عورض هذا بحديث النبي ﷺ في اصطفاؤه من بني هاشم فقد قال الحلبي: لم يرد بذلك الفخر إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول: كان أبي فقيهاً لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عده، قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر وليس ذلك من الاستطالة - والفخر في شيء انتهى، فقله: أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه تقوية لمقالة الإمام وإجرائها على عمومها كما لا يخفى، إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد، ولا شك أن الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسر جداً لأن حديث البخاري مصادم قوي، وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب، والتأويل البعيد ياباه أهل الأصول، ولهذا لما رأى السهيلي تصادم الأدلة فيه لم يقدر على الترجيح فوقف وقال: فالله أعلم - وهذا يصلح أن يعد قولاً رابعاً فيه - وهو الموقف، وأكثر ما خطر لي في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما، وأما حديث النسائي فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه وإن لم يستوفه، وإنما سهل الترجيح في جانب عبد الله مع أن فيه معارضاً قوياً وهو حديث مسلم لأن ذاك سهل تأويله بتأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح، وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير والله أعلم.

ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين إلا أنه لم يصرح بتصريحه فقال في كتابه أعلام النبوة: لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والإرشاد لخلقهم استخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأواصر^(١) فلم يكن لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون القلوب لهم أصفى والنفوس لهم أوطأ، فيكون الناس إلى اجابتهم أسرع، ولأوامرهم أطوع، وأن الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة، وقد قال ابن عباس في تأويل قول الله: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] أي تقبلتك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتفاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية، فينزل عنه أن يشارك فيه ويمائل فيه فلذلك مات عنه أبواه في صغره. فأمان أبوه فمات - وهو حمل - وأما أمه فماتت - وهو ابن ست سنين - وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ليس في آبائه مسترذل ولا مغموز مستبذل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب

(١) الأواصر: المهود.

وطهارة المولد من شروط النبوة، انتهى كلام الماوردي بحروفه، وقال أبو جعفر النحاس في معاني القرآن في قوله: ﴿وَنَقَّلُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ (٢١٩) روي عن ابن عباس أنه قال: قلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً. وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى:

تنقل أحمد نوراً عظيماً تاللاً في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا
وقال أيضاً:

حفظ الإله كرامة لمحمد أباءه الأمجاد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم حتى أبيه وأمه
وقال الشرف البوصيري صاحب البردة:
كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حال سني منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم السماء
أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم عن عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء
لم تزل في ضمائر الغيب تختار لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم من كريم أبائهم كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء
ومنها:

فهنيئاً به لآمنة الفضل الذي شرفت به حواء
من لحواء أنها حملت أحمد أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء
وأنت قومها بأفضل مما قد أتت قبل مريم العذراء

فائدة: قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي ثنا موسى بن أيوب النصيبي ثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً.

الأمر الثالث: أثر ورد في أم النبي ﷺ خاصة، أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم

رسول الله ﷺ في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعم فودى غداة الضرب بالسهم
بمائة من إبل سوام إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً ثم ماتت، فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمينه ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقيرينه أم نبي الله ذي السكينه
صاحب المنبر بالمدينه صارت لدى حفرتها رهينه

فأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام والاعتراف بدين إبراهيم وبعث ولدها إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام. وهذه الألفاظ منافية للشرك، وقولها تبعث بالتحقيق كذا هو في النسخة وعندى أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف، ثم إنني استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات؛ فأم إسحاق، وموسى، وهارون، وعيسى، وحواء أم شيث المذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن، ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل، وأم يعقوب، وأمهات أولاده، وأم داود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وشمويل، وشمعون، وذو الكفل، ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح، وأم إبراهيم - ورجحه أبو حيان في تفسيره - وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم والد كافر ولهذا قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِكُلِّ ذَنْبٍ لَكَ وَلَكِنْ دَخَلَ بَيْتُكَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤١﴾ [إبراهيم: ٤١] ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه فدل على أنها كانت مؤمنة، وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم. وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومحمد عليهم السلام، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر - فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات - وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولاد أولادهم، فإن النبوة كانت تكون

في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم، وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وبقي أم هود، وصالح، ولوط، وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل والظاهر - إن شاء الله تعالى - إيمانهم فكذلك أم النبي ﷺ وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث .

أخرج أحمد، والبخاري، والطبراني، والحاكم، والبيهقي عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت». وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام، ولا شك أن الذي رآته أم النبي ﷺ في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات، وقد ذكر بعضهم أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت قال: ومرضعته أربع: أمه، وحليمة السعدية، وثوية، وأم أيمن انتهى .

فإن قلت: فما تصنع بالأحاديث الدالة على كفرها وأنها في النار وهي حديث أنه ﷺ قال: «ليت شعري ما فعل أبوي؟ فنزلت: ﴿وَلَا تُشْكُلْ عَنْ أَمْعُدِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبريل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً، وحديث أنه نزل فيها: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وحديث أنه قال لابني مليكة: «أمكما في النار - فشق عليهما فدهاهما - فقال: إن أمي مع أمكما». قلت: الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف، ولم يصح في أم النبي ﷺ سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له، ولم يصح أيضاً في أبيه إلا حديث مسلم خاصة - وسيأتي الجواب عنهما - وأما الأحاديث التي ذكرت فحديث: «ليت شعري ما فعل أبوي» فنزلت الآية لم يخرج في شيء من كتب [الحديث] المعتمدة - وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه، ولو جئنا نحتج بالأحاديث الواهية لعارضناك بحديث واه أخرجه ابن الجوزي من حديث علي مرفوعاً - هبط جبريل علي فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك - ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به .

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جهة الأصول، والبلاغة، وأسرار البيان - وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها - كلها في اليهود من قوله تعالى: ﴿يَنبَيِّ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْهَضْتُ عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأُعَذِّبُكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَبَقْنَا إِسْرَءِيلَ رُؤُوسَ الْكَلْبِ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى: ﴿يَنبَيِّ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْهَضْتُ عَلَيْهِمْ﴾ الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر - أخرج عبد بن حميد، والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى

عشرين ومائة في بني إسرائيل إسناده صحيح، ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، ويرشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار - أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ قال: الجحيم ما عظم من النار، وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَبَعُ أُوَيْبُ﴾ [الحجر: ٤٤] قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، قال: والجحيم فيها أبو جهل - إسناده صحيح أيضاً - فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة وبدل وحرف وجحد بعد علم لا من هو بمظنة التخفيف، وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقربته منه ﷺ وبره به مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً وأكد حباً وأبسط عذراً وأقصر عمراً، فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في طبقة الجحيم، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم، وأما حديث أن جبريل ضرب في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً - فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف - وأما حديث نزول الآية في ذلك، - فضعيف أيضاً - والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب وقوله ﷺ له: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». وأما حديث: «أمي مع أمكما» فأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح وشأن المستدرك في تساهله في التصحيح معروف، وقد تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالتصحيح، ثم إن الذهبي في مختصر المستدرك لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم صحيح قال عقبه: قلت لا والله فعثمان بن عمير ضعفه الدارقطني، فبين الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً، وإذا لم يكن في المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال.

الأمر الرابع: مما ينتصر به لهذا المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم تحنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك فما المانع أن يكون أبوا النبي ﷺ سلكوا سبيلهم في ذلك؟ قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في التلخيص: تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية. أبو بكر الصديق، زيد بن عمرو بن نفيل، عبيد الله بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن نوفل، رباب بن البراء، أسعد أبو كرب الحميري، قس بن ساعدة الأيادي، أبو قيس بن صرمة انتهى.

وقد وردت الأحاديث بتحنف زيد بن عمرو، وورقة، وقيس، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مستنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم. قلت: وهذا يؤيد ما تقدم في المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبسة السلمي قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة، وأخرج البيهقي، وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة أن عمير بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وصلى الله وعاش حتى أدرك الإسلام، وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعري، وأبو بكر: ما زال بعين الرضا منه فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة. وقال آخرون: بل أراد أنه لم يزل يحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار، قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك، وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم تحفظ عنه في حق غيره فالصواب أن يقال: إن الصديق لم يثبت عنه حالة كفر بالله فلعل حاله قبل البعث كحال زيد ابن عمرو بن نفيل وأقرانه فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة، انتهى كلام السبكي.

قلت: وكذلك نقول في حق أبوي النبي ﷺ أنهما لم يثبت عنهما حالة كفر بالله فلعل حالهما كحال زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي بكر الصديق، وأضربهما مع أن الصديق، وزيد ابن عمرو إنما حصل لهما التحنف في الجاهلية ببركة النبي ﷺ فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يوادانه كثيراً فأبواه أولى بعود بركته عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية.

فإن قلت: بقيت عقدة واحدة وهي ما رواه مسلم عن أنس «أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار». وحديث مسلم، وأبي داود عن أبي هريرة أنه ﷺ استأذن في الاستغفار لأمة فلم يؤذن له فاحلل هذه العقدة.

قلت: على الرأس والعين. الجواب: أن هذه اللفظة وهي قوله: إن أبي وأباك في النار لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس - وهي الطريق التي رواه مسلم منها - وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبي وأباك في النار ولكن قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار. وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر البتة وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرأ أثبت من حماد، فإن حماداً تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت قال الحاكم في المدخل: ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد خرج له في الشواهد عن طائفة، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فأخرج البزار، والطبراني، والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً قال

لرسول الله ﷺ: «أين أبي؟ قال: في النار قال: فأين أبوك؟ قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» وهذا إسناد على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديره على غيره - وقد زاد الطبراني، والبيهقي في آخره - قال فأسلم الأعرابي بعد فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار، وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان فأين هو؟ قال: في النار - قال: فكأنه وجد من ذلك - فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ قال رسول الله ﷺ: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار - قال: فأسلم الأعرابي بعد - قال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار».

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه ﷺ ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتنال فلم يسعه إلا امتثاله، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة، فعلم أن هذا اللفظ الأول من تصرف الرواي رواه بالمعنى على حسب فهمه، وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة، وقد أعله الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك وقال: إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فاختطأ، ونحن أجبن عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا [الإمام] الشافعي رضي الله عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة. ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضاً بما تقدم من الأدلة والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول، وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم، فلعله كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع من الاستغفار لها بسببها - والجواب الأول أقعد وهذا تأويل في الجملة - ثم رأيت طريقاً أخرى للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحاً وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه ﷺ فعدل عن ذلك تجملاً وتادباً. فأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر «أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق فقال: قدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً - فذكر الحديث إلى أن قال - فقلت يا رسول الله هل أحد ممن مضى منا في جاهلية من خير؟ فقال رجل من عرض قريش أن أباك المنتفق في النار فكأنه وقع حربين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس فهمت أن أقول وأبوك يا رسول الله ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت وأهلك يا رسول الله فقال: ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل أرسلني إليك محمد فأبشر بما يسوءك» هذه رواية لا إشكال فيها وهي أوضح الروايات وأبينها.

تقرير آخر: ما المانع أن يكون قول السائل فأين أبوك؟ وقوله ﷺ في حديث أنس أن أبي إن ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبد الله؟ [كما] قال بذلك الإمام فخر الدين في أبي إبراهيم أنه عمه وقد تقدم نقله عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جريج، والسدي - ويرشحه هنا أمران - الأول: أن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي ﷺ ولذا كانوا يقولون له قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا، وقال لهم أبو طالب مرة - لما قالوا له أعطنا ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه - أعطيكُم ابني تقتلونه وأخذ ابنكم أكفله لكم، ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي ﷺ نزل له بحيراً فقال له ما هذا منك؟ قال هو ابني فقال: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، فكانت تسمية أبي طالب أبا للنبي ﷺ شائعة عندهم لكونه عمه وكونه ربه وكفله من صغره، وكان يحوطه ويحفظه وينصره فكان مظنة السؤال عنه. والأمر الثاني: أنه وقع في حديث يشبه هذا ذكر أبي طالب في ذيل القصة - أخرج الطبراني عن أم سلمة «أن الحارث بن هشام أتى النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المسكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطم من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إلي فجعله في ضحضاح من النار».

تنبيه: قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها وأجابوا عن الأحاديث الواردة [فيهما] بأنها منسوخة كما أجابوا بذلك عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار وقالوا: الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزِدُ وَإِزَّةً وَزَدَ آخَرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ولأحاديث الأبوين قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَقَّ نِعْمَتِ رَسُولَا﴾ [الإسراء: ١٥] ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقترنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم، وهذا الجواب مختصر مفيد يغني عن كل جواب إلا أنه إنما يتأتى على المسلك الأول دون الثاني كما هو واضح فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني.

تنمة: قد ثبت في الحديث الصحيح أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه، وهذا مما يدل على أن أبوي النبي ﷺ ليسا في النار لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أقرب منه مكاناً وأبسط عذراً، فإنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه أهون أهل النار عذاباً فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

نصب ميدان جدلي: المجادلون في هذا الزمان كثير خصوصاً في هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع، غير أنني أنظر الذي يجادل وأكلمه بطريقة تقرب من ذهنه، فإنه أكثر ما عنده أن يقول الذي ثبت في صحيح مسلم يدل على

خلاف ما تقول، فإن كان الذي يجادل بذلك من أهل مذهبنا شافعي المذهب أقول له: قد ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ لم يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسملة، وثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد وإذا صلى جالساً فصلوا جالساً أجمعون». وأنت إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده تقول سمع الله لمن حمده مثله، وإذا صلى جالساً لعذر وأنت قادر تصلي خلفه قائماً لا جالساً، وثبت في الصحيحين في حديث التيمم: «إنما يكفيك أن تقول ببيديك هكذا ثم ضرب بيديه ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه» وأنت لا تكتفي في التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين فكيف خالفت الأحاديث التي ثبتت في الصحيحين أو أحدهما؟ فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها. فأقول له: وهذا مثله لا يحتاج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله، وإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» وأنت لا تثبت خيار المجلس، وثبت في صحيح مسلم - أنه ﷺ توضأ ولم يمسح كل رأسه - وأنت توجب في الوضوء مسح كل الرأس فكيف خالفت ما ثبت في الصحيح؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه. فأقول له: وهذا مثله، وإن كان المجادل حنفي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيح - «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً» وأنت لا تشترط في النجاسة الكلية سبعاً - وثبت في الصحيحين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وأنت تصح الصلاة بدونها - وثبت في الصحيحين: «ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً» وأنت تصح الصلاة بدون الطمأنينة في الاعتدال - وصح في الحديث: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً» وأنت لا تعتبر القلتين وصح في الصحيحين أنه ﷺ - باع المدبر - وأنت لا تقول ببيع المدبر خالفت هذه الأحاديث الصحيحة؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة لها تقدمت عليها. فأقول له: وهذا مثله، وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم» وثبت فيهما «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين» وأنت تقول بصيام يوم الشك فكيف خالفت ما ثبت في الصحيحين؟ فيقول قامت أدلة أخرى معارضة له تقدمت عليه فأقول له: وهذا مثله.

هذا أقرب ما يقرب به لأذهان الناس اليوم، وإن كان المجادل مما يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له: قد قالت الأقدمون المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح - والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار - يعرف ما تصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده، وإني بحمد الله قد اجتمع عندي الحديث، والفقه، والأصول، وسائر الآلات من العربية، والمعاني، والبيان، وغير ذلك، فأنا أعرف كيف أتكلم وكيف

أقول وكيف أستدل وكيف أرجح، وأما أنت يا أخي وفقني الله وإياك فلا يصلح لك ذلك لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول ولا شيئاً من الآلات والكلام في الحديث والاستدلال به ليس بالهين، ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن يجمع هذه العلوم فاقصر على ما آتاك الله وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول ورد أو لم يرد وصححه الحفاظ وحسنوه وضعفوه، ولا يحل لك في الإفتاء سوى هذا القدر وخل ما عدا ذلك لأهلك.

لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وتم أمر آخر أخطب به كل ذي مذهب من مقلدي المذاهب الأربعة وذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن ابن عباس أن الطلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وصدرًا من إمارة عمر. فأقول لكل طالب علم: هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث وأن من قال لزوجته أنت طالق ثلاثاً تطلق واحدة فقط؟ فإن قال نعم أعرضت عنه وإن قال لا أقول له: فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم؟ فإن قال لما عارضه أقول له: فاجعل هذا مثله والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له.

المسلك الثالث: أن الله أحيأ له أبويه حتى آمنا به. وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم. منهم ابن شاهين، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، والسهيلي، والقرطبي، والمحب الطبري، والعلامة ناصر الدين بن المنير، وغيرهم. واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ، والخطيب البغدادي في السابق واللاحق، والدارقطني، وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك بسند ضعيف عن عائشة قالت: - حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر بي على عقبة بالحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسّم فقلت له فقال ذهبت لقبر أُمّي فسألت الله أن يحييها فأحيأها فأمنت بي وردها الله - هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل إنه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه، وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً، وأورد السهيلي في الروض الأنف بسند قال: إن فيه مجهولين عن عائشة أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحيأهما له فأمنأ به ثم أماتهما، وقال السهيلي بعد إيراده: الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه ﷺ أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته، وقال القرطبي: لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار، فإن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة أن ذلك كان في حجة الوداع ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار، وقال العلامة ناصر الدين بن المنير المالكي في كتاب المقتفى في شرف المصطفى: قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم - إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحيأهما له فأمنأ به وصدقا وماتا مؤمنين، وقال القرطبي: فضائل النبي ﷺ لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون

هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحيائهما وإيمانهما به يمتنع عقلاً ولا شرعاً فقد ورد في القرآن إحياء قاتل بني إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام [يحيي الموتى وكذلك نبينا ﷺ] أحيا الله على يديه جماعة من الموتى قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة كرامة في فضيلته، وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في سيرته بعد ذكر قصة الإحياء: والأحاديث الواردة في التعذيب، وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي ﷺ لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض انتهى، وقد أشار إلى ذلك بعض العلماء فقال بعد إيراده خبر حليلة وما أسداه ﷺ إليها حين قدومها عليه:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه عن ذاك آمنة يد ونعيم
ويكون أحياءها الإله وآمنت بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضاً كما سعدت به بعد الشقاء حلیم
وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى مورد الصادي في مولد الهادي بعد إيراد الحديث المذكور منشداً لنفسه:

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أبوه لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذات قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

خاتمة: وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثي مسلم. ونحوهما على ظاهرهما من غير عدول عنها بدعوى نسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك، قال السهيلي في الروض الأنف بعد إيراده حديث مسلم: وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبيه ﷺ لقوله: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية، وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار - فأجاب بأن من قال ذلك - فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه في النار، ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس - وهو الوقف - قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه الفجر المنير: الله أعلم بحال أبيه، وقال الباجي في شرح الموطأ: قال بعض العلماء: إنه لا يجوز أن يؤذى النبي ﷺ بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس لنا المنع منه ولا يأتهم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره، قال: ولذلك قال النبي ﷺ: «إذا أراد علي بن أبي طالب أن

يتزوج ابنة أبي جهل إنما فاطمة بضعة مني وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبداً فجعل حكمهما في ذلك أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ الآيتين فشرط على المؤمنين أن يؤذوا بغير ما اكتسبوا وأطلق الأذى في خاصة النبي ﷺ من غير شرط انتهى.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية قال: حدثنا نوفل بن الفرات - وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز - قال: كان رجل من كتاب الشام مأموناً عندهم استعمل رجلاً على كورة الشام وكان أبوه يزن بالمنانية^(١) فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: ما حملك على أن تستعمل رجلاً على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية؟ قال: أصلح الله أمير المؤمنين وما عليّ كان أبو النبي ﷺ مشركاً فقال: عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه فقال: أأقطع لسانه؟ أأقطع يده ورجله؟ أأضرب عنقه؟ ثم قال: لا تلي لي شيئاً ما بقيت، وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتاً أختم بها هذا التأليف فقلت:

إن الذي بعث النبي محمداً
ولأمه وأبيه حكم شائع
فجماعة أجروهما مجرى الذي
والحكم فيمن لم تجئه دعوة
فبذاك قال الشافعية كلهم
وبسورة الإسراء فيه حجة
ولبعض أهل الفقه في تعليقه
ونحا الإمام الفخر رازي الوري
إذ هم على الفطرة التي ولدوا ولم
قال الأولى ولدوا النبي المصطفى
من آدم لأبيه عبد الله ما
فالمشركون كما بسورة توبة
وبسورة الشعراء فيه تغليب
هذا كلام الشيخ فخر الدين في
فجزاه رب العرش خير جزائه
فلقد تدين في زمان الجاهلية

أنجى به الثقلين مما يجحف
أبداه أهل العلم فيما صنّفوا
لم يأت به خبر الدعاة المسعف
أن لا عذاب عليه حكم يؤلف
والأشعرية ما بهم متوقف
وينحو ذا في الذكر أي تعرف
معنى أرق من النسيم والطف
منحى به للسامعين تشنف
يظهر عناد منهم وتخلف
كل على التوحيد إذ يتحنف
فيهم أخو شرك ولا مستنكف
نجس وكلهم بطهر يوصف
في الساجدين فكلهم متحنف
أسراره هطلت عليه الذرف
وحباه جنات النعيم تزخرف
فرقة دين الهدى وتحنفوا

(١) المنانية: المجوسية.

زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق
 قد فسر السبكي بذاك مقالة
 إذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق
 عادت عليه صحبة الهادي فما
 فلأمه وأبوه أخرى سيما
 وجماعة ذهبوا إلى إحيائه
 وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً
 هذي مسالك لو تفرد بعضها
 وبحسب من لا يرتضيها صمته
 صلى الإله على النبي محمد

ما شرك عليه يعكف
 للأشعري وما سواه مزيف
 وهو بطول عمر أحنف
 في الجاهلية بالضلالة يقرف
 ورأت من الآيات ما لا يوصف
 أبويه حتى آمننا لا خوفوا
 في ذاك لكن الحديث مضعف
 لكفى فكيف بها إذا تتألف
 أدباً ولكن أين من هو منصف
 ما جدد الدين الحنيف محنف

حديث متعلق بهما: قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو جعفر الرزاز ثنا يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا يس بن معاذ ثنا عبد الله بن قريد عن طلق بن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرأت فيها بفاتحة الكتاب تنادي يا محمد لأجبتها لبيك» قال البيهقي: - يس بن معاذ ضعيف.

فائدة: قال الأزرقي في تاريخ مكة: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت قريش إلى النبي ﷺ في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند ابنة عتبة لأبي سفيان بن حرب: لو بحثتم قبر أم محمد فإنه بالأبواء فإن أسر أحدكم افتديتم به كل إنسان بارب من آرابها فذكر ذلك أبو سفيان لقريش فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذا تبحث بنو بكر موتانا.

فائدة: من شعر عبد الله والد رسول الله ﷺ أورده الصلاح الصفدي في تذكرته:
 لقد حكم السارون في كل بلدة بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
 وإن أبي ذو المجد والسؤدد الذي يشار به ما بين نشز إلى خفض
 وجد وأباء له اثلوا العلا قديماً بطيب العرق والحسب المحض

فائدة: قال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع: ومن قذف أم النبي ﷺ قتل مسلماً كان أو كافراً.

الفتاوى المتعلقة بالتصوّف

مسألة: فيما نقله الحافظ أبو نعيم في الحلية عن أبي عبد الله محمد بن الوراق لما سئل عن أشياء فعد منها بأن قال: من اكتفى بالفقه دون الزهد يفسق فما معنى ذلك وما هو الزهد الذي يكتفي بالفقه دون؟ وهل الفقيه إذا اكتفى بالفقه وخرج من الخلاف هل يعد هذا من الزهد الذي عناه الشيخ هنا؟.

الجواب: هذا كلام رجل صوفي تكلم بحسب مقامة فإن الخواص يطلقون لفظ الكفر والفسق على ما لا يطلقه الفقهاء كما قال بعض السلف: حسنات الأبرار سيئات المقربين فأطلق على الحسنات سيئات بالنسبة إلى عليّ مقامهم، وكما قال ابن الفارض رضي الله عنه:

وإن خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردتي
ومعلوم أن هذا ليس بردة حقيقية، ومن هذا النمط قول الصوفية: إن الغيبة تفطر الصائم فكل هذا من طريقة الخواص يلزمون أنفسهم بما لا يلزم العامة.

مسألة: في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذاكراً واستمر على ذلك لوارد حصل له فهل له فعل ذلك سواء كان باختياره أم لا وهل لأحد منعه وزجره عن ذلك؟.

الجواب: لا إنكار عليه في ذلك. وقد سئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك وليس لمانع التعدي بمنعه ويلزم المتعدي بذلك التعزير. وسئل عنه العلامة برهان الدين الأبناسي فأجاب بمثل ذلك - وزاد أن صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب - إلى أن قال في آخر جوابه: وبالجملّة فالسلامة في تسليم حال القوم، وأجاب أيضاً بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية، والمالكية كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة.

أقول: وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم فذلك من لذات الشهود أو المواجيد، وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي ﷺ لما قال له: اشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد، وقد صح

القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام.

مسألة: في قول الشيخ أبي العباس المرسى في حزه: إلهي معصيتك نادتنني بالطاعة وطاعتك نادتنني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك؟ إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفاً، وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاءاً، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك؟ ق ج سران من شرك وكلاهما دالان على غيرك فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير.

الجواب: حسبما ظهر قوله إلهي معصيتك نادتنني بالطاعة يعني لما يتسبب عنها من الندم والخوف والانكسار والذل ورجاء التوبة والاعتراف بالتقصير ونزول المرتبة، وطاعتك نادتنني بالمعصية لما قد ينشأ عنها من أضداد ذلك ومن مخالطة العجب والرياء، وفي معنى ذلك ما أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب عن كليب الجهني عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل «لولا أن الذنب خير لعبدي المؤمن من العجب ما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنب»، وما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لولا أن المؤمن من يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهم به ولكن الذنب خير له من العجب»، وما أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث أنس، وأبي سعيد مرفوعاً: «لو لم تكونوا تذنون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب». وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس عن النبي ﷺ عن جبريل يقول الله: وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك - ذكره في أثناء حديث طويل، وأيضاً فالطاعة قد تكون مذمومة لتقصانها بتخلف أمور ينبغي أن لا يتخلف عنها كالذكر ينبغي أن يقارنه حضور القلب ولهذا قال بعض الأولياء: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن يقارنه الائتمار والانتهاز، ولهذا قال تعالى في معرض الإنكار والتوبيخ: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» [البقرة: ٤٤] في أحاديث كثيرة في ذم من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر ولم ينته عنه، وكالصلاة ينبغي أن تكون ناهية عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الله تعالى بذلك، وكالصوم ينبغي أن ينزه عن الغيبة ونحوها كما قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» إلى غير ذلك من أفراد الطاعات التي لا تحمد ما لم تبلغ رتبة الكمال وتخلص من شوائب النقصان، قوله: إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك أي ذكرتنني فضلك وسعة رحمتك ومغفرتك فلم تدع لي خوفاً وفتحت لي أبواب الرجاء، في الحديث: «لولا أنكم تذنون لجاء الله بقوم يذنون فيستغفرون فيغفر لهم» إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا المعنى. قوله: وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك أي ذكرتنني ما لي من الذنوب وما في طاعتي من التقصير الذي يكاد أن

يمنعها من الاعتداد بها فضلاً عن تكفير الخواتم. قوله: فلم تدع لي رجاء لاتساع الخوف حينئذ علي - في الحديث - أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هراً في مرضات الله لخفره يوم القيامة. قوله: فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك أي كيف أعده إحساناً يستوجب الجزاء مع أن اقداري عليه إحسان منك ونعمة تستوجب الشكر والمزيد في العمل، وكل ما وقع من شيء من ذلك فالأمر فيه كذلك وهلم جراً مع مزيد الإحسان وجزيل الإفضال الخارج عن ذلك وهذه الجملة تناسب جملة الخوف، قوله: أم كيف أجهل فضلك بالحلم والإمهال والإنعام مع عصياني لك؟ وهذه الجملة تناسب جملة الرجاء، قوله: ق ج سران من سر ك الظاهر والله أعلم أنه أخذ هذين الحرفين من وصفين من صفاته تعالى كما هو رواية عن ابن عباس في أوائل السور آلم. وطس. وق. ون. وص أنها حروف مقطعة من أسماء الله تعالى، وفي رواية أنها من الاسم الأعظم، وعن الشعبي أنها من أسرار الله تعالى، فالقاف مأخوذة من قدير أو مقتدر، والجيم من جواد وكلاهما مناسبان لما تقدم من الخوف والرجاء، فالخوف يناسب القدرة أو الاقتدار، والرجاء يناسبه الجود، قوله: وكلاهما دالان على غيرك يحتمل أمرين: أحدهما أن المراد أن لهما تعلقاً بالغير فإن القدرة تتعلق بمقدور والاقتدار عليه والجود بمفضل عليه.

الثاني: أن المراد أنه يجوز شرعاً أن يوصف بهما غيره تعالى وأن يطلق عليه ولذا قال عقبه: فبالسر الجامع الدال عليك أي بالاسم الخاص بك وهو الله فإنه لا تعلق له بالغير، ولا يجوز أن يسمى به غيره تعالى وهو الاسم الأعظم فيما روى عن غير واحد من السلف وهو الدال على الذات وهو الجامع لجميع الصفات بخلاف سائر الأسماء فإنها خاصة بالوصف بمدلولها، قوله: لا تدعني لغيرك بل اجعلني لك عبادتي ودعائي وخوفي ورجائي وتوجهي وحركاتي وسكناتي، هذا ما ظهر، ثم رأيت بعد ذلك كلاماً للشهاب أحمد بن عبد الواحد بن الميلى على هذا الفصل قال: قول الأستاذ يعني أبا العباس المرسى رضي الله عنه إلهي معصيتك نادتنني بالطاعة يحتمل والله أعلم أن يكون مشيراً إلى أنه سبق تعلق علمك بها وقدرتك بإيجادها وإرادتك بتخصيصها، فتعين وجودها على حسب تعلق العلم والقدرة والإدارة تعييناً لزومياً للعبد ضرورة بطلان تعلق العلم وتبدله جهلاً، وتعلق القدرة وتبدلها عجزاً، وتعلق الإرادة وتبدلها قسراً، فليس إلا وقوع هذا المقتضى على حسب سابق القضاء فأني يمكن العبد الحول عنها ووقوعها منه حتماً عدلاً من القهار لا ظملاً، فلهذا كانت منادية عليه بالطاعة أي بالدخول تحت مجاري القهر استسلاماً للقهار كما قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فهذه الطاعة المشار إليها في كلام الأستاذ والله أعلم، وسيأتي بيان أنها مجاز في تلو هذا الكلام. وقوله رضي الله عنه: وطاعتك نادتنني بالمعصية يحتمل والله أعلم أن يكون مشيراً إلى ما سبق تعلق العلم والقدرة والإرادة كما ذكرنا بدأ بالطاعة التي جرت على

يد العبد فكان الحق وقوعها والباطل امتناعها لما تقدم بيانه، هذا مع أن العبد يرى أنه قد أطاع وما خالف فيكون منادياً على نفسه بلسان حال رؤيته طاعته مولاه بدعوى القدرة على المخالفة في حال الإطاعة حقيقة فعدل عن المخالفة للطاعة فأطاع، وإذا كان بهذه الحالة في حال جريان الفضل المقدور المسمى بالطاعة فهو في عين المعصية، فتبين من هنا أن نسبة الطاعة له مجاز كنسبتها للسموات والأرض وقد فهم الغرض إن شاء الله، ومن هذا الموطن يفهم معنى قوله عز وجل لسيد خلقه عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وقوله تعالى أيضاً له ﷺ: ﴿وَالَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ثم قال: ففي أيهما [أخافك وفي أيهما] أرجوك إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفاً أو قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء يريد والله أعلم إن رأيت معصيتي لك مني حيث الأدب الشرعي قام الخوف بي منك فاطفأه وارد الفضل منك عليّ بإشهادي الحقيقة من لذلك ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] فينزهق الخوف هنا، وقوله رضي الله عنه: وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء يريد والله أعلم وإن رأيت طاعتي مني لك من حيث النسب الشرعي قام الرجاء بي فأفناه وارد العدل منك عليّ بإشهادي الحقيقة من لذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وإذا قد تقرر هذا فلتعلم أن للفضل تعلقات وللعدل تعلقات وكلاهما دالان على غناه عن كل شيء، فمن تعلقات فضله ما يعامل به من عصاه من ستر وبر وعطف ولطف وحنان وإحسان وجود وبسط يد الرحمة للعاصي من غير حدود، ومن متعلقات عدله ما يعامل به من أطاعه من قبض في الرزق ودحوض بين الخلق وضعف في الجسد وقلة حظ في الأهل والمال والبلد والإخوان والأخذان والولد.

وإذا قد تبين هذا فاعلم أن مقابلة العاصي بأثر من آثار الفضل في حال عصيانه ربما يزيل عنه الخوف، ومقابلة الطائع بأثر من آثار العدل في حال طاعته ربما يزيل عنه الرجاء وذلك لأنه لا بد له من ورود أثر الفضل على سلامة العاقبة، ولا بد له من ورود أثر العدل على عطب العاقبة، وإذا كان الأمر كذلك وقع الإيهام على الخلق فجاء المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وهو رؤية الأشياء منه حقيقة مع التبري من الحول والقوة منها حقيقة ورد الأشياء الثلاثة بالنسب للعباد كسباً شريعة مع الانسلاخ عن لحوظ الحظوظ توكلأ عليه واستسلاماً إليه وفناء له بين يديه، وهذا مقتضى العبودية والعبادة في ضمن ما أشار الأستاذ إليه حسب فهمي عنه في هذا القول، والله أسأل المغفرة وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثم بعد مدة رأيت فائدة:

لقد رمز الأشياء سراً مكتماً عن القاف لم يبدوا لها أبداً حلاً
يقولون عند القاف قف لترى الذي أردناه لا تبغي به بدلاً أصلاً

وسئل عن ذلك الشيخ عبد السلام البغدادي فأجاب:

يريدون قاف الرق يا ذا النهى فكن
ففي الخبر المشهور هم يزعمون من
دراها برق وانكسار وذلة
وقد جاء في نص القرآن دليلهم
بآخر آي الذاريات تراههم
ثلاثمائة علم لمن شاء فهمها
منازل سير السالكين تعدها
فأولها باب الإجابة يا فتى
ثلاث علوم من طباق أتى بها
عوام خواص ثم خاص خواصها
فهذا جواب من فقير محصل
ومولده دار السلام واسمه
إلى العالم النحرير نعمان ينتمي
وأجاب سيدي محمد بن سلطان العزي رحمه الله تعالى ونفعنا الله ببركاته:

أيا سائلاً عن سر رمز مكنم
يشير بمحمول لعين وحاؤه
وكبراه قد أبدى نتيجة داله
هيولاؤه وافى بشكل مثنى
وأخره جيم فراء بأوجها
فهذا جواب من فقير جويهل
دعى بابن سلطان محمد في الورى
توقف فذا قاف غدا فاؤه أصلا
بموضع مبسوط له مورداً أصلا
وصغراه محذور لقد حقق الوصلا
وتسديس ذاك الشكل جهراً لقد أملى
حضيض لصاد سينه حرر النقلا
مسيء جريء أكثر النوم والأكلا
وخادم فتى كيلان ذي النسب الأعلى

٦٩ - القول الأشبه

في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذي اشتهر على الألسنة من عرف نفسه فقد عرف ربه وربما فهم منه معنى لا صحة له

وربما نسب إلى قوم أكابر فرقمت في هذه الكراسة ما يبين الحال ويزيل الإشكال وفيه مقالات: **المقال الأول:** إن هذا الحديث ليس بصحيح وقد سئل عنه النووي في فتاويه فقال إنه ليس بثابت، وقال ابن تيمية موضوع^(١)، وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة: ذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي.

المقال الثاني: في معناه قال النووي في فتاويه: معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى، وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول: في هذا الحديث تأويلان: أحدهما: أي من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس أولاً ثم معرفة الله من بعد. والثاني: أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل، فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين. وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب: معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق وأنت تكره الاعتراض عليك في أفعالك وأن يعاب عليك ما تصنعه عرفت منها صفات خالقك وأنه يكره ذلك فأرض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به. وقال الشيخ عز الدين: قد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه وهو أن الله سبحانه وتعالى وضع هذه الروح الروحانية في هذه الجثة الجثمانية لطيفة لاهوتية موضوعة في كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته وربانيته.

ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه: **الأول:** أن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقراً إلى مدبر ومحرك وهذه الروح مدبرة ومحركة علمنا أن هذا العالم لا بد له من مدبر ومحرك.

الوجه الثاني: لما كان مدبر الهيكل واحداً وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحداً لا شريك له في تدبيره ولا جائر أن يكون له شريك في ملكه قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أَتَيْنَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [٤٢] ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَٰهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الوجه الثالث: لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلا بإرادة الروح وتحريكها له علمنا أنه يريد لما هو كائن في كونه لا يتحرك متحرك بخير أو شر إلا بتقديره وإرادته وقضائه.

الوجه الرابع: لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعورها به لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

(١) في بعض الأصول بياض مكان لفظ (موضوع).

الوجه الخامس: لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد علمنا أنه أقرب إلى كل شيء ليس شيء أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد إليه من شيء ولا بمعنى قرب المسافة لأنه منزّه عن ذلك.

الوجه السادس: لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد ويكون موجوداً بعد عدم الجسد علمنا أنه سبحانه وتعالى موجوداً قبل كون خلقه، ويكون موجوداً بعد فقد خلقه ما زال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

الوجه السابع: لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية.

الوجه الثامن: لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أيّنية علمنا أنه منزّه عن الكيفية والأينية فلا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجودة في كل الجسد ما خلا منها شيء من الجسد، وكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان.

الوجه التاسع: لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا أنه لا تدركه الأبصار ولا يمثل بالصور والآثار ولا يشبه بالشموس والأقمار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الوجه العاشر: لما كان الروح لا يحس ولا يمس علمنا أنه منزّه عن الحس والجسم واللمس واللمس، فهذا معنى قوله من عرف نفسه عرف ربه فطوبى لمن عرف وبذنبه اعترف.

وفي هذا الحديث تفسير آخر وهو أنك تعرف أن صفات نفسك على الضد من صفات ربك، فمن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالجفاء والخطأ عرف ربه بالوفاء والعطاء، ومن عرف نفسه كما هي عرف ربه كما هو، واعلم أنه لا سبيل لك إلى معرفة إياك كما إياك، فكيف لك سبيل إلى معرفة إياه كما إياه؟ فكأنه في قوله من عرف نفسه عرف ربه علق المستحيل على مستحيل لأنه مستحيل أن تعرف نفسك وكيفيةها وكميتها، فإنك إذا كنت لا تطيق بأن تصف نفسك التي هي بين جنبيك بكيفية وأينية ولا بسجية ولا هيكلية ولا هي بمرئية، فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بكيف وأين وهو مقدس عن الكيف والأين؟ في ذلك أقول:

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه	ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا	تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدر صفات ركبت	فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها	هل تراها فتري كيف تجول
هذه الأنفاس هل تحصرها	لا ولا تدري متى منك تزول

أين منك العقل والفهم إذا غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه كيف يجري منك أم كيف تبول
فإذا كانت طويالك التي بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدري من على العرش استوى لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تجلى الله أم كيف يرى فلعمري ليس ذا إلا فضول
هو لا كيف ولا أين له وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتاً وصفات وسما وتعالى قدره عما أقول

وقال القونوي في شرح التعرف: ذكر بعضهم في هذا الحديث أنه من باب التعليق بما لا يكون وذلك أن معرفة النفس قد سد الشارع بابها لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] فنبه بذلك على أن الإنسان إذا عجز عن إدراك نفسه التي هي من جملة المخلوقات وهي أقرب الأشياء إليه فهو عن معرفة خالقه أعجز، بل هو عاجز عن إدراك حقيقة قوله وحواسه كسمعه وبصره وشمه وكلامه وغير ذلك، فإن للناس في كل منها اختلافات ومذاهب لا يحصل الناظر منها على طائل كاختلافهم في أن الأبصار بالانطباع أو بخروج الشعاع، وأن الشم بتكيف الهواء وبانبثاث الأجزاء من ذي الرائحة، إلى غير ذلك من الاختلافات المشهورة، فإذا كان الحال في هذه الأشياء الظاهرة التي يلبسها الإنسان على هذا المنوال فكيف يكون الحال في معرفة الكبير المتعال وقد تحصل مما سقناه في معنى هذا الأثر أقوال والله أعلم.

٧٠ - الخبر الدال

على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في المراتب، وجعل في كل قرن سابقين بهم يحيي ويميت وينزل الغمام الساكب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البدر المنير وعلى آله وأصحابه الهداة الكواكب.

وبعد: فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ولا يعول على إنكار أهل العناد وسميته - الخبر الدال على

وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال - والله الموفق .

فأقول: ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعوف بن مالك، ومعاذ بن جبل، ووائل بن الأسقع، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم - ومن مرسل الحسن، وعطاء، وبكر بن خنيس - ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم ما لا يحصى .

حديث عمر: قال أبو طاهر المخلص: أنا أحمد بن عبد الله بن سعيد ثنا السري بن يحيى ثنا شعيب بن إبراهيم حدثنا سيف بن عمر عن أبي عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان الشام قد أسكن فإذا أقبل جند من اليمن وممن بين المدينة واليمن فاختار أحد منهم الشام قال عمر رضي الله تعالى عنه: يا ليت شعري عن الأبدال هل مرت بهم الركاب؟ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وأخرج أيضاً من طريق سيف بن عمر عن محمد، وطلحة، وسهل قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة إذا أنت فرغت من دمشق إن شاء الله فاصرف أهل العراق إلى العراق فإنه قد ألقى في روعي أنكم ستفتحنها ثم تدركون إخوانكم فتنصرونهم على عدوهم، وأقام عمر بالمدينة لمرور الناس به وذلك أنهم ضربوا إليه من بلدانهم فجعل إذا سرح قوماً إلى الشام قال: ليت شعري عن الأبدال فهل مرت بهم الركاب أم لا؟ وإذا سرح قوماً إلى العراق قال: ليت شعري كم في هذا الحي من الأبدال؟

حديث علي: قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب - وهو بالعراق - فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث ويتنصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» - رجاله رجال الصحيح - غير شريح بن عبيد وهو ثقة .

طريق ثانية: قال ابن عساكر في تاريخه: أنا أبو القاسم الحسيني ثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا الحسن بن حبيب ثنا زكريا بن يحيى ثنا الحسن بن عرفة ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو السكسكي عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب فقالوا: يا أمير المؤمنين العنهم؟ فقال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلاً بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق» قال ابن عساكر: - هذا منقطع - بين شريح وعلي فإنه لم يلقه . طريق أخرى عنه: قال ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء: حدثني أبو الحسن خلف بن محمد الواسطي ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا مجاشع بن عمرو عن ابن لهيعة عن إبراهيم عن عبد الله بن زريق عن علي سألت رسول الله ﷺ عن الأبدال؟ قال: «هم ستون رجلاً فقلت يا رسول الله

حلهم لي قال ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأنهم» أخرجه الخلال في كرامات الأولياء - وفيه بدل - ولا بالمتعمقين ولا بالمعجبين وزاد في أخرى «أنهم يا علي في أمتي أقل من الكبريت الأحمر».

طريق أخرى عنه: قال الطبراني: ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا علي بن الحسين الخواص الموصلي ثنا زيد بن أبي الزرقاء ثنا ابن لهيعة ثنا عياش بن عباس القتباني عن عبد الله بن زهير الغافقي عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال» قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث إلا زيد بن أبي الزرقاء، قال ابن عساكر: هذا وهم من الطبراني بل رواه الوليد بن مسلم أيضاً عن ابن لهيعة ثم قال: أنا أبو طاهر محمد بن الحسين أنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن سعدان أنا محمد بن سليمان الربيعي ثنا علي بن الحسين بن ثابت ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن لهيعة به، قال: ورواه الحارث بن يزيد المصري عن ابن زهير فوقفه على علي - ولم يرفعه - أخبرناه أبو بكر محمد بن محمد أنا أبو بكر محمد بن علي المقرئ أنا أحمد بن عبد الله بن الخضر ثنا أحمد بن علي بن محمد أنا أبي أنا أبو عمرو محمد بن مروان بن عمرو السعدي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو شريح أنه سمع الحارث بن يزيد يقول: حدثني عبد الله بن زهير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يقول: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال وسبوا ظلمتهم - أخرجه الحاكم في المستدرک من طريق أحمد بن الحارث بن يزيد به وقال: صحيح وأقره الذهبي في مختصره.

طريق أخرى عنه موقوفة: وبه إلى أبي عمرو السعدي ثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ثنا أبو داود الطيالسي عن الفرّج بن فضالة ثنا عروة بن رويم اللخمي عن رجاء بن حيوة عن الحارث بن حومل عن علي بن أبي طالب قال: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وقال الحارث: يا رجاء اذكر لي رجلين صالحين من أهل بيسان فإنه بلغني أن الله تعالى اختص أهل بيسان برجلين صالحين من الأبدال لا يموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً ولا تذكر لي منهما متماوتاً ولا طعاناً على الأئمة فإنه لا يكون منهما الأبدال - له طرق عن الفرّج بن فضالة - .

طريق أخرى عن علي موقوفة: قال ابن أبي الدنيا: ثنا الحسن بن أبي الربيع أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام فقال علي: لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال - أخرجه البيهقي، والخلال، وابن عساكر - وله طرق عن الزهري، وفي بعضها عن صفوان بن عبد الله بدل عبد الله بن صفوان، وفي بعضها عن الزهري عن أبي عثمان بن سنة عن علي، وفي بعضها عن الزهري عن علي.

طريق أخرى عنه: قال يعقوب بن سفيان: ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن أبي صادق قال: سمع علي رجلاً وهو يلعن أهل الشام فقال علي: لا تعمم فإن فيهم الأبدال.

طريق أخرى عنه: قال ابن عساكر: أنبأنا أبو البركات الأنماطي أنا المبارك بن عبد الجبار أنا أبو بكر عبد الباقي بن عبد الكريم بن عمر الشيرازي أن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن حمزة أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه ثنا جدي ثنا عثمان ابن محمد ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال: خطبنا علي فذكر الخوارج فقام رجل فلعن أهل الشام فقال له: ويحك لا تعمم فإن منهم الأبدال ومنكم العصب، وبالسند السابق إلى أبي عمرو السعيد بن الحسن بن عبد الرحمن أنا وكيع عن قطر عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال: الأبدال بالشام والنجباء بالكوفة، وقال ابن عساكر: أنبأنا أبو الغنائم عن محمد بن علي بن الحسن الحسني ثنا محمد بن عبد الله الجعفي ثنا محمد بن عمار العطار ثنا علي بن محمد بن خيبة ثنا عمرو بن حماد بن طلحة ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن قطر عن أبي الطفيل عن علي قال: إذا قال قائم آل محمد جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزح الخريف فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الأبدال فمن أهل الشام.

طريق أخرى عنه: وبه إلى محمد بن عمار ثنا جعفر بن علي بن نجيع ثنا حسن بن حسين عن علي بن القاسم عن صباح بن يحيى المزني عن سعيد بن الوليد الهجري عن أبيه قال: قال علي: ألا إن الأوتاد من أبناء الكوفة ومن أهل الشام أبدال.

طريق أخرى: قال الخلال: ثنا علي بن عمرو بن سهل الحريري ثنا علي بن محمد بن كاس ثنا الحسن بن علي بن عفان زيد بن الحباب حدثني ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قبة الإسلام بالكوفة والهجرة بالمدينة والنجباء بمصر والأبدال بالشام وهم قليل - أخرجه ابن عساكر من طريق أبي سعيد بن الأعرابي عن الحسن بن علي بن عفان به.

طريق أخرى عنه: قال ابن عساكر: أنا نصر بن أحمد بن مقاتل عن أبي الفرج سهل بن بشر الاسفراييني أنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال أنا الحسن بن رشيق ثنا أبو علي الحسين بن حميد العك ثنا زهير بن عباد ثنا الوليد بن مسلم عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني أن علي بن أبي طالب قال: الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر والأخيار من أهل العراق.

طريق أخرى عنه: قال الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء: ثنا عبد الله بن عثمان الصفار أنا محمد بن مخلد الصفار ثنا أحمد بن منصور زاج ثنا حسين ابن علي عن زائدة عن عمار الذهبي عن حبيب بن أبي ثابت عن رجل عن علي قال: إن الله تعالى ليدفع عن القرية بسبعة مؤمنين يكونون فيها - حديث أنس قال الحكيم الترمذي - في

نوادر الأصول: ثنا عمر بن يحيى بن نافع الأيلي (ح) وقال ابن عدي، وابن شاهين، والحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء معاً ثنا محمد بن زهير بن الفضل الأيلي ثنا عمر بن يحيى بن نافع ثنا العلاء بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «البدلاء أربعون رجلاً اثنتان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة».

طريق ثان عنه: قال الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء: أنا أبو بكر بن شاذان ثنا عمر بن محمد الصابوني ثنا إبراهيم بن الوليد الجشاش ثنا أبو عمر الغداني ثنا أبو سلمة الخراساني عن عطاء عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أخرى عن إبراهيم بن الوليد.

طريق ثالث عنه: قال ابن لال في مكارم الأخلاق: ثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق ثنا محمد بن عبد العزيز الدينوري ثنا عثمان بن الهيثم ثنا عوف عن الحسن عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة أنفسهم» أخرجه ابن عدي، والخلال - وزاد في آخره - والنصح للمسلمين.

طريق رابع عنه: قال ابن عساكر: قرأت بخط تمام بن محمد أنا أبو علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا المنذر بن العباس بن نجيع القرشي حدثني أبي عن الوليد بن مسلم عن الأزاعي عن حسان بن عطية عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن دعامة أمتي عصب اليمن وأبدال الشام وهم أربعون رجلاً كلما هلك رجل أبدل الله مكانه آخر ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهاكين ولا المتناوشين لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين».

وقال ابن عساكر أيضاً: أنبأنا أبو الفضل محمد بن ناصر أنا أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي أنا أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري بمكة ثنا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن ثنا بكر بن محمد بن سعيد ثنا نصر بن علي ثنا نوح بن قيس عن عبد الملك بن معقل عن يزيد الرقاشي عن أنس به.

طريق أخرى عنه: قال الطبراني في الأوسط: ثنا عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فيهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» قال قتادة: لسنا نشك أن الحسن منهم، قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن.

حديث حذيفة بن اليمان: قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ثنا أبي ثنا سليمان ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن محمود بن لبيد عن حذيفة بن اليمان قال: الأبدال

بالشام وهم ثلاثون رجلاً على منهاج إبراهيم كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر عشرون منهم على منهاج عيسى ابن مريم وعشرون منهم قد أوتوا من مزامير آل داود.

حديث عبادة بن الصامت: قال الإمام أحمد في مسنده: ثنا عبد الوهاب بن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً» أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والخلال في كرامات الأولياء - ورجاله رجال الصحيح - غير عبد الواحد وقد وثقه العجلي، وأبو زرعة.

طريق ثان عنه: قال الطبراني في الكبير: ثنا عبد الله بن [الإمام] أحمد بن حنبل حدثني محمد بن الفرج ثنا زيد بن الحباب أخبرني عمر البزار عن عبيسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون» قال قتادة: إني أرجو أن يكون الحسن منهم.

حديث ابن عباس: قال الإمام أحمد في الزهد: ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض - أخرجه الخلال.

حديث ابن عمر: قال الطبراني: ثنا محمد بن الخزر الطبراني ثنا سعيد بن أبي زيدون ثنا عبد الله بن هاورن الصوري ثنا الأوزاعي عن الزهري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانه قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله» أخرجه أبو نعيم، وتمام، وابن عساكر من هذا الطريق، وأخرجه ابن عساكر أيضاً من طريق آخر عن محمد بن الخزر - ولفظه كلما مات بديل - وأخرجه من طريق آخر عن سعيد بن عبدوس عن عبد الله بن هارون - بلفظ كلما مات أحد بدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الخمسمائة مكانه.

طريق ثان: قال الخلال في كتاب كرامات الأولياء: ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا عبد الصمد بن علي بن مكرم ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا يحيى بن بسطام ثنا محمد بن الحارث ثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر وهم في الأرض كلها». وأخرج أبو نعيم في الحلية ثنا عبد الله بن جعفر ثنا إسماعيل بن عبد الله ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن عياض بن عبد الله عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لكل قرن من أمتي سابقون» وقال الحكيم الترمذي: حدثنا أبي محمد بن الحسن ثنا عبد الله بن المبارك ثنا ليث بن سعد عن

محمد بن عجلان قال: قال رسول الله ﷺ: «في كل قرن من أمتي سابقون».

حديث ابن مسعود: قال أبو نعيم: ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا محمد بن السري القنطري ثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري ثنا عبد الرحيم بن يحيى الأرمني ثنا عثمان بن عمارة ثنا المعافى بن عمران عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام. والله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، والله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، فهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء». قيل لعبد الله بن مسعود: وكيف بهم يحيى ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء، أخرجه ابن عساكر.

طريق آخر: قال الطبراني في الكبير: أنا أحمد بن داود، المكي ثنا ثابت بن عياش الأحذب ثنا أبو رجاء الكلبي ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود: قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال إنهم لن يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين».

حديث عوف بن مالك: قال الطبراني: ثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا محمد بن المبارك الصوري ثنا عمرو بن واقد عن يزيد بن أبي مالك عن شهر بن حوشب قال: لما فتحت مصر سبوا أهل الشام فأخرج عوف بن مالك رأسه من برنسه ثم قال: يا أهل مصر أنا عوف بن مالك لا تسبوا أهل الشام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فيهم الأبدال بهم تنصرون وبهم ترزقون» أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق، ومن طريق هشام بن عمار عن عمرو بن واقد - ورجال الإسناد - ثقات غيره فإن الجمهور ضعفوه، ووثقه محمد بن مبارك الصوري - وشهر مختلف - فيه.

حديث معاذ بن جبل: قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب سنن الصوفية: ثنا أحمد بن علي بن الحسن ثنا جعفر بن عبد الوهاب السرخسي ثنا عبيد بن آدم عن أبيه عن أبي حمزة عن ميسرة بن عبيد ربه عن المغيرة بن قيس عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو

من الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس .

حديث وثالثة : قال ابن عساكر : قرىء على أبي محمد بن الأكفاني وأنا أسمع عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب بن جعفر الميداني أنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمارة بن أبي الخطاب الليثي الدمشقي ثنا أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا هشام بن خالد الأزرق ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جابر عن عبد الله بن عامر عن وثالة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : «ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر المدن أهلاً وأكثره أبدالاً مساجد وأكثره زهاداً وأكثره مالاً ورجالاً وأقله كفاراً وهي معقل لأهلها» .

حديث أبي سعيد الخدري : قال البيهقي في شعب الإيمان : أنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد ثنا ابن أبي شيبه ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى أنا سلمة بن رجاء - كوفي - عن صالح المري عن الحسن بن أبي سعيد الخدري - أو غيره - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال [ولكن] إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور ورحمة لجميع المسلمين» قال البيهقي : رواه عثمان الدارمي عن محمد بن عمران فقال : عن أبي سعيد لم يقل - وقيل عن صالح المري عن ثابت عن أنس .

حديث أبي هريرة : قال ابن حبان في التاريخ : ثنا محمد بن المسيب ثنا عبد الرحمن بن مرزوق ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون» .

طريق ثان عنه : قال الخلال : كتب إلي أحمد بن هشام بالكوفة يذكر أن عبد الله بن زيدان حدثهم ثنا أحمد بن حازم ثنا الحكم بن سليمان الحبلي ثنا سيف بن عمر عن موسى بن أبي عقيل البصري عن ثابت البناني عن أبي هريرة قال : «دخلت على النبي ﷺ فقال لي : يا أبا هريرة يدخل علي من هذا الباب الساعة رجل من أحد السبعة الذين يدفع الله عن أهل الأرض بهم فإذا حبشي قد طلع من ذلك الباب أقرع أجذع على رأسه جرة من ماء فقال رسول الله ﷺ : «أبا هريرة - هو هذا - وقال رسول الله ﷺ : ثلاث مرات مرحباً بيسار وكان يرش المسجد ويكنسه وكان غلاماً للمغيرة بن شعبة» .

حديث أبي الدرداء : قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : ثنا عبد الرحيم بن حبيب ثنا داود بن مجبر عن ميسرة عن أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله .

حديث أم سلمة: قال أبو داود في سننه: ثنا محمد بن المثنى ثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه» الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي شبة في المصنف، وأبو يعلى، والحاكم، والبيهقي وله طرق سمي في بعضها المبهم مجاهدأ، وفي بعضها عبد الله بن الحارث. مرسل الحسن: قال ابن أبي الدنيا في كتاب السخاء: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ثنا صالح المري عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة أنفسهم». وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبد الله الحافظ عن أبي حامد أحمد بن محمد بن الحسين عن داود بن الحسين عن يحيى بن يحيى عن صالح المري به، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ثنا أبي ثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري ثنا صالح المري عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين». مرسل عطاء: قال أبو داود: ثنا محمد بن عيسى بن الطباع ثنا ابن فضيل عن أبيه عن الرجال بن سالم عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: «الأبدال من الموالي» أخرجه الحاكم في الكنى.

مرسل بكر بن خنيس: قال ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء: حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن بكر بن خنيس يرفعه: «علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً».

الأثار - أثر عن الحسن: أخرج ابن عساكر عن الحسن البصري قال: لن تخلو الأرض من سبعين صديقاً وهم الأبدال لا يهلك منهم رجل إلا أخلف الله مكانه مثله أربعون بالشام وثلاثون من سائر الأرضين.

أثر عن قتادة: أخرج ابن عساكر عن قتادة قال: لن تخلو الأرض من أربعين بهم يغاث الناس وبهم ينصرون وبهم يرزقون كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه رجلاً قال قتادة: والله إني لأرجو أن يكون الحسن منهم.

أثر عن خالد بن معدان: أخرج الخلال، وابن عساكر عن خالد بن معدان قال: قالت الأرض: رب كيف تدعني وليس عليّ نبي؟ قال: سوف أدع عليك أربعين صديقاً بالشام.

أثر عن شهر: أخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لن تبقى الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

أثر عن أبي الزاهرية ومن بعده: أخرج ابن عساكر عن أبي الزاهرية قال: الأبدال ثلاثون رجلاً بالشام بهم يجارون وبهم يرزقون إذا مات منهم رجل أبدل الله مكانه. وأخرج عن الفضل بن فضالة قال: الأبدال بالشام في حمص خمسة وعشرون رجلاً وفي دمشق ثلاثة عشر وببيسان اثنان. وأخرج عن الحسن بن يحيى الخشني قال: بدمشق من الأبدال سبعة عشر نفساً وببيسان أربعة، وأخرج ابن أبي خيثمة. وابن عساكر عن ابن شاذب قال: الأبدال سبعون فستون بالشام وعشرون بسائر الأرضين وأخرجنا من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه قال: الأبدال أربعون إنساناً قلت له أربعون رجلاً؟ قال: لا تقل أربعون رجلاً ولكن قال أربعون إنساناً لعل فيهم نساء، وأخرج ابن عساكر من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصب باليمن والأخيار بالعراق، وأخرج هو، والخطيب من طريق عبيد الله بن محمد العبسي قال: سمعت الكناني يقول: النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبداء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيئوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته.

وأخرج ابن أبي الدنيا ثنا محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي ثنا عثمان بن مطيع ثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو الزناد: لما ذهب النبوة - وكانوا أوتاد الأرض - أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصير حلیم ولب رحيم وتواضع في غير مذلة، لا يلعنون أحداً ولا يؤذون أحداً ولا يتطاولون على أحد تحتهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون أحداً فوقهم، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين، لا يحبون لدنيا ولا يحبون الدنيا، ليسوا اليوم في وحشة ولا غداً في غفلة، وأخرج الخلال عن إبراهيم النخعي قال: ما من قرية ولا بلدة إلا يكون فيها من يدفع الله به عنهم، وأخرج عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع بهم عن أهل الأرض.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن كعب قال: لم يزل من بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب، وأخرج أبو الحسين بن المنادي في جزء جمعه في أخبار الخضر قال: ثنا أحمد بن ملاعب ثنا يحيى بن سعيد السعدي أخبرني أبو جعفر الكوفي عن أبي عمر النصيبي قال: خرجت أطلب مسألة من مصقلة بالشام وكان يقال إنه من الأبدال فلقية بوادي الأردن فقال لي: ألا أخبرك بشيء رأيته اليوم في هذا الوادي؟ فقلت: بلى قال:

دخلت فإذا أنا بشيخ يصلي إلى شجرة فألقى في روعي أنه إلياس فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي فقلت من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا إلياس النبي فقلت: يا نبي الله هل في الأرض اليوم من الأبدال أحد؟ قال: نعم هم ستون رجلاً - منهم خمسون بالشام فيما بين العريش إلى الفرات. ومنهم ثلاثة بالمصيصة. وواحد بأنطاكية. وسائر العشرة في سائر أمصار العرب - وأخرج إسحاق بن إبراهيم الخنلي في كتاب الديباج له بسنده عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي عن رجل كان مرابطاً بعسقلان قال: بينا أنا أسير بالأردن إذ أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي فوق في قلبي أنه إلياس فذكر نحو ما قبله - ولفظه - قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً - خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ الفرات. ورجلان بالمصيصة. ورجل بأنطاكية. وسبعة في سائر الأمصار - بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على العدو وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعاً.

وفي كفاية المعتقد لليافعي - نفعنا الله تعالى ببركته - قال بعض العارفين: الصالحون كثير مخالطون للعوام لصلاح الناس في دينهم ودنياهم، والنجباء في العدد أقل منهم، والنجباء في العدد أقل منهم نازلون في الأمصار العظام لا يكون في المصر منهم إلا الواحد بعد الواحد. فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم، والأوتاد واحد باليمن وواحد بالشام وواحد في المشرق وواحد في المغرب، والله سبحانه يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال القطب - وهو الغوث - عن العامة والخاصة غيره من الحق عليه غير أنه يرى عالماً كجاهل أبله كفطن تاركاً آخذاً قريباً بعيداً سهلاً عسراً آمناً حذراً وكشف أحوال الأوتاد للخاصة وكشف أحوال البدلاء للخاصة والعارفين، وستر أحوال النجباء عن العامة خاصة، وكشف بعضهم لبعض، وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وعدة النجباء ثلاثمائة، والنقباء أربعون، والبدلاء قيل ثلاثون، وقيل أربعة عشر، وقيل سبعة - وهو الصحيح - والأوتاد أربعة فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة، وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة، وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين، وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين، وبهم يدفع الله عن عباده البلاء وينزل قطر السماء انتهى. ثم قال: وقال بعض العارفين: والقطب هو الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرافيل ومكانه من الأولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم قال: وقال بعضهم: لم يذكر رسول الله ﷺ أن أحداً على قلبه إذ لم يخلق الله في عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه ﷺ فقلوب الأنبياء، والملائكة، والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس انتهى.

وأخرج القشيري في الرسالة بسنده عن بلال الخواص قال: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فعجبت فألهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر قلت: أريد أن أسألك قال: سل قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد قلت: وما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: رجل صديق قلت: ما تقول في بشر الحافي؟ قال: لم يخلق بعده مثله قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: بركة أمك.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر، عن جليس وهب بن منه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله: أين بدلاء أمتك؟ فأوماً بيده نحو الشام قلت: يا رسول الله أما بالعراق منهم أحد؟ قال: بلى محمد بن واسع وحسان بن أبي سنان ومالك بن دينار الذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه.

وأخرج أبو نعيم عن داود بن يحيى بن يمان قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله: من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم وأن وكيع بن الجراح منهم.

وأخرج ابن عساكر عن أبي مطيع معاوية بن يحيى أن شيخاً من أهل حمص خرج يريد المسجد وهو يرى أنه قد أصبح فإذا عليه ليل فلما صار تحت القبة سمع صوت جرس الخيل على البلاط فإذا فوارس قد لقي بعضهم بعضاً قال بعضهم لبعض: من أين قدمتم؟ قالوا: أو لم تكونوا معنا؟ قالوا: لا. قالوا: قدمنا من جنازة البديل خالد بن معدان قالوا: وقد مات ما علمنا بموته فمن استخلفتم بعده؟ قالوا: أرطاة بن المنذر فلما أصبح الشيخ حدث أصحابه فقالوا: ما علمنا بموت خالد بن معدان فلما كان نصف النهار قدم البريد بخبر موته.

وفي كفاية المعتقد للباغي عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني قال: خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة فناولته إبريقاً فلم يأخذه وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب فخرج وخرجت خلفه ثم عاد الباب مغلقاً ومشى إلى قرب من باب بغداد فانفتح له فخرج وشبهها بالرباط وإذا فيه ستة نفر فبادروا إلى السلام عليه والتجأت إلى سارية هناك وسمعت من جانب ذلك المكان أنيناً فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكن الأنين ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت فيها الأنين ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين وقص شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقية وسماه محمداً وقال لأولئك نفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت، قالوا: سمعاً وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجت خلفه ومشينا غير بعيد وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأول مرة ثم أتى المدرسة فانفتح له بابها ودخل داره فلما كان الغد أقسمت عليه أن يبين لي ما رأيت قال: أما البلد فنهاوند، وأما الستة فهم الأبدال وصاحب الأنين سابعهم كان مريضاً فلما حضرت وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فأبو العباس الخضر عليه السلام ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه

الشهادتين فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانياً وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى فأتى فأسلم على يدي وهو الآن منهم.

فائدة: أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي يزيد البسطامي أنه قيل له: إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض؟ فقال: أنا كل السبعة.

فائدة: أخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة على تارك المحجة بسنده عن أحمد بن حنبل قيل له: هل لله في الأرض أبدال؟ قال: نعم قيل: من هم؟ قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً، وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد: أنشدنا محمد بن ناصر السلمي أنشدنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أنشدنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري لنفسه:

عاب قوم علم الحديث وقالوا	هو علم طلابه جهال
عدلوا عن محجة العلم لما	دق عنهم فهم العلوم وقالوا
إنما الشرع يا أخي كتاب الله	لا هوة به ولا إشكال
ثم من بعده حديث رسول الله	فاض يقضي إليه المال
وطريق الآثار تعرف بالنقل	وللنقل فاعلمنه رجال
همهم نقله ونفى الذي قد	وضعته عصابة ضلال
لم ينوا فيه جاهدين ولم تقطعهم	عن طلابه الأشغال
وقضوا لذة الحياة اغتباطاً	بالذي حرروه منه وقالوا
ورضوه من كل شيء بديلاً	فلعمري لنعم ذاك الببدال
ولقد جاءنا عن السيد الما	جد حلف العلياء فيهم مقال
أحمد المنتمي إلى حنبل أكر	رم به فيه مفخر وجمال
إن أبدال أمة المصطفى أحمد	هم حين تذكر الأبدال

فائدة: قال سهل بن عبد الله: صارت الأبدال أبدالاً بأربعة: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، واعتزال الأنام، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن بشر بن الحارث أنه سئل عن التوكل فقال: اضطراب بلا سكون رجل يضطرب بجوارحه وقلبه ساكن إلى الله تعالى لا إلى عمله، وسكون بلا اضطراب رجل ساكن إلى الله تعالى بلا حركة وهذا عزيز وهو من صفات الأبدال.

وأخرج عن معروف الكرخي قال: من قال في كل يوم عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، كتب من الأبدال، وأخرج عن أبي عبد الله التناجي قال: إن أحببت أن تكونوا أبدالاً فأحبوا ما شاء الله، ومن أحب ما شاء الله لم ينزل به من مقادير الله شيء إلا أحبه.

فائدة: في كتاب كفاية المعتقد للياضي نفعا الله تعالى به قيل: إنما سمي الأبدال أبدالاً لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلفهم وبني على ذلك ما حكى عن الشيخ مفرج الدماويلي أنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة [بعرفة] ورآه آخر في مكانه من زاويته بدمامل لم يفارقه في جميع ذلك اليوم، فلما رجع الحاج ذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه وتنازعا في ذلك وحلف كل بالطلاق فاختصما إليه فأقرهما وأبقى كلاهما على الزوجية فستل عن الحكمة في عدم حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر؟ فقال: الولي إذا تحقق في ولايته مكن من التصور في صور عديدة وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات متعددة، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة حق، والصورة التي رآها الآخر في مكانه في ذلك الوقت حق، وكل منهما صادق في يمينه، ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين في وقت واحد لأن ذلك إثبات تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية انتهى.

وقد قررت نظير ذلك في الروح بعد الموت في باب مقر الأرواح في كتاب البرزخ، قال الشمس الداودي: قال مؤلفه شيخنا رضي الله عنه وأرضاه: ألفته يوم السبت ثامن محرم سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة أحسن الله ختامها بمحمد وآله أجمعين^(١).

٧١ - تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد: فقد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي ﷺ في اليقظة وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه وادعوا أنه مستحيل فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها: تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك: وتمسكت بالحديث الصحيح الوارد في ذلك. أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأي في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي». وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي، ومن حديث أبي بكرة، وأخرج الدارمي مثله من حديث أبي قتادة [الأنصاري]، قال العلماء: اختلفوا في معنى قوله فسيراني في اليقظة فقبل معناه فسيراني في القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة في هذا التخصيص لأن كل أمته يرويه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره، وقبل المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائباً عنه فيكون مبشراً له أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلا بد أن يراه في اليقظة - يعني بعيني رأسه - وقيل بعين في قلبه حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي. وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمر في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها

(١) أقول قد ابتلي هذا العلم بأناس عوام ينشرون الكتب الدينية بدون أن تصحح فلقد نشرت هذه الرسالة على حدة قريباً مملوءة بالأغلاط مع ما فيها من السقطات إنا لله وإنا إليه راجعون.

من البخاري: هذا الحديث يدل على أنه من رآه ﷺ في النوم فسيراه في اليقظة، وهل هذا على عموميه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقاً أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه؟ اللفظ يعطي العموم ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصص منه ﷺ فمتعسف قال: وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه وقال: على ما أعطاه عقله وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم الشاهد؟ قال: وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران: أحدهما: عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى. والثاني: الجهل بقدرة القادر وتعجزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله تعالى: ﴿أَضْرِبُوا بِعَصَاهُ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٧٣] وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير. وقصة عزيز فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سبباً لحياته، وجعل دعاء إبراهيم سبباً لإحياء الطيور، وجعل تعجب عزيز سبباً لموته وموت حمارة، ثم لإحيائها بعد مائة سنة قادر أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سبباً لرؤيته في اليقظة، وقد ذكر عن بعض الصحابة - أظنه ابن عباس رضي الله عنهما - أنه رأى النبي ﷺ في النوم فتذكر هذا الحديث وبقي يفكر فيه ثم دخل على بعض أزواج النبي - أظنها ميمونة - فقص عليها قصته فقامت وأخرجت له مرآته ﷺ قال رضي الله عنه: فنظرت في المرأة فرأيت صورة النبي ﷺ ولم أر لنفسي صورة قال: وقد ذكر عن بعض السلف والخلف وهلم جرا [عن جماعة] ممن كانوا رأوه ﷺ في النوم وكانوا ممن يصدقون بهذا الحديث فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص قال: والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يصدق بكرامات الأولياء أو يكذب بها، فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وإن كان مصداقاً بها فهذه من ذلك القبيل لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي، والسفلي عديدة فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك، انتهى كلام ابن أبي جمرة، وقوله: إن ذلك عام وليس بخاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرة واحدة تحقيقاً لوعده الشريف الذي لا يخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار، فلا يخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده، وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم إما كثيراً وإما قليلاً بحسب اجتهادهم ومحافظةهم على السنة - والإخلال بالسنة مانع كبير - أخرج مسلم في صحيحه عن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: قد كان يسلم علي حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد، وأخرج مسلم من وجه آخر عن مطرف قال: بعث إلي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي [فيه] فقال: إني محدثك فإن عشت فاكتم عني وإن مت فحدث بها إن شئت أنه قد سلم علي، قال النووي في شرح مسلم: معنى الحديث الأول أن عمران بن حصين كانت به بواسير فكان يصبر على ألمها وكانت الملائكة تسلم عليه واكتوى

وانقطع سلامهم عليه ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه، قال وقوله في الحديث الثاني: فإن عشت فاكنتم عني أراد به الإخبار بالسلام عليه لأنه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت، وقال القرطبي في شرح مسلم: يعني أن الملائكة كانت تسلم عليه إكراماً له واحترماً إلى أن اكنوى فتركت السلام عليه، ففيه إثبات كرامات الأولياء انتهى.

وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه من طريق مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: أعلم يا مطرف أنه كانت تسلم الملائكة عند رأسي وعند البيت وعند باب الحجر فلما اكنوت ذهب ذاك قال: فلما برأ كلمه قال: أعلم يا مطرف أنه عاد إلي الذي كنت أكنتم علي حتى أموت. فانظر كيف حجب عمران عن سماع تسليم الملائكة لكونه اكنوى مع شدة الضرورة الداعية إلى ذلك لأن الكي خلاف السنة، قال البيهقي في شعب الإيمان: لو كان النهي عن الكي على طريق التحريم لم يكتو عمران مع علمه بالنهي غير أنه ركب المكروه ففارق ملك كان يسلم عليه فحزن على ذلك وقال هذا القول، ثم قد روي أنه عاد إليه قبل موته انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية: يعني أن الملائكة كانت تسلم عليه فلما اكنوى بسبب مرضه تركوا السلام عليه لأن الكي يقدح في التوكل والتسليم إلى الله والصبر على ما يبتلى به العبد وطلب الشفاء من عنده، وليس ذلك قادحاً في جواز الكي، ولكنه قادح في التوكل وهي درجة عالية وراء مباشرة الأسباب، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكنوى فتنحى عنه، وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما قدم علينا البصرة من الصحابة أفضل من عمران بن حصين أتت عليه ثلاثون سنة تسلم عليه الملائكة من جوانب بيته.

وأخرج الترمذي في تاريخه، وأبو نعيم، والبيهقي في دلائل النبوة عن غزالة قالت: كان عمران بن حصين يأمرنا أن نكنس الدار ونسمع السلام عليكم السلام عليكم ولا نرى أحداً، قال الترمذي: هذا تسليم الملائكة، وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال: ثم إنني لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية والقدر الذي أذكره ليتنفع به ابني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرهم وسيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم مقتبسة [من نور مشكاة النبوة] وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به - إلى أن قال: حتى أنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة

الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، هذا كلام الغزالي.

وقال تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتاب قانون التأويل: ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس في تزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاء والمال والخلطة بالجنس والإقبال على الله تعالى بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهم، ثم قال ابن العربي من عنده: ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة انتهى. [وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى] وقال ابن الحاج في المدخل: رؤية النبي ﷺ في اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدت غالباً، مع أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله في ظواهرهم وبواطنهم، قال: وقد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي ﷺ في اليقظة وعلل ذلك بأن قال: العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي ﷺ في دار البقاء والرائي في دار الفناء، وقد كان سيدي أبو محمد بن أبي جمرة يحل هذا الإشكال ويرده بأن المؤمن إذا مات يرى الله وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة انتهى.

وقال القاضي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب توثيق عرى الإيمان قال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا ﷺ ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه، وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء، قال البارزي: وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النبي ﷺ في اليقظة حياً بعد وفاته، قال: وقد ذكر ذلك الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبو البيان نبأ ابن محمد بن محفوظ الدمشقي في نظيمته انتهى، وقال الشيخ أكمل الدين البابرتي الحنفي في شرح المشارق في حديث من رأي: الاجتماع بالشخصين يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد، وله خمسة أصول: كلية الاشتراك في الذات، أو في صفة فصاعداً، أو في حال فصاعداً، أو في الأفعال، أو في المراتب، وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل، وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس، ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء، وقال الشيخ صفى الدين بن أبي المنصور في رسالته، والشيخ عفيف الدين الياقعي في روض الرياحين: قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشي: لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر، توجهت لأن أدعو فقيل لي لا تدع فما يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى قريب ضريح

الخليل عليه السلام تلقاني الخليل فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم، قال اليافعي: وقوله: تلقاني الخليل قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي ﷺ إلى موسى عليه السلام في الأرض ونظره أيضاً هو وجماعة من الأنبياء في السموات وسمع منهم مخاطبات، وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي انتهى.

وقال الشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الأولياء: قال الشيخ عبد القادر الكيلاني: رأيت رسول الله ﷺ قبل الظهر فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعاً وقال: تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج عليّ فرأيت علياً قائماً بإزائي في المجلس فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه قد ارتج عليّ فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستاً فقلت: لم لا تكملها سبعاً؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ ثم توارى عني فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليها ترجمان اللسان فتشتري بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع، وقال أيضاً في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي: كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناماً فكان يقال إن أكثر أفعاله متلقاة منه بأمر منه إما يقظة وإما مناماً، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر مني كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي، وقال الكمال الأدفوي في الطالع السعيد في ترجمة الصفي أبي عبد الله محمد بن يحيى الأسواني نزيل أخميم من أصحاب أبي يحيى بن شافع كان مشهوراً بالصلاح وله مكاشفات وكرامات كتب عنه ابن دقيق العيد، وابن النعمان، والقطب العسقلاني وكان يذكر أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به.

وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي في كتابه الوحيد من أصحاب الشيخ أبي يحيى أبو عبد الله الأسواني المقيم بأخميم كان يخبر أن يرى رسول الله ﷺ في كل ساعة حتى لا تكاد ساعة إلا ويخبر عنه، وقال في الوحيد أيضاً: كان للشيخ أبي العباس المرسى وصلة بالنبي ﷺ إذا سلم على النبي ﷺ رد عليه السلام ويجاوبه إذا تحدث معه.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن قال رجل للشيخ أبي العباس المرسى: يا سيدي صافحني بكفك هذه فإنك لقيت رجالاً وبلاداً فقال: والله ما صافحت بكفي هذه إلا رسول الله ﷺ، قال: وقال الشيخ: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين. وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته، والشيخ عبد الغفار في الوحيد حكى عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال: أخبرني الشيخ أبو

العباس الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك شيخك عبد الرحيم بقنا فسافرت إلى قنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي: عرفت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا قال: رح إلى بيت المقدس [حتى تعرف رسول الله ﷺ] فحين وضعت رجلي وإذا بالسما والارض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ فرجعت إلى الشيخ فقال لي: عرفت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم قال: الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطاب أقطاباً والأوتاد أوتاداً والأولياء أولياء إلا بمعرفته ﷺ، وقال في الوحيد وممن رأيت بهمكة الشيخ عبد الله الدلاصي أخبرني أنه لم تصح له صلاة في عمره إلا صلاة واحدة قال: وذلك أني كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله ﷺ يصلي إماماً وخلفه العشرة فصليت معهم وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة فقرأ ﷺ في الركعة الأولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون فلما سلم دعا بهذا الدعاء - اللهم اجعلنا هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين لا طمعاً في برك ولا رغبة فيما عندك لأن لك المنة علينا بإيجادنا قبل أن لم نكن فلك الحمد على ذلك لا إله إلا أنت - فلما فرغ رسول الله ﷺ سلم الإمام فعقلت تسليمه فسلمت.

وقال الشيخ هصفي الدين في رسالته: قال لي الشيخ أبو العباس الحرار: دخلت على النبي ﷺ مرة فوجدته يكتب مناشير للأولياء بالولاية وكتب لأخي محمد منهم منشوراً قال: وكان أخو الشيخ كبيراً في الولاية كان على وجهه نور لا يخفى على أحد أنه ولي فسألنا الشيخ عن ذلك فقال: نفخ النبي ﷺ في وجهه فأثرت النفخة هذا النور.

قال الشيخ صفي الدين: ورأيت الشيخ الجليل الكبير أبا عبد الله القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية وكان له بالنبي ﷺ وصلة وأجوبة ورد للسلام حمله رسول الله ﷺ رسالة للملك الكامل وتوجه بها إلى مصر وأداها وعاد إلى المدينة، قال: وممن رأيت بمصر الشيخ أبا العباس العسقلاني أخص أصحاب الشيخ القرشي زاهد مصر في وقته وكان أكثر أوقاته في آخر عمره بهمكة يقال إنه دخل مرة على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: أخذ الله بيدك يا أحمد.

وحكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا الحديث باطل، فقال الفقيه: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول إنني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقهاء، وفي كتاب المنح الإلهية في مناقب السادة الوفاة لابن فارس قال: سمعت سيدي علياً رضي الله عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيت يوماً فرأيت النبي ﷺ يقظة لا مناماً وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص علي فقال لي: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحي وألم نشرح ثم غاب عني فلما أن بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبي ﷺ قبالة وجهي فعانقني وقال لي: - وأما بنعمة ربك فحدث - فأوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى.

وفي بعض المجاميع حج سيدي أحمد الرفاعي فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فأمدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها، وفي معجم الشيخ برهان الدين البقاعي قال: حدثني الإمام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري أن السيد نور الدين الأيجي والد الشريف عفيف الدين لما ورد الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلاً من القبر يقول: وعليك السلام يا ولدي، وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه أخبرني أبو أحمد داود بن علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة أنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النور قال: حكى شيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصوفي الكرخي قال: حججت وزرت النبي ﷺ فبينما أنا جالس عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري ووقف بإزاء وجه النبي ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله فسمعت صوتاً من داخل الحجرة: وعليك السلام يا أبا بكر وسمعه من حضر.

وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان قال: سمعت يوسف بن علي الزناني يحكي عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت: فاستغثت بالنبي ﷺ فسمعت قائلاً من الروضة يقول: أما لك في أسوة؟ فاصبري كما صبرت - أو نحو هذا - قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني، وقال ابن السمعاني في الدلائل: أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفرج أخبرنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف الخطيب أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن تميم المؤدب حدثنا علي بن إبراهيم بن علان أخبرنا علي ابن محمد بن علي حدثنا أحمد بن الهيثم الطائي حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فأوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك، ثم رأيت في كتاب مزيل الشبهات في إثبات الكرامات للإمام عماد الدين إسماعيل بن هبة الله بن باطيس ما نصه: ومن الدليل على إثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم منهم الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: إنما هما أخواك وأختاك قالت هذان أخواي محمد، وعبد الرحمن فمن أختاي وليس لي إلا أسماء؟ فقال: ذو بطن ابنة خاتمة قد ألقى في روعي أنها جارية فولدت أم كلثوم. ومنهم عمر بن

الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية حيث نادى - وهو في الخطبة - يا سارية الجبل الجبل فأسمع الله سارية كلامه وهو ينهاند وقصته مع نيل مصر ومراسلته إياه وجريانه بعد انقطاعه، ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عبد الله بن سلام: ثم أتيت عثمان لأسلم عليه - وهو محصور - فقال مرحباً بأخي رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم قال: عطشوك؟ قلت: نعم فأدلى لي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أنني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي فقال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم انتهى.

وهذه القصة مشهورة عن عثمان - مخرجة في كتب الحديث بالإسناد - أخرجها الحارث بن أبي أسامة في مسنده وغيره، وقد فهم المصنف منها أنها رؤية يقظة وإن يصلح عدداً في الكرامات لأن رؤية المنام يستوي فيها كل أحد، وليست من الخوارق المعدودة في الكرامات ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء، ومما ذكره ابن باطيس في هذا الكتاب قال: ومنهم أبو الحسين محمد بن سمعون البغدادي الصوفي قال أبو طاهر محمد بن علي العلان: حضرت أبا الحسين بن سمعون يوماً في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسيه يتكلم فكان أبو الفتح القواس جالساً إلى جنب الكرسي فغشيه النعاس ونام فأمسك أبو الحسين ساعة عن الكلام حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له أبو الحسين: رأيت النبي ﷺ في نومك؟ قال: نعم قال أبو الحسين: لذلك أمسكت عن الكلام خوف أن تنزعج وينقطع ما كنت فيه، فهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى النبي ﷺ يقظة لما حضر ورآه أبو الفتح في نومه، وقال أبو بكر بن أبيض في جزئه: سمعت أبا الحسن بنائاً الحمال الزاهد يقول: حدثني بعض أصحابنا قال: كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت قد خرج من مكة إلى المدينة ستين سنة ليس إلا للسلام على رسول الله ﷺ ويرجع فلما كان في بعض السنين تخلف لشغل أو سبب فقال: بينا هو قاعد في الحجرة بين النائم واليقظان إذ رأى النبي ﷺ وهو يقول: يا ابن ثابت لم تزرنا فزرنّاك.

تنبيهات: الأول: أكثر ما تقع رؤية النبي ﷺ في اليقظة بالقلب ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر، وقد تقدم الأمران في كلام القاضي أبي بكر بن العربي، لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض، وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره، وقد تقدم عن الشيخ عبد الله الدلاصي فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله ﷺ فأشار بقوله أخذه إلى هذه الحالة.

الثاني: هل الرؤية لذات المصطفى ﷺ بجسمه وروحه أو لمثاله؟ الذين رأيتهم من أرباب الأحوال يقولون بالثاني وبه صرح الغزالي فقال: ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل مثلاً له صار ذلك المثل آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه قال: والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثل المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى

ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره، ويكون ذلك المثال حقاً في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي: رأيت الله في المنام لا يعني أنني رأيت ذات الله كما تقول في حق غيره انتهى.

وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال: رؤية النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال - وهذا الذي قاله في غاية الحسن - ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه وذلك لأنه ﷺ - وسائر الأنبياء - أحياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي، وقد ألف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء، وقال في دلائل النبوة: الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء، وقال في كتاب الاعتقاد: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: أن نبينا ﷺ حي بعد وفاته وأنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته، وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى في زمانه فأخبر نبينا ﷺ أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ورأى آدم وإبراهيم، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبينا ﷺ قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته انتهى، وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى، وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائماً يصلي في قبره، وأخبر ﷺ أنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله تعالى بكرامته انتهى.

وأخرج أبو يعلى في مسند، والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور». وروى سفيان في الثوري الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع.

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى، وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً - وأبو المقدام هو ثابت بن هرمز [الكوفي] شيخ صالح.

وأخرج ابن حبان في تاريخه، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً». وقال إمام الحرمين في النهاية ثم الرافعي في الشرح: روي أن النبي ﷺ قال: أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث - زاد إمام الحرمين - وروي أكثر من يومين، وذكر أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض كتبه حديثاً أن الله لا يترك نبياً في قبره أكثر من نصف يوم.

وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته - فصل - في حياته ﷺ بعد موته في البرزخ وقد دل على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه ومن القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة لأحد الأمة من الشهداء وحالهم أعلى وأفضل ممن لم تكن له هذه الرتبة لا سيما في البرزخ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي ﷺ بل إنما حصل لهم هذه الرتبة بتزكيته وتبعيته، وأيضاً فإنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة والشهادة حاصلة للنبي ﷺ على أتم الوجوه - وقال عليه السلام: «مرت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا يوصف به الروح وإنما وصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا، فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتاج لتخصيصه بالقبر، فإن أحداً لم يقل أن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشهداء أو المؤمنين في الجنة.

وفي حديث ابن عباس: «سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: أي واد هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق، فقال: كأني أنظر إلى موسى واضحاً أصبعيه في أذنيه له جوار إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي ثم سرنا حتى أتينا على ثنية قال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف ماراً بهذا الوادي مليئاً». سئل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات وهم في الأخرى وليست دار عمل؟ وأجيب بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا بما استطاعوا، وأنهم وإن كانوا في الأخرى فإنهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فئت مدتها واعتقبتها الأخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمل - هذا لفظ القاضي عياض - فإذا كان القاضي عياض يقول إنهم يحجون بأجسادهم ويفارقون قبورهم فكيف يستنكر مفارقة النبي ﷺ لقبره؟ فإن النبي ﷺ إذا كان حاجاً وإذا كان مصلياً فجسده في السماء وليس مدفوناً في القبر انتهى.

فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيب الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال.

الثالث: سئل بعضهم كيف يراه الراؤون المتعددون في أقطار متباعدة؟ فأُنشدهم:

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

وفي مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن بعض تلامذته قال: حججت فلما كنت في الطواف رأيت الشيخ تاج الدين في الطواف فنويت أن أسلم عليه إذا فرغ من طوافه، فلما فرغ من الطواف جئت فلم أره ثم رأيت في عرفة كذلك وفي سائر المشاهد كذلك، فلما رجعت إلى القاهرة سألت عن الشيخ فقلت لي طيب فقلت: هل سافر؟ قالوا: لا، فجئت إلى الشيخ وسلمت عليه فقال لي: من رأيت؟ فقلت يا سيدي رأيتك فقال: يا فلان الرجل الكبير يملأ الكون لو دعى القطب من حجر لأجاب فإذا كان القطب يملأ الكون فسيد المرسلين ﷺ من باب أولى، وقد تقدم عن الشيخ أبي العباس الطنجي أنه قال: وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ.

الرابع: قال قائل: يلزم على هذا أن تثبت الصحة لمن رآه. والجواب: أن ذلك ليس بلام، أما إن قلنا بأن المرئي المثل فواضح لأن الصحة إنما تثبت برؤية ذاته الشريفة جسداً وروحاً. وإن قلنا المرئي الذات فشرط الصحة أن يراه وهو في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت، وهذه الرؤية لا تثبت صحبته، ويؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرأهم ورأوه ولم تثبت الصحة للجميع لأنها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبته.

خاتمة: أخرج أحمد في مسنده، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق أبي العالية عن رجل من الأنصار قال: «خرجت من أهلي أريد النبي ﷺ فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصاري: لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي له من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام قال: ولقد رأيت؟ قلت: نعم قال: أتدري من هو؟ قلت: لا قال: ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ثم يقال: أما إنك لو سلمت رد عليك السلام»، وأخرج أبو موسى المديني في المعرفة عن تميم بن سلمة قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ انصرف من عنده رجل فنظرت إليه مولياً معتماً بعمامة قد أرسلها من ورائه قلت: يا رسول الله من هذا؟ قال: هذا جبريل.

وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي في الدلائل عن حارثة بن النعمان قال: «مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل فسلمت عليه ومررت فلما رجعنا وانصرف النبي ﷺ قال: هل رأيت الذي كان معي؟ قلت: نعم قال: فإنه جبريل وقد رد عليك السلام».

وأخرج ابن سعد عن حارثه قال: رأيت جبريل من الدهر مرتين، وأخرج أحمد، والبيهقي عن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن أبي فخرجنا فقال لي أبي: يا بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ قلت: يا أبت إنه كان عنده رجل يناجيه فرجع فقال يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا

فقال إنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد؟ قال: وهل رأيته يا عبد الله؟ قلت: نعم قال: ذاك جبريل هو الذي يشغلني عنك.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: رأيت جبريل مرتين، وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: «عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل فلما دخل لم ير أحداً فقال رسول الله ﷺ: من كنت تكلم؟ قال: يا رسول الله دخل علي داخل ما رأيته رجلاً قط بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه قال: ذاك جبريل وإن منكم لرجالاً لو أن أحدهم يقسم على الله لأبره». وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال: كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي ﷺ.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن حذيفة بن اليمان: «أنه أتى النبي ﷺ فقال له: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلماً يقول: اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وببذك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره أهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني عملاً زاكياً ترضى به عني فقال النبي ﷺ: «ذاك ملك أنك يعلمك تحميد ربك». وأخرج محمد بن نصر عن أبي هريرة قال: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلماً يقول: اللهم لك الحمد كله قال: فذكر الحديث نحوه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الذكر عن أنس بن مالك قال: «قال أبي بن كعب: لأدخلن المسجد فلاصلين ولأحمدن الله بمحامد لم يحمد بها أحد، فلما صلى وجلس ليحمد الله ويثني عليه إذا هو بصوت عال من خلف يقول: اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وببذك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره لك الحمد إنك على كل شيء قدير [اللهم] اغفر لي ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني أعملاً زاكية ترضى بها عني وتب علي، فأتى رسول الله ﷺ فقص عليه فقال: ذاك جبريل».

وأخرج الطبراني، والبيهقي عن محمد بن مسلمة قال: «مررت على رسول الله ﷺ واضعاً خده على خد رجل فلم أسلم ثم رجعت فقال لي: ما منعك أن تسلم؟ قلت: يا رسول الله رأيته فعلت بهذا الرجل شيئاً ما فعلته بأحد من الناس فكرهت أقطع عليك حديثك فمن كان يا رسول الله؟ قال: جبريل». وأخرج الحاكم عن عائشة قالت: «رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه - ورسول الله ﷺ يناجيه - فقلت يا رسول الله من هذا؟ قال: بمن شبهته قلت بدحية قال: لقد رأيت جبريل». وأخرج البيهقي عن حذيفة قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ثم خرج فنبعته فإذا عارض قد عرض له فقال لي: يا حذيفة هل رأيت العارض الذي عرض لي؟ قلت: نعم قال: ذاك ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبلها استأذن ربه فسلم علي وبشرني بالحسن والحسين أنهما سيذا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة».

وأخرج أحمد، والبخاري تعليقاً، ومسلم، والنسائي، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في

دلائل النبوة عن أسيد بن حضير أنه بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت فسكت فسكنت فرفع رأسه إلى السماء فإذا هي بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث رسول الله ﷺ بذلك فقال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتوارى منهم. وأخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال: رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النبي ﷺ أحدهما وعن يساره أحدهما يقاتلان أشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه.

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن جرير في تفسيره، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أنه قال بعد ما عمي: لو كنت معكم ببدر الآن ومعني بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى.

وأخرج البيهقي عن أبي بردة بن نيار قال: «جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتهن بين يدي النبي ﷺ فقلت يا رسول الله أما رأسان فقتلتهم وأما الثالث فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه فأخذت رأسه فقال رسول الله ﷺ: «ذاك فلان من الملائكة».

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: كان الملك يتصور في صورة من تعرفون من الناس يشبثونهم فيقول إني دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

وأخرج أحمد، وابن سعد، وابن جرير، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: «كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وكان أبو اليسر رجلاً جموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله ﷺ: يا أبا اليسر كيف أسرت العباس؟ فقال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: لقد أعانك عليه ملك كريم». وأخرج ابن سعد، والبيهقي عن عمار بن أبي عمار: «أن حمزة بن عبد المطلب قال: يا رسول الله أرني جبريل في صورته قال: اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال النبي ﷺ: ارفع طرفك [فانظر فرقع طرفه] فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر». وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال: «بينما أنا أسير بجنابت بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ثم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرة، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال لي: أَوَ قد رأيته؟ قلت: نعم قال: ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة».

محل الاستدلال برؤيته الرجل الذي خرج عقبه وضربه بالسوط فإنه الملك الموكل بتعذيبه، وأخرج ابن أبي الدنيا، والطبراني، وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن

العرباض بن سارية الصحابي رضي الله عنه أنه كان يحب أن يقبض فكان يدعو اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك قال: فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق وأنا أصلي وأدعو أن أقبض إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه رواح أخضر فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ قلت: وكيف أدعو؟ قال: قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رتايل الذي يسلم الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحداً، وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن سعيد بن سنان قال: أتيت بيت المقدس أريد الصلاة فدخلت المسجد فبينما أنا على ذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان قد أقبل وهو يقول: سبحان الدائم القائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح، سبحان الله وبحمده، سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى، ثم أقبل حفيف يتلوه يقول مثل ذلك، ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد فإذا بعضهم قريب مني فقال: آدمي؟ قلت: نعم قال لا روع عليك هذه الملائكة.

تذنيب: ومما يمكن أن يدخل هنا ما أخرجه أبو داود من طريق أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار أن عبد الله بن زيد قال: يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان، وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكنمه عشرين يوماً، وفي كتاب الصلاة لأبي نعيم الفضل بن دكين أن عبد الله بن زيد قال: لولا اتهامي لنفسي لقلت إني لم أكن نائماً، وفي سنن أبي داود من طريق ابن أبي ليلى: «جاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله رأيت رجلاً كأن عليه ثوبين أخضرين فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها إلا أنه يقول قد قامت الصلاة ولولا أن يقول الناس لقلت إني كنت يقظاناً غير نائم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أراك الله خيراً».

قال الشيخ ولي الدين العراقي في شرح سنن أبي داود قوله: إني لبين نائم ويقظان مشكل لأن الحال لا يخلو عن نوم أو يقظة فكان مراده أن نومه كان خفيفاً قريباً من اليقظة فصار كأنه درجة متوسطة بين النوم واليقظة. قلت: أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعتري أرباب الأحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضي الله عنهم هم رؤوس أرباب الأحوال، وقد ورد في عدة أحاديث أن أبا بكر، وعمر، وبلالاً رأوا مثل ما رأى عبد الله بن زيد، وذكر إمام الحرمين في النهاية والغزالي في البسيط أن بضعة عشر من الصحابة كلهم قد رأى مثل ذلك، وفي الحديث [أن] الذي نادى بالأذان فسمعه عمر، وبلال - جبريل - أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، ويشبه هذا ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن محمد بن المنكدر قال: «دخل رسول الله ﷺ على أبي بكر فرآه ثقيلاً فخرج من عنده فدخل على عائشة ليخبرها بوجع أبي بكر إذ دخل أبو بكر يستأذن فدخل فجعل النبي ﷺ يتعجب لما عجل الله له من العافية فقال ما هو إلا أن خرجت من عندي فغفوت فأتاني جبريل عليه السلام فسعطني سعة فقمتم وقد برأت فلعل هذه غفوة حال لا غفوة نوم».

الفتاوى النحوية وما ضُم إليها

مسألة: قول ابن المصنف: حد النحو في الاصطلاح عبارة عن العلم بأحكام مستطبة من استقراء كلام العرب أعني أحكام الكلم في ذواتها وما يعرض لها بالتركيب، هل قوله وما يعرض لها بأو أو بالواو وما معنى ذلك؟

الجواب: هو بالواو قصد بذلك حد النحو على مصطلح أبيه الشامل للإعراب والتصريف معاً، فأحكام الكلم في ذواتها هو المبحوث عنه في التصريف، وما يعرض لها بالتركيب هو المبحوث عنه في الإعراب ويطلق النحو إطلاقاً آخر على ما يرادف الإعراب ويقابل التصريف وله حد غير ما ذكر.

مسألة: في قوله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والجنة حق والنار حق» هل الجنة بالرفع أو النصب؟

الجواب: هو بالنصب لا يجوز غيره لأنه الذي يستقيم به المعنى، ولا ينافي هذا قول النحاة يجوز الرفع بعد استكمال الخبر لأنه حيث جاز أن يكون مستأنفاً والاستئناف هنا يخل بالمعنى إذ يصير المراد الإخبار بأن الجنة حق وليس مراداً، وإنما المراد إدخاله في المشهود به فتعين النصب.

مسألة: ما إعراب قوله ﷺ: «حب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»؟

الجواب: ليس في الحديث لفظ ثلاث، وأما إعرابه: «فحب» فعل مبني للمفعول والظرفان بعده متعلقان به. «والطيب» مرفوع به نائباً عن الفاعل. «والنساء» معطوف عليه. وأما بقية الحديث فلفظ: «وجعل قرة عيني في الصلاة»: «فقرة» مفعول جعل الأول أقيم مقام فاعله لما بني للمفعول والجار والمجرور مفعوله الثاني، ومن زاد في الحديث لفظه ثلاث فقد وهموه لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا فالمخصوص بحبه من أمر الدنيا اثنان النساء والطيب - وهما بالنسبة إليه دين لا دنيا - ولهذا قال: من دنياكم ولم يقل من دنياي ولا من الدنيا، فأشار بهذه الإضافة إلى أنهما من دنيا الناس لأنهم يقصدونهما للاستلذاذ وحفظ النفس وهو ﷺ منزّه عن ذلك، إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة وأحكام الشريعة التي لا يطلع عليها الرجال غالباً وللقيام بأودهن ولتشرف أصحابه بمصاهرته وغير ذلك من الفوائد الدينية، وحبب إليه الطيب لملاقاته الملائكة وهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيثة، ولهذا امتنع من أكل الثوم ونحوه لأجل أن جبريل يأتيه، وقد ورد

في الملائكة أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولكن يجدون الريح.

مسألة: قوله ﷺ للجارية التي دعت له لحاجتها: «اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك» هل أجلس بالجزم أم بالرفع أم بالوجهين؟

الجواب: المعروف في هذا وأمثاله الجزم وبه ورد القرآن قال تعالى: ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] والأشهر في توجيهه أنه جواب شرط محذوف.

مسألة: قول الخزرجية:

إذا استكمل الإجزاء بيت كحشوه عروض وضرب ثم أو خولفت وفا
علام رفع قوله عروض وضرب؟

الجواب: عروض مبتدأ وضرب عطف عليه والجار والمجرور - وهو كحشوه - الخبر وتقديمه هو الذي سوغ الابتداء بالنكرة والتقدير كالحشو في الاستكمال العروض والضرب.

مسألة: في قوله ﷺ فيما رواه البخاري: «لو كان ذاك وأنا حي فاستغفر لك» هل لفظ فاستغفر بالنصب أو بالرفع؟

الجواب: هو بالنصب بتقدير أن بعد الفاء في جواب لو وهي للتمني لا للشرط على حد قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] ولا يصح كون «لو» في الحديث للشرط لوجوه: أحدها: أن هذا إخبار عن مستقبل «لو» إنما تقع شرطاً في الماضي وإذا وقع المضارع بعدها أول بالماضي. الثاني: أن لو الشرطية لا يقع جوابها مضارعاً بل ماضي اللفظ والمعنى. الثالث: أن جواب الشرط إذا كان مضارعاً لا يجوز اقترانه بالفاء بالإجماع فعلم بذلك كله أن لو هنا للتمني لا للشرط.

مسألة: في إعراب تركيب وقع في بعض الكتب نصه ولا يمكن الوارث أخذها؛ هل الوارث مرفوع على الفاعلية وأخذها بالنصب على المفعولية أو بالعكس؟

الجواب: الوارث هو المفعول المنصوب وأخذها هو الفاعل المرفوع لا يجوز غير ذلك، ومن عكس فهو عارض من علم العربية بالكلية وذلك مأخوذ من قاعدة قررها أهل النحو واتفقوا عليها منهم الزجاجي في الجمل، وابن هشام في المغني فقالا: إذا اشتبه عليك الفاعل من المفعول فرد الاسم إلى الضمير، فما رجع إلى ضمير المتكلم المرفوع فهو الفاعل، وما رجع إلى ضميره المنصوب فهو المفعول، وقال ابن هشام: تقول أمكن المسافر السفر بنصب المسافر لأنك تقول أمكنتي السفر ولا تقول أمكنت السفر انتهى، وكذلك التركيب المسؤول عنه لو رجعت الوارث إلى الضمير لقلت في التكلم ولا يمكنني أخذها وفي الخطاب ولا يمكنك أخذها وفي الغيبة ولا يمكنه أخذها، فالضمائر كلها منصوبة وأخذها هو الفاعل، وكذا الوارث الواقع موقعه، ومن ظن أن الوارث هو الفاعل لكونه من ذوي العقل دون الأخذ فهو في غاية الوهم، كيف والإمكان وعدمه إنما هو متعلق بالأخذ لا بالوارث، ومن نظائر ذلك قوله تعالى: ﴿كَثُلٌ غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد:

[٢٠] وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] في آيات أخرى ترى الفاعل فيها غير أولي العقل.

مسألة: فيمن سمع إنساناً ينشد قول العلامة ناصح الدين الأرجاني:

هذا الزمان على ما فيه من كدر حكى انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى في أسافله خيال قوم تمشوا في نواحيه
فالرأس ينظر منكوساً أسافله والرجل ينظر مرفوعاً أعاليه

فأعرب الرأس مبتدأ وينظر المبني لما لم يسم فاعله خبر والضمير المستتر فيه العائد إلى الرأس معمول لينظر ومنكوساً حال منه، وأسافل منصوب على الظرف والضمير المتصل به عائد إلى الغدير، وتقدير الكلام ينظر الرأس حال كونه منكوساً أسافل الغدير والظرف متعلق بينظر وكذا النصف الثاني فيكون تقديره ينظر الرجل حال كونه مرفوعاً في أعالي الغدير، فيكون الشاعر قد شبه رأس الإنسان برأس الإنسان والرجل بالأسافل، والغدير في حال تمثل الإشكال فيه منقلبة بالزمان في انقلابه بأهله ومراتب العلو والسفل الواقع في الحسن بمشاهدة الإشكال المنتكسة في الغدير الموهومة أنها سطوح وقيعان الغدير مراتب الدنيا ومناصبها ويكون سكن ياء أعاليه للضرورة، فهل هذا الإعراب صحيح مستقيم أو فاسد باطل؟ أوله وجه ما في الجملة أو ما قاله من رد على هذا المعرب هو الصواب، وهو أن أسافل مرفوع على أنه معمول لينظر أعني أنه النائب عن الفاعل، والمراد به أعني الأسافل الأرجل والضمير المتصل به عائد إلى الرأس، والمراد بالرأس هنا الإنسان من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وأن هذا مثل قولهم فلان رأس بني فلان، وعندى خمسون رأساً من الإبل، ومنكوساً حال من الرأس فيكون تقدير الكلام ينظر أسافل الإنسان حال كون الإنسان منكوساً فهل هذا الإعراب صحيح؟ وما اعتبره من مجاز الرأس معتبر علاقته بينه وقرينته الصارفة عن اللفظ المستعمل عما وضع له في التخاطب صالحة أو لا لأنه لا اعتبار لكون الإنسان شريفاً أو وضعياً بالنسبة إلى تمثل خياله في الغدير، وإنما الاعتبار في إنكاس الرأس المشبهة بأراذل الناس وسقاطهم، وعلى تقدير صحة كل ذلك هل يتمشى ذلك له في النصف الثاني من البيت؟ وهل قول القائل إن إطلاق الرأس على الإنسان في مثل هذا الموضع أعني حيث لا علاقة ولا قرينة لم يستعمله أحد من العرب ولا من غيرهم من المولدين وأرباب البلاغة والفصاحة مثل أن يقال رأيت رأساً ويريد شخصاً من الإنسان من غير حصول قرينة تدل على ذلك وإن مثل ذلك غير فصيح بل غير جائز، وإن قيل بجوازه فهو مستهجن غير مألوف صحيح؟ وهل يكون قول القائل في جواز ذلك صرح الأصوليون بعدم اشتراط الوضع في المجاز سفسطة وهذياناً؟.

الجواب: الإعراب الأول هو الصواب، والثاني الذي قاله الراد خطأ بالكلية لا وجه له ولو أعربه على وجه آخر فقال إن النائب عن الفاعل ضمير ينظر وأسافله مرفوع بالوصف قبله على أنه نائب فاعل اسم المفعول على حد زيد يصبح مضروباً غلامه وكذا المصراع الثاني لكان له وجه في الجملة ومع إمكان هذا الوجه فالأول هو الصواب، ولهذا الوجه قادح خفي.

وأما الوجه الذي قاله الراد فلا وجه له البتة وهو خطأ صراح والقدر فيه أظهر من أن ينبه عليه، وكيف يصح ما ذكره من المعنى وهو أن التقدير ينظر أسافل الإنسان حال كون الإنسان منكوساً وهو ينظر بجملة أسافله وأعالیه معاً؟ أيضاً فلا يتم له التشبيه الذي عقد البيت لأجله، وأيضاً فالتكس قلب الأعلى أسفل لا عكسه الذي قرره هذا الراد وهو قلب الأسفل أعلى فذاك يسمى رفعاً لا نكساً، فلهذا عبر الشاعر في الرأس بمنكوس وفي الرجل بمرفوع، ولو كان ما قرره هذا الراد - كانت العبارة - فالإنسان أو فالرأس أي الإنسان ينظر مرفوعة أسافله، وأيضاً فجعل منكوساً حالاً من الرأس يقدر فيه بأمرين: كونه من المبتدأ وأكثر النحاة على منعه، وكونه يشعر بأن الإنسان إذا قام على الغدير يكون له حالتان: حالة يكون فيها منكوساً وحالة لا يكون فيها كذلك، وليس الأمر كذلك بل لا يكون إلا منكوساً، والأصل في الحال الانتقال، فإذا جعل حالاً من ضمير ينظر خلا من هذا القادح واستعمال الرأس هنا بمعنى الإنسان لا يمكن تصحيحه، أما أولاً فلفساد المعنى المراد من التشبيه الذي ساق الشاعر الكلام لأجله، وأما ثانياً فلأن مقابله بالرجل تأبى ذلك - هذا هو المعول عليه هنا في إبطال ذلك - وأما عدم القرينة والتنظير برأيت رأساً فلا مدخل له هنا، وأما قول القائل في جواب ذلك: صرح الأصوليون بعدم اشتراط الوضع في المجاز فكلام غير واقع موقعه ولا له تعلق بالمقصود - وهذا البيت لا تؤخذ معرفته من علم الأصول بل من علم البلاغة وتوابعه - وكذلك البيان والبديع والإنشاء والترسل ونقد الشعر:

وللعلم رجال يعرفون بها وللدواوين كتاب وحساب

مسألة: ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير؟

الجواب: المثل أخص الثلاثة، والشبيه أعم من المثل وأخص من النظير، والنظير أعم من الشبيه، وبيان ذلك أن المماثلة تستلزم المشابهة وزيادة، والمشابهة لا تستلزم المماثلة فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له، والنظير قد لا يكون مشابهاً، وحاصل هذا الفرق أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها، والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً واحداً، يقال هذا نظير هذا في كذا وإن خالفه في سائر جهاته، ويؤيد هذا الذي قلته من المنقول ما نقله الشيخ سعد الدين في شرح العقائد عن الأشعرية أن المماثلة عندهم إنما تثبت بالاشتراك في جميع الأوصاف حتى لو اختلفا في وصف واحد انتفت المماثلة، وأما اللغويون فإنهم جعلوا المثل والشبيه والنظير بمعنى واحد.

مسألة: قول الداعي: اللهم أرنا وجه نبينا وأوردنا حوضه هل صوابه وأوردنا أو أردنا وهل بينهما فرق من جهة المادة والنقل والمعنى؟

الجواب: الصواب أوردنا من الورد والماضي أورد ومضارعه يورد وأما أردنا فهو من الإرادة ولا معنى له هنا.

مسألة: في قوله ﷺ: «أَوْ مَخْرَجِي هَمْ» كيف عطف وهو إنشاء على قول ورقة إذ يخرجك قومك وهو خبر وعطف الإنشاء على الخبر لا يجوز، وأيضاً فهو عطف جملة على جملة والمتكلم مختلف؟

الجواب: القول بأن عطف الإنشاء على الخبر لا يجوز هو رأي أهل البيان والأصح عند أهل العربية جوازه، وأهل البيان يقدرّون في مثل ذلك جملة بين الهمزة والواو وهي المعطوف عليها فالتركيب سائغ على رأي أهل الفنين، أما المجوزون لعطف الإنشاء على الخبر فواضح. وأما المانعون فعلى التقدير المذكور أقول: ويصح أن تكون جملة الاستفهام معطوفة على جملة التمني في قوله: ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك بل هذا هو الظاهر فيكون المعطوف عليه أول الجملة لا ذيلها الذي هو ظرف متعلق بها، والتمني إنشاء فهو من عطف الإنشاء على الإنشاء، وأما العطف على جملة في كلام الغير فسائغ معروف في القرآن والكلام الفصيح قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ أَغْوًى يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لِي عَذَابٌ أَشَدُّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

مسألة: قال الشاعر:

ومستودع عندي حديثاً يخاف من إذاعته في الناس أن ينفد العمر
هل يجوز أن يقدر فيه إلى لأن المعنى ينحل إلى أن المودع يخاف إذاعة سره في الناس
ما دام حياً إلى حين نفاد عمره أو يمتنع تقدير إلى، وقول الآخر:
ومودع سره عندي ويحذر أن أبدية مني إلى أن ينفد العمر
هل دخول إلى في هذا البيت ممتنع؟ وإذا لم يمتنع فهل يجوز أن يكون هذا البيت
شاهداً على تقدير إلى في البيت الأول؟

الجواب: البيت الأول وإن أمكن أن يقدر فيه إلى على بعد لكن الأظهر أن لا تقدر فيه لأن أن ينفد في محل مفعول يخاف، فمتى قدر فيه إلى لزم كونه يخاف بلا مفعول فيصير المعنى ركيكاً، ولأن تقدير إلى التي هي لانتهاى الغاية لا تكون إلا بعد تقدم من التي هي لابتداء الغاية والبيت خال منها فيكون تقديرها من حيث اللفظ ركيكاً، فلما اجتمع في تقديرها ركافة اللفظ والمعنى وجب العدول عنه. وأما البيت الثاني فمفعول يحذر موجود وهو أن وصلتها وابتداء الغاية موجود وهو متى فجاز أن يقابل بالي وكل بيت له معنى يخصه أوجب ذلك، ثم تذكرت قاعدة في العربية تقتضي أن البيت الأول لا يجوز تقدير إلى فيه بوجه من الوجوه وذلك أن النحاة نصوا على أن إن وأن المصدريتين

لا يحذف معهما من حروف الجر، إلا ما دل عليه الفعل السابق لكونه يعدي بذلك الحرف فيقال مثلاً: عجبت أن تقوم فيقدر من لأن عجبت يتعدى بمن، وفرحت أن تقوم فتقدر الباء لأن فرح يتعدى بالباء، ورغبت أن تجيء فيقدر في لأن رغبت يتعدى بفي، وهذا البيت فيه من الأفعال يخاف وهو إنما يتعدى بمن لا بإلى ومن المعدية له موجودة فلا يجوز تقدير إلى فيما بعده لأن الفعل لا يدل عليها، وهذه قاعدة نفيسة ينبغي أن تحفظ.

مسألة:

يا عالماً فاق أهل العصر والأثر وزان أهل النهي في الخبر والخبر
هل لام يطلع مضموم ويضبطها بذاك ذاكرها في البدو والحضر
أو ينصبوها وضم اللام ذا خطأ كما تفوه شخص من أولي الفكر
وما تحقق من قول الذين مضوا وصنفوا كتباً في الصرف للبشر
لا زال مجدك محروساً بأربعة بالعز والنصر والإقبال والظفر

الجواب:

الحمد لله مزجي السحب بالمطر ثم الصلاة على المختار من مضر
بالضم يطلع منقول وشاهده تطلع على قوم المقروء في الزبر

مسألة:

يا عالماً زاده رب العلا شرفاً على رجال سمووا بالفضل والأدب
هل رسم أرجو وأشباه لها كتبوا بالواو مع ألف أمضوه في الحقب
أو واوها آخرأ فاكشف لنا كرباً لا زلت تنجدنا في السلم والحرب

الجواب:

الحمد لله حمداً دائماً أبداً ثم الصلاة على خير الهدى العربي
ما كان فعلاً لفرد ما به ألف وفعل جمع به زد هذه تصب

مسألة: خطيب قال في خطبته: والله لتشرين كأساً أمالت الرؤوس ودقت عنقاً قالها بضم الدال فاعترضه معترض وقال إنما هي بفتح الدال مبني وعنقاً مفعول.

الجواب: الخطيب مصيب والمعارض مخطيء، ودقت بضم الدال مبني للمفعول، وعنقاً تمييز محول عن النائب عن الفاعل وكان الأصل أمالت الرؤوس ودقت أعناقها، فلما حول أسند دقت إلى ضمير الرؤوس وانتصب ما بعده تمييزاً فأفرد كما هو من قواعد التمييز ويوهي كونه بالفتح ونصب عنقاً مفعولاً الذي جنح إليه المعارض كون العنق بصيغة الأفراد والكأس لم تدق عنقاً واحدة بل دقت أعناقاً كثيرة كما أمالت رؤوساً كثيرة فذكر العنق بالإنفراد على أنها مفعول في مقابلة الرؤوس التي هي جمع ركيك.

مسألة: حديث: «كما تكونوا يولى عليكم» لم حذف النون من تكونوا دون ناصب وجازم؟

الجواب: هذا الحديث روي هكذا بلا نون في شعب الإيمان للبيهقي وغيره، وقد خرج على ثلاثة أوجه: أحدها: أنه على لغة من يحذف النون دون ناصب وجازم كقول الشاعر: أبيت أسري وتبتي تدلكي^(١). وخرج على هذه اللغة من الحديث قوله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا». الثاني: وهو رأي الكوفيين، والمبرد أنه منصوب أورده شاهداً على مذهبهم أن كما تنصب وعدوها من نواصب المضارع وهو مذهب ضعيف. والثالث: أنه من تغييرات الرواة.

مسألة: قول الموثقين زوجاً باب ما مدلول هذا اللفظ؟

الجواب: مدلوله كمدلول مصراعي الباب وهما الفردتان المركبتان عليه، قال في الصحاح: الزوج خلاف الفرد وكل منهما يسمى زوجاً يقال هما زوجان للثنتين وهما زوج كما يقال هما سيان وهما سواء، وتقول اشتريت زوجي حمام وأنت تعني ذكراً وأنثى، وعندي زوجا نعل وقال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ [هود: ٤٠].

مسألة: في إعراب تركيب وقع في بعض الكتب نصه يقضي بالشفعة دافعاً عهدتها الدفع إلى ذي اليد هل دافعاً حال من الفاعل وهو الدفع أو من النائب عنه وهو بالشفعة؟

الجواب: الوجه إعرابه حالاً من النائب عن الفاعل وهو بالشفعة لا من الدفع الذي هو فاعل اسم الفاعل وهو دافع، والذي ذكر أنه حال منه إنما هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، وتفسير المعنى يتسمح فيه من غير مراعاة ما تقتضيه الصناعة الإعرابية، والذي تقتضيه الصناعة قطعاً هو كونه حالاً من بالشفعة وإن كان في المعنى إنما هو صفة للدفع فهو حال سببية جارية على غير من هي له كالصفة السببية والخبر السببي فهو كقولك: جيء بهند ضارباً أبوها عمراً، فضارباً حال من بهند لا من أبوها الفاعل به وإن كان في المعنى له، ونظيره في الصفة: مررت بامرأة ضارب أبوها عمراً، وفي الخبر هند ضارب أبوها عمراً، فضارب صفة لامرأة لا لأبيها وخبر عن هند لا عن أبيها وإن كان في المعنى إنما هو للأب، وتفكيك العبارة يقضي بالشفعة حال كونها دافعاً عهدتها الدفع إلى آخره، ولو أعرب حالاً من الدفع لكان حقه التأخير، وحينئذ يصير التركيب يقضي بالشفعة الدفع إلى ذي اليد دافعاً عهدتها وهذا تركيب مفلت غير ملتئم، وأعجب من ذلك أن يظن أن دافعاً حال من الدفع وهو فاعل به - وفي ذلك محذوران من جهة العربية - أحدهما: أنه باعتبار كونه حالاً منه حقه التأخير عنه، وباعتبار كونه عاملاً في الدفع الفاعلية حقه التقدم عليه وهذان أمران متناقضان. الثاني: أن اسم الفاعل هنا وهو دافع إنما سوغ عمله الفاعلية والمفعولية كونه حالاً كما تقرر في العربية أنه إنما يعمل في مواضع مخصوصة منها كونه حالاً، فلا بد أن

(١) ذكر تمام البيت في شواهد كتاب الشافية. وجهك بالعنبر والمسك الزاكي

يكون حالاً قبل العمل حتى يصح عمله، فلا يصح أن يعمل الفاعلية ثم يصير حالاً من الفاعل لأنه عمل قبل وجود الشرط وذلك باطل بالإجماع.

مسألة: في قول القاضي عياض في الفصل الخامس عقب الكلام على آيات النجم: اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقع في بعض النسخ فزكى قلبه بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ [النجم: ١١] الآية بالفاء وفي بعضها بالواو فهل يتعين الإتيان بالفاء أو الواو؟ فإن قلتم بالأول فما وجهه أو بالثاني فما وجهه؟.

الجواب: يتعين في مثل التعبير بالفاء وهي تفسيرية ولا يجوز التعبير بالواو، ومن أمعن النظر في القرآن، والحديث، وكلام العرب، والعلماء، والبلغاء لم يمتز في ذلك، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَكُنْهَا فُجَاءََهَا بَأْسًا﴾ [الأعراف: ٤] فإن قوله: فجاءها بأسنا تفسير لأهلكنا والفاء تفسيرية، وفي صحيح البخاري أنهم شكوا سعداً فشكوا أنه لا يحسن أن يصلي قال شراحه: الفاء هنا تفسيرية، وقال جماعة في قوله تعالى: ﴿فَقُتُّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] إن الفاء في فاقتلوا تفسيرية لأن توبتهم كانت نفس القتل، وكذا قول صاحب الشفاء فزكى قلبه بقوله إلى آخره تفسير لقوله قبله فزكى فؤاده، وقوله فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه تفسير لقوله اشتملت هذه الآيات على إعلام الله بتزكية جملته والتعبير في مثل ذلك بالواو مخل بالمعنى والله أعلم.

مسألة: في تعريف اللفظ بالصوت المشتمل على بعض الحروف هل هو غير جامع؟ وإذا قلتم إنه غير جامع فلم اقتصر عليه الموضح وغيره من النحاة مع أنه زاده في موضع آخر فقال: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف أو ما هو في قوة ذلك وهو المراد بقول بعضهم بالفعل أو بالقوة؟.

الجواب: نعم هو جامع لأنه يخرج عنه الحرف الواحد كواو العطف وفائه وباء الجر ولامه إذ لا يقال في الجر إنه مشتمل على نفسه، وقد اعترض المحققون بذلك على ابن المصنف في حياته وسلمه - قال بعضهم: فالأحسن تعريف اللفظ بالصوت المعتمد على مقطع فإنه تعريف سالم من كل إيراد ولهذا عبرت به في شرحي.

مسألة: يا حبذا أنت الوسيلة والقصد - هل هو تركيب صحيح أو لا؟ وإذا كان صحيحاً فما وجه نصب الوسيلة والقصد وهل يجوز رفعهما؟.

الجواب: النصب في مثل هذا واجب لكن شرطه أن يقع نكرة، واختلف هل هو حال أو تمييز كقول الشاعر:

ألا حبذا قوماً سليم فإنه

وقول الآخر:

حبذا الصبر شيمة لامرئ رام مباراة مولع بالمعالي

فتعريفه إما على حد تعريف الحال في قراءة من قرأ ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] أو التمييز في قوله: وطبت النفس يا قيس عن عمرو. لكن يحتاج إلى ثبوت أن النحاة يجيزون وقوع المعروف بعد حبذا قبل مخصوصها أو بعده وهو شيء لم يصرحوا به.

مسألة: في قول بعض الشعراء:

خذوا قودي من أسير الكلل فوا عجباً من أسير قتل
هل المراد به الجفون؟.

الجواب: الكلل هنا جمع كلة وهي ستر مربع، وقال الهروي: هو ستر رقيق يخاط كالبيت ويطلق أيضاً على الهودج والصوامع والقباب، ولا يصح إرادة الجفون هنا لأن الشاعر أراد بالأسير هنا المرأة المخدرة المحجوبة ولا يصح أن تكون أسيرة لجفونها وإنما أسير جفونها هو الشاعر نفسه:

مسألة:

يا من غدا بمراح الصرف مشغولا
ما الراح سابق رحراح بخطبته
موافقاً قال الشروح فكم
وقوله قيل مردوفاً بآخره
فإن معلومه قد صرفوه إلى
في بادئ الرأي يا من لا نظير له
لا زلت في نعمة تبدي العلوم لمن
الجواب:

الله حمداً أتى بالذكر مشمولاً
ثم الصلاة على الهادي وعترته
الراح لفظ أتى في النقل مشتركاً
منها الأراضي ذوات الاستواء بها
وقيل صرفه كالمعلوم لا حذر
لا زال فضلك منشوراً بلا كدر
مسألة: ما قولكم في جواب قول القائل؟:

يا بحر علم طافح رأينا
بالرفع مضبوطاً لمنشيه وقد
من مخلص لا يرى بالغش معلولا
وصحبه الغر والتسليم منحولا
له معان حكاها ذو يد طولى
نبت رأيناه في القاموس منقولا
كالكلمتان أيا أهل النهي قिला
مؤيداً برداء العز مشمولاً
مقرونة بالغسل في المنهاج
جوز فيه النصب للمحتاج

والقصد توجيه لكل منهما ليرتوي من بحرك العجاج
الجواب :

الله حمد والصلاة للذي
الرفع وصف نية لأنها
والنصف وصف نية محذوفة
مسألة :

أيا علماء النحو هل مثل كافر
لتحكم فيما بعد الإله تلت
فقد جاء في المنهاج ما هو موهم
فأنت لها كهف وأنت ملاذنا
ونولي صلاة تستدام على الرضا
الجواب :

ألا الحمد لله العلي المقدر
محلى بلام الجنس تجري كجمعهم
فإن كان في نفي فابدله متبعاً
وخرج على هذا الذي في عبارة النواوي
وما صح في إلا هنا الوصف ظاهراً

٧٢ - فجر الثمد في إعراب أكمل الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة : سئل شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي في سنة أربع وسبعين وثمانمائة عن قول القائل : الحمد لله أكمل الحمد هل أكمل متعين النصب أو يجوز الجر؟ فإن ثم من قال بجوازه فوافقه الشيخ على جوازه بل وزاد ترجيحه ، وألف في المسألة مؤلفاً قال فيه ما ملخصه : أنه وصف سببي لله محول أصله أكمل حمده فحول بالإضافة ، وأنه نظير قولك مررت بالرجل قائم الأب فإن أصله قبل التحويل مررت برجل قائم أبوه فحول إلى ما ترى ، فاستتر الضمير في اسم الفاعل وأضيف إلى الأب ، وقولك مررت بالرجل حسن الوجه فإن أصله مررت برجل حسن وجهه ، وعلل ترجيحه بأنه لا يحتاج إلى إضمار والنصب يحتاج إلى إضمار ، هذا حاصل ما ذكره الشيخ . وأقول : المتعين في هذا التركيب النصب ولا يجوز الجر ، ووجهه أنه نائب مناب المصدر المحذوف الذي هو في الأصل وصف له

تقديره حمداً أكمل الحمد، قال النحاة في باب المفعول المطلق ومنهم ابن مالك في شرح الكافية، وابن هشام في التوضيح يقوم مقام المصدر وصفه مضافاً إليه كسرت أحسن السير ومثل غيرهما بقولك ضربته أشد الضرب، ومثله في شرح التسهيل بقول ليلي الأخيلية:

نظرت ودوني من عماية منكب وبطن رداء أي نظرة ناظر

ويقول الآخر: وضائع أي جرى ما أردت به. ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجِبِلُوا كُنُزَ الْكَثِيلِ﴾ [النساء: ١٢٩] فهذه الأمثلة كلها منصوبة على النيابة عن المصدر والمثال مثلها، وعلم من ذلك دفع محذورين واردين أحدهما الإضمار الذي فرّ منه الشيخ فإنه إذا كان على وجه النيابة لا إضمار بل يكون المصدر محذوفاً وهذا قائم مقامه نيابة عنه. والثاني أنه قد يقال إن المصدر المقدر نكرة فكيف يوصف بالمعرف بالإضافة وقد علم أنه لا تقدير ولا إضمار، وإنما حذف أصلاً وأقيم مقامه وصفه مضافاً إليه للبيان وكان أصله الحمد لله حمداً كمل بلا إضافة هذا توجيه النصب، وأما امتناع الجر فيكاد يكون بديهياً لا يقام عليه دليل فإن أكمل صفة للحمد قطعاً لا لله: أما أولاً فلأن أوصافه تعالى توقيفية ولم يرد هذا الوصف فيها. وأما ثانياً فلأن الأصل عدم إطلاق أفعل التفضيل في حق الله إلا ما ورد مثل أكبر وأحسن الخالقين لما يشعر بالمشاركة. وأما ثالثاً فلأن المقصود وصف الحمد المثبت لله بالأكمالية والبلوغ نهاية التمام لا وصف الله بذلك. وأما رابعاً فلأن العلماء عبروا بما يدل على أنه وصف للحمد لا لله، ألا ترى إلى قول النووي في المنهاج: أحمدته أبلغ حمد وأكمله وأزكاه وأشمله، فأتى بالجميع صفات للحمد ومصادر له. وقول الشيخ إنه نظير قولك مررت بالرجل قائم الأب مخالف لقواعد العربية من أربعة أوجه: الأول: أن هذا التركيب فاسد لا يقول أحد بصحته لأن الرجل معرفة وقائم الأب نكرة فإن إضافته لفظية لا تفيد التعريف فلا يصح وصف الرجل به وإنما توصف به النكرة كقوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغَ الْكُتُبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] وإنما يستقيم أن يقال مثلاً برجل قائم الأب وحيثئذ تستحيل المسألة، وكذا مررت بالرجل حسن الوجه.

الثاني: ما قاله من التحويل والإضافة إلى المرفوع لا يجوز في اسم الفاعل إجماعاً هو من خواص الصفة المشبهة وألحق بها في ذلك اسم المفعول نص عليه ابن مالك في كتبه وقال في الألفية: وقد يضاف ذا - أي اسم المفعول - إلى اسم مرتفع معنى كمحمود المقاصد الورع، وقال في شرح الكافية: تفرد اسم المفعول بجواز إضافته إلى ما هو مرفوع - معنى نحو زيد يكسو العبد ومحمود المقاصد - وقال أبو حيان في شرح التسهيل: انفرد اسم المفعول بجواز إضافته إلى مرفوع بخلاف اسم الفاعل فإنه لا يجوز إضافته إلى فاعله لا تقول في مررت برجل ضارب أبوه زيدا برجل ضارب أبيه زيدا، قال: الصحيح أنها أيضاً في اسم المفعول إضافة من منصوب لا من مرفوع. الثالث: أن قوله أصله أكمل حمده يؤدي إلى استعمال أكمل مقطوعاً عن الإضافة ومن وهو أمر لا يعرف في أفعل التفضيل. الرابع: أن قوله أن الأصل أكمل حمده وأن الحمد فاعل وأنه حول عن الفاعلية ثم أضيف

إليه فاستتر الضمير غفلة عظيمة عن قواعد العربية فإن أفعَلَ التفضيل لا يرفع الظاهر أصلاً إلا في مسألة الكحل، وهذا المثال ليس من ضابطها بالإجماع فبطل هذا القول بلا نزاع والله تعالى أعلم.

٧٣ - ألوية النصر في خصيصي بالقصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة: قرأ قارئ عليّ في ختم كتاب الشفا بالخانقاه الشيخونية قوله: ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته فقرأها بخصيصي بالياء الساكنة آخرها على أن الكلمة مثناة مضافة لما بعدها فرددت عليه وقلت له: قل بخصيصي - أعني بألف القصر - وذلك بحضرة شيخنا الإمام العلامة محيي الدين الكافيجي فقال الشيخ: نعم بخصيصي - يعني بالألف - فقال القارئ المذكور: فيها الوجهان فقلت: ليس فيها إلا وجه واحد فذهب فكتب صورة سؤال وأخذ عليه خطوط جماعة بتصويب ما قاله وهم الشيخ أمين الدين الاقصرائي، والشيخ زين الدين قاسم الحنفي، والشيخ سراج الدين العبادي، والحافظ فخر الدين الديمي، والمحدث المؤرخ شمس الدين السخاوي، فجمعت نقول أئمة العربية واللغة وأرسلتها إلى الجماعة المذكورين ما عدا السخاري فعرفوا الصواب في ذلك ورجعوا عما كتبوه أولاً وكتبوا ثانياً بتصويب ما قلته بالألف المقصورة فذهب القارئ إلى السخاوي يستنجد به فكتب له على سؤال آخر كتابة طويلة عريضة مضمونها أنه لا يرجع كما رجع هؤلاء وأن مستنده في ذلك أن عنده نسخة من الشفا صحيحة قرئت على شيوخ عدة وفيها صورة السكون مرقومة بالقلم على الياء فقلت كفى بهذا الكلام جهلاً ومن هذا مبلغ علمه فهو غني عن الرد عليه.

أطبقت أئمة اللغة والعربية على أخصيصي بألف القصر وقد تمد شذوذاً فيقال خصيصاء مصدر بمعنى الخصوصية يقال خصه بالشيء خصوصاً وخصوصية وخصيصي وخصيصاء في لغة وخاصة نص على ذلك سيبويه في كتابه، والسيرافي في شرحه، والقالي في كتابه المقصور والممدود، والفارابي في ديوان الأدب، وابن فارس في المجمل، ونشوان الحميري في شمس العلوم، وابن دريد في الجمهرة، والجوهري في الصحاح، وابن سيده في المحكم، والخفاف في شرح الجمل، وأبو البقاء العكبري في اللباب، والزمخشري في كتاب المصادر، والعبسي في الخلاصة، والصغاني في العباب، وابن عصفور في الممتع، والأزدي في الدرر، وابن مالك في منظومته وشرحها، وابنه في شرح الألفية وفي شرح لامية الأفعال، وأبو حيان في شرح التسهيل، وابن هشام في التوضيح. وابن جابر في منظومته، والفيروزبازي في القاموس وخلائق، ومن نظائرها الحشيثي، والخطيبي والدليلي، والزليلي، والمكيثي في ألفاظ عدة ولم يرد خصيص البته حتى يقال في تثنيته خصيصان، وقد عقد ابن دريد في الجمهرة باباً لفعل وفعليل فذكر ما جاء منهما ثم قال بعد ذلك ليس

لمولد أن يبني فعيلاً إلا ما بينت العرب وتكلمت به ولو أجزى ذلك لقلب أكثر الكلام فلا تلتفت إلى ما جاء على فعيل مما لا تسمعه إلا أن يجيء به شعر فصيح .

٧٤ - الزند الوري في الجواب عن السؤال السكندري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : ورد من الإسكندرية سؤال صورته - روي في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» قال الشيخ محيي الدين النووي في شرحه لصحيح مسلم : قوله ﷺ : لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة - فكلهم ممن يجب عليه الدخول في طاعته ، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى .

قلت : وقد أشكل هذا الحديث على بعض الناس من جهة تنزيل المقصود منه على القواعد النحوية ، فإن المقصود من الحديث أنه من سمع بنبينا عليه الصلاة والسلام ممن شملته بعثته العامة ثم مات غير مؤمن بما أرسل به كان من أصحاب النار ، وفي تنزيل لفظ الحديث على هذا المقصود قلق كما سيأتي ؛ وهذا الإشكال يعرض كثيراً في غير لفظ الحديث أيضاً كقولك : ما جاءني زيد إلا أكرمته ، وما أحسنت إلى لثيم إلا أساء إلي ، وما أنعمت على عمرو إلا شكر ، وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب ، والسنة ، وكلام العرب ، والغرض في الجميع أن يكون الواقع بعداً لا مرتباً مضمونه على مضمون ما بعد حرف النفي أي مهما جاءني زيد أكرمته ، ومهما أحسنت إلى لثيم أساء إلي ، ومهما أنعمت على عمرو شكر ، وهكذا في سائر الأمثلة التي بهذه المثابة ، وتطبيق اللفظ على هذا الغرض غير متأت بحسب الظاهر ، فإن غاية ما يتخيل في هذا الاستثناء أن يكون مفرغاً باعتبار الأحوال ، فتكون الجملة الواقعة بعد إلا في محل نصب على أنها حال من الفاعل أو من المفعول المتقدم ذكره ، أي ما جاءني زيد إلا في حال كوني مكرماً له ، وما أحسنت إلى لثيم إلا في حال كونه مسيئاً إلي ، وما أنعمت على عمرو إلا في حال كونه شاكراً للنعمة ، وهذا مشكل فإن الحال مقيدة لعاملها ومقارنة له وليس إلا كرام مقيداً بمجيء زيد بحسب المقصود ولا مقارنة له في الزمن وكذا بقية الأمثلة .

فإن قلت : اجعل الحال مقدرة كما في قولهم : مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي مريداً الصيد به فكذا في الأمثلة أي ما جاءني زيد إلا في حال كوني مريداً لإكرامه ، وما أحسنت إلى لثيم إلا في حال كونه مريداً للإساءة إلي ، وما أنعمت على عمرو إلا في حال كونه مريداً بالشكر ، وعلى هذا تتأتى المقارنة والتقييد ولا إشكال .

قلت: هذا وإن كان في نفسه معنى ممكن الاستقامة فهو غير مفيد للغرض المصوغ لهذا الكلام، إذ المقصود كما سبق وقوع مضمون ما بعد حرف الاستثناء مرتباً على مضمون ما بعد حرف النفي، ولا يلزم من إنعامك على عمرو في حال إرادته للشكر أن يكون الشكر وقع بالفعل مرتباً على الإنعام عليه لجواز تخلف متعلق الإرادة الحادثة عنها، وكذا الكلام في بقية الأمثلة، فقد ظهر امتناع جعل ما بعد إلا حالاً لا من قبيل الحال المحققة ولا من قبيل الحال المقدرة، ولا مساعٍ لغير الحال فيه فيما يظهر بباديء الرأي فتقرر الإشكال.

فإن قلت: لم لا تجعل التفرع باعتبار ظرف الزمان أي ما جاءني زيد في حين من الأحيان إلا في حين أكرمه فحذف الحين كما في قولهم جئتكم صلاة العصر أي حين صلاة العصر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قلت: يمتنع ذلك لفظاً ومعنى أما لفظاً فلأن الظرف في مسألتنا على زعمك مضاف إلى الجملة ولا يحذف مضاف إلى الجملة وتقوم الجملة مقامه، وإنما ذلك إذا كان المضاف إليه مفرداً كما في جئتكم في صلاة العصر، وما أجازاه أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى فَنَسْ عَنْ نَفْسٍ﴾ [البقرة: ٤٨] من أن الأصل يوماً يوم لا تجزى نفس فأبدل يوم الثاني من الأول ثم حذف المضاف مردود، قال ابن هشام: لا نعلم هذا واقعاً في الكلام، ثم إن ادعى على أن الجملة باقية على محلها من الجر فشاؤ أو أنها أنبئت عن المضاف فلا تكون الجملة مفعولاً في مثل هذا الموضع، وأما معنى فيظهر مما أبطلنا به وجهي الحال المحققة والمقدرة إذ ليس المراد أن زيداً لم يجيء إلا في حال إكرامك له أو حال إرادتك لإكرامه، وإنما حينئذ المقصود ما أسلفناه والكلام في تنزيل اللفظ عليه فالإشكال بحاله.

وفي الحديث إشكال من جهة أخرى وهو أنه يقدم الاستثناء الواقع فيه جمل، فإن أعدته إلى الجميع وبيننا على أن العامل في المستثنى هو من قبل إلا من فعل أو معناه بواسطة إلا كما يراه البصريون لزم اجتماع عوامل على معمول واحد وهو باطل على ما تقرر في علم النحو، وإن أعدته إلى الجملة الأولى فقط لزم الخلف في الخبر، وذلك أن التقدير حينئذ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلا كان من أصحاب النار، وكم من يهودي ونصراني يسمع به بعد البعثة ولا يكون من أصحاب النار بأن يسلم ويموت على الإسلام، وإن جعلته راجعاً إلى ما بعد الجملة الأولى فقط على ما فيه صارت الجملة الأولى لا تعرض فيها إلا الاستثناء فيلزم الخلف أيضاً، إذ كثير من اليهود والنصارى يسمع به بعد البعثة - هذا آخر السؤال.

الجواب: قال ابن مالك في التسهيل في تقرير القاعدة التي من أفرادها هذا الحديث ويليهما أي إلا في النفي فعل مضارع بلا شرط وماض مسبوق بفعل أو مقرون بقد، وقال في شرحه: مثال المضارع ما كان زيد إلا يفعل كذا، وما خرج زيد إلا يجر ثوبه، وما زيد إلا يفعل كذا، ومثال الماضي مسبوقاً بفعل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا﴾ [يس: ٣٠] ومقروناً بقد قول الشاعر:

ما المجد إلا قد تبين أنه تندى وحلم لا يزال مؤثلاً قال: وإنما أغنى اقتران الماضي بقدر عن تقدم فعل، لأن قد تقر به من الحال فيكون بذلك شبيهاً بالمضارع، وإنما كان المضارع مستغنياً عن شرط لأنه شبيه بالاسم، وإنما ساغ بتقديم الفعل مقروناً بالنفي لجعل الكلام بمعنى كلما كان كذا فكان فيه إعلان كما كان مع كلما، فلو قلت ما زيد إلا قائم لم يجز لأنه ليس مما ذكر، وعلة ذلك أن المستثنى لا يكون إلا اسماً أو مؤولاً باسم، والماضي المجرد من قد بعيد من شبه الاسم، وأما قولهم أنشدك بالله إلا فعلت فإنه في معنى النفي كقولهم شر أمر ذا ناب أي ما أسألك إلا فعلك انتهى، وقال أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَاثُورًا﴾ أن الجملة حال من ضمير المفعول في يأتيهم وفي حال مقدرة، ويجوز أن تكون صفة لرسول على اللفظ أو الموضع انتهى.

فعلم من ذلك تخريج الحديث على الوجهين، والأرجح الحالية لأمرين: أحدهما: أن وقوع ما بعد إلا وصفاً لما قبلها رأي ضعيف في العربية بل قال ابن مالك: إنه لا يعرف لبصري ولا لكوفي وأن الزمخشري تفرد بذلك وإن ما أوهم خلاف ذلك فمؤول على الحال - وكان أبا البقاء تابع في ذلك الزمخشري.

الثاني: أن الحالية تطرد في جميع الأمثلة، والوصفية لا تطرد بل تختص بما إذا كان الاسم السابق نكرة كالحديث، أما نحو ما جاءني زيد إلا أكرمه فلا يمكن فيه الوصفية كما لا يخفى، فعلم بذلك ترجيح الحالية وكأنها مقدرة كما صرح به أبو البقاء، وما أورد على ذلك من عدم الملازمة وجواز تخلف متعلق الإرادة الحادثة عنها، فهو وإن كان كلاماً صحيحاً في نفسه إلا أنه لا يقدح في التخريج، ولو روعي هذا المعنى لم يكن يصح لنا حال مقدرة، وكم من قاعدة نحوية قدرت ولم يبال بمخالفتها للقواعد العقلية، فإن من النحو والفقه معقول من منقول كما ذكر ذلك ابن جني، فتارة يلاحظ فيها الأمر العقلية وتارة يلاحظ الأمر النقلية، على أن ما ذكر من الترتيب وما أورد عليه من عدم الملازمة إنما يتجه لو كان الترتيب المذكور عقلياً لا يتخلف وليس الأمر كذلك فإن الترتيب الذي في الحديث شرعي لا عقلي، والذي في الأمثلة أيضاً ليس بعقلي بل عادي خاص أي بحسب عادة المتكلم أو من تعلق به فعله ومثل ذلك يكتفي به في الحال المقدرة.

وأمر آخر: وهو أن ما ذكر في وجه الترتيب تفسير معنى، وما ذكر في تقرير الحال تفسير إعراب، وهم يفرقون بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب ولا يلتزمون توافقهما كما وقع ذلك كثيراً لسيويوه، والزمخشري وغيرهما، وأما الإشكال الثاني ففي غاية السقوط لأن الجمل السابقة ليست مستقلة بل جملة ثم يموت ولا يؤمن مرتبطة بالجملة الأولى على أنها قيد فيها - وثم - هنا واقعة موقع الفاء فإنها لمجرد الربط لا للتراخي كما في قوله: جرى في الأنابيب ثم اضطرب. وفي بعض طرق الحديث: لا يسمع بي من يهودي ولا نصراني فلم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار. فعلم أن جملة يؤمن مرتبطة بالأولى وفاء الربط تصير

الجملتين في حكم جملة واحدة كما قرره النحاة في باب العطف في مسألة الذي يطير فيغضب زيد الذباب، فقوله إن أعدته إلى الجملة الأولى لزم الخلف إلى آخره مدفوع بأنه إذا أعيد إليها مقيدة بمضمون ما بعدها لا يلزم ما ذكر والله تعالى أعلم.

٧٥ - رفع السنة في نصب الزنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا يقدر لعرشه زنة. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزل عليه أفصح الحديث وأحسنه. وبعد فقد سئلت عن وجه النصب في قول ﷺ: «سبحان الله وبحمده زنة عرشه ورضا نفسه وعدد خلقه ومداد كلماته» والجواب عندي أن هذه الكلمات الأربع منصوبات على تقدير الظرف والتقدير قدر زنة عرشه وكذا البواقي، فلما حذف الظرف قام المضاف إليه مقامه في إعرابه، فهذا الإعراب هو المتجه المطرد السالم من الانتقاض، وقد ذكر السائل أنه هل يصح أن يكون منصوباً على المصدر أو على الحال أو على حذف الخافض؟.

وأقول: أما النصب على المصدر فقد ذكره المظهر في شرح المصابيح قال: عدد خلقه منصوب على المصدر أي أعد تسبيحه وتحميده بعدد خلقه وبمقدار ما ترضاه خالصاً وبثقل عرشه ومقداره وبمقدار كلماته، وسبقه إلى ذلك الأشرقي في شرحه قال: عدد خلقه وكذلك ما بعده منصوب على المصدر أي سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد وزنة عرشه ومداد كلماته في المقدار يوجب رضا نفسه انتهى، فإن أراد بذلك أنه نفسه مصدر وأنه منصوب على أنه مفعول مطلق فلا يخفى ما فيه فإنه لا يكون مصدراً للتسبيح كما هو واضح بل يكون مصدراً لفعل من الزنة ويكون التقدير: سبحان الله أزنه زنة عرشه، ولا يخفى فساد هذا التقدير لأنه ليس المراد إنشاء وزن التسبيح بل المراد إنشاء قول التسبيح، والمعنى أقول سبحان الله قولاً كثيراً مقدار زنة عرشه في الكثرة والعظم، وعلى تقدير فعل الزنة يكون المعنى أزن التسبيح زنة عرشه وهو ظاهر الفساد، ثم إذا قدر في الأخرى أعده عدد خلقه كما أفصح به المظهري أدى إلى أن المعنى إنشاء عد التسبيح وليس مراداً بل المراد أقوله قولاً عدد خلقه ثم لا يمكنه ذلك في رضا نفسه.

فإن قيل: يقدر أرضيه رضا نفسه. قلنا: حينئذ يعود الضمير على غير التسبيح وهي في أزنه وأعده عائد على التسبيح فيختل التناسق في الكلمات ثم لا يمكن ذلك في مداد كلماته بلا مرية ويبقى على [كلام] المظهري تعقبان: أحدهما: أن عدداً لو كان مصدراً لم يجيء بالفك لأن مصدر عد على فعل بسكون العين فيجب أن يدغم فيقال عد بالتشديد كرد ومد وشد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤]. والثاني: أنه قال: منصوب على المصدر ثم قال: أي أعد تسبيحه بعدد خلقه فأدخل عليه الباء وليس هذا شأن المصدر الذي

هو مفعول مطلق لا يقال ضربت زيدا يضرب في موضع ضربته ضرباً، ثم قال: وبمقدار ما يرضاه ويثقل عرشه ومقداره وبمقدار كلماته وهذا كله يطل القول بأنه منصوب على المصدر ويؤول إلى نزع الخافض أو الظرفية، فإن النصب على الظرفية ونزع الخافض متقاربان، فإن الظرف منصوب على إسقاط الخافض الذي هو في غير أنه باب مطرد والنصب بنزع الخافض في غير الظرف غير مطرد فاتجه بذلك أنه منصوب على الظرف بتقدير قدر، وقد صرح بذلك الخطابي في معالم السنن. [فقال] قوله: ومداد كلماته أي قدر ما يوازنها في العدد والكثرة. وقال ابن الأثير في النهاية: ومداد كلماته أي مثل عددها، وقيل قدر ما يوازنها في الكثرة عيار كيل أو وزن أو ما أشبهه، وهذا تمثيل يراد به التقريب انتهى - فأشار بقوله مثل - إلى المصدر أو الوصف، ويقولوه وقيل قدر إلى الظرف، وقال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق: قوله عدد خلقه أي عدداً كعدد خلقه، وزنة عرشه أي بمقدار وزنه، ورضا نفسه أي غير منقطع، فأشار إلى أن لكل واحدة إعراباً على حدة: الأولى مصدر، والثانية ظرف، والثالثة حال، ولا شك أن تساوي الكل في الإعراب حيث أمكن أولى وتقدير قدر في كل منهما صحيح فاتجه نصب الكل على الظرف بتقدير قدر. فإن قيل: لم يصرح أحد بأن قدر انتصب على الظرف. قلت: ذلك لعدم اطلاعك في أمهات الكتب، وقد صرح الخطيب التبريزي، والمرزوقي كلاهما في شرح الحماسة في قول الشاعر:

فسايرته مقدار ميل وليتني

وفي قوله:

هل الوجد إلا أن قلبي لو دنا من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر
بأن نصب مقدار وقيد كلاهما على الظرف وقيد - بمعنى قدر - قال ابن شمعون في شرح الإيضاح في قول الفرزدق:

ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة الأشبار

يجوز نصب خمسة الأشبار نصب الظرف بسما بتقدير مضاف أي سما مقدار خمسة الأشبار، وقال جماعة في حديث أن موسى سأل ربه أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر: أن رمية نصب على الظرف بتقدير قدر أي قدر رمية بحجر، وقال الطيبي في شرح المشكاة في حديث فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها: سبعين ضعفاً قوله: سبعين مفعول مطلق أو ظرف - أي تفضل مقدار سبعين - وقال أبو البقاء في حديث: من فارق الجماعة شبراً - هو منصوب على الظرف والتقدير قدر شبر - وقال الطيبي في حديث: «من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً»: شبراً وذراعاً وباعاً في الشرط والجزاء منصوبان على الظرفية أي من تقرب إلي مقدار شبر، وقال أيضاً في حديث: من ظلم شبراً من أرض: المفعول به محذوف وشبراً يجوز أن يكون

مفعولاً [مطلقاً] أي ظلم شبراً ومفعولاً فيه أي مقدار شبر، وقال أيضاً في حديث إنه ﷺ أقطع الزبير حضر فرسه: نصب حضر على حذف المضاف أي قدر ما يعدو عدوة واحدة، ثم إن المسألة منصوصة في كتب النحو قال ابن مالك في التسهيل: الصالح للظرفية القياسية ما دل على مقدار، وقال في الألفية:

وقد ينوب عن مكان مصدر وذاك في ظرف الزمان يكشر
وقال ابن هشام في التوضيح: ينوب المصدر عن الظرف إذا كان معيناً لمقدار نحو
انتظرتك حلب ناقة، وقال أبو حيان في شرح التسهيل: قال الصفار في شرح الكتاب: اعلم
أن المصدر إذا استعمل في معنى الظرف جاز أن يضاف إلى الفعل، تقول: أتيتك ريث قيام
زيد أي قدر ببطء قيامه، فلما خرجت إلى الظرف جاز فيها ما جاز في الظرف، ثم إن نصب
زنة بخصوصها على الظرفية منصوص عليه من سيبويه وأئمة النحو، قال ابن مالك في شرح
التسهيل: من الجاري مجرى ظرف الزمان باطراد مصادر قامت مقام مضاف إليها تقديرًا نحو
قولهم هو قرب الدار ووزن الجبل وزنته، والمراد بالاطراد أن لا تختص ظرفيته بعامل ما
كاختصاص ظرفية المشتق من اسم الواقع فيه انتهى، وقال أبو حيان في شرح التسهيل:
وذكر سيبويه من المنتصب ظرفاً صدك وصفيك ووزن الجبل وزنة الجبل وأقطار البلاد
وهذه كلها ينصبها الفعل اللازم لإبهامها انتهى، وقال في الارتشاف: فرق سيبويه بين وزن
الجبل وزنة الجبل، فمعنى وزن الجبل ناحية توازنه أي تقابله قريبة كانت منه أو بعيدة، وزنة
الجبل حذاؤه أي متصلة به وكلاهما مبهم يصل إليهما الفعل وينتصب ظرفاً انتهى، وقد قال
التوربشتي شارح المصابيح في هذا الحديث: زنة عرشه ما يوازنه في القدر يقال هو زنة
الجبل أي حذاؤه في الثقل والوزانة انتهى - وهذا منه إيماء إلى تخريج الحديث على الظرفية
- وقد خرجوا على الظرفية ما هو أبلغ من ذلك، روي أن معاوية استعمل ابن أخيه عمرو بن
عتبة بن أبي سفيان على صدقات كلب فاعتدى عليهم فقال ابن العلاء الكلبى:

سعى عقلاً فلم يترك لنا سندا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
قال ابن الأثير في النهاية: نصب عقلاً على الظرف أراد مدة عقال والعقال صدقة عام،
وقال ابن يعيش في شرح المفصل: من المنصوب على الظرف قولهم سير عليه ترويحيتين
وانتظر به نحو جزورين والمراد مدة ذلك - والترويحيتين تشنية الترويحة واحدة الترويح في
الصلاة - وقال أبو البقاء في قوله ﷺ: «ليصل أحدكم نشاطه» أنه منصوب على تقدير
الظرف أي مدة نشاطه فحذفه وأقام المصدر مقامه، وقال الأشرقي في شرح المصابيح:
يجوز أن يكون نشاطه بمعنى الوقت وأن يراد به الصلاة التي نشط لها. فإن قلت: فما تقول
في نصبه على الصفة للمصدر؟

قلت: هذا ذكره طائفة، وأقول: لا يخلو إما أن يجعل صفة للمصدر المذكور وهو
سبحان أو لمقدر. فأما الأول فيعكر عليه الفصل بينه وبين موصوفه بقوله ويحمده وذلك
ضعيف أو ممنوع، مع أن عندي في جواز وصف سبحان وقفة فإنه غير متصرف ولم

يستعمل إلا علماً للتسبيح منصوباً ولم يتصرف فيه بشيء، وأما الثاني وهو أن يجعل التقدير سبحانه الله تسبيحاً زنة عرشه ففيه وقفة من وجوه: الأول: أنه تقدير ما لا حاجة إليه لأن المصدر يصرح به في اللفظ فأى حاجة إلى تقدير مصدر آخر. الثاني: أن المصدر المذكور منصوب بفعل مقدر فإذا قدر مصدر آخر لزم منه تقدير لثلاثة: فعل المصدر الظاهر، والمصدر المقدر، وفعل آخر له لأن الفعل الواحد لا ينصب مصدرين ولا ضرورة تدعو إلى ذلك. الثالث: أن الكلام لا يصح إلا بتقدير شيء آخر لأن التسبيح ليس نفس الزنة، فيكون التقدير مثل زنة عرشه، وإذا آل الأمر إلى تقدير مثل فالمراد المثلية في المقدار فرجع إلى ما قلناه من الظرفية خصوصاً أن قوله رضا نفسه لا يصح فيه تقدير المثلية - ولهذا قال الأشرقي: يساوي خلقه عند التعداد وزنة عرشه في المقدار ويوجب رضا نفسه فأخرجه عن حيز المساواة وتقدير قدر صحيح فيه أي قدراً يبلغ رضا نفسه.

فإن قلت: بقي وجه إبطال الحال. قلت: إذا قدر أصبح أو أقول سبحانه الله موازناً لعرشه فإن جعل حالاً من الفاعل نافره [كون زنة عرشه وما بعده جارياً على سبحانه لا على قائله أو من المفعول نافره] إن المفعول هنا مطلق والمعهود مجيء الحال من المفعول به، ولا يمكن كونه من المضاف إليه كما لا يخفى ولا يطرف التقدير بالمشتق في مداد كلماته كما هو ظاهر فبطل الحال. وبقي من الوجوه الممكنة في إعرابه أربعة: أحدها: أن يجعل مفعولاً به لفعل أو وصف مقدر أي يبلغ زنة عرشه أو بالغاً زنة عرشه. الثاني: أن يكون القول مقدرًا وسبحان الله مفعول أول وزنة عرشه مفعول ثان على لغة من يجري القول مجرى ظن بلا شرط.

الثالث: أن يكون خبراً لكان مقدرة هي واسمها ضميراً راجعاً إلى التسبيح وتقدر إما بصيغة المضارع أو اسم الفاعل. الرابع: وهو خاص برضا نفسه أن يجعل مفعولاً له على جعل الرضا بمعنى الإرضاء كقولك: سبحت ابتغاء وجه الله وكلها لا يعول عليها والعمدة على الأول والله أعلم آخره والحمد لله.

مسألة: وقع السؤال عن حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا مريض أو امرأة أو مسافر أو صبي أو مملوك». رواه الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله، فإن هذا الاستثناء من كلام تام موجب فيكون ما بعد إلا واجب النصب فما وجه رفعه وخاض الناس في توجيه ذلك، والذي عندي في الجواب أن هذه الكلمات الواقعة بعد إلا منصوبة ولكن كتبت بلا ألف وهذا ذكره الأئمة في أحاديث كثيرة - قال النووي في شرح مسلم في حديث ابن عباس في الإسراء - وأرى مالكا خازن النار وقع في أكثر الأصول مالك بالرفع وهذا قد ينكر ويقال هذا لحن لا يجوز في العربية، ولكن عندي عنه جواب حسن وهو أن لفظة مالك منصوبة ولكن أسقطت الألف في الكتابة وهذا يفعله المحدثون كثيراً فيكتبون سمعت أنساً بغير ألف ويقرؤونه بالنصب، وكذلك مالك كتبه بغير ألف ويقرؤونه بالنصب، فهذا - إن شاء الله من أحسن ما يقال فيه هذا كلام النووي - وقال أيضاً في باب

الحج: وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن - هكذا وقع في أكثر النسخ قرن بغير ألف بعد النون وهو مصروف لأنه اسم لجبل ويقرأ منوناً وإنما حذفوا الألف منه كما جرت عادة بعض المحدثين يكتبون سمعت أنس بغير ألف ويقرأ بالتونين، وقال القرطبي في شرح مسلم في كتاب النكاح في قول عائشة: كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونش، قوله: ونش - هو معرب منون - غير أنه وقع هنا نش على لغة من يقف على المنون بالسكون بغير ألف، وقال الشيخ ولي الدين العراقي في شرح سنن أبي داود قوله: سمعت خلاص الهجري كذا في أصلنا بغير ألف فقد يتوهم أنه غير مصروف وليس كذلك إذ لا مانع له من الصرف، وهذا اصطلاح لبعضهم أنه يستغنى عن كتابة الألف بجعل فتحتين فوق آخر الكلمة، لكن قد يغفل الكاتب تلك الفتحتين فيقع في الإبهام، وقال أيضاً في حديث عمرو بن ميمون: قدم علينا معاذ بن جبل اليمن فسمعت تكبيره مع الفجر رجل أجش الصوت، يجوز في قوله أجش الصوت النصب على الحال والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. وقد ضبطناه في أصلنا بالوجهين قوله أجش الصوت. وأما قوله رجل فهو مكتوب في أصلنا بغير ألف، فإما أن يكون مرفوعاً أو منصوباً، وكتبه بغير ألف وكثير من النساخ يفعل ذلك والله أعلم.

٧٦ - الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد على شيخنا الإمام العالم العلامة عبد الرحمن نجل الإمام كمال الدين أبي بكر السيوطي الشافعي عامله الله بلطفه ورحم سلفه الكريم في سادس شهر رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة أوراق مكتوب فيها ما صورته - الحمد لله رب العالمين - وبعد فقد وقف العبد كاتب هذه الأحرف فقير رحمة ربه ذي اللطف الخفي محمد بن علي بن سودون الحنفي على سؤال كتب قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين أبو نصر السبكي في ثاني عشر ذي قعدة الحرام سنة إحدى وستين وسبعمائة إلى الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي الشاعر المشهور:

للمشكلات إذا ما احتطن بالفكر	والمعضلات إذا أظلمن في النظر
وكدرت صافي الأكدار عندك يا	أبا الصفاء جلاء القلب والبصر
فما سؤالات من وافاك يسأل ما	حرف هو الاسم فعلاً غير معتبر
وأي شكل به البرهان منتهض	ولا يعد من الأشكال والصور
وأي بيت على بحرین منتظم	بيت من الشعر لا بيت من الشعر
وأي ميت من الأموات ما طلعت	بموته روحه في ثابت الخبر
من عد من أمراء المؤمنين ولم	يحكم على الناس من بدو ومن حضر

ولم يكن قرشياً حين عد ولا من باتفاق جميع الخلق أفضل من ومن علي ومن عثمان وهو فتى من أبصرت في دمشق عينه صنماً إن جاع يأكل وإن يعطش تضلع من من قال إن الزنا والشرب مصلحة من قال إن نكاح الأم يقرب من من قال سفك دماء المسلمين على الصلاة وما اللفيفة جاءت والسخينة في وهات قل لي إبراهيم أربعة بعض وهكذا خلف من الرواة كذا وعن فتاة لها زوجان ما برحا وآخر راح يشري طعم زوجته قالت له أنت عبدي قد وهبتك من وخمسة من زناة الناس خامسهم والقتل والرجم والجلد الأليم كذا التغريب أجب فأنت جزاك الله صالحاً فكتب إليه أبياتاً يمدح فيها وذكر في أثنائها أنه يجيب عن ذلك نثراً، ولم ير العبد له جواباً عن ذلك لا نظماً ولا نثراً، والمسؤول من صدقات سيدنا ومولانا أبقاه الله في خير ورحمة الجواب عن ذلك نظماً ونثراً فكتب شيخنا ما صورته - الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

الجواب نثراً: أما الحرف الذي يكون أيضاً اسماً وفِعْلاً فهو على فإنه يكون حرف جر واسماً بمعنى فوق فيدخل عليه حرف الجر كقول الشاعر: غدت من عليه . وفِعْلاً من العلو قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] هكذا ذكر جماعة من العلماء إن على استكملت أقسام الكلمة ولم يذكروا غيرها وقد استدركت عليهم قديماً لفظتين أيضاً:

الأولى: من فإنها تكون حرف جر وفعل أمر من مان يمين واسماً قال الزمخشري في الكشف في قوله تعالى: ﴿فَأُخْرِجْ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢] إذا كانت من للتبعض فهي في موضع المفعول به ورزقاً مفعول من أجله ولكم مفعول به لرزقاً لأنه حيثئذ مصدر. قال الطيبي: وإذا قدرت من مفعولاً كانت اسماً كعن في قوله: من عن يميني مرة وأمامي.

الثانية: في فإنها تقع حرف جر واسماً بمعنى الضم في حالة الجر كقوله ﷺ: «حتى ما تجعل في في امرأتك» وفعل أمر من الوفاء بأشباع. وقوله: وأي شكل إلى آخره هذا أمر يتعلق بعلم المنطق وهو علم حرام خبيث لا أخوض فيه. وقد سئل الشرف بن المقري بأسئلة نظم فيها:

وما عكس السوالب يا مرجي أي الجزئي منها في النظام
فأجاب عن الأسئلة بيتاً بيتاً وقال في هذا البيت:

وعن عكس السوالب لا تسلني فذاك مقدم العلم الحرام
قوله: وأي بيت على بحرین منتظم هذا نوع معروف من أنواع البديع يسمى التشريع أول من اخترعه الحريري وهو أن يكون البيت مبنياً على بحرین وقافيتين يصح الوقوف على كل منهما كقوله:

يا طالب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقسرة الأكسدار
دار متى ما أضحك في يومها أبكت غداً بعداً لها من دار
فإنه يصح أن يقول:

يا طالب الدنيا إنها شرك الردى دار متى ما أضحك في يومها أبكت غداً
قوله: وأي ميت إلى آخره الظاهر أنه أراد به ما في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] أي نطقاً في الأصلا ب فاطلق عليها الموت مع عدم وجود روح فيها خرجت منها. قوله من عد من أمراء المؤمنين إلى آخره - هو أسامة بن زيد مولى النبي ﷺ - أمره على جيش فيه أبو بكر، وعمر فلم ينفذ حتى توفي ﷺ فبعثه أبو بكر إلى الشام وكان الصحابة في ذلك السفر يدعونه أمير المؤمنين، وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا رأى أسامة بن زيد قال: السلام عليك أيها الأمير فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول: لا أزال أدعوك ما عشت الأمير؛ مات رسول الله ﷺ وأنت علي أمير - ولم يكن أسامة من قريش بل من الموالي - قوله: من باتفاق إلى آخره من فيه استفهام نفى أو إنكار، وكذا من قال: إن الزنا والبيتان بعده أي لم يقل ذلك أحد كذا رأيت صاحب النظم الشيخ تاج الدين السبكي فسر في بعض تعاليقه وجوز في قوله من قال: إن الزنا من مبتدأ خبره غير مغتفر أي لا يغتفر له هذا القول بل يؤاخذ به، قوله: من أبصرت إلى آخره أراد بهذا ما رواه الحاكم في تاريخ نيسابور بسنده إلى عبد الله البوشنجي عن أبي عبد الله بن يزيد الدمشقي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: رأيت ببغداد صنماً من نحاس إذا عطش نزل فشرب قال البوشنجي: ربما تكلمت العلماء على قدر فهم الحاضرين تأديباً وامتحاناً فهذا الرجل ابن جابر أحد علماء الشام ومعنى كلامه أن الصنم لا يعطش ولو عطش نزل فشرب فنفي عنه النزول والعطش. قوله: وما اللفيف إلى آخره قال ابن الأثير في النهاية: قال معاوية للأحنف بن قيس - وهو يمازحه - ما الشيء الملفف في

البجاد؟ قال: هو السخينة يا أمير المؤمنين، قال ابن الأثير: الملفف في البجاد وطب اللبن يلف فيه ليحمي ويدرك وكانت تميم تعير به، والسخينة حساء يعمل من دقيق وسمن يؤكل في الجذب وكانت قریش تعير بها، فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه مازحه الأحنف بمثله، قوله: وهات قل لي إلى آخره هذا نوع من أنواع علوم الحديث وهو من اتفق اسمه واسم شيخه فصاعداً والأربعة الذين رووا بعضهم عن بعض وكل منهم وكل منهم يسمى إبراهيم كثير منهم إبراهيم بن شماس السمرقندي عن إبراهيم بن محمد الفزاري الكوفي عن إبراهيم بن أدهم الزاهد عن إبراهيم بن ميمون الصائغ، والأربعة الذين كل منهم اسمه خلف وقع ذلك في علوم الحديث للحاكم في إسناده واحد بل خمسة فقال: ثنا خلف ثنا خلف ثنا خلف ثنا خلف. الأول الأمير خلف بن أحمد السجزي. والثاني أبو صالح خلف بن محمد البخاري. والثالث خلف بن سليمان النسفي. والرابع خلف بن محمد الواسطي. والخامس خلف بن موسى بن خلف، وأما المحدثون في إسناده واحد ففي صحيح البخاري من ذلك شيء كثير، وقد وقع لي حديث كل رواه يسمى محمداً من شيخنا إلى النبي ﷺ، قوله: وعن قتادة إلى آخره رأيت بخط صاحب النظم الشيخ تاج الدين في تذكرته ما صورته - امرأة لها زوجان ويجوز أن يتزوجها ثالث هذه امرأة لها عبد وأمة زوجت أحدهما بالآخر فصدق أنها امرأة لها زوجان وإذا جاء ثالث حر فله نكاحها، قوله وآخر راح إلى آخره رأيت بخطه أيضاً أن صورتها عبد وزوجه مولاه بابنته ودخل بها ثم مات مولاه ووقعت الفرقة لأنها ملكت زوجها بالإرث وكانت حاملاً فوضعت فانقضت العدة فتزوجت ووهبت ذلك العبد لزوجها، وقوله: وخمسة إلى آخره رأيت بخطه أيضاً قيل إن محمد بن الحسن سأل الشافعي عن خمسة زنوا بامرأة فوجب على واحد القتل، وآخر الرجم، والثالث الجلد، والرابع نصفه ولم يجب على الخامس شيء، فقال الشافعي: الأول ذمي زنى بمسلمة فانتقض عهده فيقتل. والثاني محصن. والثالث بكر، والرابع عبد. والخامس مجنون انتهى.

الجواب: ولم أقف على شيء من أجوبة هذه المسائل لغيري إلا هذه المواضع الثلاثة التي نقلتها عن الشيخ تاج الدين والموضع السابق في من وباقي المسائل مما أخذته بالفهم. وقلت في الجواب نظماً:

الحمد لله ربي بارئ البشر	ثم الصلاة على المختار من مضر
هذا جواب سؤالات الإمام أبي	نصر عليه همت هطالة الدرر
أما الذي هو حرف ثم جاء سمي	أيضاً وفعلًا مقالاً غير ذي نكر
على أنت حرف جر ثم فعل علا	واسماً كفوق وزد من غير مقتصر
ثم الذي هو شكل من علوم ردي	ولا يليق بأهل الشرع والأثر
والبيت ينظم من بحرین ناظمه	فذاك تشريعهم ما فيه من حصر

والميت من غير روح منه قد خرجت
ثم المسمى أمير المؤمنين ولم
أسامة حين ولاه النبي على
و«من» في الأربعة أبيات نافية
فصاحب النظم هذا القصد بين في
وبعضهم قال في الأصنام إن عطشت
ثم الليفة أكل والسخينة في
ثم المسمون إبراهيم أربعة
السمرقندي عن الكوفي عن العجلي
وهكذا خلف خمس أنت نسقا
ومن محمد يدعى عدة نسقا
ومرأة ملكت زوجين لا ريب
والعبد زوجه مولاه بابنته
ألقت جنيناً فوفت عدة نكحت
ثم الذين زنوا ذمي بمسلمة
والبكر فاحدد وعبدأ نصفه أبداً
ثم الجواب ولا لبس يخالطه
وقاله عابد الرحمن نجل أبي

ما كان في صلبه من نطفة البشر
يحكم على الناس من بدو ولا حضر
سرية لقبوه ذاك في السفر
أي لم يقل ذاك شخص أي معتبر
تعليق تذكرة يا طيب مذكر
تنزل كلاً ذاك لا يلقي لمختبر
جذب بها عيب أهل البدو والحضر
عن بعضهم قد رووا في صادق الخبر
عن ابن ميمون فاحفظه ولا تحر
في مسند قد رواه الحاكم الأثري
في جملة أسانيد من الأثر
فإن أرادت نكاحاً غير محتظر
فمات تملكه بانة بلا ضرر
فملكته له ضرب من القدر
فاقتل ومحصنهم فارجمه بالمدر
ومن خلا من صفات العاقلين ذر
فالحمد لله حمداً غير منحصر
بكر السيوطي يرجو عفو مقتدر

ثم بعد اثنتي عشرة سنة وذلك في ذي العقدة سنة ثمان وثمانين وقفت على كراسة بخط
الإمام علم الدين العراقي قال فيها ما ملخصه: قال مولانا القاضي الفاضل كريم الدين
عبد الله الشافعي: وبعد فإن بعض أكابر العلماء السادة المعروفين بزيادة التحقيق وكثرة
الإفادة وضع سبع عشرة مسألة من المعاني المحكمة بالسؤالات المشككة وجعلها نظاماً
لتكون أعسر فهماً تحار فيها عقول أولي الأبواب ويعجزون عن أن يأتوا لها بجواب، فلما
وقفت عليها أردت أن أجرب ذهني الكليل فأجبت عنها غير مسألة تعذر لإشكال معناها وهي
هذه:

الأولى:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من شيخ الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى من أمة المصطفى المختار من مضر
الجواب: إن كان عنى بالفتى عيسى ابن مريم فلا يطلق اسم الفتى على الأنبياء وإنما

يسمى بذلك الصبيان، والعبيد، والخدم، والإماء. وإن كان أراد إبراهيم ولد النبي ﷺ فلا يطلق عليه فتى فقد نص الأزهري على أن الصبي لا يسمى فتى حتى يراهق. وإن كان أراد الحسن فأبو بكر أفضل منه فلو قال بدل فتى شخص صح على عيسى عليه السلام وعلى إبراهيم ولد النبي ﷺ وعلى فاطمة رضي الله عنها لقول النبي ﷺ: فاطمة بضعة مني، قال مالك رضي الله عنه: لا أفضل على بضعة من النبي ﷺ أحداً.

الثانية:

من كان والدها ابناً في البنين لها وذلك غير عجيب عند ذي نظر
الجواب: تلك عائشة زوج النبي ﷺ فإنها أم المؤمنين وابنة أبي بكر فهي أمه وابنته.

الثالثة:

من الفتاة لها زوجان ما برحاً تزوجت ثالثاً حل بلا نكر
الجواب: لها زوجان من بقر أو غنم أو غير ذلك قال تعالى: ﴿قُلْنَا آخِمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] ﴿وَمِنْ كُلِّ الْفَرَاغِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣].

الرابعة:

من طلقت فتلقت أربعاً عدداً عن الوجوب بدار أي مبتدر
الجواب: هذه كانت حاملاً فولدت أربعة من الأولاد فإن العدة لا تنقضي إلا بانفصال الأربعة، هذا إن كان قوله عدداً بفتح العين، فإن كان بكسرها فهذه أمة دون البلوغ طلقت فاعتدت بالأشهر ثم حاضت في أثناء ذلك فانتقلت إلى الإقراء ثم عتقت فانتقلت إلى عدة الحرائر ثم مات الزوج فانتقلت إلى عدة الوفاة.

الخامسة:

من إن يزد جرمه تنقص مؤاخذه ويفتدي بعض ما يجنيه كالهدر
الجواب: إن كان جرمه - بضم الجيم - فهذا رجل ارتكب صغيرة ثم عزم على ارتكاب كبيرة ثم تركها خوفاً من الله فكان تركه للكبيرة بعد العزم عليها مكفراً لتلك الصغيرة التي ارتكبها، وإن كان جرمه بكسر الجيم - فهو الميزاب الخارج عن الحائط والروشن إذا وقع نصفه على إنسان فقتله كان على المالك الدية كاملة، وإن وقع بجملته كان عليه نصف الدية.

السادسة:

من إن تلا في صلاة آية فيبوء بالإثم والصمت منه ليس من حصر
الجواب: تلا آية في الصلاة فغلط فيها أو لحن وكان معه من يصلي فرد عليه فأصر على غلظه الأول وهو يظن ما يقرؤه صحيحاً، فأعاد ذلك الراد عليه فتوقف وسكت وبطلت الصلاة، وكان سكوته لا عن حصر وهو عدم القدرة على الكلام وإنما سكت للعجز عن

الحفظ والمعاذلة وأن لا يرجع للغير فأبطل الصلاة فأنتم لأجل ذلك . قلت : هذا جواب مخبط وكلام طويل ، والجواب عن هذه أنه فاقد الطهورين وهو جنب يصلي ولا يقرأ آية زيادة على الفاتحة . وهذا الاستدراك من عندي لا من المجيب ولا العلم العراقي . ثم قال :

السابعة :

من قال وسط جمادى الصوم مفترض وقد يصلي لنا العيدان في صفر
الجواب : جمادى عند العرب الشتاء كله قال الشاعر :

في ليلة من جمادى ذات أندية ولا يبصر الكلب في أرجائها الطنبا
قال وقوله : وقد يصلي لنا العيدان في صفر الصلاة هنا معناها الدعاء والعيدان مثني عيد وهو الوقت الذي يعود فيه الفرح أو ذكر الشوق والمحبة ، فالمعنى يدعى لنا بحصول عود الفرح وتجديد الشوق إلى الحبيب . قلت : ما أدرك هذا الجواب وقد اعترف صاحبه بأنه ما قدر على أكثر من ذلك ، والصواب الذي ظهر لي أن يصلي بمعنى الانحناء والتقويم والتلئين من قولهم صليت العود على النار ، والعيدان جمع عود وهو آلة اللهو المشهورة ، والصفر صفيح القصب ، وهذا الاستدراك من عندي أيضاً ، ثم قال :

الثامنة :

وآكل وسط شهر الصوم منفرداً عمداً نهاراً ولم يفطر ولم يزر
الجواب : النهار فرخ القطاة وولد الجباري كما أن الليل ولد الكروان .

التاسعة :

وآكل فيه ليلاً لم يقل أحد يصومه من سراة الرأي والأثر
تقدم جوابه أن الليل ولد الكروان .

العاشرة :

وواحد قد يصلي وهو منفرد وقد يؤم ولا يأتهم للقدّر
الجواب : هذا أعمى أصم لا يصح اقتداؤه بأحد لأنه لا يرى أفعال الإمام ولا يسمع المبلغ .

الحادية عشرة :

وقائل لا قصاص في السيوف بلى إن القصاص لفني شعر وفي ظفر
الجواب : لا قصاص في السيوف هو في بعض الجروح كالجائفة وما دون الموضحة وقوله : إن القصاص في شعر وشعر القصاص هنا من قص الشعر يقصه ، ومنه حديث جابر أن النبي ﷺ كان يسجد على قصاص الشعر ؛ قال الأزهري : هو بالفتح والكسر منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص .

٣٧ · الثانية عشر :

ثلاثة فرج انشى منه ما خرجوا وأوجد الروح فيهم خالق الصور
الجواب: هم آدم وحواء وناق صالِح.

الثالثة عشر:

وسارق هتك الحرز الحرز ولم يقطع بلا شبهة والمال ذو خطر
الجواب: هو الصبي، والمجنون، والحربي. قلت: مثل هذا ظاهر لا يلغز به.

الرابعة عشرة:

وسارق ما حوى المسروق يقطعه وسارق ما حوى المسروق لم يضر
الجواب: ما الأولى موصولة والثانية نافية. قلت: في كليهما نظر.

الخامسة عشر:

وسار قبر بمن فيه إلى أمد من الزمان فلا ينكر لذي الخبر
الجواب: هو يونس عليه السلام لما كان في بطن الحوت كان الحوت كالقبر له وهو
سائر في البحر:

السادسة عشر والسابعة عشر:

وآخر راح يشري طعم زوجته فعاد وهو على حال من الغير
قالت له أنت عبدي قد وهبتك من زوج تزوجته فاخدمه واعتبر
 وخمسة من زناة الناس خامسهم ما ناله بالزنا شيء من الضرر
والرجم والقتل والضرب الأليم مع الت غريب وزع في الباقيين فافتكر
والجواب عنها كالذي قدمته والله أعلم والحمد لله وحده.

٧٧ - الأسئلة المائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله صلى ذو الجلال على خلاصة الأنبياء كنز المساكين
من أثبت الله مولانا رسالته قدماً وآدم بين الماء والطين
محمد خير خلق الله قاطبة والآل مع صحبه الشم العرانيين
ويرحم الله مولانا وسيدنا منشئ العلوم بتحرير وتدوين
أبا حنيفة نعمان بن ثابت من استنبط الفقه إيضاحاً بتبيين
ومالكاً وابن إدريس وأحمد من هم نجوم الهدى للناس في الدين
الكاشفين بما قد حرروه لنا عن الفؤاد حجاب الجهل والرين

حاد وغرد طير بالأفانين
 للعالمين بإظهار البراهين
 سبحانه جل عن كيف وعن أين
 المسلمين إلى وعد العظمين
 يوم الجزاء الذي نشر الدواوين
 لكل فرد أم الأفراد بالدون
 أم مؤمنو الإنس والجن الفريقين
 كالمؤمنين الحنيفيين التقيين
 جوابكم نلتهم عزاً بدارين
 ومريم وحليلات النبيين
 أشد خوفاً به عند الموازين
 من كان هذا الشرا هل قبل تكوين
 دون القلوب وفيها معدن الدين
 أم أرضنا ثم ما خير الأراضي
 بآق وآية أرض أنجم الدين
 في سورة الأنبياء أفيدوني
 وما السواد يرى في البدر بالعين
 هل تقطع الليل سيراً تحت أرضين
 العرش أم لا وما مقدارها أفتوني
 ينزل بالرحمى أجيبوني
 وأي بحر لهم فضلاً بتعيين
 ذو النعم موسى المساكين
 باللوح سطر يا أهل البراهين
 ر ثم في قسم المولى بطاسين
 يعمل بمثقالها خيراً أفيدوني
 ثم حق يقين يا أولي الدين
 وهل يجوز بأنواع التلاحين
 وينتج الحرف بالإشباع حرفين

ما ضاء برق وما ضاع الشذا وشدا
 أئمة العلم لا زلتم نجوم هدى
 ما حكم قول إله العرش خالقنا
 في آية هي في الأحزاب تذكر أن
 غفران ذنبهم مع عظم أجرهم
 هل ما أعد لمجموع الفضائل أم
 ورؤية الله هل إنس تخص بها
 ومؤنات الورى يشهدن رؤيته
 أم لا تراه إناث المؤمنين فما
 أم بعضهن يرى المولى كفاطمة
 ما آية هي أرجى في القرآن وما
 متى اشترى الله نفس المؤمنين ومع
 ولم يخص بأموال وأنفسهم
 أمشراً فضلو أم مغرباً وسما
 أين السموات والجنات أفضل من
 في الذكر بورك فيها للأنام بها
 ما السر في طمس نور النيرين غدا
 أين الذهاب لشمس بعد مغربها
 وهل إذا غربت ترقى فتسجد تحت
 أي البلاد بها المهدي يظهر والمسيح
 وأي شهر ويوم أيما جبل
 أي بأفضل ذو الفقر الصبور أم الشكور
 ما أول خلقه بدء وأول ما
 ما حكمة في دخول المؤمنين لنا
 والميم تالية ما قدر ذرة من
 ما حد علم يقين ثم عين يقين
 هل أفضل الذكر سر أم علانية
 بحيث تزداد بالتلحين أحرفه

وما زمزم أم ما كوثر أفتوني
 أم النهار وما سر لذي الكون
 حواء من ضلع يا أهل البراهين
 يقيم إذ عاد من عام أجيبوني
 سجن وفي بطن حوت قام ذو النون
 آلات لهو كموصول وقانون
 الحياة إلى ذا الوقت والحين
 له النبوة ساداتي أفيدوني
 من الضلال الرسول ابن الذبيحين
 ذي العرش من خلق الإنسان من طين
 خليله أمره ذبح القرابين
 الله ثم على كل النبيين
 عليه إن قال في حق الحنيفين
 شرط لصحته جودوا بتبيين
 صلى ولم يدر إلا بعد يومين؟
 أم كلهم لو يعيدوها؟ أجيبوني
 وعظاً وحشوا بأنواع التفانين
 وصاحب الحاجة للهدف المساكين
 صلاة نفل وماذا يفت في ذين
 ميت وحكمتها صفا وصفين
 قدر الصلاة ويبدو الفجر في الحين
 من العشا ما به يقووا لفرضين
 وحكمهم في العشا ماذا أجيبوني
 بالبر هل صبح أو موحلة الطين
 من بلة بفم أم لا أفيدوني
 كل العيوب بما قد بيع من عين
 عن أرشه خصمه نقداً من العين
 رداً وما الحكم في ذا بين الإثنين

ما الأفضل اللبن المنساغ أم غسل
 والخوف أم ضده والليل سادتنا
 في خلق آدم من طين ولم خلقت
 ورفع عيسى ولم سمي المسيح وكم
 كم قد أقام نبي الله يوسف في
 هل جاز انشاد مدح الهاشمي على
 وهل لإلياس والخضر الوفي وإدريس
 والسيد الخضر المرضي هل ثبتت
 والدي خير خلق منقذنا
 في جنة إذ هما لم يعبدان سوى
 ماتا على ملة إبراهيم سيدنا
 عليه والمصطفى خير الأنام سلام
 هل قائل غير هذا تعلمون وما
 ما شرطكم لوجوبات الوضوء وما
 ما قولكم في إمام ثوبه نجس
 فهل عليهم يعيدوا أم إمامهم
 وفي خطيب مطيل سجع خطبته
 وفيه إيذاء معذور وذو سقم
 فهل تلاوته القرآن أفضل أم
 ما قدر قيراط أجر في الصلاة على
 من عندهم لم تغب شمس النهار سوى
 والصوم وافى فإن صلوا يفوتهم
 أيأكلون ويقضوا فرض مغربهم
 من في السفينة صلى وهي راسية
 هل يفسد الصوم ما تبقيه مضمضة
 ما حكم بيع على شرط البراءة من
 وطالب رد ذا عيب فاقبضه
 هل طاب هذا له أم لا ويمنعه

ومشتري أمة في الفور أنكحها
 هل ذاك مسقط استبراءها ولمو
 وهل يصح لنا يا سادتي سلم
 أم حكمها في رواج والكساد سوا
 ومن أقرّ بألفي درهم ونأى
 من ذا يزوج من بعضاً لها عتقوا
 ما حكم عقد نكاح الغائبين إذا
 وزوجة أنكرت بعد الدخول بها
 هل قولها أم مقال الزوج معتبر
 وذو الأما هل له وطء لواحدة
 وهل له وطء إحدى الزوجتين ورا
 وهل يجوز له وطء بحضرة من
 بحيث لا تدرك العمياء ما فعلا
 وقائل كلما عادت إليّ سعاد
 وقائل إن تبني مني فقبل تكن
 وبعد ما أصدر التعليق طلقها
 ومن يطلق إكراهاً وفي سكر
 عليه عشر مثاقيل ميء
 قرضاً ونودي على المثلث خمس ميء
 وقائل لفتاة كان يألفها
 لثن وطئت في ملكي فأنت إذن
 وبعد عادت له ملكاً وواقعها
 ومراة عتقت من ملكك ولدأ
 والحال لا قائل شرعي معتبر
 من أكرهوه على عتق أينفذ ذا
 أو أكرهوه على خمر أيشربها
 هل من مجوز قتل للكلاب لإفساد
 هل فاسق مدع بضرب مندله

زوجاً وطلقها من قبل تمكين
 لاها الوقاع والاستمتاع في الحين
 على الفلوس إذا راجت بنقدين
 وبيعها أجلاً هل حكم هذين
 عن البيان فماذا يقض بالدين
 محرر البعض أم غير أفيدوني
 لم يذكر اسم أب والجد الاثنين
 قبض المعجل من مهر بتلوين
 جودوا وقيتم بتوضيح وتبيين
 وهن يسمعن أو ينظرن بالعين
 ستاره ولهم تصغي بأذنين
 قد أذهب الله منها نور عينين
 وما جرى بين الاثنين الحبيبين
 بانت ودعها بنار الهجر تكويني
 من عصمتي بئناً أولى وثنتين
 ما الحكم فيه وسر فيه مكنون
 ما حكمه ثم ماذا حكم مديون
 كل من العشر المصرية العين
 كذا على العكس ما حكم في الاثنين
 من فاتكات اللحاظ الخرد العين
 عتيقة فأبيعت بيع تمكين
 أحكمها عتقها أم لا؟ أجيبيوني
 لها صغيراً بذاك الوقت والحين
 له فما صح من هذين الأمرين
 أم لا وإكراهه ما حده؟ أفتوني
 أم لا ويقضي اضطباراً غير مفتون
 الطريق بتنجيس الخبيثين
 جمعاً لجن لملموس ومجنون

وهل من السحر تأليب وتفرقة
 ما ليس بالعربي معناه يفهم هل
 ما الحكم في ذاكر الأشهاد ممتنع
 وشاهد قال لم أشهد بهذا أبداً
 أمنه تقبل أم تلغي شهادته
 وحاكم منكر حكماً به شهداً
 فهل لذي الجهل تصحيح الولاية أم
 ماذا تقولون في علم له نقلوا
 أعني بذا العلم تعبير المنام وإخبار
 يقول قد دلت الرؤيا بأن سيكون
 هل آثم بالذي ينبي المعبر أم
 ما حكمة الله في عود النبي رسول
 ماذا جوابكم فيمن يمد على
 ومن يمد على لام الجلالة أو
 هل بين هذي السما والأرض سادتنا
 وهل به فلك تجري كواكبه
 أم سير بدر كما قالوا باولة
 نلتهم ثواباً من المولى ومغفرة
 ثم الصلاة على أعلى الورى شرفاً
 والآل والصحب ما هب الصبا وصبا

وكتب حرز وحجب للمجانين
 تحل رقيباً به أم لا أجيبوني
 عن الأدا طالباً أجراً أفيدوني
 وبعده ذاكر الإشهاد في حين
 فيه بذلك يا أهل البراهين
 عليه يقبل أم قول الشهيدين
 شرط القضا علمه الأحكام في الدين
 عن الإمام أبي الفضل بن سيرين
 المعبر عن غيب ومكنون
 كذا من الأمر في علمي وتيقيني
 لا إثم فيه أجيبوني بتبيين
 الله عيسى إلى أرض أجيبوني
 همز الجلالة في تكبيره أفتوني
 هاء الجلالة يا أهل البراهين
 بحر من الما يقينا أو بمظنون
 به كشمس وبدر ثم باقين
 كذا برابعة شمس أفيدوني
 على الدوام وأجراً غير ممنون
 محمد المصطفى خير النبيين
 صب لذكر أحاديث المحبين

٧٨ - تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فإنني رجل حبيب إلى العلم والنظر فيه
 دقيقه وجليله والغوص على حقائقه والتطلع إلى إدراك دقائقه والفحص عن أصوله وجبلت
 على ذلك فليس في منبت شعرة إلا وهي محونة بذلك ، وقد أوديت على ذلك أذى كثيراً
 من الجاهلين والقاصرين ، وذلك سنة الله في العلماء السالفين ، فلم يزلوا مبتلين بإسقاط
 الخلق وأراذلهم وبمن هو من طائفتهم ممن لم يرتق إلى محلهم ، ومن المعلوم في كتب

الحديث والتاريخ ما قاساه ابن عباس بن نافع بن الأزرق وما أسمعته من الأذى وما تعنته به من الأسئلة، وأسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس مشهورة مروية لنا بالإسناد المتصل مدونة في ثلاث كراريس، وقد سقت غالبها في الإتيقان، وقول نافع لرفيقه لما أراد تعنت ابن عباس - قم بنا إلى هذا الذي نصب نفسه لتفسير القرآن بغير علم حتى نسأله - ورد ابن عباس عليه بأبلغ رد.

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ما قاساه سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من جهال أهل الكوفة وشكواهم إياه لعمر بن الخطاب حتى قال له عمر: شكوك في كل شيء حتى قالوا إنك لا تحسن أن تصلي، فانظروا بالله الذين أسلموا البارحة يزعمون في صاحب رسول الله ﷺ الذي كان يسمى ثلث الإسلام أو ربه إنه لا يحسن الصلاة؛ وكذلك من المعلوم ما قاساه الإمام مالك من أهل عصره لما برز عليهم. وما قاساه الإمام الشافعي من أهل مصر لما ألف الرد على مالك واضطراب البلد حتى كاد البلد يفتتن. وما قاساه البخاري من أنداده. والغزالي من أعدائه وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، وقد اجتمعوا كلهم عند الله وظهر لهم المحق من المبطل والأرفع رتبة عند الله من غيره، وظهر لنا مصداق ذلك في هذه الدار ببقاء كلام هذه الأئمة وانتشاره وظهوره واضمحلال من رد عليهم وطمس ذلك ودثوره.

وهذه الأسئلة قد رفعت إلي وهي محتاجة إلى فضل نظر وسعة اطلاع فأجبت عنها أولاً نثراً ثم أعقده نظماً فأقول: أما السؤال الأول: فقد ورد علي من مدة وأجبت عنه بما نصه - الإعداد في هذه الآية مرتب على المسلمين الموصوفين بكل ما ذكر في الآية من الصفات لا على فرد فرد من الصفات، والمعطوفات من عطف الصفة لا من عطف الذوات والمراد بهم البالغون درجة الكمال من هذه الأمة، والمراد بالمعد أكمل ما أعد بدليل تنكير مغفرة الدال على التعظيم وتنكير أجر الدال عليه أيضاً ووصفه تعظيماً، وإذا قال الله لشيء عظيم فهو عظيم جداً لا يعبر عنه وذلك أبلغ مما أعد للمسلمين الذين لم يتصفوا بكل هذه الصفات أو ببعضها فإن أجروهم دون ذلك، هذا من حيث الاستنباط المأخوذ من قواعد العربية والمعاني، وأما من حيث النقل عن العلماء فقد قال الغزالي في بعض كلامه: إن الموعود في القرآن بالجنة لم يقع مرتباً على مجرد الإسلام أو الإيمان، بل لم يقع فيه إلا مقروناً باشتراط انضمام الأعمال إليه، ذكر ذلك في معرض الحث على الأعمال - فهذا يدل على الأعمال الواقعة في هذه الآية - كل منها جزء المحكوم عليه وليس كل منها محكوماً عليه استقلالاً، ويؤيده أيضاً من حيث الاستنباط أنه لو كان كل فرد محكوماً عليه استقلالاً لزم الحكم على فرد من الأعمال كالصوم أو الصدقة المذكور في الآية مجرداً عن الوصف المصدر به - وهو الإسلام والإيمان - وهو باطل وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

فإن قال قائل: هذا مستثنى لا بد من اعتباره لما دل عليه من خارج. قلت: والباقي أيضاً - دل على اعتبار مجموعته - القواعد العربية والبيانية والسياق يرشد إليه والأحاديث الواردة

في الحساب والوزن والتفاضل إذا وقف عليها بلفظها مع مراعاة قواعد الاستدلال وأساليب البيان وغير ذلك من الأمور المشتركة في الاجتهاد أنتجت للمجتهد أن الأعداد مرتب على المجموع لا على كل فرد فرد والله أعلم.

وأما السؤال الثاني: فذكر صاحب آكام المرجان في أحكام الجان أن قياس قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الملائكة أنهم لا يرون ربهم أن الجن أيضاً لا يرون ربهم - ومستند الشيخ عز الدين - في الملائكة قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْآَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] خص من ذلك المؤمنون فبقي على عمومهم في الملائكة، لكن ما قاله الشيخ عز الدين في الملائكة ممنوع كما بيته في الكتاب الذي ألفته في الرؤية، وما قاله صاحب الآكام في الجن خالفه فيه البلقيني ومال إلى أنهم يرون، والذي أقوله: إن الجن تحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر الخلق قطعاً ويحصل لهم في الجنة في وقت ما من غير قطع بذلك لكن باحتمال راجح، وأما أنهم يساوون الإنس في الرؤية كل جمعة فالظاهر خلافه.

وأما السؤال الثالث: فقد حكى ابن كثير في كتاب البداية والنهاية في رؤية النساء ثلاثة مذاهب: أحدها: أنهم يرين إدراجاً لهن في عموم الأخبار الواردة في الرؤية.

الثاني: أنهم لا يرين أصلاً لعدم التصريح برؤيتهن في الحديث.

والثالث: أنهم يرين في الأعياد خاصة ولا يرين مع الرجال في أيام الجمع لورود حديث في ذلك - وهذا القول الثالث - هو الراجح وبه جزم ابن رجب، وأنا أستثنى أزواج الأنبياء وبناتهم وسائر الصديقات فأقول: إنهن يرين في غير الأعياد أيضاً خصوصية لهم كما اختص الصديقون من الرجال بمزية في الرؤية ليست لغيرهم - وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في مؤلف مستقل - سميناه إسبال الكساء على النساء ولخصناه في مختصر سميناه - رفع الأسى عن النساء.

وأما السؤال الرابع، والخامس: فذكر صاحب كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار أنه قيل في أرجى آية في القرآن قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقيل: ﴿أَنَّ الْمَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨] وقيل: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقيل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كِبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقيل: ﴿كُلُّ يَمْعٍ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] وقيل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وقيل: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقيل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] وقيل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

وقال في أخوف آية قيل: ﴿وَرَبِّدُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقيل: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [التفلاذ: ٣١] وقيل: ﴿فَإِن تَذَهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] وقيل: ﴿مَنْ يَمْعَلْ سَوْءًا يُجْزِ بِهٖ﴾ [النساء: ١٢٣] وقيل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقيل: ﴿إِنَّ بَطْنَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] وقيل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا النَّبِيَّاتِ﴾

[الجاثية: ٢١] الآية. وأقول: بقي في أرجى آية أقوال فقيل قوله: ﴿وَهَلْ يُخْرِجُ إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبا: ١٧] وقيل قوله: ﴿وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقيل قوله: ﴿وَمَا أَصْبَحَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] وقيل: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا يُخَبِّرُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وقيل: ﴿وَمُخَرَّجُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَمَا خَرَّ سِتًّا﴾ [التوبة: ١٠٢] وقيل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] وقيل: ﴿أَوْ مَشِيكًا ذَا مَغْفِرَةٍ﴾ [البلد: ١٦] وقيل: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلِي﴾ [طه: ٤٨] وقيل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقيل آية الدين، وبقي في أخوف آية أقوال: فعن أبي حنيفة قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وعن الشافعي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ [إلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] [العصر: ٢، ٣] وعن الشبلي قال: أخوف آية في القرآن على طالبي أهل الدنيا قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن سيرين قال: لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وأما السؤال السادس: فأقول: إن الشراء قد وقع في الأزل بالعلم وعند نزول الآية بالفعل وهذا شأن صفات الأفعال فإن قوله: اشترى صفة فعل مسندة إلى الله وبهذا يحصل الجواب عن السؤال السابع وهو أنه لم يكن في الأزل من يشتري منه، ويحتمل أن يجاب عنه بأن ذلك وقع مع المؤمنين وهم في عالم الذر لكن هذا يحتاج إلى ورود حديث به أو أثر ولم نقف عليه.

وأما السؤال الثامن: فإنما خص الأموال والأنفس وهي الأرواح لأنهما أعز الأشياء عند الخلق، فأعز شيء على الإنسان نفسه التي هي روحه والمال عدل الروح فاشترى منهم الأنفس ليلذلوها للقتل في سبيل الله والأموال لينفقوها في الجهاد، ولم يذكر القلوب لأنه إن أريد بالقلب ما هو حال فيه وهو الروح فقد ذكر ذلك حال وهو الأنفس فأغنى عن ذكر المحل الذي هو وعاء محض، وإن أريد بالقلب المحل الذي هو الشكل الصنوبري وهو الوعاء فهذا ليس بشيء حتى يذكر لأنه عبارة عن قطعة لحم وجزء من بدن الإنسان، وقد ذكر ما هو أشرف منه وأعز من كل البدن وهي الأنفس فلم يكن لذكر القلوب معنى.

وأما السؤال التاسع: فقال صاحب كشف الأسرار قال الطوخي في أسرار التنزيل: اختلف في أي الجهتين أفضل المشاركة: المشرق أفضل واحتجوا بوجوه:

الأول: أن الله تعالى لم يذكر الموضعين في موضع إلا قدم ذكر المشرق. الثاني: الفضاء يكون مظلماً فلا يضيء إلا بطلوع الشمس من المشرق. الثالث: أن الأئمة الأربعة في الفقه من الشرق. الرابع: أن الأرض التي بورك فيها بنص القرآن وهي أرض مصر

والشام وأرض الجزيرة من المشرق لأن الناس اتفقوا على أن أرض مصر حد ما بين المشرق والمغرب فما كان من مصر إلى جهة مطلع الشمس فهو مشرق فيتناول الحجاز والشام، واليمن، والعراق، وما بعدها - والمصر في اللغة - الحد ولذا سميت مصر بمصر. واحتج المغاربة بوجوه:

أحدها: أن الله تعالى بدأ بذكر المغرب في قصة ذي القرنين. والثاني: قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين» وفي رواية: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين» وأجيب بأن الثابت وهم بالشام غربي المدينة.

وأما لفظ الغرب فلا يثبت وإن ثبت فهو محمول على الغرب وهو الدلو التي يستقى بها وأكثرهم باليمن. الثالث: أن المغرب اختص بظهور الأهلة التي هي مواقيت للناس والحج يرمقها أبصار الناس دون المشرق، وعورض بطلوع الشمس من المشرق وبأن القمر يطلع أولاً من المشرق ممحوقاً ثم يظهر بالمغرب وبأن باب التوبة سبعة أربعين عاماً ثم إنه يغلق بالمغرب.

الرابع: أن المهدي يظهر بالمغرب، وأجيب بأن المشهور ظهوره بمكة أو اليمن أو العراق، قالت المغاربة: نحن لا يظهر الدجال من عندنا ولا يأجوج ومأجوج ولا سائر الفتن ولا أشار النبي ﷺ إلى بلدنا فقال: «الفتنة من ههنا» قالت المشاركة هذا عدول عن تقرير المناقب إلى التعريض بالمثالب فإن كان الأمر كذلك فيكميكم أن الشمس آية النهار وأنها تغرب عندكم وتظلم الأقطار ويغلق باب التوبة من جهتكم فلا تنفع التوبة والاستغفار، وأقول: لم يترجح عندي تفضيل المشرق على المغرب ولا عكسه لتعارض دليل كل منهما، وقد أردت أن أفضل المشرق لأن الأنبياء بعثوا منه ولم نقف أنه بعث من المغرب نبي، ثم وقفت عن ذلك لاحتمال أن يكون بعث منه نبي وإن لم يرد به خبر لأن الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فأي مانع من أن يكون طائفة منهم من المغرب، ولم ترد الأخبار بتفضيل حال خمسين نبياً فضلاً عن أكثر من ذلك حتى يؤخذ منها.

وأما السؤال العاشر: فقال صاحب كشاف الأسرار: اختلفوا في ذلك والأكثر على تفضيل الأرض على السماء لأن الأنبياء خلقوا منها وعبدوا الله فيها ودفنوا فيها.

وأما السؤال الحادي عشر: فذكر صاحب كشاف الأسرار ما نصه - في كلام بعضهم - الأرض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الأنبياء بها وهي مهبط الوحي وغيره. قلت: ورد به الأثر عن ابن عباس كما سنذكره.

وأما السؤال الثاني عشر: ففي كشاف الأسرار قال بعضهم: السماء الأولى أفضل مما سواها لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ آلَ آدَمَ الْفَيْحَ﴾ [الملك: ٥] قلت: ورد الأثر بخلافه.

أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال: سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الأرضين التي نحن عليها.

وأما السؤال الثالث عشر: فأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة». وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الفردوس مقصورة الرحمن فيها خيار الأشجار والأنهار».

وأما السؤال الرابع عشر: فأخرج ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتْهُ وُطًى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] قال: الشام، وأخرج أيضاً عن أبي العالية قال: هي الأرض المقدسة بآرك الله فيها للعالمين لأن كل ماء في الأرض عذب هو منها يخرج من أصل الصخرة التي في بيت المقدس يهبط من السماء إلى الصخرة ثم يتفرق في الأرض، وأخرج عن قتادة قال: هي أرض الشام وهي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى ابن مريم وبها يهلك مسيح الضلالة الدجال، وأخرج عن كعب قال: هي حران، وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَنَّتْهُ وُطًى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [٧١] قال: يعني مكة ونزول إسماعيل البيت ألا ترى أنه يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِكَاءِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وأما السؤال الخامس عشر: ففي كشف الأسرار قيل: الحكمة في أن الشمس والقمر يوم القيامة يطمس نورهما ويلقيان في جهنم ليظهر لعبدة الشمس والقمر أنهما ليسا آلهة لأنهما لو كانا آلهة لدفعا عن أنفسهما ولما ذهب ضؤؤهما، وهذا هو السر في ذهاب ضؤؤهما في الدنيا بالخشوف، وإنما ألقيا في جهنم يوم القيامة ليقال من كان يعبد شيئاً فليتبعة فيتبعونه في جهنم.

وأما السؤال السادس عشر: ففي كشف الأسرار إن قيل ما هذا السواد الذي في القمر؟ قيل: سأل ابن الكواء علياً رضي الله عنه عن ذلك فقيل إنه أثر مسح جناح جبريل وذلك أن الله تعالى خلق نور القمر سبعين جزءاً وكذلك نور الشمس ثم أتى جبريل فمسحه بجناحه فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس فأذهب الضوء وأبقى فيه النور فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] وأنت إذا تأملت السواد الذي في القمر وجدتها حروفاً أولها الجيم وثانيها الميم وثالثها الياء واللام ألف آخر الكل مكتوب عليه جميلاً، وقد شاهدت ذلك وقرأته مرات فسيحان من خلقه جميلاً.

قلت: أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن سعيد المقبري أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ عن السواد الذي في القمر فقال: كانا شمسين فقال قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: والذي رأيت هو المحو، وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه بسند واه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن الله خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان في سابق علمه أنه يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا على قدرها ما بين مشارقتها ومغاريها، وأما ما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويجعلها قمراً فإنه خلقها دون الشمس في العظم، ولكن إنما يرى صغرها لشدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض، فلو ترك الشمس

كما كان خلقها أول مرة لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل، ولم يدر الصائم متى يصوم ومتى يفطر، ولم يدر المسلمون متى وقت حجهم وكيف عدد الأيام والشهور والسنين والحساب، فأرسل جبريل فأمرَ جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَيْلٌ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن مجاهد قال: كتب هرقل إلى معاوية يسأله عن ثلاثة أشياء - أي مكان إذا صليت فيه ظننت أنك لم تصل إلى قبلة، وأي مكان طلعت فيه الشمس مرة لم تطلع فيه قبل ولا بعد، وعن السواد الذي في القمر - فأرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله فكتب إليه: أما المكان الأول فهو ظهر الكعبة. وأما الثاني فالبحر حين فرقه الله لموسى. وأما السواد الذي في القمر فهو المحو.

وأما السؤال السابع عشر، والثامن عشر: ففي كشف الأسرار الشمس إذا غربت أين تذهب؟ قال الطرطوشي في شرح الرسالة: اختلف في ذلك فقيل يتلعمها حوت، وقيل تغرب في عين حمئة كما قال الله تعالى - والحمأة بالهمز ذات حمأة وطين وقرئت حامية بغير همز أي حارة ساخنة - قال الطرطوشي: وقيل إنها تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يا رب إن قوماً يعصونك فيقول الله تعالى لها: ارجعي من حيث جئت فتنزّل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق وإذا نزلت إلى سماء الدنيا طلع الفجر حينئذ، وقال إمام الحرمين وغيره: لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع على آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويين أبداً، وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار كيف يصلون؟ فإنه ذكر أن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع فقال: يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم والأحسن - وبه قال بعض الشيوخ - أنهم يقدرون ذلك ويعتبرون الليل والنهار كما قال ﷺ في يوم الدجال الذي كسنة وكشهر «قدروا له» حين سأله الصحابة عن الصوم والصلاة فيه، وبلغار - بضم الباء الموحدة وإسكان اللام وبالغين المعجمة وبالراء المهملة في آخره - أقصى بلاد الترك.

وذكر لي بعضهم عن أخبره أن الشمس إذا غربت عندهم من ههنا طلع الفجر وصار يمشي قليلاً ثم تطلع الشمس. وبهذا الجواب المذكور يحصل الجواب عن تردد أبداء القرافي في قوم لا تغيب الشمس عندهم إلا مقدار الصلاة فهل يشتغلون بصلاة المغرب أو بالأكل حتى يقووا على صوم الغد إذا كان شهر رمضان؟ وإذا علمت من هذه القاعدة أن الليل يقصر عند قوم ويطول عند آخرين ظهر لك وجه الجمع بين الروايات الواردة عنه عليه السلام في قوله: «ينزل ربنا كل ليلة حين يذهب ثلث الليل». وفي رواية: «حين يذهب نصف الليل ويقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له من يقرض غير عديم ولا ظلوم» الحديث، وكذا أجاب بعض العلماء بهذا الجواب وهو أن نزول الملك يكون دائماً نصف الليل قال: ونصف الليل يكون نصفاً عند قوم وثلثاً عند آخرين فلا تنافي بين

الروایتين قال: والمعنى فيه أن الشمس إذا انتصف الليل أحدثت في العالم حركة بطبعها وحرارتها فلا يبقى حيوان نائم إلا وتحرك لأنها تقرب من الأرض، فإذا تحرك استيقظ في الغالب، فإذا استيقظ تلقاه المنادي ونشطه إلى القيام إلى الطاعة فيقول: هل من مستغفر هل من تائب هل من طالب حاجة؟ فهذه أسرار غريبة ومعان لطيفة فسيحان من هذا عطاؤه وجل من هذا قضاؤه. قلت: الأحاديث والآثار مختلفة في ذهاب الشمس بعد غروبها - فأخرج البخاري عن أبي ذر قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر تدري أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] وأخرجه النسائي بلفظ فإنها تذهب حتى تنتهي تحت العرش عند ربها ثم تستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها وتطلب فإذا كان ذلك قيل لها اطلعي من مكانك فذلك قول الله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وأخرج عبد الرزاق عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: مستقرها أن تطلع فتردها ذنوب بني آدم فإذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول: إن السير بعيد وإني إن لا يؤذن لي لا أبلغ فتحبس ما شاء الله ثم يقال: اطلعي من حيث غربت، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لا تخالف بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] فإن المراد به نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب، وقال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لا نحيط به نحن، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره؛ وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال: الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلکها فإذا غربت جرت الليل في فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر، وأخرج أبو الشيخ عن الحسن البصري قال: إذا غربت الشمس دارت في فلک السماء مما يلي دبر القبلة حتى ترجع إلى المشرق الذي تطلع منه وتجري في السماء من شرقها إلى غربها ثم ترجع إلى الأفق مما يلي دبر القبلة إلى شرقها كذلك هي مسخرة في فلکها وكذلك القمر.

وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: إن الشمس إذا غربت دخلت بحراً تحت العرش فتسبح الله حتى إذا هي أصبحت استعفت ربها من الخروج قال: ولم؟ قالت: إني إذا خرجت عبت من دونك، وأخرج أبو الشيخ بسند واه عن ابن عباس قال: إن الشمس إذا غربت رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع ثم ينطلق بها ما بين السماء السابعة وبين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتتحد حبال المشرق من سماء إلى سماء فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذلك حين تطلع الشمس.

وأخرج ابن عساكر عن الزهري أن خزيمة بن حكيم السلمي سأل رسول الله ﷺ عن حر الماء في الشتاء وبرده في الصيف؟ فقال: إن الشمس إذا سقطت تحت الأرض سارت حتى تطلع من مكانها، فإذا طال الليل في الشتاء كثر لبثها في الأرض فيسخن الماء لذلك، فإذا كان الصيف مرت مسرعة لا تلبث تحت الأرض لقصر الليل فثبت الماء على حاله بارداً.

هذا مجموع ما وقفت عليه في هذه المسألة من الأحاديث والآثار.

وأما السؤال التاسع عشر: فقد تقدم في الحديث المرفوع أن الشمس على قدر الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة قال: الشمس سعة الأرض وزيادة ثلث على قدر سعة الأرض، وأخرج أيضاً عن قتادة قال: الشمس طولها ثمانون فرسخاً في عرض ثمانين فرسخاً، وأخرج أبو الشيخ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رجلاً قال له: كم طول الشمس وكم عرضها؟ قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة، وطوال الكواكب اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً.

وأما السؤال العشرون: فقد ثبت في أحاديث أنه يخرج من قبل المشرق وأنه يبايع له بمكة بين الركن والمقام وأنه يسكن بيت المقدس.

وأما السؤال الحادي والعشرون: فقد صح في مسلم من حديث النواس بن سمعان أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق قال ابن كثير: هذا هو الأشهر في موضع نزوله، وورد في بعض الأحاديث أنه ينزل بيت المقدس، وجمع بعض العلماء بينهما بأنه ينزل بيت المقدس وبيت المقدس هو شرقي دمشق - وفي بعض الروايات - أنه ينزل بالأردن، وفي رواية بعسكر المسلمين.

وأما السؤال الثاني والعشرون، والثالث والعشرون: فأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل الليالي ليلة القدر». ففي كشف الأسرار أن يوم عرفة ويوم الجمعة على خلاف فيهما أفضل من سائر الأيام لما في يوم عرفة من تجلي الحق عز وجل ومباهاته الملائكة بالحاج وفيض عظيم عفوه وفضله ورحمته عليهم بالعتق من النار والمغفرة، ولما حصل في يوم الجمعة من خلق آدم وقبول توبته وإجابة الدعاء فيه في ساعة منه والإذن لأهل الجنة في زيارة الرب عز وجل انتهى.

وأما السؤال الرابع والعشرون: فالذي أقوله استنباطاً أن جبل أحد أفضل الجبال لقوله ﷺ: «أحد يحبنا ونحبه» وورد أنه على باب من أبواب الجنة ولأنه من جملة أرض المدينة التي هي أفضل البقاع ولأنه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ ﴿إِذْ نُصِيعُوكَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٰ أَكْرَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وأما السؤال الخامس والعشرون: فأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب.

وأما السؤال السادس والعشرون: فقد اختلف الناس قديماً وحديثاً في ذلك فمنهم من فضل الفقير الصابر على الغني الشاكر، ومنهم من عكس، ومنهم من توسط ففضل الكفاف وهو المختار، قال صاحب الوحيد: ذهب الجنيد إلى أن الفقير الصابر أفضل - وهو الذي أراه - وعلله بأن قال ما من ألم نفسه كمن أراح نفسه، وذهب ابن عطاء إلى أن الغني الشاكر أفضل واستدل بأن الغني صفة من صفات الله وهذا مشتق منه فقال له الجنيد: إن غنى الله بذاته وهذا الغنى تمتد إليه يد السارق والغاصب فلا يشتق هذا منه، وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في القواعد الكبرى: فإن قيل أيما أفضل حال الأغنياء أم حال الفقراء؟ - فالجواب - إن الناس أقسام أحدهم من يستقيم على الغنى ويفسد حاله بالفقر ولا خلاف أن غنى هذا خير له من فقره، والثاني أن يستقيم على الفقر ويفسده الغنى ويحمله على الطغيان فلا خلاف أن فقر هذا خير له من غناه، الثالث: من إذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر، وإن استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والإحسان وشكر الملك الديان، فقد اختلف الناس في أي حال هذا أفضل، فذهب قوم إلى أن الفقر لهذا أفضل، وقال آخرون: غناه أفضل وهو المختار لاستعاضته ﷺ من الفقر، ولا يجوز حمله على فقر النفس لأنه خلاف الظاهر بغير دليل، وقد يستدل لهؤلاء بأن النبي ﷺ كان أغلب أحواله الفقر إلى أن أغناه الله بحصول خير وفدك والعوالي وأموال بني النضير. والجواب عن هذا أن الأنبياء والأولياء لا يأتي عليهم يوم إلا كان أفضل من الذي قبله، وقد ختم آخر أمر رسول الله ﷺ بالغنى ولم يخرج غناه عما كان يتعاطاه في أيام فقره من البذل والإيثار والتقليل حتى أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي على أصع من شعير، وكيف لا يكون كذلك وهو ﷺ يقول: ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسك شر لك - أراد بالفضل ما فضل عن الحاجة الماسة - كما فعل ﷺ فمن سلك من الأغنياء هذا الطريق فبذل الفضل كله مقتصراً على عيش مثل عيش النبي ﷺ فلا امتراء أن غنى هذا خير من فقره، ويدل على ذلك حديث الصحيحين: ذهب ذوو الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم - الحديث، وفيه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأما قوله ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام» وقوله ﷺ: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» فإن ذلك محمول على الغالب من أحوال الأغنياء والفقراء إذ لا يتصف من الأغنياء بما ذكرناه من أن يعيش عيش الفقراء أو يتقرب إلى الله بما فضل من عيشه مقدماً لأفضل البذل فأفضله إلا الشذوذ النادرون الذين لا يكادون يوجدون، والصابرون على الفقر قليل ما هم والراضون أقل من ذلك القليل - هذا كلام الشيخ عز الدين - وقال ابن بطال في حديث: «ذهب ذوو الأموال بالدرجات العلى» في هذا الحديث فضل الغنى نصاً لا تأويلاً إذا استوت أعمال الغني والفقير فيما افترض الله عليهما، فللغني حينئذ فضل عمل البر من الصدقة ونحوها مما لا سبيل للفقير إليه، وقال ابن دقيق العيد: ظاهر الحديث القريب من النص أنه فضل الغني وبعض الناس تأوله بتأويل مستكره، قال: والذي يقتضيه النظر أنهما

إن تساويا وفضلت العبادة المالية أن يكون الغني أفضل وهذا لا شك فيه، وإنما النظر إذا تساويا وانفرد كل منهما بمصلحة ما هو فيه أيهما أفضل؟ إن فسر الأفضل بزيادة الثواب فالقياس يقتضي أن المصالح المتعدية أفضل من القاصرة فيترجح الغني، وإن فسر بالأشرف بالنسبة إلى صفات النفس فالذي يحصل لها من التطهير بسبب الفقر أشرف فيترجح الفقر، ومن ثم ذهب جمهور الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر، وقال القرطبي: في هذه المسألة للعلماء خمسة أقول: **ثالثها:** الأفضل الكفاف. **رابعها:** يختلف باختلاف الأشخاص. **خامسها:** التوقف.

وأما السؤال السابع والعشرون: ففي كشف الأسرار قال النيسابوري: قال بعضهم: خلق الله أولاً زمردة خضراء، ويقال اللوح والقلم، ويقال الوقت والزمان، ويقال العرش والكرسي، ويقال خلق أولاً عاقلاً أراد أن ينتفع بعقله غيره، ويقال خلق جوهرًا متفرقاً من الألوان والأطباع والهيئات ثم خلق الهيئات فركبها بين الأطباع والألوان وصارت بسيطة مؤلفة مطبوعة. ويقال خلق أولاً نقطة ثم نظر إليها بالهيبة فتضعضت وتمايلت فصيرها الله تعالى ألفاً.

وأما السؤال الثامن والعشرون: فأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال: إن أول شيء كتب أنا التواب أتوب على من تاب.

وأما السؤال التاسع والعشرون: ففي كشف الأسرار قيل: الحكمة في إدخال المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النعمة لأن تعظيم النعمة واجب في الحكمة. وقيل ليكون المؤمنون دليلاً للكافرين كما أن جبريل كان دليلاً لفرعون في البحر لأن عباد الصنم يوم القيامة يؤمرون بدخول النار مع أصنامهم فيأبون فيقول الله للمؤمنين ادخلوا فيقولون لبيك وسعديك إن أمرتنا فذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وحينئذ يتبين للخلق أن بره في النار للعارفين أكثر من بره في الجنة للمطيعين. وقيل أراد الله تعالى أن يطيب النار كما طيب بطن الحوت بإلقاء يونس عليه السلام لأن النار شكت إلى ربها فقالت: يا رب ما عصيتك قط فلم جعلتني مأوى المتكبرين والجبارين؟ فقال: أريك الأنبياء والمطيعين. وقيل ليرى المؤمنون عياناً ما أخبرهم به من نجات إبراهيم من نار نمرود فقال لإبراهيم: ﴿يَنَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وقال للمؤمنين: وردتموها وهي خامدة. وقيل ليرى الكفرة جودة عنصر المؤمنين لأن الجوهر الأصلي لا تعمل فيه النار ولا تفسده فكذلك المؤمن، وقيل ليظهر للخلق أنه جامع النور والظلمة لأنه هو المنجي من الظلمة والموقع فيها. وقيل ليرى الخلق كمال قدرته. فرقة يستغيثون من النار. وفرقة تستغيث النار منهم، وهذا كما جعل الماء رحمة على موسى وعقوبة على قوم فرعون كذلك النار رحمة للمؤمنين نقمة للكافرين، وقيل لأن الله تعالى وعد النار أن يملأها وهي لا تملأ بالكفرة فتقول هل من مزيد؟ فيورد المؤمن فيها فتملاً وتقول قط.

وأما السؤال الثلاثون: ففي كشف الأسرار أن طاء شجرة طوبى وسين سدرة المنتهى وميم محمد ﷺ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي في قوله: (طسم) فإن الطاء من ذي الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن؛ والأقوال في فواتح السور كثيرة مشهورة والذي أختاره أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أخرج ابن المنذر في تفسيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرّاً وإن سر هذا القرآن فواتح السور.

وأما السؤال الحادي والثلاثون: ففي كشف الأسرار قال النيسابوري: سبعون ذرة وزن جناح بعوضة وسبعون جناح بعوضة وزن حبة.

وأما السؤال الثاني والثلاثون: فقال السهروردي في عوارف المعارف: علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال. وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال. وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال، وقال فارس: علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي أودعه الله للأسرار والعلم إذا تفرد من نعت اليقين كان علماً بشبهة فإذا انضم إليه عين اليقين كان علماً بلا شبهة، وحق اليقين هو حقيقة ما يشير إليه علم اليقين وعين اليقين، قال الجنيد: حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم في الغيب فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال له رسول الله ﷺ: «ماذا أبقيت لعيالك؟ قال: الله ورسوله» وقال بعضهم: علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد، وقيل: اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق، فالاسم والرسم للعوام والعلم علم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء وحقيقة حق اليقين اختص به نبينا ﷺ.

وفي كشف الأسرار: علم اليقين هو الاستفادة من الأخبار، وعين اليقين مستفاد من المشاهدة، وحق اليقين يكون بالمعينة والمباشرة، قال تعالى في حق الكفار: ﴿ثُمَّ لَترَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] ولما دخلوها وباشروا عذابها قال تعالى: ﴿فَترَوْنَهَا مِنْ جَحِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [٩٤] إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ [الواقعة: ٩٣ - ٩٥] وقال سيدي محمد السعودي من أصحاب سيدي يوسف العجمي: علم اليقين معرفة الله بك إذ أنت عين الدليل عليه وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة الماهية محكوماً لها بالألوهية سلطاناً، وحجة لا ريب فيه عين اليقين مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك أي بعين الذات فناء كلياً لا يعقل معها نسبة الألوهية إثباتاً أو نفياً، بل مشاهدة تفني الأحكام والرسوم وتمحق الآثار - حق اليقين نسبة الألوهية إلى هذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها، وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا وهناً سكنت المحققون - وبعد هذه حقيقة حق اليقين وهو ظهور الانفعالات عن العبد مع غيبته عنها فيه غيباً كلياً وفناء محققاً وهذه غاية المراتب الثلاثة كتابية علم وعين وحق. والرابعة سنية قال ﷺ: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فهذه الحقيقة بها

يختبر العبد المتحقق نفسه في دعواه في معرفة حقيقة حق اليقين فتأمله.

وأما السؤال الثالث والثلاثون: فقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، قال سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه: قد اعترض بعض الفضلاء على الجهر بالذكر مستنداً بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الآية، وقوله ﷺ: «خير الذكر ما خفي» والجواب أن الله تعالى خاطب عامة عبادة بمثل قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] وخاطب الخاص بمثل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَسَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وخاطب سيد أهل الحضرة محمداً ﷺ بعد أن عرفه بربه ونفسه وأراه كيف مد الظل بمثل قوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] فمن لا يعرف ربه ولا نفسه ولا أراه كيف مد الظل فكيف يذكر ربه في نفسه؟ أو كيف يرى مد الظل؟ بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وأما الذكر الخفي فهو ما خفي عن الحفظ لا ما يخفئ به الصوت، وهو أيضاً خاص به ﷺ ويمن له به أسوة حسنة، وعن جابر رضي الله عنه: «أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل: لو أن هذا خفض من صوته فقال ﷺ: دعه فإنه أواه». وقال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة؟ قال خلق الذكر». وروي «أنه ﷺ خرج على حلقة من أصحابه قال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذلك قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة». وعن أبي قتادة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك فقال: إنني أسمع من ناجيت فقال: ارفع صوتك قليلاً». وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال: إنني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان قال: اخفض قليلاً». وروي أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أن ثوروا الذكر - أي ارفعوا أصواتكم - والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما وبين هذه الأحاديث والأثر أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة، وأما إذا كان الذاكر وحده فإن كان من الخاص فالإخفاء في حقه أولى، وإن كان من العام فالجهر في حقه أفضل، وقد شبه الغزالي رحمه الله ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذن واحد وجماعة مؤذنين فكما أن أصوات الجماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت شخص واحد، فكذا ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب من ذكر شخص واحد ومن حيث الثواب، فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع ذكر رفقاءه، وأما قوله: إنه أكثر تأثيراً في رفع الحجب فلأن الله تعالى شبه القلوب

بالحجارة في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة، فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد. ولهذا قال الشيخ نجم الدين البكري رحمة الله عليه: إن القوة في الذكر شرط واستدل بهذه الآية انتهى.

وأما السؤال الرابع والثلاثون: فجوابه أن إحداث الألحان في الذكر بدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا السلف الصالحين فإن انضم إلى ذلك تمطيط الأحرف والإشباع في غير موضعه والاختلاس في غير موضعه والترقيص والتطريب وتعويج الحنك والرأس فهذا مغن لا ذاك، وأخشى عليه أن يجاب من قبل الله باللعة، فإن سر الذاكر احضار عظمة الله وهيبته في القلب بخشوع وخضوع وإعراض عما سواه والملحن في شغل شاغل عن ذلك وليعرض الإنسان على نفسه أن لو وقف شخص تحت بيته ونادى آه يا سيدي فلان وكرر ذلك بهذا التلحين والترقيص أكان يرضيه ذلك أو يعده قليل الأدب فالتأدب مع الله أولى وأحق.

وأما السؤال الخامس والثلاثون: فأقول: مقتضى الأدلة تفضيل اللبن على العسل لأمر منها أنه يربى به الطفل ولا يقوم العسل ولا غيره مقامه في ذلك، ومنها أنه يجزىء عن الطعام والشراب وليس العسل ولا غيره بهذه المثابة - روى أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه عن ابن عباس - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يجزىء من الطعام والشراب غير اللبن» ومنها أنه لا يشرق به أحد وليس العسل ولا غيره كذلك - روى ابن مردويه في تفسيره عن أبي لبينة «أن رسول الله ﷺ قال: ما شرب أحد لبناً فشرق أن الله يقول: ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾» منها أنه ﷺ ليلة الإسراء أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فاختر اللبن فليل: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك - رواه الشيخان وغيرهما - فاختره اللبن على العسل ظاهر في تفضيله عليه، ومن الصريح في ذلك أيضاً ما رواه ابن أبي عاصم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعمه الله طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، وإني لا أعلم شيئاً يجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن» والحديث أصله في السنن الأربعة فقوله في الأول: وأطعمنا خيراً منه وفي اللبن وزدنا منه يعطى أنه لا شيء خير من اللبن.

وأما السؤال السادس والثلاثون: فقد كنت سئلت عنه قديماً وأجبت بأنه لم يرد حديث ولا أثر في التفضيل بينهما والتفضيل يحتاج إلى توقيف، وذكر عن حافظ العصر أبي الفضل ابن حجر أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن ماء زمزم أفضل مياه الدنيا، وماء الكوثر أفضل مياه الآخرة. وهذا الجواب كما ترى ليس فيه نص على تفضيل أحدهما على الآخر. وقد يقال لمن خطر بباله تفضيل ماء زمزم أنه يشهد له أنه ﷺ غسل صدره به لما شقه جبريل ولكن

الذي يظهر تفضيل الكوثر لأنه عطية الله للنبي ﷺ وزمزم عطية الله لإسماعيل، ولأن الكوثر مصرح بذكره في القرآن في معرض الامتنان مسنداً إلى نون العظمة ولم يقع في زمزم مثل ذلك.

وأما السؤال السابع والثلاثون: ففي كشف الأسرار قال بعضهم: هما سواء لا يفضل أحدهما على الآخر. ويقال ما دام الرجل صحيحاً فالخوف أفضل وما دام مريضاً فالرجاء أفضل، ويقال الخوف للمعاصي أفضل والرجاء للمطيع أفضل، ويقال الخوف قبل الذنب أفضل والرجاء بعد الذنب أفضل لأربعة أشياء: أحدها: إلى فضله والخوف من عدله والفضل أكرم من العدل. والثاني: الرجاء إلى الوعد والوعد من بحر الرحمة والخوف من الوعيد والوعيد من بحر الغضب ورحمته سبقت غضبه. الثالث: الرجاء بالطاعة والخوف من المعصية ومن الطاعة ما يعلو على المعاصي كالتوحيد. والرابع: الرجاء بالرحمة والخوف من الذنوب لها نهاية والرحمة لا نهاية لها، ويقال الخوف أفضل منه لأنه وعد بالخوف جنتين ولم يعد بالرجاء إلاجنة واحدة، وأيضاً الخوف يمنع من الذنوب وترك الذنوب أفضل من فعل الخيرات. ويقال: من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب فهو زنديق، ومن عبد الله بالثلاثة فهو مستقيم.

وأما السؤال الثامن والثلاثون: ففي كشف الأسرار قال النيسابوري: الليل أفضل لوجوه: أحدها أن الليل راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار، وأيضاً فالليل حظ الفراش والنهار حظ اللباس، ولأن الله تعالى سمى ليلة القدر خير من ألف شهر وليس في الأيام مثلها. وقيل النهار أفضل لأنه نور وأيضاً لا يكون في الجنة ليل وأيضاً النهار للمعاد والمعاش.

قلت: قد وقفت على تأليف في التفضيل بين الليل والنهار لأبي الحسين بن فارس اللغوي صاحب المجمل فذكر فيه وجوهاً في تفضيل هذا وجوهاً في تفضيل هذا، فمما ذكره في تفضيل الليل أن الله أنزل فيه سورة مسماة سورة الليل ولم ينزل في النهار سورة تسمى سورة النهار، وأن الله قدم ذكره على النهار في أكثر الآيات كقوله: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ۚ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ۚ﴾ [الليل: ١، ٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] ﴿جَعَلْ لَكُمْ الْلَيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: ٦١] ﴿قُلْ أَهْيَسْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: ٧١] وأن الله خلقه قبل النهار، وأن ليالي الشهر سابقة على أيامه، وأن في الليل ليلة خير من ألف شهر وليس في الأيام مثلها، وأن في كل ليلة ساعة إجابة وليس ذلك في النهار إلا في يوم الجمعة خاصة، وأن النهار فيه أوقات تكره فيها الصلاة وليس في شيء من ساعات الليل وقت كراهة والصلاة من أشرف العبادات، وأن فيه التهجد والاستغفار بالأسحار وهما أفضل من صلاة النهار واستغفاره. وأنه أصح لتلاوة الذكر قال تعالى: ﴿إِنَّ نَافِثَةَ اللَّيْلِ إِذَا أَسْتَدْ وَكَأَنَّكُمْ قِيْلًا ۖ﴾ [المزمل: ٦] وقال: ﴿أَمِنْ هُوَ قَيْنٌ ۖ عَائِلَةُ اللَّيْلِ سَاجِدًا﴾ [الزمر: ٩] وأن الإسراء وقع بالليل قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]

وقال تعالى: ﴿فَأَشْرَبَ بِأَخْلَافِكَ يَبْقُطُ مِنْ أَيْلٍ﴾ [الحجر: ٦٥] وقال أهل العلم في الليل: تنقطع الأشغال وتجم الأذهان ويصح النظر وتؤلف الحكم وتدر الخواطر ويتسع مجال القلب، ومؤلفو الكتاب يختارونه على النهار لأن القلب بالنهار طائر وبالليل ساكن، وكذلك مدبرو الملك. وقديماً كان يقال: الليل نهار الأريب، وقال القائل:

ولم أر مثل الليل جنة فاتك إذا هم أمضى غنيمة ناسك

وعارضه صاحب النهار بأن الله قدم ذكره في قوله: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ (٣) وَأَيْلٍ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) [الشمس: ٣، ٤] وبأن التقديم لا يدل على أفضليته فقد قدم الله الموت على الحياة والجن على الإنس والأعمى والأصم على البصير والسميع في قوله: ﴿خَلَقَ أَلْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَنْعَمِ وَالْأَصْصِرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّيِّعِ﴾ [هود: ٢٤] والمتأخر مما ذكر أفضل من المتقدم قطعاً وبأن النور قبل الظلمة قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وبأن الناس والشعراء ما زالوا يذمون الليل ويشكونه كقول امرئ القيس: ليل كموج البحر. والآيات. وقد استعاذوا بالله من الأبهمين ويقال الأعميين السيل والليل، وبالليل تدب الهوام وتشور السباع وتنشر اللصوص وتشن الغارات وترتكب المعاصي والفاحشات ولذلك قيل: الليل أخفى للويل، وقد شبه الله تعالى به وجوه أعدائه فقال: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قَطَعًا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧] وكان الحسن يقول: ما خلق الله خلقاً أشد سواداً من الليل وقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٦) [الفلق: ٣] قيل: هو الليل إذا أظلم، وتقول العرب للمكثار - حاطب ليل - لما يخشى عليه فيه من نهش أو تنهش ونهى النبي ﷺ عن جداد^(١) الليل وصرام الليل وأمر بغلق الأبواب وكف الصبيان بالليل وقال: «إن للشيطان انتشاراً وخطفة» وافتخرت العرب بالأيام دون الليالي فقالوا يوم ذي قار ويوم كذا، والأسبوع أيامه مسماة دون الليالي فإنما تذكر بالإضافة إلى الأيام فيقال ليلة الأحد وليلة كذا وليس المضاف كالمضاف إليه، والأيام النبيلة أكثر من الليالي كيوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء والأيام المعلومات والمعدودات، وليس في الليالي إلا ليلة القدر وليلة نصف شعبان. وقال ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» ولم يقل ذلك في شيء من الليالي.

وأما السؤال التاسع والثلاثون: ففي كشف الأسرار إنما خلق آدم من التراب دون غيره لأنه لم يكن قبل آدم شيء إلا التراب فخلقه منه ثم خلق حواء من آدم لأنه أراد أن يكونا من جنس واحد وخلقها من الضلع ليعلم أنهم خلقن من العوج فلا يطمع في تقويمهن.

وأما السؤال الأربعون: ففي كشف الأسرار سؤال لم رفع عيسى إلى السماء؟ قيل: لأنه أراد أن يصحب الملائكة ليحصل لهم بركته كما صحبه الثابون في الدنيا، وأيضاً لما لم يكن دخوله من باب الشهرة وخروجه لم يكن من باب المنية بل دخل من باب القدوة وخرج من باب العزة.

(١) الجداد - بدالين مهملتين بينهما ألف ويفتح أوله ويكسر - صرام النخل وهو قطع ثمرتها. النهاية.

وأما السؤال الحادي والأربعون: ففي كشف الأسرار إنما سمي مسيحاً لأنه كان يسبح في الأرض، ويقال ولد ممسوحاً بالدهن، ويقال لأنه كان يمسح الضر عن الأعمى والأبرص والأكمه، ويقال لأنه لم يكن لقدمه أخمص. وزاد ابن الأثير في النهاية ما نصه - وقيل المسيح الصديق - وقيل هو بالعبرانية مشيحاً فعرب. وأما السؤال الثاني والأربعون: ففي صحيح مسلم أنه يقيم سبع سنين، وفي مسند أبي داود الطيالسي في أثناء حديث أنه يقيم أربعين سنة وجمع بينهما بأن المراد بالأربعين مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة. وأما السؤال الثالث والأربعون: ففي كشف الأسرار قيل اثنتي عشرة سنة بعدد حروف ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] روي أن النبي ﷺ قال: «لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن طول ما لبث» وأقول: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَقْضَىٰ سِتْرِي﴾ [يوسف: ٤٢] قال: اثنتي عشرة سنة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه لبث سبع سنين، وأخرج ابن جرير مثله عن قتادة، وهب بن منبه، وابن جريج. وأخرج من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله: بضع سنين قال: دون العشرة، وأخرج عن مجاهد في قوله بضع سنين قال ما بين الثلاث إلى التسع. وأما السؤال الرابع والأربعون: ففي كشف الأسرار أنه لبث أربعين يوماً، وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال: مكث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً، وأخرج أيضاً عن الشعبي قال: التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية. وأما السؤال الخامس والأربعون: فالجواب أن المشهور في المذاهب الأربعة تحريم آلات اللهو وأجازها طائفة منهم أهل الظاهر - والمختار في هذه المسألة ما ذهب إليه محققون منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام بإباحة ذلك للصوفية خاصة وتحريمه على غيرهم ويسط ذلك في حواشي الروضة. وأما السؤال السادس والسابع، والثامن والأربعون: فالجواب أن الثلاثة أحياء.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مريم: ٥٧] قال: رفع إدريس كما رفع عيسى ولم يمِت، وأخرج ابن المنذر في تفسيره من طريق الليث بن سعد عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ أن إدريس كان صديقاً لملك الموت فقال له إدريس: أحب أن تديقني الموت وتفرق بين روحي وجسدي حتى أجد طعم الموت ثم ترد روحي، فقال له ملك الموت: لا أقدر على ذلك إلا أن أستاذن فيه ربي، فقال له إدريس: فاستأذنه في ذلك فعرج ملك الموت إلى ربه فأذن له فقبض نفسه وفرق بين روحه وجسده فلما سقط إدريس ميتاً رد الله إليه روحه الحديث بطوله.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن بعض أصحابه قال: كان ملك الموت صديقاً لإدريس فقال له يوماً: يا ملك الموت أمتني فاستأذن ربه فقال له: أمته فلما

مات رد الله إليه روحه فمكث ما شاء الله حياً ثم قال: يا ملك الموت أدخلني الجنة فاستأذن ربه فقال: أدخله الجنة فاحتمله ملك الموت فأدخله الجنة فكان فيها ما شاء الله فقال له ملك الموت: أخرج بنا قال: لا قال الله تعالى: ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتٍ ۝٥٨ إِلَّا مَوَلَّتَنَا الْأُولَى﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩] وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وما أن بخارج منها قال ملك الموت: يا رب قد تسمع ما يقول عبدك إدريس قال الله له: صدق فأخرج منها ودعه فيها وذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ قال بعض العلماء: أربعة أنبياء أحياء اثنان في السماء: إدريس، وعيسى. واثنان في الأرض: إلياس، والخضر. وفي حديث رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن أن إلياس يكون مع الدجال ينذر الناس فإذا قال الدجال: أنا رب العالمين قال له إلياس: كذبت، وفي حديث رواه ابن عدي في الكامل أن إلياس، والخضر يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله - كذا أخرجه من حديث ابن عباس مرفوعاً، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن أبي رواد قال: إلياس، والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل.

وأما السؤال التاسع والأربعون: فجوابه أن فيه ثلاثة أقول: أحدها أنه نبي، والثاني أنه رسول، والثالث أنه ولي وعليه الجمهور. وأما السؤال الخمسون: فالجواب أنهما في الجنة وقد ألفت في ذلك كتاباً سميت التعظيم والمنة^(١) قررت فيه الأدلة على ذلك وأقربها طرق: أحدها أنهما كانا على ملة إبراهيم الحنيفية كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما ممن تحنف في الجاهلية. والثاني أنهما كانا في الفترة والفترة لا تكليف فيها. والثالث أنهما أحييا له ﷺ وأما به.

وأما السؤال الحادي والخمسون: فجوابه أنه من قال من العوام أو من الفقهاء بحضرة العوام في حق أبوي النبي ﷺ أنهما في النار أو أنهما كانا كافرين أنه يلزمه التعزير البليغ أو أكثر من ذلك، وقد سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال في حق والد النبي ﷺ إنه كافر: فأجاب بأن قائل ذلك ملعون لأن هذا القول يؤدي النبي ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وأما السؤال الثاني والخمسون: فجوابه أن شرط وجوب الوضوء التكليف والحدث ودخول وقت الصلاة، وقولنا التكليف يجمع ثلاث صفات: البلوغ والعقل والإسلام.

وأما السؤال الثالث والخمسون: فجوابه أنها بضعة عشر شرطاً: الماء الطهور، والعلم أو

(١) طبع في الهند في ضمن مجموعة رسائل للسيوطي.

الظن بطهوريته، والإسلام، والتمييز، وعدم المنافي، وفقد المانع، وطهارة العضو من نجاسته، والعلم بكيفيته، وتمييز فرائضه من سننه - وترتيبه على ما جنحت إليه في حواشي الروضة ولم أسبق إليه - والأصحاب عدوا الترتيب ركناً لا شرطاً، وتزيد المرأة بشرط وهو النقاء عن الحيض والنفاس، ويزيد صاحب الضرورة بستة شروط: دخول الوقت، وتقديم إزالة النجاسة، والاستنجاء، وحشو المنفذ، وإيلاؤه الوضوء، والموالة فيه.

وأما السؤال الرابع والخمسون: فجوابه أن الإمام تجب عليه الإعادة ولا تجب على المأمومين. هذا هو الأصح فيهما.

وأما السؤال الخامس والخمسون: في إطالة الخطبة فجوابه أنه يكره له ذلك.

وأما السؤال السادس والخمسون: فجوابه أن تلاوة القرآن الكثير أفضل من صلاة نفل قليلة، وصلاة النفل الكثيرة أفضل من تلاوة قليلة، فإن استوى الزمان المصروف إليهما كنصف يوم مثلاً أراد الإنسان أن يصرفه في أحد النوعين فمقتضى كلام الفقهاء حيث قالوا أفضل عبادات البدن الصلاة وقوله ﷺ: «[واعلموا] أن خير أعمالكم الصلاة أن تكون صلاة النفل أفضل من تلاوة القرآن». وأما السؤال السابع والخمسون: ففي كشف الأسرار إنما عبر بالقيراط لأنه أول المقادير التي يوزن بها وإنما قال: أصغرهما مثل أحد لأنه أكبر جبل عندهم، وقيل هو أكبر جبل في الدنيا لأنه يبلغ إلى الأرض السفلى، وأبهم القيراط الآخر لأن عطاء الله واسع فلا يحد. وقيل ليس القيراط منسوباً إلى أربعة وعشرين قيراطاً بل إلى الأعمال التي تتعلق بالميت من تغميضه وتقبيله إلى القبلة وشد لحية بعصاة ونزع ثيابه التي مات فيها ووضعها على سريره وتغسيله وتكفينه وحمله والمشي معه والصلاة عليه وحضور دفنه وحفر القبر ووضعها فيه وسده عليه وإهالة التراب. فهذه خمسة عشر فمن أتى بالصلاة فله قيراط من خمسة عشر قيراطاً والخمسة عشر هي جملة الأجر، ومن حضر الدفن فله قيراط آخر، وهذه القيراط بعضها أفضل من بعض.

وأما السؤال الثامن والخمسون: فجوابه أن الحكمة في ذلك اتباع الحديث وقد أشار فيه إلى أنه موجب للمغفرة وهو ما رواه أبو داود، والترمذي وحسنه. والحاكم وصححه. والبيهقي عن مالك بن هبيرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب»، ولفظ الحاكم، والبيهقي إلا غفر له. قال النووي: وهو معنى أوجب.

وأما السؤال التاسع والخمسون، والستون: فجوابه أن البرهان الفزاري أفتى بوجوب صلاة العشاء والحالة هذه. وأفتى معاصروه بأنها لا تجب عليهم لعدم سبب الوجوب في حقهم وهو الوقت. ويؤيد الأول الحديث الوارد في أيام الدجال حيث قال فيه: اقدروا له قدره قال الزركشي في الخادم: وعلى هذا يحكم لهم في رمضان بأنهم يأكلون بالليل إلى وقت طلوع الفجر في أقرب البلاد إليهم ثم يمسكون ويفطرون بالنهار كذلك قبل غروب الشمس إذا غربت عند غيرهم كما يأكل المسلمون ويصومون في أيام الدجال.

وأما السؤال الحادي والستون: فجوابه أن الصلاة صحيحة بلا خلاف عندنا إذا استقبل القبلة وأتم الأركان. وأما السؤال الثاني والستون: فجوابه أنه لا يفسد الصوم قال في شرح المذهب: قال المتولي، وغيره: إذا تضمنض الصائم لزمه مع الماء ولا يلزمه تشييف فمه بخرقه ونحوها بلا خلاف، قال المتولي: لأن في ذلك مشقة قال: ولأنه لا يبقى في الفم بعد ذلك المص إلا رطوبة لا تنفصل عن الموضوع إذ لو انفصلت لخرجت في المص.

وأما السؤال الثالث والستون: فجوابه أنه يبرأ عن عيب باطن بالحيوان لم يعلمه البائع ولا يبرأ من عيب ظاهر ولا باطن بغير الحيوان ولا به إذا علمه.

وأما السؤال الرابع، والخامس والستون: فالجواب أنه لا يحل ويمنعه الرد.

وأما السؤال السادس والستون: ففي الروضة لو اشترى أمة وأراد تزويجها قبل الاستبراء فإن كان البائع وطنها لم يجز إلا أن يزوجه به، وإن لم يكن وطنها واستبرأها قبل البيع أو كان الانتقال من امرأة أو صبي جاز تزويجها في الحال على الأصح انتهى - ومقتضى القواعد أنها إذا طلقت والحالة هذه - لا يطؤها السيد حتى يستبرئها لثلا يظهر بها حمل فيتعذر عليه نفيه لأنه لا سبيل إلى نفيه إلا بأن يدعي الاستبراء وذلك لا يمكن إلا بعد الوطء.

وأما السؤال السابع، والثامن والستون: فالجواب أنه يصح السلم في الفلوس راجت أو لم ترج، وكذا بيعها إلى أجل لأن حكمها حكم العروض وإن راجت رواج النقود.

وأما السؤال التاسع والستون: فجوابه أنه يرجع فيه إلى العرف فإن كان في بلد الغالب فيها إطلاق الدراهم على الفلوس حمل عليها، وإن كان في بلد لا تطلق فيه الدراهم إلا على الفضة حمل عليها، فإن استوى الإطلاقان في بلد ولم يبين حمل على الفلوس لأنه الأقل وقاعدة الإقرار الحمل على القدر المتيقن لأن الأصل براءة الذمة فيما عداه.

وأما السؤال السبعون: فجوابه أنه يزوجه مالك البعض ومعه وليها القريب، فإن لم يكن فمعتق البعض وإلا فالسلطان، هذا هو الأصح من خمسة أوجه. والثاني: أن يكون معه معتق البعض. والثالث: معه السلطان. والرابع: يستقل مالك البعض. والخامس: لا يجوز تزويجها أصلاً لضعف الملك والولاية بالتبعيض. وأما السؤال الحادي والسبعون: فجوابه أنهما إن كانا معينين عند القاضي الذي عقد والشهود صح النكاح من غير ذكر اسم الأب والجد وإلا بأن قال لو كمل الغائب زوجت موكلك فاطمة ولم يذكر بنت فلان لم يصح النكاح، وفي الروضة لو كان اسم ابنته الواحدة فاطمة فقال: زوجتك فاطمة ولم يقل بنتي فلا يصح النكاح لكثرة الفواطم لكن لو نواها صح كذا قطع به العراقيون، والبغوي، واعترض ابن الصباغ بأن الشهادة شرط والشهود لا يطلعون على النية وهذا أقوى ولهذا الأصل منعنا النكاح بالكنايات انتهى.

وأما السؤال الثاني والسبعون: فجوابه أن القول قولها يمينها وعلى الزوج البينة.

وأما السؤال الثالث، والرابع، والخامس والسبعون: فالجواب في الثلاثة الجواز مع

الكرهه نص عليه في الروضة في مسألة وطء إحدى الزوجتين بحضرة الأخرى .

وأما السؤال السادس والسبعون: فجوابه أن هذا التعليق باطل عندنا إذا كانت أجنبية أو مطلقة في عدة بينونة فمتى تزوجها صح النكاح ولم تطلق . فإن كان في عدة رجعية وراجعها في تلك العدة طلقت .

وأما السؤال السابع والسبعون: فهذه المسألة السريجية والحكم فيها وقوع الطلاق المنجز فقط هو الأصح عند الشيخين .

وأما السؤال الثامن، والتاسع والسبعون: فالجواب أن طلاق المكره لا يقع وطلاق السكران يقع .

وأما السؤال الثمانون: فجوابه أن عليه المثاقيل التي ثبتت في ذمته زادت قيمتها أو نقصت .

وأما السؤال الحادي والثمانون: فجوابه أن البيع أبطل التعليق فإذا وطئها بعد ملكها ثانياً لم تعتق . وأما السؤال الثاني والثمانون: فجوابه أن التملك لم يصح لعدم القبول والعتق صادف ملك المرأة المعتقة فيصح .

وأما السؤال الثالث، والرابع والثمانون: فجوابه أن عتق المكره لا ينفذ وحد الإكراه التخويف بأمر يؤثر العاقل الإقدام على ما أكره عليه حذراً مما هدد به .

وأما السؤال الخامس والثمانون: فجوابه أنه يباح بالإكراه شرب الخمر ولا يجب الحد على الصحيح . وأما السؤال السادس والثمانون: فجوابه أن في قتل الكلب غير العقود خلافاً في مذهبنا، واضطرب ترجيح الشيخين في ذلك ففي موضع رجحان الجواز وفي موضع رجحان المنع وهو اختياري . وأما السؤال السابع والثمانون: فالجواب أنه لا فسق في هذا الفعل بعينه إلا أن يتضمن محرماً من رقى مخالفة للشرع أو نحو ذلك .

وأما السؤال الثامن والثمانون: فالجواب أن التفرقة من السحر نص عليه غير واحد من السلف . وأما التأليف وكتب الحرز والحجاب فليس منه، وقد سئل بعض السلف عن شيء من ذلك فقال للسائل: من استطاع أن ينفع أخاه المسلم فليفعل .

وأما السؤال التاسع والثمانون: فالجواب أنه لا يجوز لاحتمال أن يكون من الكفريات وقرايين الجن التي هي كفر، كذا أجاب به شيخنا الإمام تقي الدين الشمني، وقد سئل عن ذلك وأنا حاضر .

وأما السؤال التسعون: فجوابه أنه ليس للشاهد أخذ الأجرة على أداء الشهادة، وأما على إتيان القاضي والحضور عنده فإن كان معه في البلد فلا يأخذ شيئاً، وإن كان يأتيه من مسافة العدوى فما فوقها فله طلب نفقة المركوب ونفقة الطريق، قال في الروضة: ولم يتعرض أكثر الأصحاب لما سوى هذا، لكن في تعليق الشيخ أبي حامد أن الشاهد لو كان فقيراً يكسب قوته يوماً يوماً، وكان في صرف الزمان إلى أداء الشهادة ما يشغله عن كسبه لم يلزمه

الأداء إلا إذا بذل له المشهود له قدر كسبه في ذلك الوقت انتهى . وعلى هذا يقال في الممتنع المذكور أنه لا شيء عليه إذا كان بصفة الفقر .

وأما السؤال الحادي والتسعون : فالجواب إذا قال : لم أشهد بذلك ثم شهد لم تقبل شهادته في الجانيين ، وإن قال : لا أذكر ثم شهد تقبل ، هذا مقتضى القواعد في الجانيين .

وأما السؤال الثاني والتسعون : فالجواب أنه تقبل شهادة الشاهدين على الحاكم أنه حكم .
وأما السؤال الثالث والتسعون : فجوابه أن ولاية الجاهل باطلة .

وأما السؤال الرابع والتسعون : فجوابه أن علم تعبير الرؤيا علم معتبر أصله في الكتاب والسنة ولا اسم على المعبر إذا لم يتعمد خطأ أو مجازفة .

وأما السؤال الخامس والتسعون : فذكر بعض المتأخرين أن العلماء اختلفوا في حكمة نزوله على ثلاثة أجوبة : أحدها يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمره معهم على ما نبه الله تعالى في كتابه العزيز وهم أبداً يدعون أنهم قتلوه وينسبونه إلى السحر وغيره إلى ما كان الله برأه ونزّهه عنه . وقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقوم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهره راية ولا كان لهم في بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة فتتابعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقررين أنهم ينتقمون به من المسلمين ، فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله عيسى عليه السلام الذين عندهم أنه قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين ونصره على رئيسهم وكبيرهم الذي ادعى الربوبية فقتله وهزم جنده من اليهود لمن معه من المؤمنين فلا يجدون مهرباً ، وإن توارى أحد منهم بشجرة أو بحجر أو بجدار ناداه يا روح الله ههنا يهودي حتى يقف عليه فإما أن يسلم وإما أن يقتل ، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر ، ويستثنى من الشجر شجر الغرقد فإنه شجر اليهود فإنه لا يدل على اليهودي إذا توارى به . والجواب الثاني : يحتمل أن يكون إنزاله لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء لكن أمره يجري على ما قال الله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٥٥] فينزله الله تعالى ليقره في الأرض يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ثم يقبض فيتولى المسلمون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث دفن فيه الأنبياء الذين أمه من نسلهم وهي الأرض المقدسة فينشر إذا انشروا نشر معهم ، هذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال الذي قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ولم ينتصب لقتاله أحد من المؤمنين لقتلهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجري قتله على يديه ، إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية ، فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً ، الثالث أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ حسبما قاله وقوله نحو ذلك : ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَتْلَعُهُ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] فدعا الله تعالى أن يجعله من أمة محمد ﷺ فاستجاب الله دعاءه ورفعاه إلى السماء إلى أن ينزل آخر الزمان مجدداً لما درس من دين

الإسلام شريعة محمد ﷺ فيوافق خروج الدجال فيقتله، ولا يبعد على هذا أن يقال قتاله الدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهرائي الناس وهم مفتتنون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الغرض ما يلزم غيره فلذلك يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد ﷺ وبالله التوفيق.

وأما السؤال السادس، والسابع، والثامن والتسعون: فالمد على الهمز والهاء خطأ ولا يبطل الصلاة إلا إن قصد الاستفهام وأما المد على اللام فحسن.

وأما السؤال التاسع والتسعون. والموفى مائة: فقد قال ابن المنير في كتابه شرف المصطفى: ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط. وأن هذا البحر انفلق لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء حتى جاوزه وذلك أعظم من انفلاق البحر لموسى، وأخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة عن حسان بن عطية قال: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض تدور، وأخرج أيضاً بسند واه جداً عن ابن عباس قال: خلق الله بحراً دون السماء بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله لا يقطر منه قطرة جار في سرعة السهم يجري فيه القمر والشمس والنجوم فذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] هذا آخر الأجوبة.

وقد قلت في الجواب نظماً:

سبحان رب العلى مؤتي البراهين	وياعث الرسل إرشاداً لمهدين
صلى عليه إله العرش قاطبة	خصوصاً المصطفى خير النبيين
من اجتباه وآتاه خصائص لا	تحصى بعد ولا ترمى بتوهين
ولم يزل شرعه يعلو بمجتهد	يقوم حفظاً له في كل ما حين
وكل قرن أتى في رأسه رجل	يقيمه الله في التجديد للدين
نعم وإنني بحمد الله مجتهد العصر	الأخير على رغم الشياطين
أقول ذلك تحديثاً بنعمته	لا أقصد الفخر أو صنع المرائين
نعم وإنني بحمد الله يغدق بي	فتح المغالِق مع حل العويصين
إذا بدا مشكل في العلم أقصد في	إيضاحه فأوفيه بتبيين
إن شئت نقلاً فأروي فيه أبحره	أو الدليل فأتى بالبراهين
دع ذا وعد لعنلم أو لفائدة	واحفظ جواب سؤالات بتمكين
كتبتها سرعة في ساعتين كما	كتمتها غيرة للعلم والدين
وهذه سردها للناظرين فما	يغبش الشمس إلا طامس العين
الوعد في آية الأحزاب يرجع للمجموع	لا الفرد للتعظيم في دين

ورؤية الله خذ عني محررها
كل الأنعام يروه في القيامة من
وفي الجنان يراه القوم في جمع
نعم ويختص صديقاتنا بزيا
والجن فيهم خلاف والذي نره
ويضعة مع عشر عندنا نقلوا
قل يا عبادي تلوا في منتهى زمر
والخلف أيضاً جرى فيما يضاددها
قدماً شرى الله نفس المؤمنين على
والروح إذ بذلت للمقتل أنفسهم
والقلب ليس له معنى يخص به
إذ القلوب محل الروح مسكنها
فحيث كانت نفوس القوم باذلة
والخلف في الشرق مع غرب وفضل سما
وليس عندي ترجيح بذين لما
خير السموات عليها رويت وها
وخير جناتها الفردوس أرفعها
والسر في طمس نور النيرين وفي
ثم السواد يرى في بدرنا أثر
والشمس تغرب تأتي العرش تسجد أو
وقدرها مثل الدنيا وزد ثلثا
بمكة يظهر المهدي ثم دمشق
والنيل مع رمضان جمعة أحد
وفي فقير صبور مع شكور غني
وأول الخلق في قول أرجحه
وكتبه أولاً باللوح أسطره
وحكمة في ورود النار مؤمنهم
ونحو طس عندي لا أفسره

ودع أولي الجهل والتخبيط والشين
إنس وجن مع الأملاك بالعين
وللنسا رؤية في يوم عيدين
دات عليهم كما ذا للوليين
بأن لهم رؤية بعض الأحايين
في آية هي أرجى للمنيبين
بشر ففيها ارتياح للمساكين
ومنتهى زلزلت أخرى بتعيين
علم وإذا نزلت أحداث تكوين
والمال للبذل كانا حق تشمين
والنفس مغنية عنه بتسكين
والروح نفس وإن قدرت نفسين
كان الوعاء لها ملغى عن العين
والأرض قد شاع ما هذا بمكنون
فيه تعارض مدلول الدليلين
ذي الأرض فيما روى خير الأراضي
والأرض في الأنبياء شام بتعيين
القاهما النار تبكيك العبيدين
بمسح جبريل وهو المحو للزين
تسير في الأرض جاء في حديثين
كذا رويناه عن بعض الحنيفين
الشام فيها يجي عيسى بتزيين
لها شغوف على باقي الأفانين
خلف وفضل كفافاً فوق هذين
لما رووا قلم يجري بمسنون
إني أنا بعده التواب فادعوني
تعريف قدر نعيم غير ممنون
فذاك مخزون علم أي مخزون

وذرة إن تصر سبعين عدتها
علم اليقين على الأخبار معتمد
حق اليقين إذا باشرت ثمت مع
والذكر أفضل سرّاً للأولى كملوا
وعندي اللبن الأعلى فليلة الإسرا
ما كثر خير ما الأخرى وزمزم قل
والخوف أفضل للإنسان صح كما
والليل أفضل في قول أرجحه
وخلق آدم تشريفاً لعنصره
وخلق حواء من ضلع مجانسة
ورفع عيسى ليأتي في أواخرنا
وبالمسيح يسمى حيث خلقته
يقيم سبع سنين إذ يعود كما
كذا أقام بسجن يوسف وثوى
ولا نبيح لشخص آلة سمعت
إدريس حي بلا خلف والأرجح في
والخلف في خضر هل بالنبوة أو
ووالدا خير خلق الله نزلهما
ومن يصرح بكفر أو بنار لظى
شرط الوضوء وجوباً وقته حدث
وشرط صحته الماء الطهور كذا
دين وفقد مناف فقد مانعه
طهارة العضو ترتيب لدى نقا
تقديم حشو والاستنجا وطهر أذى
ومن يصلي إماماً ثوبه نجس
ومن يطل خطبة يكره وفصل من
من خمس عشرة جزء جزءاً العلما
وجاء في خبر تمثيله أحداً

لها جناح بعوض قدر موزون
عين اليقين الذي شاهدت بالعين
يا ذاكر الله ذكره بتلحين
ويجهر المختشي شر الشياطين
اختاره إذ أتى خير النبيين
خير المياه على وجه الأراضي
لدى الممات الرجا أولى فرجوني
لقوله جل من ذا فيه يدعوني
من التراب الطهور الطاهر الطين
لوصفها ولتجنيس بزوجين
لقتل دجالهم رأس اليهودين
من غير أخص ممسوح لرجلين
قد صح في الخبر الأشياخ رووني
في الحوت شهراً وثلاثا قيل ذو النون
سوى ذوي الحال سادات المحبين
إلياس والخضر إلا بقا فحيوني
له الولاية مشهور بتحسين
في جنة الخلد علم أي مكنون
في زين فهو لعين أي ملعون
عقل بلوغ مع الإسلام والدين
علم بإطلاقه أو خذ بمظنون
عقل وتمييز مفروض ومسنون
حيض وفي سلس وقت بلامين
والفور يعد توال بين عضوين
يعيد من دون مأموم بتبيين
أتى الصلاة على كل القرايين
قيراط أجر مصلاه ومدفون
بقدر أصغر قيراط لموزون

صلى عليه صفوف فاز باللين
تغيب إلا كلحظ أو كلحظين
يقدرُوا زمن الدجال بالحين
سارت وإن ترس أو تنساخ في الطين
من بلة لم تكن مفصولة العين
كل العيوب يخص البرء باثنين
يجهله عالم أو غير مبطون
ويسقط الرد هذا غير مغبون
وطلق الزوج حالاً قبل تمكين
إلى زمان وإن راجت كمنقدين
بالعرف يقضي إذا ما جاء بتبيين
أو معتق أو مع سلاطين
يعقد عليها وإلا ألغ بالدون
فقولها القول حكم أي مسنون
ضرائر فهو كره بين الاثنين
لا إثم فيه ولا تحريم في الدين
يلغي المقال ببعد أو ببينون
منجز فليقع هذا بتكوين
يقع وفي السكر نفذ فيه هذين
نفس المروءات منه للمريدين
إن زاد أو إن تنقص قيمة العين
بيع ويبدأ ملك غير مرهون
من قابل يلغ ذا التملك في الحين
فلينفذ العتق منها غير موهون
من غير حتم ويقضي غير مفتون
أفتى به أبداً إلا لمؤذين
ولا ألوم على حجب لمجنون
لا كتب حرز وتأليف لزوجين

وحكمة الصف اتباع الحديث فمن
ومن يطل عندهم شمس النهار ولا
يقدرُوا الصوم مع فرض العشاء كما
صحت صلاة مصل في السفينة إن
لا يفسد الصوم ما تبقيه مضمضة
من باع بيعاً على شرط البراءة من
بباطن من ذوي روح وبائعه
ومن يصالح عن عيب بالأرش وها
وليس يسقط الاستبراء إن نكحت
وفي الفلوس يصح البيع مع سلم
ومن أقر بألفي درهم ونأى
ومن تبعض بزوجه المليك مع القريب
عقد النكاح صحيح حيث يعرف من
وزوجة أنكرت قبض الذي نكلت
ووطء سرية أو زوجة بحذا
كذا بحضرة عميا غير باصرة
ومن يقل إن تعدلي فهي طالقة
وذا دور بها يلغي المعلق لا
ومن يطلق إكراهاً ويعتق لا
وحد الإكراه تهديد بما سمحت
والقرض يوفي بوزن مثل ما قبضوا
وكل تعليق عتق حله أبداً
ومن تملك لها طفلاً وليس له
فإن تملكه عبداً ثم تعتقه
من أكرهوه على خمر تباح له
وقد جرى الخلف في قتل الكلاب ولا
ولا أفسقه في ضرب مندله
عدوا من السحر تفريقاً وتأخذه

ولا نبيح بما لم يدر رقيته
 كذا أجاب به قدماً بحضرتنا
 للشاهد الأجر بعد المسافة أو
 وشاهد قال لم أشهد فما قبلت
 وحيث ينكر حكماً حاكم قبلت
 ولا تصح ولايات القضا أبداً
 وعلم تعبير رؤيا النوم معتبر
 ومن يعانيه لا إثم عليه إذا
 تم الجواب بهذا عن مسائله
 ثم الصلاة على الهادي وعترته

حذار ذلك من كفر القرايين
 شيخي الشمني ذو التقوى وذو الدين
 إن عد في الفقرا ذا والمساكين
 إن جاء يشهد هذا غير مأمون
 عليه فيما نفى قول الشهيدين
 لجاهل طرق الأحكام في الدين
 له أصول بمكتوب ومسنون
 راعى القواعد فيه غير مفتون
 فالحمد لله حمداً غير ممنون
 وصحبه ما أتى شاد بموزون

٧٩ - الأسئلة الوزيرية وأجوبتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مجيب السائلين. ما يقول علامة الزمان، والفائق على سائر الأقران، في الجواب عن أسئلة على وجه يرتفع عنها غريب الإشكال حتى تهدي الطالب لوجه الحق فيها على أحسن حال؟

الأول: هل الوضع في أسماء الإشارة للمعنى العام أو للخصوصيات المشتركة؟.

فإن قلت: بالأول ورد أنه لا يجوز إطلاقها عليه إذ لا يطلق إلا على الخصوصيات فلا يقال هذا والمراد أحد مما يشار إليه، ولو كان كما يقول لجاز ذلك كما في رجل مع أنه يلزم أن يكون استعماله في الخصوصيات مجازاً ولا قائل به. وإن قلت: إنه موضوع للخصوصيات لزمك أن يكون المعنى مشتركاً لفظياً ولا قائل به مع أنه يشار به إلى أمر كلي مذكور وذلك ينافي وضعه للخاص.

الثاني: إطلاق العام وإرادة الخاص أحقيقة أم مجاز؟ فإن قلت: بالأول أورد أنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فكيف يكون حقيقة؟ وإن قلت: بالثاني ورد ما ذكره بعض المحققين من أنه قد يكون في هذه الحالة حقيقة. الثالث: هل الإنسان بالنسبة إلى الأب والابن مشكك أم متواطىء؟ الرابع: هل ينطبق على مجاز الزيادة والنقصان تعريف المجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة أم لا؟ الخامس: أن العلاقة في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْزَنُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً﴾ [الشورى: ٤٠] ما هي ومن أي الأنواع المذكورة في العلاقة؟ السادس: وهو أعظمها إشكالاً كيف صح التكليف بالإيمان مع أن الإيمان في الشرع هو

التصديق بما جاء به محمد ﷺ وكل تصديق فهو كيف، فالإيمان كيف ولا شيء من الكيف بمكلف به فلا شيء من الإيمان بمكلف به، أما الصغرى فواضحة، وأما الكبرى فلما تقرّر في الأصول من أنه لا تكليف إلا بفعل؟ والمسؤول من الأستاذ المحقق والمولى المدقق كشف الحجاب عن هذه الأسئلة بإيضاح الصواب.

الجواب: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وردت عليّ هذه الأسئلة من مولى لا يخفى على مثله جوابها ولا يطلب من غيره صوابها، غير أنه قصد بذلك تجديد العهد القديم وتذكير الود القويم، فأقول والله الهادي إلى صراط مستقيم هذه الأسئلة كلها مسطورة وأجوبتها معروفة مشهورة.

أما السؤال الأول: فقد ذكره وجوابه القرافي علامة المالكية لكن في المضمّر فقال: اختلف الفضلاء في مسمى المضمّر حيث وجد هل هو جزئي أو كلي؟ فقال الأكثرون: مسماه جزئي واحتجوا بإجماع النحاة على أنه معرفة ولو كان مسماه كلياً لكان نكرة، وبأنه لو كان كلياً كان دالاً على ما هو أعم من الشخص المعين، والقاعدة العقلية أن الدال على الأعم غير دال على الأخص، فيلزم أن لا يدل المضمّر على شخص خاص البتة وليس كذلك، وهذا معنى قول السائل حفظه الله - وإن قلت بالأول - ورد أنه لا يجوز إطلاقها عليه إلى آخره. ثم قال القرافي: وذهب الأقلون وهو الذي أجزم بصحته إلى أن مسماه كلي قال: والدليل عليه أنه لو كان مسماه جزئياً لما صدق على شخص آخر إلا بوضع آخر كالأعلام فإنها لما كان مسماه جزئياً لم يصدق على غير من وضعت له إلا بوضع ثان، فإذا قال قائل: أنا فإن كان اللفظ موضوعاً بإزاء خصوصه من حيث هو هو وخصوصه ليس موجوداً في غيره فيلزم أن لا يصدق على غيره إلا بوضع آخر، وإن كان موضوعاً لمفهوم المتكلم بها وهو قدر مشترك بينه وبين غيره والمشارك كلي فيكون لفظ أنا حقيقة في كل من قال أنا لأنه متكلم بهذا الذي هو مسمى اللفظ فينطبق ذلك على الواقع، قال: والجواب عما احتج به الأولون أن دلالة اللفظ على الشخص المعين لها سببان: أحدهما وضع اللفظ بإزاء خصوصه فيفهم الشخص حيثئذ للوضع بإزاء الخصوص وهذا كالعلم. والثاني أن يوضع اللفظ بإزاء معنى عام ويدل الواقع على أن مسمى اللفظ محصور في شخص معين، فيدل اللفظ عليه لانهصار مسماه فيه لا للوضع بإزائه، ومن ذلك المضمّرات وضعت العرب لفظة أنا مثلاً لمفهوم المتكلم بها، فإذا قال القائل أنا - فهم هو - لأن الواقع أنه لم يقل هذه اللفظة الآن إلا هو ففهمناه لانهصار المسمى فيه لا للوضع بإزائه - وكذلك بقية المضمّرات - قال: وبهذا يحصل الجواب عن القاعدة العقلية أن اللفظ الموضوع لمعنى أعم لا يدل على ما هو أخص منه، فإن الدلالة لم تأت من اللفظ وإنما أتت من جهة حصر الواقع المسمى في ذلك الأخص - هذا كلام القرافي ملخصاً - وما قاله في المضمّرات بعينه في اسم الإشارة. وقول السائل حفظه الله: إن قلت بالأول ورد كذا وإن قلت بالثاني لزم أن يكون مشتركاً لفظياً ولا قائل به إلى آخره.

جوابه: أنه ليس من باب المشترك ولا من باب المجاز بل من باب الوضع للقدر المشترك، والوضع للقدر المشترك معروف في الأصول في مواضع، فليس الوضع منحصرًا فيما رده السائل، فهذا مثلاً وضع لمشار إليه مفرد ذكر حاضر أو في حكمه وهو مفهوم كلي، وانحصاره في خاص ليس للوضع بلزائه بل لأن المتكلم لم يشر به الآن إلا لزيد مثلاً، وهذا معنى قول بعض النحاة المحققين: إن المضمّر واسم الإشارة كلي وضعا جزئي استعمالاً ونظيره قول بعض الأصوليين أن الأمر موضوع للقدر المشترك بين الوجوب والندب وهو الطلب حذراً من المجاز والاشتراك، فاستعمال صيغة الأمر في الندب وفي الوجوب مثلاً نقول في كل منها إنه حقيقة غير مجاز وغير مشترك، لأن الوضع على هذا القول ليس لكل منهما ولا لواحد منهما ثم استعمل في غيره، وإنما هو لمعنى صادق على كل منهما وهو الطلب، وكذا نقول في اسم الإشارة والمضمّر: ليس الوضع فيهما لواحد فقط بحيث يستعمل في غيره مجازاً، ولا لكل واحد بحيث يكون مشتركاً، بل لمفهوم صادق على كل فرد في اسم الإشارة مشار إليه مفرد ذكر حاضر كما قلناه، وفي المضمّر متكلم مفرد أو غيره كما قاله القرافي.

وأما السؤال الثاني: وهو أن العام المراد به الخصوص هل هو حقيقة أو مجاز؟.

فجوابه أنه مجاز قطعاً ذكره جماعة منهم ابن السبكي في جمع الجوامع، وقول السائل حفظه الله: إن بعض المحققين ذكر أنه قد يكون في هذه الحالة حقيقة.

فجوابه: أن المحقق المشار إليه هو الشيخ تقي الدين السبكي والد صاحب جمع الجوامع فإنه ذكر ذلك في بعض تصانيفه لكن بحثاً من عنده بعد حكايته الإجماع على خلافه وفرعه على القول بأن دلالة العام على كل فرد من أفراد دلالة مطابقة لأنه حينئذ ليس استعمالاً للفظ في غير موضوعه ولا في بعض موضوعه، بل هو كاستعمال المشترك في أحد معنياه وهو استعمال حقيقي - هذه عبارته - وقد عرف بكلامه هذا توجيه ما ذهب إليه ورد ما أورده السائل على القول بأنه حقيقة.

وأما السؤال الثالث: وهو أن الإنسان بالنسبة إلى الأب والابن مشكك أو متواطىء.

فجوابه: أنه متواطىء لأنه متساوي المعنى في ذلك، ولأن الاختلاف في ذلك ليس بأمور من جنس المسمى كالبياض والنور بل بأمور خارجة عنه كالذكورة والأنوثة، وهذه علامة المتواطىء كما قرره أهل الأصول.

وأما السؤال الرابع: وهو أنه هل ينطبق على مجاز الزيادة والنقصان تعريف المجاز إلى آخره؟.

فجوابه: أنا نقول أولاً: اختلف في الزيادة والحذف هل هما من قبيل المجاز؟ فذهب ذاهبون إلى أنهما ليسا من قبيل المجاز وعلى هذا لا إيراد، وذهب آخرون إلى أنهما من قبيل المجاز، وأورد عليه أن تعريف المجاز لا يصدق عليهما، وفصل آخرون منهم صاحب الإيضاح البياني فقال: إن كان الحذف والزيادة يوجبان تغيير الإعراب فمجاز وإلا فلا، وقال

القرافي: الحذف أربعة أقسام ليس منها مجازاً إلا قسم واحد وهو ما يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد نحو: ﴿وَسَلَّى الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢] إذ لا يصح إسناد السؤال إليها وبقية الأقسام ليست من أنواع المجاز، وقال صاحب المعيار: إنما يكون الحذف مجازاً إذا تغير حكمه فإن لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فلا.

فأنت ترى هذه الأقوال كالمتضافرة على عدم انطباق تعريف المجاز عليه مع أننا لو شئنا لتمحلنا وجهاً لانطباقه عليه مطلقاً، لكن الذي نختاره في هذا ما ذهب إليه القرافي وصاحب الإيضاح وانطباق المجاز ما ذكره واضح.

وأما السؤال الخامس: وهو أن العلاقة في مثل ﴿وَجَزَوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ﴾ [الشورى: ٤٠] ما هي؟ فأقول: ما أحسن هذا السؤال والطفه ولقد أثلج خاطري بموافقة السائل حفظه الله تعالى على أن هذا من نوع المجاز، وإنما قلت ذلك لأنني رأيت بعض متأخري أهل البيان قال في نوع المشكلة الذي هذه الآية فرد من أفراد أمثلتها أنه واسطة بين الحقيقة والمجاز قال: وليس بحقيقة لأنه استعمال اللفظ فيما لم يوضع له ولا مجاز لعدم العلاقة المعتمدة هكذا قال وليس بشيء، وقد نازعته في ذلك قديماً في كتاب شرح ألفية المعاني واخترت أنه مجاز قطعاً وأن ما قاله من عدم العلاقة ممنوع؟ فإن قلت: ما العلاقة؟ قلت: الشكل والشبه الصوري كما يطلق الإنسان والفرس على الصورة المصورة، وكذا الجزاء أطلق عليه سيئة لكونه مثل السيئة المبتدأ بها في الصورة، وكذا قوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلُ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] أطلق على الجزاء اعتداء لشبهه بالاعتداء المبتدأ به في الصورة.

وأما السؤال السادس: في الإيمان فهو سؤال مذكور مسطور أجاب عنه جماعة منهم خاتمة المحققين الشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع فقال: التكليف والتصديق وإن كان من الكيفيات النفسية دون الأفعال الاختيارية المراد به التكليف بأسبابه كاللقاء الذهن أو صرف النظر وتوجيه الحواس ورفع الموانع - هذه عبارته - فهذا ما حضرنا في الجواب عن هذه الأسئلة، وقد علقت هذا الجواب ساعة ورودها علي فانظروا فيه فإن رضيتموه وإلا فأتحفوا بجوابكم ما قاله عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي يوم السبت العشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وسميته - نفح الطيب من أسئلة الخطيب - فكتب الشيخ شمس الدين الوزيري على هذه الأجوبة ما صورته: الحمد لله رب العالمين أقول وبالله العون والتوفيق وبالله أزيمة الهدى والتحقيق لم يظهر مما ذكره العلامة من هذه الأجوبة دفع هذه الأسئلة، أما الجواب عن السؤال الأول فقله فيه: وهذا معنى قول السائل. فإن قلت: بالأول ورد أنه لا يجوز إلى آخره مشيراً إلى ما نقله القرافي عن الأكثرين من أنه لو كان مسماء كلياً إلى قوله على خاص البتة وليس على خاص ليس الأمر كما زعم فإن اللازم من كون مسماء كلياً على ما ذكره الأكثرون أمران: الأول كونه نكرة. والثاني عدم دلالة على شخص وهما غير ما ألزمه السائل على تقدير كون المسمى كلياً حيث قال: فإن قلت بالأول ورد فإن اللازم على ما ذكره أمران: أحدهما جواز إطلاق لفظ

المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه، والثاني أن يكون استعماله في الخصوصيات مجازاً، هذا مع أن القرافي لم يجب عن الإلزام الأول في كلام الأكثرين وهو قولهم لو كان مسماه كلياً لكان نكرة، وإنما أجاب عن الثاني كما لا يخفى على من تأمل كلامه، فقد تبين أنه لا شيء من السؤال وجوابه بمذكور في كلام القرافي كما ذكره العلامة، وقوله: جوابه أنه ليس من باب المشترك إلى آخره صريح في أن ما أجاب به هو اختيار قسم ثالث غير القسمين اللذين في كلام السائل، ومحصل جوابه أن اسم الإشارة كهذا مثلاً: وضع للقدر المشترك وهو المفهوم الكلي المعبر عنه بقولنا مشار إليه مفرد مذكر حاضر أو في حكمه وهو الذي اختاره القرافي في المضممر من أن مسماه كلي كما اعترف به العلامة في آخر جوابه، وأنت تعلم أن هذا هو القسم الأول في كلام السائل أعني قوله هل الوضع في أسماء الإشارة للمعنى العام، والعجب كيف خفي مثل هذا على العلامة مع ظهوره على هذا، فاللزم على القسم الأول باق بحاله، إذ ليس في كلامه حفظه الله ما يدفعه، وأما الجواب عن السؤال الثاني فقولته إنه مجاز هو اختيار القسم الثاني وقد عرف ما يرد عليه من كلام بعض المحققين، وأما قوله: إن المحقق المشار إليه هو الشيخ تقي الدين السبكي فليس كذلك فإن مقتضى كلام السبكي أنه حقيقة عنده دائماً، وأما ذلك المحقق فلم يقل بأنه حقيقة مطلقاً بل في بعض الأحوال كما يشعر به قول السائل، ورد ما ذكره بعض المحققين من أنه قد يكون في هذه الحالة حقيقة، وحاصل السؤال أن الجواب بأنه مجاز إطلاق في محل التقييد، وأما قول العلامة السبكي: إن دلالة العام على كل فرد من أفراد دلالة مطابقة، فإن أراد أن العام إذا أطلق وأريد به الخاص كان دالاً عليه مطابقة فهو خلاف ما أطبق عليه المحققون من أنه لا دلالة للعام على الخاص بإحدى الدلالات الثلاث، وقد ظهر بهذا أن ما أورده السائل على القول بأنه حقيقة كلام لا غبار عليه، وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه أنه جعل حفظه الله علامة التواطؤ أن لا يختلف بأمور من جنس المسمى، ومقتضاه أن علامة التشكيك الاختلاف بأمور من جنس المسمى ليست خارجة وهذا مما لم تره في كلام أحد، فإن التشكيك يكون بالتقدم والتأخر وبالشدة والضعف وبالأولوية وكلها أمور خارجة عن المسمى، ثم إن قوله: لأنه متساوي المعنى مما يحتاج إلى بيان فإن الإنسان متقدم في الأب على الابن، فقد تفاوت أفراد الكلي بالتقدم والتأخر وذلك يقتضي التشكيك، وأما الجواب عن السؤال الرابع ففيه أنه اختار أنه مجاز بشرط ثم ادعى أن انطباق حد المجاز عليه واضح وليس كذلك بل الواضح عدم الانطباق، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَسَكَنَ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ليس فيه لفظ استعمل فيما وضع له لعلاقة، فإن لفظ السؤال مستعمل فيما وضع له وكذا لفظ القرية، وقد صرح بذلك جماعة من المحققين، منهم النحرير التفتازاني، والعلامة الجلال المحلي، على أنه لم يظهر تضافر الأقوال التي حكاها على عدم انطباق تعريف المجاز عليه، فإن محصل الأقوال حاشا الأول أنه يطلق عليه المجاز إما مطلقاً وإما بشرط، وإما أنه هل ينطبق تعريف المجاز عليه أولاً فأمر مسكوت عنه على أنها ظاهرة في الانطباق،

وأما الجواب عن السؤال الخامس فتحصيله أن العلاقة في مجاز المشكلة التي الآية من أفرادها هو الشبه الصوري حتى أنه أطلق على جزء السيئة سيئة لكونها مثلها في الصورة، وفيه أن ذلك يخرج الآية عن باب المشكلة إلى باب الاستعارة، فإن المشكلة على ما ذكره المحقق التفتازاني هي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، وقد صرح التفتازاني بذلك في بعض كتبه حيث قال: السيئة استعارة عما يشبه السيئة صورة ثم قال: لكن وصف السيئة بقوله: مثلها يأبى هذه الاستعارة لأنه بمنزلة أن تقول زيد أسد مثله، والحق أن الآية من قبيل المشكلة انتهى - فأنت ترى - كيف جعل الآية باعتبار الشبه الصوري من باب الاستعارة لا من باب المشكلة، على أن ما ذكره العلامة من أن العلاقة في نوع المشكلة هو الشبه الصوري لا يتمشى في قوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

إذ لا مشابهة بين الطبخ والخياطة في الصورة كما لا يخفى. وأما الجواب عن السؤال السادس فهو كما ذكره أعزه الله تعالى، وهذا الجواب قد أخذ العلامة المحلي من كلام المحقق التفتازاني ومحصله أن الإيمان لم يكلف به وإنما كلف بأسبابه وفيه من الإشكال ما لا يخفى، قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى المغطى بالزلزل والتقصير راجي عفو ربه القريب القدير محمد بن إبراهيم المسمى بالخطيب في ليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فكتب شيخنا الإمام العامل العلامة البحر الحبر الفهامة خاتمة الحفاظ والمجتهدين جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام والمسلمين كمال الدين بن أبي بكر السيوطي الشافعي أعز الله تعالى به الدين وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين الأجوبة عن هذه الاعتراضات بما نصه: الحمد لله أقول والله الهادي للصواب وإليه المرجع والمآب، وردت عليّ هذه الاعتراضات فتأملتها بعين الإنصاف فوجدتها غير واردة، وها أنا أسوق كلماتها مع الجواب عنها واحدة واحدة قوله: ليس الأمر كما زعم فإن اللازم من كون مسماه كلياً على ما ذكره الأكثرون أمران كونه نكرة وعدم دلالة على شخص وهما غير ما ألزمه السائل عليه وذلك أمران جواز إطلاقه على المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه وكون استعماله في الخصوصيات مجازاً، أقول ليس الأمر كذلك بل أحد الزامي الأكثرين هو أحد الزامي السائل بعينه الذي أشرت إليه في الجواب وهو عدم دلالة على شخص معين، وبيان ذلك أن الأكثرين قالوا: يلزم من كونه وضع للمعنى العام أنه لا يدل إلا عليه فبطل الملزوم وهو كونه كلياً، وهذا مؤدى قول السائل إنه يلزم على كونه كلياً جواز إطلاقه على المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه أي وإنما يطلق على الخاص فمؤدى العبارتين واحد بلا شك - غاية ما في الباب - أن بينهما قلباً لفظياً فإن العبارة الثانية هي مقلوب العبارة الأولى، وفي كل من العبارتين مقدرات اقتضاها الإيجاز لا بد من إظهارها ل يتم المطلوب من الاستنتاج، فعند إظهارها وتفكيك الكلام ينحل مؤداهما إلى واحد، وإذا تقرر أن هذا الإلزام الذي ذكره السائل هو عين الإلزام الذي ذكره الأكثرون

فقد حصل الجواب عنه بما أجاب به القرافي، ومحصله أنا لو خيلنا ومقتضى الوضع لأطلق على العام، وإنما منع منه ما عرض عند الاستعمال من حصر الواقع المسمى في شخص خاص، وحاصل هذا الجواب منع التلازم بين الوضع والإطلاق، فقد يوضع الشيء العام ولا يستعمل إلا خاصاً بدليل الشمس فإنها وضعت كلياً ولا تستعمل إلا جزئياً، وأوضح منه ما ذكره القرافي من تشبيه ذلك بالأعلام الغالبة فإنها وضعت كلية ثم غلب استعمالها في خاص فصارت أعلاماً بالغلبة وسنزيد هذا وضوحاً قريباً، وقوله: إن القرافي لم يجب عن الإلزام في كلام الأكثرين وهو قولهم لو كان مسماه كلياً لكان نكرة وإنما أجاب عن الثاني أقول: ممنوع فقد صرح القرافي نفسه أن الجواب الذي ذكره جواب عن الإلزامين وأنا لم أسق كلامه بلفظه بل أوردته ملخصاً كما نهيت في آخره، ونكتة عدم تعرضي لما يوضع كونه جواباً عن الإلزام الآخر من كونه نكرة أنه لا ذكر له في كلام السائل البتة فاستغنيت عن إيراده، وعبارة القرافي وأما قولهم في الوجهين - يعني اللذين احتجوا بهما - فالجواب عنه واحد وهو أن دلالة اللفظ وساق ما قدمته عنه - إلى أن قال: فلما كان حصر مسمى اللفظ في شخص معين من الواقع قال النحاة: هي معارف فإن فهم الجزئي لا يكاد ينفك عنها - هذا لفظه - فأشار أولاً إلى أن الجواب عن الإلزامين معاً، وأتى آخراً بهذه الجملة لتقرير الجواب عن لزوم كونه نكرة، ومتحصل كلامه أنه أجاب عن الإلزامين معاً بجواب واحد إما كونه يدل على خاص ولا يدل على العام، فلما عرض في الاستعمال لا لأمر في أصل الوضع، وإما كونه معرفة لا نكرة فلأن فهم الجزئي لا يكاد ينفك عنه، ومعلوم عندك أن التعريف والتنكير لا تلازم بينهما وبين الوضع حتى يقال إن وضعه كلياً يستلزم كونه نكرة ووضعه جزئياً يستلزم كونه معرفة، لأن التعريف يحدث بعد الوضع لما يعرض في الاستعمال، ألا ترى أن رجلاً وضع نكرة وإذا نودي مع القصد صار معرفة وليس لك إن تقول إن التعريف حصل من الوضع أيضاً لأن (يا) وضعت لتعريف المنادى لأننا نقول ذلك مردود بوجهين: أحدهما أن (يا) قد توجد ولا تعريف في نداء غير المقصود، والثاني قول النحاة أن تعريف المنادى المقصود إنما هو بالقصد والمواجهة كاسم الإشارة وجعلوه في مرتبته، فهذا أول دليل على أن التعريف في الإشارة إنما حصل بالمواجهة ونحوها دون أصل الوضع فهو أمر طارئ عليه وحادث بعده، فلا تنافي بين وضع الإشارة والمضمر كلياً وكونه معرفة مستعملاً في الجزئي، ومما يدل على أن التعريف والتنكير لا تعلق لهما بالوضع وإنما هما من الاستعمال قول خلائق من النحاة إن المضمر قد يكون نكرة وذلك في الضمير المجرور برب، وقول آخرين إن الضمير العائد على النكرة نكرة مطلقاً، وقول آخرين إن العائد على واجب التنكير كالتمييز نكرة، فإن تخيلت أن التنكير والتعريف في المضمر من أصل الوضع لزمك الاشتراك اللفظي وتعدد الوضع ولا قائل به، وإن سلمت أنه حادث في الاستعمال فهو المدعي وبه يحصل الانفصال عن الإلزام، وإن قلت إنه وضع معرفة واستعماله نكرة عارض من الاستعمال فبعيد مع أنه يثبت مدعانا أيضاً بطريق قياس

العكس إذ لا فارق، فثبت بهذا كله أن الضمير واسم الإشارة وضعا للمعنى العام، وعدم إطلاقهما عليه إنما هو لما عرض في الاستعمال لا لأمر في أصل الوضع، وهذا تحقيق القول بأنه كلي وضعا جزئي استعمالاً وهو من أحسن ما قيل، واندفع أحد الإلزامين اللذين أوردهما السائل، ثم بتقرير كونه وضع للمعنى العام الذي هو القدر المشترك، والمفهوم الكلي يكون استعماله في آحاد ما يصدق عليه حقيقة لا مجازاً، كما هو شأن الوضع للقدر المشترك، فاندفع الإلزام الثاني كما لا يخفى، وقوله: إنما في جوابنا من كونه ليس من باب المشترك إلى آخره صريح في أنه اختيار قسم ثالث غير القسمين اللذين في كلام السائل - إلى أن قال: وأنت تعلم أن هذا هو القسم الأول في كلام السائل، أقول: كأن المعارض حفظه الله يشير إلى أنه وقع في كلامنا تناقض ثم جزم بذلك وادعى أنه خفي علينا وليس كذلك، وهذه غفلة عظيمة من المعارض أعزه الله أحاسبه بها، وبيان ذلك أن القسمين اللذين في كلام السائل اللذين ما اخترنا في التوجيه غيرهما ليسا بالقسمين اللذين ما اخترنا في التعيين أحدهما، فالقسمان الأولان هما الإلزامان الواردان والآخران هما الملزوم عنهما المورد عليهما فلا تناقض لاختلاف مورد القسمة.

والحاصل أن السائل أورد قسمين وطلب تعيين أحدهما - وهما - هل هو للعام أو الخاص؟ فعينا الأول، ثم أورد على القسمين ثلاث إلزاعات على الأول اثنان وعلى الثاني واحد، فأجبتنا عن أول إلزامية بمنع التلازم بين الوضع والإطلاق، وعن الثاني بتقرير كونه وضع للقدر المشترك، فاندفع المجاز كما اندفع الاشتراك اللفظي وهو الثالث ضرورة، فتقريرنا كونه للقدر المشترك هو عين القسم الأول من القسمين المطلوب تعيين أحدهما وهو كونه للعام وغير المجاز والاشتراك الموردتين على القسم الأول والثاني فأى تناقض في هذا؟ وقوله فاللزام على القسم الأول باق بحاله قول ممنوع بل ذهب في الغابرين وانقطع في الداحضين، أما الإطلاق فبمنع التلازم، وأما المجاز فبكونه للقدر المشترك وسندهما ما تقدم واضحاً، وبهذا يتم الجواب ويتضح الصواب وينكشف الحجاب وتطلع الشمس المنيرة ليس دونها سحب، قوله: وأما الجواب عن السؤال الثاني فقوله: إنه مجاز هو اختيار القسم الثاني، وقد عرف ما يرد عليه من كلام بعض المحققين إلى آخره. أقول: قصارى ما ذكره السائل عن بعض المحققين أنه ذهب إلى قول مفصل في مقابلة قطع الجمهور بأنه مجاز، ومعلوم عندك أن المسألة ذات الأقوال لا يكون قول منها وارداً على القول الآخر، وإنما يصلح للإيراد تقرير شبهة أو إلزام أمر فاسد، والسائل قال: ورد ما ذكره بعض المحققين من أنه قد يكون حقيقة فلم يورد إلا القول لا الإلزام ولا الشبهة، وهذا ما لا يصلح إيراد، وأنا لم أر في المسألة بعد قطع الناس بأنه مجاز إلا بحث السبكي، فلنذكر شبهة هذا المحقق الآخر لينظر في جوابها ودفعها أو في التوفيق بينها وبين الجمهور. وقوله: إن ما قاله السبكي من أن دلالة العام دلالة مطابقة خلاف ما أطبق عليه المحققون يقال عليه وهو أولاً من المحققين إن كانوا من المتأخرين كالعضد ونحوه، فكلامهم لا يصلح أن يعارض به

المنقول عن الجرم الغفير، وإنما يذكر على سبيل البحث والتخيلة والتعبير بلفظ أطبق تهويل وليس صحيحاً في نفسه كيف، والمجزوم به في كتب الأصول ذلك أعني أن دلالة بالمطابقة ولم أقف على من نازع في ذلك إلا القرافي وقد رد عليه الأصفهاني في شرح المحصول فشفى وكفى، وقوله: وأما الجواب من السؤال الثالث ففيه أنه جعل علامة المتواطىء أن لا يختلف بأمور من جنس المسمى، ومقتضاه أن علامة التشكيك الاختلاف بأمور من جنس المسمى ليست خارجة وهذا مما لم نره في كلام أحد، أقول: نحن قد رأيناه في كلام القرافي جزم بذلك بهذا اللفظ في الجانبين ونقله عنه غير واحد وإلا فانظروه تجدوه، والعذر لكم في هذا وأمثاله أنكم تقتصرون في كتب الأصول والبيان على نحو العضد، والحاشية، والمطول، وحاشيته فتجدون فيها أبحاثاً فتظنون أنها منقولات أهل الفن أو المجزوم بها فتعتمدونها وتدعون أن المحققين عليها وتشربها قلوبكم وتضربون عن غيرها صفحاً، ولو تجاوزتم إلى كتب المتقدمين والمتأخرين والمتمم بما حوته من الأقوال المختلفة والمباحث المتفرقة والتفريعات لعلمتم حقيقة الأمر في ذلك، وأنا لا أعتد في الأصول على أناس قصارى أمرهم الرجوع إلى القواعد المنطقية وتنزيل القواعد الأصلية عليها أبداً، إنما أعتد على أئمة جامعين للأصول والفقه متضلعين منها محيطين بقواعدهما عارفين بتركيب الفروع على الأصول، قد خالطت علوم الشرع والسنن لحومهم ودماءهم، فأين أنت من رسالة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه مبتكر هذا الفن وما عليها من الشروح المطبنة وما تلا ذلك إلى كتب إمام الحرمين. والكنيا الهراسي. وحجة الإسلام الغزالي. والإمام فخر الدين الرازي. والسيف الأمدي وهلم جرا. وبعد: فالإنسان بالنسبة إلى الأب والابن متواطىء قطعاً لأن معناه مستوفى النسبة إليهما بلا شبهة، كيف ومعنى الإنسان الحيوان الناطق وهذا المعنى لا يتفاوت بالنسبة إلى الأب والابن كما لا يتفاوت بالنسبة إلى الذكر والأنثى والعالم والجاهل والطويل والقصير، وتفاوته بالتقدم والتأخر كتفاوته بالنسبة إلى المذكورات وليس بالنسبة لماهية الإنسان التي هي الحيوانية والناطقية، بخلاف تفاوت النور في الشمس والسراج فإنه بالنظر إلى جنس المسمى وماهيته هذا أمر لا شبهة فيه، قوله: وأما الجواب عن السؤال الرابع إلى آخره أقول: ما أعاده من كون لفظ القبيح مستعملاً فيما وضع له وإن صرح به جماعة جوابه المنع، ومن صرح بذلك لم يقله على قول الجمهور أنه مجاز لغوي، إنما قاله بناء على قول من قال إنه مجاز عقلي، فجعل القرية مستعملة في حقيقتها كما سئل والمجاز في إسناد السؤال إليها فهو على هذا مجاز تركيب لا مجاز إفراد وليس الكلام فيه، وأما على القول بأنه مجاز إفراد فالقرية قطعاً مستعملة في غير ما وضعت له وهو الأهل فإنها قائمة مقامه في المعنى كما قامت مقامه في الإعراب، وبهذا يظهر انطباق حد المجاز على مثل هذا، وقوله: لم يظهر تضافر الأقوال التي حكاهما على عدم الانطباق جوابه أنني لم أدع التضافر وإنما قلت كالتضافرة وشتان ما بين العبارتين عند البلغاء، ووجه ذلك أن اختلافهم في كونه مجازاً بين ناف مطلقاً وتفصيلاً دليل على أن آراءهم اقتضت عدم دخوله في حد

المجاز حتى اضطربوا فيه فقال بعضهم: إنه ليس منه مطلقاً، ورأى بعضهم أن منه نوعاً قريب الدخول فيه فأدخله فيه، وأنوعاً بعيدة فلم يدخلها فيه، فكل لبيب يفهم بالقوة من هذا الاختلاف والاضطراب أنه إنما نشأ عن اقتضاء آرائهم بعده عن الدخول في حد المجاز، وأنا لم أقل أنها مصرحة بذلك بل عبرت بعبارة تشعر بخلاف ذلك، فقله: إن الانطباق وعدمه أمر مسكوت عنه غير وارد حينئذ لأنني لم أدع التصريح به بل أتيت بما يدل على أنه يؤخذ منه بالقوة، وقوله: على أنها ظاهرة في الانطباق إن أراد أنها ظاهرة في انطباق حد المجاز على كل حذف فممنوع إلا القول الثاني كيف، والمفصلون يأبون تسمية من أنواعه مجازاً، والنافي مطلقاً واضح، وإن أراد أنها ظاهرة في الانطباق على ما يسمونه مجازاً فصحيح وهو ما ادعيناه في الجواب حيث قلنا إن الانطباق على ما ذكره القرافي، وصاحب الإيضاح واضح، وبه يندفع قول المعترض أولاً أنه غير واضح، والعجب كيف ادعى عدم وضوحه أولاً وظهوره آخراً. قوله: وأما الجواب عن السؤال الخامس إلى آخره. أقول: ما ادعاه من أن كون العلاقة في الآية المشابهة يخرجها عن باب المشاكلة إلى باب الاستعارة ممنوع فإنه لا تلازم بين المشابهة والاستعارة، وإن كان كل استعارة علاقتها المشابهة فليس كل ما علاقتها المشابهة استعارة، بدليل أن المحققين على أن التشبيه المقدر فيه الأداة نحو صم بكم عمي يسمى تشبيهاً بليغاً لا استعارة وهو ظاهر بلا شك، وإذا كان هذا فيما قدرت فيه الأداة فما ظنك بما صرح فيه بلفظ مثلها، فالآية لذلك خارجة عن باب الاستعارة داخله في باب المشاكلة. والعلاقة المشابهة لما تقرر من منع الملازمة، وقوله: فإن المشاكلة على ما ذكره التفتازاني هي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته هذا من نمط ما قدمته من أنكم تقتصرون في هذه الأمور على كتب مثل التفتازاني وتضربون عن غيرها صفحاً، وإلا فما وجه نقل مثل هذا الكلام عنه وهو في متن التلخيص الذي التفتازاني شارح كلامه بل وفي كلام السكاكي من قبله [بل] وأطبق عليه أهل البديع قاطبة ومثل هذا حقه أن يقال فيه، قال أهل البديع: وإلا فالنقل عن التفتازاني يشعر بأنه قاله من عنده ولم يسبق إليه ويشعر أيضاً بغرابته، فإن النقل لكلام عن متأخر مع وجوده في كلام المتقدمين عيب فما ظنك إذا كان في كلام أهل الفن قاطبة، وإنما ينقل عن المتأخر ما قاله من عنده بحثاً مخالفاً لما قبله أو تحقيقاً لكلام من تقدمه أو نحو ذلك. وقوله: إن ما ذكره العلامة من أن العلاقة في نوع المشاكلة هو الشبه الصوري لا يتمشى في قوله - اطبخوا لي جبة - صحيح وهو اعتراض حسن وليس في هذه الاعتراضات أقعد منه. وجوابه أنه لم ادع أن الشبه علاقة نوع المشاكلة من حيث هو حتى يلزماني تمشيتها في جميع أفرادها إنما ادعيت أنه علاقة الآية لظهورها فيها. وأما علاقة أصل المشاكلة فقد ذكرتها قديماً في كتابي شرح ألفية المعاني استخراجاً بفكري، ثم ظهر لي أخذها من قول صاحب التلخيص حيث قال: المشابهة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، فقله: ذكر الشيء بلفظ غيره صريح في أنها من باب المجاز. وقوله وقوعه في صحبته إشارة إلى العلاقة وهي الصحبة والمجاورة في اللفظ

كما سميت القرية راوية لمجاورتها للجمل المسمى بها حقيقة، فهذه هي علاقة أصل المشكلة. وقوله: وأما الجواب عن السؤال السادس - فهو كما ذكره - أقول: إن كان هذا تسليماً لصحة الجواب فهو المقصود، وإن كان تسليماً لعزوه وهو الظاهر بقرينة ما عقبه من الإشكال فجوابه أنه لا إشكال عند التأمل، واللمحة المشيرة إليه أن دقائق أهل المعقول لا يعباؤها أهل الفقه وحملة الشرع الذي مرجع التكليف إليهم والله أعلم، وكتبته يوم الاثنين التاسع والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وسميته الجواب المصيب عن أسئلة اعتراضات الخطيب.

مسألة:

أيا عالماً أضحي به الدهر باسماً
تأمل رعاك الله قلبي فلاني
فلم أجد الشافي لدائي فلم أزل
فدلني العقل السليم عليكم
وفضلكم في الناس أشهر من قفا
فجردته كي تسعدوني تفضلاً
وأنشره في الناس من بعض فضلكم
فقد ورد التصحيح في كل مسند
ولم ير في الدنيا فما القول ههنا
وقد ينزل المهدي عيسى لأرضنا
فهل ثم صلبان وفي الأرض عصابة
وهل صح أن المصطفى سيد الورى
يقول بأن الخير في أمتي
وما رسل الجن الذي جاء ذكرها
وهل لنبي الله هارون لحية
وهل في جنات الخلد قوم تعاشروا
وتشرب من أنهارها هل مساعد
ومن هو بعد الختم يدعو لميت
وما الحين إن قال امرؤ في يمينه
وما جاء في التحذير من ضرب أوجه
وما شرحه ما القول فيه محققاً

يشبه بالدهر القديم وبالصدر
جهول به لكنه جال في فكري
أفتش في أهل الفضائل والذكر
لأنكم أهل المآثر والفخر
وخيركم عم البوادي مع الحضر
علي لتحظوا في القيامة بالأجر
مضافاً إلى ما كان في سالف العمر
بأن إله العرش ينظر في الحشر
وما حكمة في المنع يا عالم العصر
فيكسر صلباناً كما صح في الذكر
تقوم على حق إلى آخر الدهر
رسول إله العرش خصص بالفخر
ليوم قيام الخلق في موقف الحشر
صريحاً بنص القول في محكم الذكر
ترى في جنات إذ به النص في الذكر
جمالاً وترعى في مراتعها الخضر
لناقل هذا أو يقابل بالنكر
بتسمية هل في المقالة من نكر
لزوجه: لا جئت حيناً من الدهر
على صورة مخلوقة صح في الأثر
لعلكم تنجوا من النار والوزر

من اليمن قول ناقلوه ذوو خبر
قبيل بلوغ ما يكونون في الحشر
بمقعد صدق مع كثير من الأجر
بكل جواب لو يوازن بالتبر
تبث علوماً ما حييت مدى الدهر
على أحمد المبعوث بالفتح والنصر
على فتن أو حن وحش إلى وكر

وهل أن تبكر مرأة ببنية
وإن ماتت الأولاد من أهل ذمة
أفي نار أو في جنة فاز أهلها
تفضل وجد يا سيداً فاق عصره
لكان قليلاً طال عمرك للورى
وصلى إله العرش جل جلاله
وأصحابه والآل ما طار طائر
الجواب:

وأتبع حمدي بالشناء وبالشكر
على المصطفى المختار ذي المجد والفخر
ولم ير في الدنيا سوى للذي أسري
فغير مطاق رؤية الواحد البر
دث بصر قد قال بعض أولي الخبر
يجعل إلهي فاستطاع ذوو القدر
على رؤية الباري فناهيك من فخر
يعقبها عيسى إذا جاء بالكسر
وصلبان كفر في بلاد أولي الكفر
فلم يأت هذا اللفظ في سند ندري
تقوم على حق إلى آخر الدهر
لأقوامهم وهي المسماة بالندر
سوى آدم فيما رويناه في الأثر
رأى ذلك موضوعاً فكن صيقل الفكر
من النقل والآثار ليست مدى حصر
لميته في الختم ليس بذئ نكر
وفي الصورة التأويل غير أولي الخبر
أولي السنة الغراء أيدت بالنصر
إضافة تشريف كروحي وما يجري
أضيفت ففي هذا مقنع ذي ذكر

ألا الحمد لله المنزل للذكر
وصلى إله العرش ما لاح كوكب
سألت عن الباري يرى في قيامة
وحكمته ضعف القوى لأولي الدنا
ولم يكن الباري القديم يرى بحا
ولما يكون البعث تعظم قوة
وأقدر رب العرش حقاً نبيه
وصلبان كفر في البلاد كثيرة
وكم بلد فيها كنائس جمّة
وأما حديث الخير في وأمتي
ولكن بمعناه حديث بعصبة
وفي الجن رسل أرسل الرسل عنهم
وما في جنان الخلد ذو لحية يرى
وما جاء في هارون فالذهبي قد
ولم أر في أمر الجمال مخبراً
ومطلق حين لحظة ثم من دعا
وعن ضرب وجه صبح نهى لفضله
على أوجه شتى حكاهما محققو
فأسلمها إذ لا تكون مفوضاً
كما قيل بيت الله أو ناقة له

بأنشى فواه لا يصح فطب وادري
فأمرهم الله فهو الذي يدري
بأنهم في جنة مع أولي البر
نوالاً من الرحمن في موقف الحشر

مسألة:

أواخر أهل العلم صارت أوائله
إلى زاهر عما حكى فيه قائله
نواريز أعياد أتها فعائله
وتهدى هدايا للنبي تقابله
له نبقة لم تكثرثها شمائله
وتذكر ما أبقي إليها تمايله
وإن عظم المولى وجلت فضائله
ولو كان عنه ذا غنى فهو قابله
لقصر ماء البحر عنه مناهله
أن أقبل فقد أبكى المقال وقائله
بمختصر قلناه معنى تفاصيله
ولو كان عنه ذا غنى فهو قائله
ابن عالماً في الدهر ضاءت دلائله
وإن تعلموا هذا فماذا قبائله
ابن ما خفي يا عالماً عم وابله
وأجركم فيه تناهت وسائله

وأتبعه شكراً تزيد نوافله
بتخصيصه عم الأنام رسائله
وأصحابه ما در بالقطر وابله
وواجبه أن يصلح القول قائله
ففيه أقاويل حكمتها أوائله
وقيل ابن عاميل بن عيص قبائله

وأما حديث اليمن في اللائي بكرت
وأولاد أهل الكفر قبل بلوغهم
فذا القول صححه وصحح بعضهم
فهذا جواب ابن السيوطي راجياً

أيا عالماً قد فاز بالرشد سائله
جوابك في قول بمختصر نعى
بأن سليمان النبي بدا له
وتجتمع الأجناس فيها بجمعهم
وإن بوقت قد هدت فيه نملة
فقالت بكسر القلب تبغي قبولها
على المرء حق فهو لا بد فاعله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله
ولو كان يهدي للجليل بقدره
وأن نبي الله أوحى له إذن
لأهل السما والأرض هذا مقالة
فهل في اعتراض في مقالة قائل
وهل تحتمل لو للغنى أو لغيره
ووالد خضر في الورى يعلم اسمه
وهل من يقين جازم في حياته
لكم جنة المأوى تباهات قصورها
الجواب:

بحمد إلهي ابتدي ما أحاوله
وأتبع هذا بالصلاة على الذي
محمد الهادي النبي وآله
نعم قول لو فيه اعتراض موجه
ووالد خضر إن تسائل عن اسمه
ف قيل ابن ملكان وقيل ابن مالك

وقيل ابن فرعون وقيل ابن آدم وأكثرهم يختار فيه حياته فهذا كلام فيه تحرير مقصد فخذها عروساً من محب ومهرها وأن ابن الأسيوطي قد خطه على مسألة:

وقيل ابن قابيل الذي هو قاتله إلى أن يجي الدجال حالت مقاتله وهذا جواب للذي أنت سائله دعاء يرجى أن يرى الله قائله مناهجه حتى تجلت دلائله

ما القول للحبر والبحر المحيط ومن في مشتري يوسف الصديق حين له هل يملكون الذين الآن بيع لهم وفي قضية يحيى حيث مات وقد وكان من قبل يدعوه ربه طلباً من آل يعقوب ميراثاً بذاك أتى والحكم في الدين أن الإرث يأخذه ما الشأن في ذاك يا مفتي الأنام ومن وهل تصحح للراوي روايته من لا إمام له إن شا يموت كذا أولاً وإن صح هذا القول مرجعه للمؤمنين أمير وهو سيدنا أو غيره أفتنا أنت الإمام لنا أثابك الله جنات النعيم بما بجاه خير الوري الهادي لأمته الجواب:

زان الوجود به الخلاق للبشر باعوه إخوته بالبخس في الذكر ما ذلك الأمر يا مخصوص بالأثر صحت حياة أبيه الطهر في الخبر نجلاً يورثه في مدة العمر نص المهيمن بالأخبار في الزبر مخلف بعد مقبول بلا نكر أبدى الفوائد حتى صار كالقمر فيما روى عن رسول الله في أثر يهوداً أو غيره من عصبة الكفر إلى إمام الهدى المعروف للبشر سلطاننا لا برحنا منه في خفر في مشكل غرة في جبهة الدهر أبنت من غرر يشرقن كالدرر من الضلال وحاميه من الضرر

ثم الصلاة على المختار من مضر يظن هذا ببيع الحر فاعتبر فالأنبياء إرثهم حظر على البشر قد أخرت دعوة فيه بلا ضرر وهو الخليفة فافهمه ولا تحر

الحمد لله باري الخلق والبشر لم يملك المشتري الصديق قط ولا وإرث يحيى لعلم لا لمال أب وبعضهم وهو الطيبي قال بأن وفي الإمام أحاديث بهذا وردت

الأوج في خبر عوج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال ورد من الشام صورته: ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته أجمعين في عوج بن عنق هل كان له وجود في الخارج في الزمن الماضي أم لا؟ فإن لم يكن له وجود في الخارج أصلاً فما الجواب عما وقع في غالب التفاسير كتفسير القرطبي، والبغوي فإنه ذكره في أربعة مواضع متفرقة على ما اطلعت عليه. والكرماني، وابن الخازن، والشعبي، وابن عطية وغيرهم من المفسرين من التنويه بذكره وتكرار قصته في مكان بعد آخر، على أن القرطبي، والشعبي نقلًا ذلك عن ابن عمر، والكرماني في تفسيره نقله عن ابن عباس. وإن كان له وجود فهل بقي إلى زمن موسى عليه السلام وهلك على يده أو هلك في الطوفان مع من هلك؟ فإن قلتم ببقائه إلى زمن موسى عليه السلام فما الجواب عن قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ [نوح: ٢٦] فإنها عامة؟ أو بهلاكه مع من هلك بدعاء نوح عليه السلام من الكافرين؟ فما هذا الذي وقع للبغوي في تفسيره من ادعائه اتفاق العلماء على هلاكه على يد موسى عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦] الآية ولغيره كالشعبي من ادعاء الإجماع على ذلك، وهل كان طوله هذا الطول العظيم الذي ذكره المفسرون وهو ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلاث ذراعاً؟ أو كان كآحاد بني آدم؟ فإن كان طوله ما ذكر فما الجواب عن حديث: «إن الله خلق آدم على صورته ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن» وهل وجد من البشر من قوم عاد أو غيرهم من كان طوله أكثر من ستين ذراعاً أو لم يوجد أحد؟ فإن بعض الناس تمسك بالحديث المذكور وقال: لا يمكن أن يوجد من البشر خلق أطول من آدم عليه السلام، ونفى وجود ابن عنق من الأصل وقال: لم يوجد في العالم شخص اسمه هذا الاسم، وادعى أن جميع ما وقع للمفسرين في تفاسيرهم من ذلك كذب واختلاق. والمسؤول بسط الجواب والكلام على الحديث المذكور والآية المذكورة أولاً، وهل الآية والحديث من العام الذي لم يخص وبقي على عمومهما لعدم المخصص أم لا؟ وذكر ما وقع للمفسرين في ذلك على طريق البسط والإيضاح وذكر الصواب في ذلك كله، وهل تعرض أحد لضبطه وضبط اسمه؟ أفوتونا مأجورين أثابكم الله الجنة بمنه وكرمه.

الجواب: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. قال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه المسمى - بالمنار المنيف في الصحيح والضعيف -: من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء فإنهم يخبرون على هذه

الأخبار، فإن في هذا الحديث أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث، وأن نوحاً عليه السلام لما خوفه الغرق قال له: احملني في قصعتك هذه، وإن الطوفان لم يصل إلى كعبه، وإنه خاض البحر فوصل إلى حجزته، وإنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس، وإنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى وأراد أن يرصعهم بها فقورها الله في عنقه مثل الطوق. وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره وهذا عندهم ليس من ذرية نوح وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا آِلَافِينَ ٧٧﴾ [الصافات: ٧٧] فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح، فلو كان لعوج وجود لم يبق بعد نوح، وأيضاً فإن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله في السماء ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن» أيضاً فإن بين السماء والأرض خمسمائة عام وسمكها كذلك، وإذا كانت الشمس في السماء الرابعة بيننا وبينها هذه المسافة العظيمة فكيف يصل إليها من طوله ثلاثة آلاف ذراع حتى يشوي في عينها الحوت، ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسول وأتباعهم. انتهى كلام ابن القيم. وتابعه على ذلك الحافظ عماد الدين بن كثير فقال في كتابه البداية والنهاية: قصة عوج بن عنق وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له وهو من مختلقات زنادقة أهل الكتاب، ولم يكن قط على عهد نوح ولم يسلم من الغرق من الكفار أحد^(١) قلت: وقد أخرج ابن المنذر في تفسيره بسنده عن ابن عمرو قال: طول عوج ثلاثة عشر ألف ذراع وعوج رجل من قوم عاد يغدو مع الشمس ويروح معها. وقد أورد بعض المصنفين هذا في تأليفه ثم قال: وهذا مما يستحي الشخص أن ينسبه إلى عمرو لضعفه عنه قال: ورد ذلك آخرون بما ثبت في الصحيح أن الله تعالى خلق آدم ستين ذراعاً ثم ما زال الناس ينقصون حتى اليوم قال: وأجاب بعضهم عن هذا بأنه على الغالب والأكثر وغير منكر أن يطول الأولاد عن آبائهم. وقال صاحب القاموس: عوج بن عنق بضمهما رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذر من عظم خلقه بشاعة. وقال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا أبو مسلم الكجي ثنا معمر بن عبد الله الأنصاري ثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال: كان طول موسى عليه السلام اثني عشر ذراعاً وعصاه اثني عشر ووثبته اثني عشر فضرِب عوج بن عنق فما أصاب منه إلا كعبه، وقال أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظيمة: حدثنا إسحاق بن جميل ثنا أبو هشام الرفاعي ثنا أبو بكر بن عياش ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أقصر قوم عاد سبعين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع وكان طول موسى سبع أذرع وطول عصاه سبع أذرع ووثب في السماء سبع أذرع فأصاب كعب عوج فقتله. وقال: أنا

(١) كلام الحافظ ابن كثير في كتابه - البداية والنهاية - نقله المؤلف بمعناه لا بلفظه.

أحمد بن الحسن الصوفي ثنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير عن أبي إسحاق الهمداني عن نوف قال: إن سرير عوج الذي قتله موسى طوله ثمانمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع، وكان موسى عشر أذرع وعصاه عشر أذرع ووثبته حين وثب عشر أذرع فأصاب عقبه فخر على نيل مصر فحسره للناس عاماً يمرون على صلبه وأضلّاعه. وقال: ثنا أحمد بن محمد المصاحفي ثنا محمد بن أحمد بن البراء ثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: ذكر وهب بأن عوج بن عنق كانت أمه من بنات آدم عليه السلام وكانت من أحسنهن وأجملهن، وكان عوج ممن ولد في دار آدم وكان جباراً خلقه الله كما شاء أن يخلقه. ولا يوصف عظماً وطولاً وعمراً فعمر ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة وكان طوله ثمانمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع حتى أدرك زمان موسى عليه السلام، وكان قد سأل نوحاً أن يحمله مع السفينة فقال له نوح: لم أوامر بذلك أي عدو الله أغرب عني فكان الماء زمان الغرق إلى حجزته، وكان يتناول الحوت من البحر فيرفعه بيده في الهواء فينضجه بحرّ الشمس ثم يأكله، وكان سبب هلاكه أنه طلع على بني إسرائيل وهم في عسكرهم فحزروه حتى عرف قدره، وكان عسكرهم فرسخين في فرسخين فعمد إلى جبل فسلخ منه حجراً على قدر العسكر ثم احتمله على رأسه يريد أن يطبقه عليهم فأرسل الله هدهداً ليربهم قدرته فأقبل وفي منقاره خط من السامور فجاءه الحجر على قدر رأس عوج وهو لا يدري ثم ضرب بجناحه ضربة فوق في عنقه فأخبر موسى خبره فخرج إليه ومعه العصا فلما نظر إليه موسى حمل عليه فكان قامة موسى وبسطته سبع أذرع وطول العصا سبع أذرع ووثبته إلى السماء سبع أذرع فضربه بالعصا أسفل من كعبه فقتله فمكث زماناً بين ظهرائي بني إسرائيل ميتاً.

قلت: هذا الخبر باطل كذب آفته عبد المنعم بن إدريس. قال الذهبي في الميزان: قصاص ليس يعتمد عليه تركه غير واحد. وأفصح أحمد بن حنبل فقال: كان يكذب على وهب بن منبه. وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره. وقال الحافظ ابن حجر في اللسان: نقل ابن أبي حاتم عن إسماعيل بن عبد الكريم قال: مات إدريس وعبد المنعم رضيع. وكذا قال أحمد إذا سئل عنه: لم يسمع من أبيه شيئاً. وقال ابن معين: كذاب خبيث. وقال الفلاس: متروك. وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن المديني، والنسائي: ليس بثقة انتهى. وما رأيتهم أوردوا حديثاً من روايته إلا حكموا عليه بالبطلان. وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي من ذلك شيء كثير، بل ذكر ابن الجوزي أن أباه إدريس أيضاً متروك فسقط هذا الخبر بالكلية. والأقرب في أمره أنه كان من بقية عاد، وأنه كان له طول في الجملة مائة ذراع أو شبه ذلك لا هذا القدر المذكور، وأن موسى عليه السلام قتله بعصاه هذا القدر الذي يحتمل قبوله والله أعلم.

مسألة :

من البحر الذي هو جبر كسرى
سما فضلاً على زيد وعمرو
بمثل علومه بدوام دهر
تفرد كم له ثاب بشكر
هم الحسان قد ماتوا بقهر
بخير علومه صرتم بشر
جلال الدين أنت فريد عصري
أتيت به تقرره وتقري
فكم أبرزت من طي ونشر
ورحبي ضاق من ضيقان صدي
وبحر الدمع من عيني يجري
عليه يا إمام ضاع صبري
وقد سلمت للأحكام أمري
برقم عاجل سطرأ بسطر
لشعر لم يكن يا حبر يدري
وكتان أضفت له بحري
وهذا قلته يا خير حبر
رأوه غالياً في السعير شعري
فهل لمقابل النعماء بكفر
برقم عنه تبياناً بشكر
وقالوا حاسد أضحى بخسر
وكم من قابل الهاجي بنشر
لقلت رأيت تبناً عند تبيري
وأطلقت اللسان وجال فكري
لأكسرهم به ويكون نصري
وأنت البحر كن يا بر جسري
قبولاً سيدي مع بسط عذري

عبيد جاء مغترفاً وفاء
إمام عالم حبر وبحر
لخلق الله لم يسمح زمان
وما في العصر مجتهد سواه
بنعليه على أرقاب قوم
فموتوا حاسديه أما تروه
جلا مرأة فقري من جلاها
فيا عين الزمان فكم غريب
بفضلك جد وسد وارق المعالي
رثيت بحرقة يا بحر نجلي
وقلبي بالنوى أضحى حريقاً
لنجل كان لي ما لي سواه
قضى بفنائه الباقي دواماً
رثيت إذا وفكري في اشتغال
فعاب رثاء ما أبديت شخص
لقولي لإبرسم الأفرح فيه
فكتكته الأسى فغداً مشاقاً
فدار به على النظام لما
فمن حسد له أبدوا هجاء
لأهل الفضل جئت به أجابوا
وها هم خطأوا من قال هجوا
ومنهم من أجاب عليه نظماً
فلو أبصرت هجوهم وهجوي
لهم قد جئت ميداناً لحرب
فجد بنفيس درك لي بشيء
ففهمي مثل رشح الكوز أضحى
ونجل البرد دار يكون منكم

ونجم حوله في الليل يسري
شفيع الخلق طه يوم حشري
صلاة ما انقضى ليل بفجر
بتلحين على ورد وزهر

قدم واسلم وعش ما دام بدر
بجاه محمد خير البرايا
عليه وآله والصحب جمعاً
وما غنت على الأوراق ورق
الجواب:

والجهل بالأشياء مر المذاق
يجري مع الحلبة عند السباق
كتكته الحزن فأضحى مشاق
وانها معدودة في النعاق
فكلها بالاستعارات راق
لفظ مشاق عربي انبثاق
وأودعوه في بطان البطاق
إبريسم تدعى المشاق المشاق
أهزله صيره في الرقاق
نقل أتى في الكتب بين الرفاق
يدركه ذو العلم بالاشتقاق
من لفظ تركي إليه استباق
أذهب صيره في انمحاق
يشاق للألباب لما يساق
أن يلحظوه بالحداق الحداق
إجازة تدرجه في الطباق
يحق أن يقضى له باللحاق
وتركه الهجو وما لا يطاق
يضيق عن شكري فيها النطاق
أفضل من أهدى إليه البراق

سرحت أفكاري والعلم راق
في بيت شعر قاله شاعر
إبريسم الأفراح من بعده
وقول من أنكر ألفاظه
لا وجه للإنكار في هذه
وقد أتى في خبر المصطفى
ونص أهل العلم في كتبهم
مسألة الكتان والشعر مع
وقوله كتكته وجهه
فذاك معنى لغوي له
وفيه معنى آخر ريق
تصريف فعل عربي أتى
من كت بمعنى رح فتأويله
فذاك حسن بعد حسن غدا
وحق من ذلك من شعره
وقد أتى مسترفداً طالباً
أجزته بالشعر فهو الذي
بشرط تقوى الله في شعره
والحمد لله على نعمة
ثم صلاة الله تهدي إلى
مسألة:

بديعه بهجة وظرف
منطقه معرب ولطف

يا حاوي اللطف والمعاني
ويا سني المجد في المباني

أمنن بكشف عن اسم طير
الجواب: .

يا من أتى لغزه المسمى
هو اسم طير إن صحفوه
أو حشف يابس تراه
وإن يكن في ابتداء عين
أو أبدلوا باءه بوأو
أو أبدلوا باءه براء
أو أبدلوا باءه بنون
وإن ترخمه فهو راش
وذيله دائر محيط
هذا جوابي غزير معنى
والله سبحانه وتعالى أعلم.

النصف ظرف والنصف حرف
يبتغي للأناص كشف
فثمر بالندى يحف
مرادفاً بالثرى يسجف
فمفرم للمنام يجفو
فذاك كلب وفيه عرف
فإنه في القلوب طرف
فإنه قد عراه عرف
للترك كل إليه يقفو
يضمه في الكتاب صحف
وفيه لطف وفيه ظرف

تم الكتاب والحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فهرس المحتويات

٣	٤٥ - (المنحة في السبحة)
٧	٤٦ - أعذب المناهل في حديث من قال أنا عالم فهو جاهل
١٠	٤٧ - حسن التسليك في حكم التشبيك
١٢	ذكر الحديث المسلسل بالتشبيك
١٣	٤٨ - شد الأثواب في سد الأبواب
٣٠	٤٩ - المعجاجة الزرنبية في السلالة الزرنبية
٣٣	آخر المعجاجة الزرنبية في السلالة الزرنبية
٤٥	٥٠ - الدرة الناجية على الأسئلة الناجية
٥١	٥١ - رفع الخدر عن قطع السدر
٥٥	٥٢ - العرف الوردي في أخبار المهدي
٨١	٥٣ - الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف
٨٢	ذكر ما ورد أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في أواخر الألف السادسة
٨٤	ذكر ما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث في الأرض أربعين سنة
٨٥	ذكر مدة مكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
٨٥	ذكر مدة ما بين النفختين
٨٧	٥٤ - كشف الريب عن الجيب
٨٨	كتاب البعث
٩٠	٥٥ - رفع الصوت بذبح الموت
٩٦	٥٦ - إتحاق الفرقة برفو الخرقه
٩٧	ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن عن علي
١٠٣	٥٧ - بلوغ المأمول في خدمة الرسول ﷺ

١٠٩	الفتاوى الأصولية الدينية
١٠٩	٥٨ - إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة
١٢٢	٥٩ - تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد
١٣١	مبحث النبوات
١٣٢	٦٠ - تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة
١٣٣	ذكر الأدلة التي أخذت منها إرساله إلى الملائكة
١٣٩	٦١ - إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء
١٤٦	٦٢ - كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام
١٥٨	٦٣ - لبس اليلب في الجواب عن إيراد حلب
١٦٠	مبحث المعاد وهو ثلاثة أقسام: أحوال البرزخ وأشراف الساعة والبعث
١٦٠	٦٤ - اللمة في أجوبة الأسئلة السبعة
١٦٦	٦٥ - الاحتفال بالأطفال
١٦٨	٦٦ - طلوع الثريا بإظهار ما كان خفياً
١٨٥	أحوال البعث
١٨٨	٦٧ - تحفة الجلساء برؤية الله للنساء
١٩١	٦٨ - مسالك الحنفا في والدي المصطفى
٢٢٢	الفتاوى المتعلقة بالتصوف
٢٢٦	٦٩ - القول الأشبه
٢٢٦	في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه
٢٢٩	٧٠ - الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال
٢٤٢	٧١ - تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك
٢٥٦	الفتاوى النحوية وما ضُم إليها
٢٦٥	٧٢ - فجر الثمد في إعراب أكمل الحمد
٢٦٧	٧٣ - ألوية النصر في خصيصي بالقصر
٢٦٨	٧٤ - الزند الوري في الجواب عن السؤال السكندري
٢٧١	٧٥ - رفع السنة في نصب الزنة
٢٧٥	٧٦ - الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية

٢٨٢	٧٧ - الأسئلة المائة
٢٨٦	٧٨ - تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة
٣١٢	٧٩ - الأسئلة الوزيرية وأجوبتها
٣٢٦	الأوج في خبر عوج